إيفان أريغوين - توفت

كيف يكسب الضعفاء الحروب

نظرية عن النزاعات غير المتكافئة

ترجمة

أدهم مطر





عنوان الكتاب بالإنكليزية:

How the Weak Win Wars

A Theory of Asymmetric Conflict

Written By

Ivan Arregu n-Toft

Translated By

Adham. W. Matar

تأليف
إيفان أريغوين- توفت

كيف
يكسب الضعفاء الحروب
"نظرية عن النزاعات غير المتكافئة"

ترجمة
أدهم وهيب مطر







2013

• الكتاب : كيف يكسب الضعفاء الحرب
• تأليف : ايفان أريغوين – توفت
• الطبعة الأولى 2013
• عدد النسخ 1000 نسخة
• عدد الصفحات : 328
• حقوق النشر محفوظة
• الإخراج الفني والغلاف الفني: مناف نفاع
• ISBN: 9789933433901

الناشر:







سورية - دمشق ص. ب : 2322
هاتف: 56399561 11 963 +
فاكس: 56399560 11 963 +
جوال: 693 624 944 963 +
البريد الإلكتروني : safi_nayaa@hotmail.com
muhakat2009@hotmail.com

08 شارع محمد طويلب
سيدي امحمد - ولاية الجزائر
Tel: 0021321717302
MOB: 00213553437195
FAX: 0021321717536
email: alg.syr@hotmail.com

الإشراف العام
صافي علاء الدين

على هذه الأرض...

ما يَستَحِقُّ الحياة...

محمود درويش

تنويه :

إن كل ما ورد في هذا الكتاب يعبر عن رأي وأفكار المؤلف وقد تمت الترجمة بحياد .

المترجم

مدخل
كيف يكسب الضعفاء الحروب:

تُرى كيف ينتصر الضعفاء في الحروب؟ وخاصة عندما تتوقف احتمالات النصر والهزيمة في النزالات على التفاعل بين الإستراتيجيات المستخدمة عند كل من الطرفين القوي والضعيف على حد سواء.

استخدام التحليلات والإحصائيات العميقة في النزاعات بين الأطراف غير المتكافئة تاريخياً ومنذ مائتي عام وحتى الآن، برأي "إيفان أيرغون– توفت"(أستاذ العلوم السياسية الأمريكي) يظهر على أنه – وبشكل مستقل – نوع النظام وتكنولوجيا الأسلحة– وكذلك فإن تفاعل المقاربات الإستراتيجية المتشابهة تدعم العوامل القوية، بينما المقاربات الإستراتيجية المعاكسة تدعم الضعيف.

ولذلك، فإن المقاربة الجديدة لفهم النزاعات غير المتكافئة تسمح لنا فهم كيف كانت الولايات المتحدة قادرة على كسب حروبها في أفغانستان عام (2002) في شهور قليلة، بينما خسرها الإتحاد السوفيتي بعد عقد من الحروب الشرسة في الفترة الوقعة بين عامي (1979–1989).

إن نظرية أريغوين–توفت "تفاعل الإستراتيجيات" تستحوذ على نتائج ليست مجردة لنظرية العلاقات الدولية فقط بل لصانعي السياسات الذين يتنازعون في الحروب الداخلية والأهلية، وأيضاً من خلال الإرهاب.

عن المؤلف:

إيفان أريغوين – توفت:

أستاذ زميل في برنامج الأمن الدولي في أكاديمية "جون. ف. كينيدي" في مدرسة الحكومات، جامعة هارفارد، قام بتأليف عدد هائل من أوراق المؤتمرات وُنشرت مقالاته في مجلس الأمن الدولي، ودرّست في جامعة "كامبريدج" للعلاقات الدولية، وقد كان مجنداً في الجيش الأميركي حيث خدم في "أوغسبرغ– ألمانيا" كمحلل للمخابرات العسكرية من عام 1985 وحتى عام1987.

مقدمة

هذا كتاب عن القوة؛ وعن كيفية الفهم المشترك للقوة التي قد تؤدي إلى كارثة.

كما أن مصطلح " النزاعات غير المتكافئة " يقصد به في هذا السياق حصر الموضوع الواسع للتساؤلات المتعددة حوله وذلك بأقل الكلمات الممكنة – ومع هذا، فهذا المصطلح سيبقى يعاني من نفحة التكبّر الأكاديمي وانفصاله في البرج العاجي.

وفي الحقيقة، فإن الموضوع الحقيقي المتناول هنا هو الوحشية السافرة في الحروب، حيث أن المتلقي الأولي لهذه الوحشية في العادة يكون الجنود، فهم مدربون لمواجهتها، وإن بحدود معينة.

ومن المتوقع أنهم قد يصابوا أو يقتلوا من قبل جنود آخرين مثلهم خلال أداء واجبهم. ولكن في أيامنا هذه، فقد أصبحت الحروب أقل حصراً بالجنود (لكن البعض قد يقول على أن ذلك مجرد أسطورة أكثر من أي وقت مضى) وربما هي تبعات غير مقصودة لمحاولة استخدام اتفاقيات "جنيف"

(والوسائل اللاحقة للقانون الدولي الإنساني) لِحماية الأطفال، والمصابين، والمرضى، والمرضى العقليين، والمعاقين، والأطفال الصغار، والنساء اللواتي لا يستطعن تحمّل الأسلحة وكبار السن، وهؤلاء هم مجرد بشر ضعفاء وليسوا جنودا، ولكنهم أصبحوا ضحايا بشكل متزايد للهجوم بالسكاكين، وبالبنادق، واللهب، والمعادن الطائرة، وكلهم كانوا عبارة عن أهداف لأن المقاتلين اليائسين يجدون أنه من المفيد الاختباء بينهم، والتغلغل في أماكن إقامتهم، بينما كان أعداؤهم يفتقرون إلى الإرادة أو القدرة على ضربهم من دون رأي واضح، وبذلك يكون الأطفال الصغار أول الضحايا التي تتكور جانباً.

إن النزاعات غير المتكافئة، والتي يكون فيها طرف واحد مالك لقوة هائلة ومع احترام لخصمه، فإن هذه الخصوصية تكون صحيحة. وهي كذلك لأن الضعيف يائس،

ولأن القوي لا يستطيع احتمال إساءة المقاومة: فإذا طالبت قوة ما بالطاعة، فالمقاومة للقوة الهائلة تقدم دليلاً على الشر أو الجنون، ولكن كلاً من الشرير أو المجنون يحتاجان لأن تتم معاملتهما كبشر أيضا.

تغيب الوحشية الحقيقية للحرب من معظم التحليلات الاجتماعية للحرب، فهي مفقودة لأننا جاهلون: ومعظمنا لم يختبر بشكل مباشر ذلك الرعب وغالبا ما تكون تحليلاته قد أصبحت عمل حياته، إنها مفقودة لأنها ضرورية: ولكي نقترب من واقع موضوعنا الذي بالكاد لا يطاق. فبعض القسوة لا يمكن وصفها، ولا يوجد هناك ببساطة كلمات بأي لغة كانت قادرة على تحمل وزن تجاربها.

وأخيراً، فإن وحشية الحرب مفقودة من معظم تحليلات العلوم الاجتماعية ؛ لأنها تسمح لنا باكتشاف الأنماط وتصنع التعميمات التي قد تقنع في يوم من الأيام الآخرين لتعديل الكيفية التي يتم من خلالها حل النزاعات، ولتنهي تلك المأساة المستمرة وتمنع أن يُصاغ العنف كله ببعض. وبهذه الروح أقدم هذا التحليل، وكل العيوب.

كلمة شكر وتقدير للمؤلف:

لقد قرأت العديد من أشكال التقدير والشكر على مر السنين ولكني طالما كنت أعاني دوما من أنها تكون مفعمة بالعواطف، والمملة معاً.

لقد تدربت في جامعة شيكاغو في العقد الأخير من القرن العشرين، وكانت مرحلة مليئة بالتحديات، وثمة من قد يدعوها بالإهمال الحميد المقصود – ومصمماً حتى– ليجعلني قادرا على معرفة وتأطير وخلق أسئلة جيدة بمساعدة بسيطة تتجاوز مواردي، ولكن اثنين من معلميّ وناصحيّ الشخصيين وهما "جون ميرشيمر" و"استيفان والت" اللذان أدين لهم بالشكر من أجل الاكتفاء الذاتي الفكري كحارس في الجيش حيث أستطيع الآن أن أكون لوحدي في برية "أكاديمية" وسوف أجد دوماً طريقي، كي أنجو وأنفذ مهمتي.

و لكن القدرة على العمل لوحدي لم تغير ميلي للعمل مع الآخرين، ولم تلبد بأي طريقة حبي للتعليم.

كما أدين بالشكر إلى عدد أكبر من الزملاء في جامعة شيكاغو أكثر من الذين أدرجت أسماءهم هنا. ولكن، ولأجل المناقشات الجيدة، المتقدة الثاقبة والدعم الهائل أريد أن أشكر خصوصاً كلاً من: "آن دايفس، شارون موريس، جوردان سينغ، ديفيد مايكل، كيم جيرمين، بريت كلوب، أندي كاييد، سوزان ليبيل، جون مك كورميك، جين ميتزن، دايفيد إيدلستين، وباول كابور".

شكراً أيضاً لكل من:

"دانييل فيرديير، تشارليز ليبسون، وخصوصاً تشارليز غليسر " على تقديمهم نقداً ذو بصيرة على النسخ الباكرة لهذا العمل، وعلى مساعدتهم في تدريبي على سبيل المثال، وعلى دعمهم أيضاً.

أدين أيضا بالشكر لثلاثة من الرجال الذين هم – برأيي – يعتبروا من المثقفين رفيعي المستوى: "بيتر ديغيسر، بيرناند مانين، ولويد رودولف". والذين من دون جهودهم الصبورة وكرمهم لم أكن لأتعلم أن أكون حذراً حول ما أعتقد أني أعرفه. كما أشكر أيضاً على الصداقة والدعم الحيويين في هذا المشروع الفكري وأدين بالعرفان الخاص لكل من:

" توم ريس، تاي (و لين) أبوت، كيتا (و رون) باوير، ومارفين زونيس".

والذين كل بطريقته أو طريقتها الخاصة جعلت مني رجلاً أفضل هنا في مدرسة كينيدي الحكومية في جامعة هارفارد. لقد كنت محظوظا بتوجيه النقد والدعم البارز.

أريد أن أشكر بشكل خاص كلاً من:

"ستيف ميللر، شين لين، جونز، جون جاروفانو، أرمن غريغوريان، وروز مكديرموت".

وأدين بالشكر أيضاً للسيد "آندرو ماك" والذي من دون أصالته ونقده الحاد، ونصائحه، ودعمه ما كان لهذا الكتاب إطلاقا أن يكون ممكناً.

شكرا أيضا لمعهد دراسة السياسات العالمية، ومؤسسة "سميث ريتشاردسون" على دعمهم الكريم.

و أخيراً، أدين لعائلتي:

والدي "ألفريدو "الذي أود شكره على تذكيري بأنهَ يجب أن أفعل ما أفعله لكوني أنا، بدلاً من توقعاتي في العلوم الاجتماعية كمهنة.

والدتي "جوآنا" التي أشكرها على حبها المطلق للأفكار وأيضاً بالطبع على إيمانها بي الذي آمل أن يكون قد أتى أكُله.

زوجة أبي "سوزي" وأختي "كريستين "و "ليزلي" اللواتي أشكرهن على الشغف الملهم في كل ما يعيشونه بحياتهم.

كذلك عمي "باول" الذي أشكره على صبره والدعم الدائم الذي قدمه لي على مر السنوات العديدة.

و أيضاً حمواي اللذين اشكرهما على تحمّلي والصفح عني (الآن، ووقتها) لأني لم أختر أن أصبح محامياً.

و فوق كل شيء آخر ودائماً أشكر الثلاثة الأعز علي في هذا العالم، والذين، حياتي من دونهم لم تكن غنية، ولا تستحق لأن تُعاش وهم:

زوجتي "مونيكا" وابني "صامويل" وابنتي "إنغريد آن".

الاختصارات الدولية:

ARVN	جيش فيتنام
COIN	مكافحة التمرد
DMZ	منطقة منزوعة السلاح
DRV	جمهورية فيتنام الديمقراطية
DRA	جمهورية أفغانستان
GVN	حكومة فيتنام
KLA	جيش التحرير الكوسوفي
NATO	حلف شمال الأطلسي (الناتو)
NVA	الجيش الفيتنامي الشمالي
SAM	قذائف أرض – جو
FLN	جبهة التحرير الوطنية
GWS	إستراتيجية حرب العصابات
VCViet Cong	الجبهة الوطنية التحررية الفيتنامية

الفصل الأول

وَفِيمَا هُوَ يُكَلِّمُهُمْ إِذَا بِرَجُلٍ مُبَارِزٍ اسْمُهُ جُلْيَاتُ الْفِلِسْطِينِيُّ مِنْ جَتٍّ صَاعِدٌ مِنْ. . صُفُوف. الْفِلِسْطِينِيِّينَ وَتَكَلَّمَ بِمِثْلِ هَذَا الْكَلاَمِ. ، . فَسَمِعَ دَاوُدُ. 24. وَجَمِيعُ رِجَالِ إِسْرَائِيلَ لَمَّا رَأَوُا الرَّجُلَ هَرَبُوا مِنْهُ. وَخَافُوا جِدّاً. 25

لماذا يخسر القوي في مجابهة الضعيف؟

لأننا نتوقع للأطراف[1] القوية أن تهزم الأطراف الضعيفة فيما يتعلق بالحروب، والاشتباك بالأيدي، بل وحتى في منافسات الأعمال والمسابقات الرياضية، فإن حقيقة أن الضعيف يفوز أحياناً هي أمر محير[2].

1- "الأطراف" في هذا المحتوى تعني الدول أو التحالفات، على الرغم من أنه وبنفس الطريقة قد تعني حكومات تتصارع ضد المتمردين أو أمة منافسة أو مجموعات أثنية في حروب أهلية. "النزاعات" في هذا التحليل تعني الحروب (1000 قتيل في معركة بالسنة)، على الرغم من أنه وأيضا بطريقة مشابهة يمكن أن تطبق في النزاعات التي ليست حروباً، مثل الإرهاب، الحروب التجارية، والاحتجاجات العمالية. لأن هذا التحليل يركز على تُفسير النزاعات غير المتكافئة وقد استثنيت هذه لبضع حروب بحيث تغيرت نسبة القوى بشكل مثير (نحو التكافؤ) بين بداية ونهاية النزاع.

2- القوة هي واحدة من أكثر المفاهيم صعوبة في نظرية العلاقات الدولية، هنا أتبع تقليد طويل بتقديم تمثيل قابل للقياس للقوة والذي أعترف بأنه غير مثالي. ما أعنيه "بالقوي" على سبيل المثال هو الطرف الذي تكون قوته المادية نسبيا تتجاوز قوة خصمه أو خصومه بنسبة عالية (انظر أدناه). كما أن وصفي "الضعيف" و"القوي" يحملان معنى فقط في محتوى محدد: فإيطاليا في 1934 ضعيفة مقارنة بالإتحاد السوفيتي، ولكنها قوية بالمقارنة مع أثيوبيا. وما أعنيه "بالقوة المادية" هو النتائج المعطاة للتعداد السكاني للدولة والقوى المسلحة. ومن المماثلات الأخرى لقوة الدولة القابلة للقياس التي اقترحت واستخدمت على مر السنين، وتتضمن إنتاج الحديد والفولاذ، الإنتاج القومي الإجمالي (GNP) وهكذا... ولكن لا يوجد أي قياس يبدو لأن يكون كافيا لوحده والإنتاج القومي الإجمالي بشكل عام ربما الأكثر فائدة ولكنه يعاني من مشكلة أن بياناته لم تكن تحفظ قبل عام 1920. لمراجعة وتحليل الأدب عن الإجراءات التجريبية والقابلة للقياس للقوة النسبية، انظر ناتر (1994: 29–49) وللمزيد عن المقياس التجريبي للقوة بالتحديد انظر بأول (1994: 22).

القوة النسبية والنظرية الواقعية للعلاقات الدولية:

" القوي يفعل ما يشاء"...

بالعودة إلى وصف القائد العسكري والخبير الاستراتيجي " ثيوسايدس"(×) للحرب بين أثينا وإسبرطة، فإن الصلة بين القوة وبين نتائج الصراع قد أصبحت المبدأ الجذري (الأصلي) لنظرية العلاقات الدولية الواقعية(1). قوة أكثر، تعني حروباً رابحة، وقوة أقل، تعني الهزيمة فيها. والهزيمة في الحرب تعني الموت أو العبودية. وهذا ليس الشيء نفسه كما يخال لعلماء العلاقات الدولية أو للنخب العسكرية والسياسية لجهة أن القوة المادية الصرفة هي الفيصل الوحيد التي يحدد من يكسب أو من يخسر المعركة، أو الحملة أو الحرب.

وحيث أن العديد من الأشياء – بدءا من العزيمة، التقنية، الإستراتيجية، الحظ، القيادة، وحتى البطولة أو الجبن– يمكن أن تؤدي إلى نتائج غير متوقعة.

و لكن القوة مفيدة لسببين:

1. في العالم الواقعي، يمكن لوجود ما يكفي من القوة أن يغطي على النقائص في التصنيفات الأخرى.
2. في العالم النظري، تكون القوة قابلة للقياس، وللمقارنة بينما لا يمكن قياس القيادة أو الحظ على سبيل المثال.

وهكذا، فإذا كان صحيحاً فإن القوة هي الأهم، إذاً في جميع النزاعات غير المتكافئة (النزاعات بين الأطراف المتفاوتة بالقوة) يجب على القوي أن يكسب دوماً بالفعل(2).

(×) ثيوسايدس: حاكم يوناني وقائد عسكري استراتيجي في الإمبراطورية الرومانية.

1- استخدامي للمصطلح "النظرية الواقعية للعلاقات الدولية" في هذه المقالة يشير إلى نسخة بسيطة من النظرية الواقعية والتي لها عقيدتان رئيسيتان: (1) – لا توجد سلطة أعلى من سلطة الدولة قادرة على تنظيم تفاعلات الدولة. (2) – جميع الدول لديها بعض المقدرة على أذية الدول الأخرى. وكنتيجة لذلك تقوم الدول بزيادة قوتها النسبية بطرق مختلفة تتضمن شراء وصنع الأسلحة وتشكيل حلفاء. القوة في وجهة النظر هذه من المتوقع أن يكون لها عدة إيجابيات للدولة التي تكتسبها، تستطيع أن تردع دول أخرى من الهجوم أو تخويفها لإجبارها على تقديم التنازلات، أو هزيمتها في الحروب. ولخلاصة مقنعة للنظرية الواقعية للعلاقات الدولية انظر ميرشيمير (2001: الفصل 1-3). حول حدود القوة فيما يتعلق بالأهداف، انظر والتز (1979: 188-192).

2- كما عبر عنها الباحث"ميرشيمير": هناك حدود معرفة لفائدة مستويات قياس القوة. بعد كل شيء، حتى دراسة سريعة للتاريخ العسكري سوف تظهر أنه من المستحيل تفسير نتائج العديد من الحملات العسكرية ببساطة بمجرد مقارنة عدد القوات في كل جانب. وعلى الرغم من هذا، فمن الواضح أنه إذا كان لدى أحد الأطراف تفوق عارم في القوات، فإن اللاتكافؤ الواضح على الأغلب سيتنبأ بنصر حاسم" (ميرشيمير، 1983: 168). انظر أيضاً ماك (1975: 107).

وبإلقاء نظرة على جميع الحروب غير المتكافئة التي تم خوضها منذ عام 1800 نجد أن هذا الإدعاء صحيح. ومجدداً، فإن مصطلحي "القوي" و"الضعيف" يحملان فقط المعنى في الصراعات "dyads".

على الرغم من أنه – وكما هو ملاحظ في الأعلى– فإن هذا قد يتضمن الصراعات بين أطراف فردية أو تحالفات. وعلاوة على ذلك، ففي هذا التحليل، فإن اللغز أكثر حيرة بحيث يجعل القوي أقوى بكثير من الضعيف. إن النزاع غير المتكافئ بكل ما تعنيه الكلمة، على سبيل المثال، يتطلب وجود عدم تكافؤ طفيف، ولنقل بنسبة واخد بالعشرة إلى واحد. ولكن في هذا التحليل، فإن الهدف هو اختبار التفسير المضاد للإدعاء بأن القوة النسبية هي أكثر ما يهم.

ولهذا السبب فإن عدم التكافؤ بين القوى قد تم رفعها إلى 10/1 ومن ثم تم تعديلها في الحساب حيث أن الأطراف القوية – القوى العظمى بالتحديد– غالباً ما يكون لديها التزامات أمنية قد تعيق وضع جميع مواردها في نزاع واحد[1].

منذ عام 1816 كان يقال بأن الأطراف القوية قد كسبت أكثر من ضعفي ما كسبته الأطراف الضعيفة. ولكن من الناحية الأخرى، وحيث أنه – في هذا التحليل– تتفوق الأطراف القوية على الأطراف الضعيفة بهامش كبير فإنه يبقى محيراً كيف خسرت الأطراف القوية في حروب عديدة؟.

تُرى، ما الذي يفسر هذه النتائج غير المتوقعة؟

وهنا، يبدو أن عدداً من الأجوبة سيكون معقولاً إلى جانب الحظ السيئ[2].

1– "القوة" في هذا التحليل ممثل كناتج منصف للقوى المسلحة للأطراف القوية والسكان في بداية النزاع مقابل الناتج البسيط للقوات المسلحة للأطراف الضعيفة والسكان. البيانات لهذا المسح تأتي بشكل أولي من "صغير وغني" (1983)، ومن النسخة المعاد تنقيحها لمجموعة البيانات في 1992. بيانات إضافية من لاكواير (1976)، ومن إيليس (1995). للائحة شاملة للحالات المذكورة في التحليل الإحصائي، انظر الملحق.

وفي هذا التحليل، التقنية ممثلة كقوة مضاعفة أو مقسمة، ليس كزيادة بالقوة بحد ذاتها. القوة مأخوذة ببساطة ولكن بما يكفي بمضاعفة السكان والقوى المسلحة. هذا يقود إلى بعض التشوه – مثل الأسلحة النووية والبحرية مقابل أن تميز القوة القارية بهم– ولكن التأثير الناجم عن هذا التشوه له تأثير هامشي على التحليل عموما.

2– الحروب الاستعمارية التي تميز هذه الفترة هي جدليا حالة خاصة. لكن، إذا كان الأمر كذلك، لا بد لأن تكون خاصة بالطريقة التي تتجاوز التأثيرات المتوقعة للقوة النسبية (أي مازالت تتحدى أسبقية عمود القوى في النظرية الواقعية للعلاقات الدولية). النزعة الكلية هي نفسها سواء لو كانت البيانات مقسمة إلى فترات زمنية من خمسين– عشرة– أو خمس سنين. قسم الطيات الأربعة الممثلة هنا ثمين تحليليا لأنه يمثل بيانات أكثر في كل فترة، ولأنه يقدم النزعة بشكل أكثر وضوحا. حالات من هذه الفترة 2000–2010 (أفغانستان 2002 – والعراق 2003) غير متضمنة هنا لأن هذه المرحلة لم تستمر بعد لخمس سنين.

فلربما قد خسرت الأطراف القوية بسبب أن القائمين عليها كانوا سريعي التأثر وشديدي الحساسية بطريقة ما. وربما لأن الأطراف القوية المستبدة تنتصر في النزاعات غير المتكافئة بينما الأطراف القوية الديمقراطية تخسرها. وربما كانت مترددة أو تحت قيادة سيئة. وربما لأن الأطراف الضعيفة كانت قادرة على امتلاك تقنية عسكرية متطورة بشكل ما، وهذا ما يجعل الميزان يميل ويختل التوازن بما يكفي ليجعل الأطراف القوية تفقد اهتمامها بالنصر حينما تتجاوز تكاليف النزاع والاحتلال الفوائد والغنائم المتوقعة بشكل مفاجئ.

و بالتفكير أكثر حول هذا الأمر وحيث أن هذه التفسيرات تظهر بشكل متفاوت في فترات تاريخية مختلفة، فإنه من المفيد معرفة ما إذا كان توزع نتائج هذه النزاعات ثابت بمرور الوقت.

على الرغم من أنها ليست كذلك. وإذا كان سجل جميع النزاعات غير المتكافئة منذ عام 1816 مقسم على فترات زمنية منفصلة فهناك توجه واضح يظهر بأن: الأطراف القوية كانت تخسر النزاعات غير المتكافئة أكثر وأكثر مع مرور الوقت..

كانت الأطراف القوية منذ عام 1800 وحتى عام 1849 قد انتصرت بنسبة 88.2% من جميع النزاعات غير المتكافئة ولكن هذه النسبة وصلت إلى 97.5% خلال فترة الخمسين سنة التالية. ولكن بدءاً من عام 1990 فإن عدد النزاعات غير المتكافئة التي انتصرت فيها الأطراف القوية بدأت بالهبوط بشكل واضح حيث انخفضت إلى 65.1 % خلال عام 1949. وخلال فترة الخمسين سنة الأخيرة –منذ عام 1950 وحتى عام1999 – كانت الأطراف القوية قد انتصرت فقط بنسبة 48.8% من جميع النزاعات غير المتكافئة ومن ثم يبرز هنا لغزان محيران. تقودنا النظرية الواقعية للعلاقات الدولية من ناحية لأن نتوقع أنه في أي نزاع ذو طرفين، كلما زادت نسبة القوة لصالح أحد الطرفين كلما كان انتصاره أسرع وأكثر حسماً.

ولكن من ناحية أخرى، فإن الولايات القوية قد خسرت ما يقارب نسبة 30% من جميع النزاعات بحيث كانوا قد أضعفوا خصومهم بعامل واحد من أصل خمسة عوامل على الأقل[1].

1- من بين أولئك الذين يستشهد بهم مارك كاتزينباخ وتابر (1965). ومؤخرا "باول" كرس كتابا للسؤال عن لماذا يبدأ الضعيف الحروب ضد القوي، إن عتبة تحليل باول للا تكافؤ كانت بنسبة القوة 1:2حيث القوة كانت تقاس بمعنى آخر بمصطلحات تقليدية. للإطلاع على تعريف باول للا تكافؤ. انظر باول (1994: 20).

بالإضافة إلى أنها قد خسرت حروباً كهذه بشكل متكرر أكثر عبر الزمن. إذاً، ما الذي يفسر هذه النزعة؟ ثمة طريقة جيدة للبدء بتفسير ذلك، وهي بالتفكير حول ما هي الاختلافات في بداية القرن التاسع عشر والتي قد صبت في مصلحة الأطراف القوية بشكل كبير مقارنة مع الأطراف القوية في نهاية القرن العشرين. ومجدداً فإن عدداً من التفسيرات المحتملة تخطر على البال. فل ربما الأطراف القوية السابقة كانت قد انتصرت بسبب تميزها التقني: كالقوة المدفعية، الأسلحة النارية وقوات البحرية، ولا بد أنها كانت قوة مضاعفة هائلة. ولربما كانت هزيمة الأطراف القوية قد تركزت في الفترة الأخيرة التي تعود لارتفاع التصميم الوطني كمعيار للسياسات الداخلية؟.

قد تكون المقاومة الوطنية للحكم الأوروبي قد جعلت الغزو والاحتلال كبير الكلفة. وقد نلاحظ أيضا أنه وبعد الحرب العالمية الأولى وخصوصا الحرب العالمية الثانية، إن عدد الأطراف القوية المستبدة قد هبط. وبعد عام 1991 انهار الإتحاد السوفيتي ولم يعد طرفاً استبدادياً في السياسات الداخلية. إذا كانت الأطراف الاستبدادية تحارب في النزاعات غير المتكافئة بشكل أفضل من الأطراف القوية الديمقراطية، هنا تفسر طبيعة الطرف هذه النزعة.

إن نقطة التخمين هذه قد تكون لمنفعة مهمة من ملاحظة هذا الاتجاه، وبشكل مستقل عن حقيقة أنه وحتى فترة قريبة بقي لغزاً: إن نظرية مثالية عن نتائج النزاعات غير المتكافئة يجب أن تكون قادرة على أن تحسب لكل من حقيقة فشل الطرف القوي والنزعة نحو زيادة فشل الطرف القوي مع مرور الوقت.

إن أي تفسير للنزعة الذي قد لا يفسر فشل الطرف القوي سيكون أقل إقناعا من تلك التي تستطيع.

وأيضا فإن أي حسابات لفشل الطرف القوي المتناقضة مع النزعة سوف تكون أقل إقناعا من تلك التي تستطيع تفسير الاثنين معا.

وبالمختصر، تكمن المشكلة بتوقعاتنا المبلغة عن نظرية العلاقات الدولية التي تظهر لأن تكون صحيحة بشكل جزئي فقط، وفقط في المجموع الكلي. عندما تقسم البيانات الكلية إلى فترات زمنية منفصلة، فإن الارتباط المتوقع بين القوة والنصر يصبح أقل فائدة بشكل واضح لأن يكون دليلا وموجها للسياسة.

التفسيرات المنافسة للنزاعات غير المتكافئة:

كما هو ملاحظ من قبل "أندرو ج. ر. مارك، " منذ أكثر من ربع قرن مضى (ماك، 1957:176) فإن ثمة عدد قليل من علماء العلاقات الدولية لديهم تفسيرات متقدمة تركز بشكل خاص على موضوع النزاعات غير المتكافئة[1].

و باستثناء عملي الخاص وعمل "ماك" لم يطور أي من علماء العلاقات الدولية شرحاً عاماً لنتائج النزاعات غير المتكافئة "أريغوين- توفت، 2001".

في هذا الكتاب سأناقش على أنه وبالرغم من أن القوة النسبية مهمة، فإن التفاعل بين استراتيجيات الأطراف أكثر أهمية من مقدار القوة التي يمتلكونها في بداية النزاع. إن أطروحة تفاعل الإستراتيجيات هذه قد تبدو معقولة بداية للقراء ولكن قبل أن يكون بالإمكان تقدير قوتها التوضيحية، يجب توضيح واكتشاف التفسيرات المنافسة. وكما هو مذكور في الأعلى من الجيد التفكير حول هذه التفسيرات فيما يتعلق بنوعية شرح كلا من النتائج واتجاهات الألغاز. يقدم هذا القسم أربع أطروحات منافسة لهزيمة الأطراف القوية في الصراعات غير المتكافئة والنزعة نحو تزايد هزائم الأطراف القوية. البعض منها، مثل أطروحة انتشار السلاح أو حجة التأثر (الحساسية) الاجتماعية الديمقراطية هي الأقوى في تفسير هذا النزعة، ولكنها تقدم تفسيرات مريبة للأسباب التي تجعل الأطراف القوية تخسر.

أطروحات أخرى مثل حجة ماك لمصالح اللا تكافؤ تعتبر جيدة في تفسير هزيمة الأطراف القوية ولكن لا يمكن الاعتماد عليها في هذا النزعة. ثمة نظرية عامة معقولة لنتائج النزاعات غير المتكافئة يجب أن تكون قادرة على تفسير حقيقة هزيمة الأطراف القوية بشكل متناسق مع الاتجاه الملاحظ والعكس بالعكس. وما يتبع هو مقدمة لهذه الأطروحات المنافسة[2].

1- هذه الثلاثة تكاد تستنفذ الاحتمالات، ولكنها تعرض أقوى تفسير عام لكلا النتائج الغير متوقعة والنزعة. تفسيرات ثلاثة أخرى جديرة بالذكر هي: (1) البنية الاجتماعية، (2) ارتفاع الحس القومي، و(3) ثنائي قطبية الحرب الباردة. حجة البنية الاجتماعية تصل السمات الأساسية للبنية الاجتماعية المعطاة لمجتمع ما بالفعالية العسكرية القادرة على الاستجابة. في وجهة النظر هذه، سبب خسارة دول مثل الولايات المتحدة والسوفييت للصراعات الجديرة بالاحترام ضد الفيتناميين الشماليين والمجاهدين هو أن مجتمعاتهم لم تكن كفوؤة بإنتاج الجيوش كما كانت لدى الفيتناميين الشماليين والمجاهدين. عن أهمية البنية الاجتماعية وظهور الجدال القومي هو أن فترة بعد الحرب العالمية الثانية بالتحديد كانت عصرا بحد ذاته للقوميات.

2- كما سبق شرحه في المقدمة.

في القسم الثاني، فإن منطق كل من هذه التفسيرات سوف يتم تخفيضه إلى مقترحات قابلة للاختبار والتي سيتم مقارنتها لاحقا بدراسات حالة تاريخية – البعض منها رسمية والبعض بطريقة غير رسمية– مع تلك المشتقة من تفسيري الخاص.

لقد بدأنا نرى التصميم الذاتي كضرورة لا يمكن تأجيلها بسبب التغييرات البنيوية المفروضة عليهم من قبل القوى الاستعمارية التي قد بدأت بتحطيم نسيجها الاجتماعي بشكل لا يمكن إصلاحه. ولذلك، فإن منطق تلك الحجة هو أن القوميين أكثر عندا وأكثر إرادة للمخاطرة بالموت في السعي للحصول على حكم ذاتي أكثر من الناس المدفوعين بمخاوف أو اهتمامات أخرى. ومن ناحية أخرى فإن الثنائية القطبية تكمن في أن الحرب الباردة بين الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة قد تدخلت في أغلب الأحيان لكي تواجه المصالح الملموسة لِلقوات المتفوقة الأخرى. كل بررت هذه التدخلات بواسطة منطق "الدمينو"، والتي ضخمت لاحقا المناوشات في منازعات ذات أهمية حيوية في المعاناة والكفاح بين الغرب والعالم القومي. وبمعنى آخر، فإن ثنائية القطبية توحي انخفاض كل النزاعات المركزية الإضافية وتحولها إلى حروب توكيلية صرفة بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي.

وهذه طريقة أخرى للقول بأنه وبسبب الدعم المستمر للولايات المتحدة والسوفيت وبسبب التدخل هناك بشكل فعال، لم يكن هناك نزاعات غير متكافئة خلال الحرب الباردة.

طبيعة الطرف في الصراع:

إن إحدى الطرق لشرح كيف يخسر طرف قوي في حرب ضد طرف قوي هي عن طريق المجادلة حول أن الأطراف المستبدة تخوض حروبها بشكل أفضل من الأطراف الديمقراطية[1].

ولكن لو هذا صحيح، إذاً فإن عزل الاختلافات الأساسية في الوسائل التي يخوض بها كل نوع من الأطراف معاركه قد تفسر لماذا تكسب الأطراف القوية أحيانا الحروب

1- أجل، ثمة مقدمة شاملة تدعو إلى التساؤل حول نوع النظام والفعالية العسكرية، انظر ديسخ (2002: 5–47). من أجل نظرة متشائمة حول الفعالية العسكرية لنوع الأنظمة الديمقراطية، انظر، مثلا، والتز (1967)، لي ماي وسميث (1968: vii–viii)، بلوفارب وتنهام (1989)، وخصوصا ايكليه (1991: 11) .(xiv) ماك يقلل من حساب الجدال بأن نوع النظام يهم في النزاعات غير المتكافئة. انظر ماك (1975: 188–189).

غير المتكافئة بسرعة، بينما في أوقات أخرى فإنها تخسر، أو قد "تكسب" ولكن بكلفة بعيدة كل البعد عن تخميناتهم الأولية.

ومن ناحية ثانية، فإذا كانت النظم المستبدة تحارب بشكل أفضل من النظم الديمقراطية، وإذا كان عدد الأطراف القوية المستبدة أقل بمرور الوقت، فإن هذا التفسير قد يشرح كل من حقيقة هزيمة الأطراف القوية (الأطراف القوية الديمقراطية تخسر النزاعات غير المتكافئة) والاتجاه بأنه (أطراف مستبدة قاسية أقل تعني انتصارات أقل للأطراف القوية).

اعتبر أن الأنظمة المستبدة معرفة بعدة سمات رئيسية. أولا، السلطة لصنع السياسة المحلية والخارجية مقيدة بشخص واحد أو بمجموعة صغيرة من الأشخاص. ثانياً، الأنظمة المستبدة تحافظ على تحكم صارم على حصول العامة على المعلومات حول تبعات السياسات المحلية والخارجية. وأخيرا، محاولات العامة لانتقاد أو تغيير السياسات المحلية أو الخارجية غالبا يعاقب بطرق مختلفة مثل الموت، التعذيب أو السجن لفترة غير محددة.

نظريا، هذه السمات لديها أربع تطبيقات مهمة لفعالية خوض الحروب. الأولى، الأنظمة المستبدة يجب أن تكون قادرة على تحريك الموارد بشكل أكثر فاعلية من الأنظمة الديمقراطية لأنها تتحكم بفهم العامة لشرعية الحرب، وكيف يتم خوضها من قبل الطرفين والنتائج من معارك محددة. ثانياً، على أرض المعركة الأنظمة المستبدة قادرة على أن تجبر جنودها على القتال وذلك عبر تهديدهم بالإعدام بتهمة "الجبن".

حيث أن الجبن معرف على أنه أي تردد من إشغال العدو دون العبء بالظروف الموضوعية. ثالثا، الجنود المستبدين قد لا يتقيدوا بقوانين الحرب فيما يتعلق بالجنود غير المعنيين بالنزاع أو أسرى حرب أو مدنيين في مناطق الصدام. وبدلا من أن يكون عليهم توفير الطعام والمعونة الطبية لجند العدو المأسورين، على سبيل المثال، فقد يتم إعطاء الأمر لجنود الأنظمة المستبدة بقتلهم، وبهذا يتم المحافظة على الموارد.

وأخيراً، فقلّة المسؤولية اتجاه العامة التي تتحمل التكلفة قد تسمح للأنظمة المستبدة للمحافظة على عدد مصابي وقتلى الصراع في السعي لتحقيق أهداف عسكرية أعلى من التي تستطيع الأنظمة الديمقراطية. وفي قضية عادلة بديهيا، فإن التصرف العادل للجنود الجريئين بغض النظر عن قوانين الحرب واللاحساسية حيال أعداد المصابين التي تجعل الأنظمة المستبدة أكثر فاعلية في المعارك من الأنظمة الديمقراطية.

إذاً فالنزعة نحو زيادة هزائم الأطراف القوية يجب أن تفسر بانخفاض المشاركة من الأطراف القوية المستبدة في النزاعات غير المتكافئة.

وهذا يبدو مقنعاً مبدئياً: فالحل التقدمي للدول المستبدة بعد عام 1918 كما في (النمسا – هنغاريا، الإمبراطورية الروسية، الإمبراطورية العثمانية) وبعد 1945 (الرايخ الثالث، إيطاليا الفاشية، وإمبراطورية اليابان)، وبعد عام 1991 (الإتحاد السوفيتي) توحي بأن عدداً أقل من الأطراف القوية المستبدة كانت مشتركة في نزاعات غير متكافئة.

مشاكل الجدال:

و لكن يوجد هناك عدد من المشاكل في كل من المنطق في حجة طبيعة–الطرف والدليل المستخدم لدعم هذا المنطق:

• أولاً: لكونه، وحتى افتراض أنه يوجد اختلافات حقيقية في مقدرات كل من الأطراف المستبدة والأطراف الديمقراطية في الحرب، فلما إذاً نفترض على أن نوع النظام هو الذي يبقى مستمرا في الحرب؟ حيث تصبح معظم الأنظمة الديمقراطية محافظة أكثر في زمن الحرب، وتحد من العديد من الحريات المدنية والتي تحددها كدولة ديمقراطية (أي يفكر بالحالة الأكثر شهرة بقدر اليابانيين الأمريكيين في الولايات المتحدة بعد كانون الأول 1941).

في حين قد تصبح الأنظمة المستبدة أكثر تحررا بسبب الضغط، ويُعتبر إعادة تأهيل "ستالين" للكنيسة الأرثوذكسية" خلال الحرب العالمية الثانية مثالاً كلاسيكياً على ذلك.

لا يحتاج التهديد لأن يكون موجوداً للحصول على هذا التأثير: فالولايات المتحدة تجاوزت القانون الوطني الأميركي – والذي سمح بحرية أعظم للولايات بالتدخل بشؤون مواطنيها الخاصة– وذلك بعد الصحوة على وقع هجمات تنظيم القاعدة في الحادي عشر من أيلول 2001.

• ثانياً: تحكّم الأنظمة المستبدة بالمعلومات المتعلقة بعدالة الحرب التي تخدم فقط مصالح النظام الذي يرغب بخوض حرب كانت تعتبرها العامة غير عادلة لولا هذا التحكم. لذا

فالجدال يفترض بشكل عام بأن العامة في الأنظمة المستبدة كانت لتعتبر أن حروب حكومتهم غير عادلة، حينما لا توجد طريقة بديهية لمعرفة ما إذا كان هذا محتمل. علاوة على ذلك، فحتى افتراض تحرك الموارد الكامل، والرقابة الصارمة على المعلومات ضرورة لتحقيق هذه الكفاءة التي قد تفرض قيود قوية على الكمية الكلية للموارد المتوفرة للتحريك أولاً: الاقتصاديات الحاكمة في الأنظمة المستبدة تقليدياً تكون ذات سمعة سيئة فيما يتعلق بالكفاءة. وهذا هو الموضوع الأوحد في عدد من المقارنات مؤخراً بين الأنظمة المستبدة والديمقراطية في الحرب. وتبعاً لهذا المنطق المعقول جداً، فإن الدول الديمقراطية – باعتبار أن كل الأشياء الأخرى متساوية– ستكون نسبياً أكثر فاعلية في خوض وكسب الحروب من الأنظمة المستبدة[1].

يعتبر استخدام الإجراءات القسرية المتطرفة لتحفيز الجنود أمراً منطقياً محتملاً. فالأنظمة التي تلجأ لهذه الطرق قد تحقق فائدة تكتيكية في الظروف النادرة، ولكن هكذا نظام قد يحفز الجنود فقط لأن ينفذوا أعمالاً يعلمون مسبقاً أنها مكلفة جداً أو حتى عقيمة. أما بالنسبة للجنود غير الملتزمين فإن هذا قد يشير إلى أن قادتهم لا يهتمون إطلاقا بحياتهم، وهذا بالنهاية يقلل من فعاليتهم في القتال.

وهكذا فقد يفر الجنود في أي فرصة سانحة ويتوقفوا عن العمل من دون التهديد بعقوبات قاسية. وقد يلجؤوا حتى إلى قتل قادتهم. وهكذا فإن الأذى المنظم للجنود غير المقاتلين – إستراتيجية مشار لها هنا بالبربرية– أيضا لها عوائق. ولشيء واحد وهو أنه من الصعب فعلياً قتل السجناء أو الجنود غير المقاتلين من دون أن يعلم المعارضون بالأمر. وبمجرد أن يفعلوا ذلك، فسيقاتلون بشكل أقوى، ليتجنبوا الاستسلام مهما كانت الكلفة (هم أيضا قد يبدؤون بأعمال انتقامية نوعية).

وهنا تبرز مشكلة أخرى وهي اللجوء الدائم إلى أن البربرية تخرب الجنود للقيام بالمهام التقليدية[2] وهنا يسجل "ريتشارد رودز" الشكوى من قبل قائد المناطق الشرقية "جوهانز بلاسكويتز" من "الزيادات" في "إنساتزغروبن" لهنريتش هيملر" في "بولندا "في مذكرة للقائد الأعلى:

1- انظر ليك (1992)، ريتر وستام (1998: 259). وعلى الجدال المناقض بأن نوع لا نظام لا يهم، انظر ديتش (2002).

2- انظر، مثلا، ستانيسلاس آندريسكي، الذي يجادل بأن أميركا اللاتينية كان لديها بعض الحروب الداخلية بسبب أن دولها لديها جنود مختصين بالظلم الداخلي (من تعذيب وقتل واغتصاب وهكذا) (آندريسكي، 1968). المنطق هو نفسه: الجنود المستخدمين لممارسة البربرية سوف يكونون غير فعالين كجنود القتال النظاميين ويضعون الدولة التي تواجه الانقسام من قبل دولة تستخدم جنود قتال نظاميين تحت خطورة متزايدة. هذا المنطق مدعوم بدراسة عن التفكك العسكري من قبل بروس واطسون الذي يجادل بأنه عندما، على سبيل المثال، قامت فصيلة من الجيش الأميركي قسم المشاة العشرين بقتل مدنيين في قرية مي لاي في 1968، لم يكونوا يتصرفون كجنود، ولكن كعصابات عنيفة. انظر واطسون (1997: 151).

"إنه من المضلل كلياً أن يتم ذبح عشرات الآلاف من اليهود والبولنديين كما يحصل الآن، لأجل هذا سوف لن تحطم فكرة دولة "بولندية" في عيون مجموعة السكان ولن تتخلص من اليهود"..

وهكذا، فإن الضرر الأسوأ المؤثر على الألمان، والذي قد تشكل كنتيجة للظروف الحالية، على كل، هو الوحشية الهائلة والفساد الأخلاقي الذي ينتشر بسرعة بين القوة البشرية الألمانية الثمينة كوباء. (روديس، 2002: 9–10) وهذا هو السبب في أن الأنظمة المستبدة التي تلجأ إلى هذه الإستراتيجية بشكل ثابت تقريباً تطور جيوش "قوى خاصة" أو "الجنود المظليين" ليقوموا بالعمل حتى من دون "الإنساتزغرابن" وقد كان قلق"هلمر" أن بعض الممارسات مثل القتل غير المسموح من قبل وحدات"الإس إس" الخاصة (المكلفة بوظائف أخرى) قد تخرب الانضباط، وهكذا سيكون تأثير المهمة مختلفاً (رودس، 2002).

وأخيراً، فإن نسبة الخسائر والإصابات البشرية في القتال المقبولة لقيمة الأهداف العسكرية يجب أن تعتمد منطقيا على أعداد المقاتلين النسبية، وليس نوع نظامهم: فنظام مستبد صغير لم يكن ليكسب الحرب عبر بيع حياة جنوده بشكل رخيص من أجل أهداف أي نوع نظام آخر كان ليهتم بها بشكل أقل. وعلى جانب البرهان، الجدال المتعلق بطبيعة الطرف من الصعب دعمه في صيغته العامة لأن الأنظمة المستبدة لا تكسب الحروب بشكل أكثر من الأنظمة الديمقراطية. هذا يبدو أنه يحد من قوة هذا التفسير لحساب النتائج غير المتوقعة للنزاعات غير المتكافئة. إجمالا، على الرغم من أن الجدال المتعلق بطبيعة الطرف قد يقدم نظرة مهمة في أسباب فشل الطرف القوي. لوحده من غير المحتمل لأن يعتبر كتفسير عام معقول للأسباب التي تجعل الأطراف القوية تخسر في النزاعات غير المتكافئة.

انتشار الأسلحة

هناك تفسير ثان لفشل الطرف القوي يبدأ بملاحظة النزعة التي تصاعدت بعد الحرب العالمية الثانية. فخلال الحرب، جاهدت قوات الحلفاء وقوات المحور (ألمانيا وإيطاليا واليابان) لكي يهزم كل واحد منها الآخر في دول العالم النامية. وعبر آسيا وإفريقيا بالتحديد كلا الطرفين المتحاربين قام بشحن وتخزين وتوزيع أسلحة متطورة صغيرة

الحجم نوعا ما بالإضافة إلى الذخائر التي تشمل: البنادق النصف آلية ومدافع الهاون المحمولة والقنابل اليدوية والمدافع الآلية. أما في فترة بعد الحرب: فقد بقيت هذه الأسلحة في دول العالم النامي مع عدد جدير بالاعتبار من الجنود الأصليين الخبراء في استخدامها بالطريقة الفعالة. كمثال متضمن وعندما عادت القوات الاستعمارية إلى مستعمراتها السابقة بعد الحرب، فإنها قد ووجهت بشراسة من قبل هؤلاء الجنود ذوو التدريب الجيد والجنود المسلحين[1]. لذا فإن التأثير الصافي كان زيادة في تكاليف الإخضاع والاحتلال مقارنة بالمكاسب المتوقعة وعوامل قوية أخرى لخسارة الحرب مقارنة بعوامل ضعيفة لمجرد أن القوات الاستعمارية فشلت في توقع هذه التكاليف الضخمة.

لذلك، فإن منطق مناقشة نشر الأسلحة هو أن تكنولوجيا التسليح تعادل القوة والسيادة، وكنتيجة لهذه الحقيقة: فالعوامل " الضعيفة " لم تكن بمقدار الضعف المتوقع. كما صاغها "إليوت كوهبن":

" إن التزايد الضخم في كمية ونوع الأسلحة الموجودة في أيدي أمم العالم الثالث متزامنة مع الكفاءة التنظيمية المتنامية في التعامل مع مثل هذه الأسلحة، تحول العديد من القوات المتكافئة لتصبح أكثر تكافؤاً عن ذي قبل. " (كتاب كوهين، 1984 ص 162) والدليل التجريبي يظهر ليدعم هذا المنطق لأن الارتفاع الحاد في العوامل القوية يفشل في الصراعات المضادة والمتعلقة بالزيادة في كميات الأسلحة الصغيرة في الدول النامية في فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية[2].

بعض الإشكالات التي تتعلق بهذا الجدال:

هنا كثلاثة إشكالات في تفسير منطق نشر الأسلحة:

- أولاً: الجدل حيث يفترض أن تكاليف الإخضاع أو الاحتلال قد ارتفعت بشكل نسبي إلى المكاسب أو المنافع المحققة، أو أن المكاسب بقيت ثابتة.

1- أمثلة تتضمن الهاكابلاهب عند الفيليبيين وشيوعيي مالايان في ماليزيا. لحساب تمرد عند الهاكابلاهب في الفيليبين من المنظور المتمرد، انظر بوميري (1964). لحساب طوارئ المانيا والرد البريطاني لها، انظر طومبسون (1966)، ستابس (1989) ورماكريشنا (2002).

2- لمعالجة شاملة وحديثة للعلاقة بين السلاح، نقل السلاح ونتائج النزاع. انظر كرافت (1999: 92-93)، وخصوصا الصفحة 121. كرافت يلخص بسرعة فرضيات على العلاقات المقترحة بين الأسلحة والنتائج، والقيام بتحليل إحصائي متطور عليها. يتضمن ذلك عند كرافت " نقل السلاح الذي يحصل خلال حرب ما، لا يمكن أن يتنبأ بنتائج الحرب (المنتصرين، الفترة الزمنية، أو الخسائر والإصابات البشرية) لأي أهمية إحصائية مقبولة عامة " (كرافت، 1999:121).

• ثانياً: إن تملك تكنولوجيا سلاح ما لا تضمن بأي طريقة تعزيز الفعالية الحربية[1].

• ثالثاً: حتى أن افتراض تعزيز الفعالية الحربية بطريقة يمكن نسبها فقط لنشر الأسلحة من خلال الارتفاع المطلق في فعاليتها قد يكون واحدا مما قد يتفوق على التكنولوجيا المتعلقة بمقدرة العوامل القوية.

إن الحرب الباردة التي بدأت بسرعة بعد ختام الحرب العالمية الثانية في دول أوروبا المتغيرة والحاملة في ذهنها للقيمة أو المكاسب الإحتلالية لدول العالم النامية، خصوصاً بعد غزو كوريا الجنوبية من قبل كوريا الشمالية في 1950، فهنا قد هيمن على حسابات الدول القوية للمنافع فهم جديد للروابط بين القيم. وفي سياق إستراتيجية الولايات المتحدة الجديدة تجاه الاحتواء الاشتراكي، فإن منطق الهيمنة يمكن أن يحول داخلياً دولة قليلة القيمة (مثل كوريا الشمالية في ذلك الوقت) إلى مصلحة أمنية حيوية للولايات المتحدة. ونفس المنطق كان بالنسبة للإتحاد السوفيتي، لذلك، فحتى لو أن التكاليف الكلية للاحتلال أو السيطرة أو لضمان الاستقرار في دول نائية من الدول النامية كان يتصاعد فكذلك كانت الأرباح المتوقعة.

لاشك في أن تكنولوجيا التسليح يمكن أن تزيد من فعالية الصراع العسكري. ولكن منطقياً يمكن أيضاً أن تضعفه.

إن العديد من الاختراعات العسكرية التقنية الأساسية والمتراوحة ما بين المدفع الرشاش وصولاً إلى الدبابة، قد قللت الفعالية الحربية، حتى تم الدمج الصحيح بين الإستراتيجية والتقنية عندها فقط يكون استعمالها الفعال قد بدأ بالظهور[2]. وذلك هو السبب في ملاحظة "كوهين" سابقاً، لأنه كان حريصاً على تحديد أن " الكفاءة التنظيمية المتنامية في التعامل مع مثل هذه الأسلحة " هي عنصر أساسي لأي أمل في تعزيز الفعالية العسكرية.

1- هذا قد يفسر الاستنتاج التجريبي المميز، بأن الوفرة المتزايدة من السلاح لدى طرف ما يزيد من احتمالية هزيمته في الحرب (كرافت، 1999: 73).

2- مينشيمر على سبيل المثال يلاحظ أن نظريته تطبق فقط على حرب ذات نطاق مسلح واسع، ولهذا فقط للدول التي جغرافيتها تخدم هكذا حروب (لا يوجد أي محاولة لقياس التوزع في منطقة كهذه كنسبة من الكل)

(انظر مينشيمر، 1983: 15). وهكذا التقنية نفسها (و المذهب المرتبط بها) والتي تسمح للدول لأن تحقق نتائج حاسمة في مجموعة جغرافية واحدة، قد يثبت أنه بلا فائدة بالنسبة لدول أخرى. (على هذه النقطة، انظر أيضا بوسين، 2003).

و أكثر من ذلك، فإنه ليس هنالك من سبب لافتراض أن أنظمة التسليح المدمجة بقوة مع المبدأ والتدريب والتكتيك والإستراتيجية لأي من القوى الصناعية يمكن أن نشبهها بالأعمال العسكرية الظاهرة من خلال السياقات التاريخية والجغرافية والاجتماعية[1].

هنالك خطر على وجه الخصوص وهو أن امتلاك تكنولوجيا تسليحية غير مسبوقة أو غير معروفة يمكن أن يأتي بنقلة سابقة لأوانها أو غير مناسبة في الإستراتيجية بالإضافة إلى نتائجها الكارثية[2].

وفي نهاية كتاب " حكم الناس العاديين "Command of the Commons " يظهر المؤلف "باري بوزين" على أنه حتى الأشياء الأكثر اتحاداً في المبدأ والتكنولوجيا والتكتيك يمكن أن تؤدي إلى ميزات غير منتجة، على سبيل المثال: الولايات المتحدة– فهي ليست الدولة الوحيدة بين الدول العظمى المتطورة في مثل هذا المجال– فإنها تعد بشكل خاص قوية في مجال رفع القوة النارية وأساليب المناورات العسكرية، وكما أنها تحوز على الأفضلية في حرب المناطق المفتوحة، ولكنها تكون أضعف في حروب المناطق المغلقة وبشكل خاص في مناوشات المناطق المدنية (كتاب بوسين طبعة 2003). ولكن حتى أن الافتراض أن انتشار الأسلحة قد رفع من القدرات المطلقة للقوات المسلحة في دول العالم الثالث، قد يكون من الأشياء الصعب مناقشتها أو إثباتها نسبياً مقارنة بالتطور الكبير الذي حافظت عليه الدول الصناعية الكبرى.

قد تكون العناصر الضعيفة قد ملكت أسلحة مدمرة قوية نوعاً ما، ولكن العناصر العالمية القوية تملك حوامات حربية وأجهزة الرؤية الليلية ومقدرات اتصال متطورة جداً.

1– العوامل الثقافية قد تعيق تبني التقنيات غير الأصيلة. روزن لاحظ أنه بعد الحرب العالمية الثانية، رجال الأعمال اليابانيين حاولوا أن يضاعفوا من نجاح الصناعة الأميركية عبر تبني كثير من ممارسات الأعمال التجارية، فقط ليتم تركهم بسبب اختلاف الثقافة (انظر روزن 1995:16). أخيرا، يجادل كريس باركر بأنه ليست كل الدول الضعيفة ناجحة بالتساوي فيما يتعلق باستيعاب التكنولوجيا العسكرية غير الأصلية، إلى درجة أن الاستيعاب والفعالية العسكرية هي نفس الشيء (أو على الأقل القيام بالتغطية) ومن ثم أي شيء يعيق الاستيعاب يجب أن يعيق التأثير والفاعلية (باركر، 1999).

2– عادة، تسعى الأطراف إلى تسهيل إستراتيجيتها المتبناة. وعندما يحصل العكس، فإن كارثة قد تنتج عن حدوثه (انظر أي. حي. جونسون، 1973: 50، وكارناو، 1983: 182، 610). وربما يحذر أكثر فلاسفة القرن شهرة فيما يتعلق بحروب العصابات حذر ضد تصاعد قبل أوانه لمواجهة تقليدية، ومعارضيه، شيء قد أصبح يدعوه "المليشياوية "Guerrillaism" (البقاء على الدفاع الإستراتيجي لفترة طويلة) (انظر هاميلتون، 1998: 28، وباريت وشاي، 1962: 35).

وباختصار، فإن انتشار الأسلحة يوفر بشكل واضح شرحاً جذرياً للنزعة تجاه زيادة حالات الفشل عند القوى العاملة القوية بعد نهاية الحرب العالمية الثانية.

إنها فعلاً ضعيفة عندما تعتمد على أن تشرح النتائج غير المتوقعة. وهكذا، فإن انتشار الأسلحة بحد ذاته سوف لن يشكل شرحاً عاماً صحيحاً لتفسير نتائج الاشتباكات غير المتساوية.

اختلاف المصالح: هناك تفسير ثالث لفشل الأطراف القوية في الصراعات اللامتساوية قدمه "أندرو جي آر ماكس".

وهنا يمكن تحليل تفسير ماكس لكيفية أن الدول الضعيفة قد فازت بالحرب من خلال تكوينها من ثلاث عناصر:

1. القوى النسبية تفسر مصالح نسبية.
2. المصالح النسبية تفسر مدى ضعف الأنظمة السياسية النسبي.
3. مدى ضعف الأنظمة السياسية النسبي يشرح لماذا خسرت القوى العظمى.

لذا، فتبعاً لمنطق هذه المناقشة: سيكون لدى القوى العظمى منفعة أقل في نتيجة المعركة، لأن نجاتها ليست على المحك، بينما القوى الضعيفة لديها مصلحة عظمى في نتيجة المعركة لأن نجاتها هي على المحك، "كتاب سنايدر آند دايزنج طبعة 1977، ماك و1975 ص181 "

يقدم "ماك" المصطلح لمدى ضعف الأنظمة السياسية لكي يصف احتمالية أن القادة في الأنظمة الديمقراطية أو طبقة النخبة المتنافسة في الأنظمة الديكتاتورية سوف تقدم بالقوة قائداً قوياً لكي توقف الحرب قبل أن تحقق مبتغياتها المبدئية "كتاب ماك 1977 ص180–182 ".

إن ضعف مصلحة الدول العظمى تتضمن مدى ضعف الأنظمة السياسية، وعظمة مصلحة الدول الصغرى تتضمن مدى ضعف احتمالات سقوطها. يجادل "ماك" أن أسباب الضعف هذه عند القوى العظمى تفسر لماذا خسرت هذه القوى العظمى أمام الدول الصغرى(ماك 1975 ص. 194–195) إن التماطل والتداعيات في ميدان الحرب سوف يشجع في النهاية العوام على القلق أو النخبة الجشعة لكي تجبر القوى العظمى على مغادرة

المعركة. لذا فإن مناقشة "ماك" تقلل إلى حد الإدعاء أن القوى النسبية تفسر سبب خسارة القوى العظمى في الحروب اللا متكافئة.

إن الحروب اللا متكافئة تفسر سبب المصالح اللا متكافئة (القوى العظمى تفسر المصلحة الضئيلة) والتي تتنوع بشكل كبير مع النتائج (مدى الضعف الكبير يعادل الاحتمالية الضعيفة للنصر) إن اختلاف المصالح يمثل الميكانيكية السببية الأساسية وإن مناقشة "ماك" في هذا الصدد تمثل نظرية المصالح اللا متساوية. كما أن "ماك" يطبق هذا المنطق على حالة الولايات المتحدة عندما تدخلت في فيتنام حيث أنها أبدت شرحاً قوياً على أن نتائج الحرب اللامتوقعة كما يقول "ماك" قد أظهرت السبب في خسارتها لأن لديها قليل لتخسره مقارنة بفيتنام الشمالية. إن الولايات المتحدة على طول الزمان قد فشلت في إجبار فيتنام الشمالية وقد أجبرت في النهاية من قبل الشعب الأمريكي الغاضب والمحبط على أن تنسحب قبل أن تنجز هدفها السياسي الأساسي وهو: فيتنام جنوبية غير شيوعية مستقلة وفعالة.

إشكالات تتعلق بهذا الجدال:

إن أطروحة المصالح المختلفة لها على الأقل ثلاث نقاط ضعف:

- أولاً: القوة النسبية هي مؤشر ضعيف للمصالح النسبية أو الحل بالسلم أو الحرب. ففي وقت السلم، قد تتصرف دولة قوية وكأن نجاتها على المحك بينما هي ليست كذلك. فالدولة وقادتها ومواطنيها يتخيلون أنها سيكونون "القادة في العالم الحر"، وعلى سبيل المثال، قد تحسب ذلك عقلانيا. على الرغم من أن هزيمة حليف في حرب أهلية بعيدة قد يكون مادياً غير مهم، على بقائها كقائدة للعالم الحر يعتمد على النتائج المناسبة. وهذه الحسابات هي غالباً تكون مكثفة بمنطق "الدومينو".

ومن حيث أن تسلسلات المصالح التي لا قيمة لها بشكل منفرد متصلة بحيث خسارة تراكمها تشكل تهديدا ماديا لبقائها. فكلا من بقاء الهوية وعلاقات" الدومينو" على سبيل المثال، أثرت بقرار الولايات المتحدة للتدخل في الحرب الأهلية في فيتنام[1] في

1- أنظر على سبيل المثال، هيرينغ (1986: 70) وكارنو (1983: 169-170، 373-377-378، 399، 423).

وقت الحرب وبمجرد أن تتدخل الأطراف القوية في صراع– حتى لو تم الاعتراف بأنها مبدئيا خارجة عن مصالحهم. وهذا كان صحيحاً في حسابات السوفيت في أفغانستان وكما في حسابات الولايات المتحدة في فيتنام[1] (20).

• ثانياً: إن ضعف العملية السياسية، والتي استخدمها "ماك" لتفسير انتصار الأطراف الضعيفة، تفترض مساحة للوقت، فجدال "ماك" يفترض بدلاً من أن يشرح مقدرة الطرف الضعيف لتجنب الهزيمة ويفرض التكلفة على الخصم القوي. وهذا يدعونا للتساؤل: لماذا تنتهي بعض النزاعات غير المتكافئة بسرعة بينما تطول أخرى.

• ثالثاً: إذا كانت أطروحة اختلاف المصالح صحيحة، فيجب أن يكون هناك قليل أو لا يكون أي تفاوت مع مرور الوقت في توزع نتائج النزاعات غير المتكافئة عندما تكون القوة النسبية محمولة بشكل ثابت، حيث الأطراف الضعيفة ينتصرون في النزاعات غير المتكافئة وبشكل متزايد في المجمل، كما في أطروحة "ماك" لاختلاف المصالح ليست خطأ بقدر ما هي غير مكتملة. وأكثر ضعفها يكون حينما يتم تفسير فشل الأطراف القوية كناتج للضعف السياسي.

الحساسية الاجتماعية الديمقراطية:

هناك أطروحة مغايرة لأطروحة طبيعة الطرف وهي تستحق مناقشة موجزة بحد ذاتها وهي أنه في نوع محدد من النزاعات غير المتكافئة، والحروب الصغيرة، ونوع النظام يهم كثيراً لتشكيل شرح عام قوي لكل من التوجه وهزيمة الطرف القوي. وفي "كيف تخسر الديمقراطيات الحروب الصغيرة فإن "جيل ميرون" يجادل أنه جوهرياً، لا تستطيع الأطراف الديمقراطية القوية كسب الحروب الصغيرة لأن الدول مقيدة بالمجتمع لتجنب التضحية – كلا في صيغة الثابت أو الخسائر والإصابات البشرية الواقعة– اللازمة للكسب:

أما أطروحتي، فهي أن الديمقراطيات تفشل في الحروب الصغيرة لأنها تجد أنه من الصعوبة بمكان تصعيد درجة العنف والوحشية إلى أن يصبح بالإمكان تأمين النصر. وهي مقيدة بالبنية الاجتماعية الداخلية وبالتحديد بمذاهب بعض أكثر مواطنيهم تحدثاً. أما في

1– على حسابات السوفيت في أفغانستان، انظر ماغنوس ونابي (1998: 222).

دول أخرى ليست عرضة لخسارة الحروب الصغيرة. وعندما يفشلون في هكذا حروب، يكون غالباً لأسباب واقعية(ميروم، 2003)[1].

ولكن "ميروم" يضيف أنه: "جوهريا ما يمنع الديمقراطيات الحديثة من كسب الحروب الصغيرة هو الخلاف بين الدولة ومجتمعها حول الوسيلة وقضايا الأخلاق التي تهم الحياة الإنسانية والكرامة و"تحقيق توازن معين بين... الجاهزية لتحمل كلفة الحرب والجاهزية لانتزاع عدد خسائر مؤلم من الآخرين هو شرط مسبق للنجاح في الحرب" (ميروم، 2003: 19)

يخفض الجدال إلى الافتراض بأنه في الحروب الصغيرة، عدم الحساسية للخسائر الصديقة والإرادة لتضخيم العنف ضد المعارضة ضرورية للنصر، والديمقراطيات الحديثة مقيدة بنيويا في كل من التصنيفين. العلاقة المحددة بين المجتمع والدولة تجعل الأطراف القوية الديمقراطية أيضا شديدة الحساسية لكسب الحروب الصغيرة.

إشكالات تتعلق بالجدال:

كما في أطروحة اختلاف المصالح، فهذه الأطروحة معقولة ومدعومة بعناية وبأدلة هي حالات تاريخية. ولكنها ككل، تعاني من معظم جميع المشاكل كأطروحة طبيعة الطرف. وهناك أيضاً ثلاث إشكاليات إضافية:

• أولاً: مثل "ماك، ميروم" يحد من كونه توضيحياً. ويجد نفسه بالنزاعات غير المتكافئة بين الأطراف والتي يطبق فيها الطرف الضعيف دائماً إستراتيجية حرب العصابات. حيث يذهب "ميروم" أبعد من ذلك: النزاعات غير المتكافئة التي يكون فيها الطرف القوي دائما ديمقراطي، في حين يستخدم الطرف الضعيف في الحروب الصغيرة دائماً إستراتيجية حرب العصابات. يتبع "ميروم" أيضاً "ماك" في الإدعـاء أنه بالنسبة للأطراف القوية الديمقراطية فإن الحروب الصغيرة هي بديهيا غير وجودية(ميروم، 2003: 21)

قد يبدو هذا صحيحاً بموضوعية خصوصاً في الإدراك المتأخر. ولكن بالكاد يمكن لشخص أن يفكر بمثال حيث بدأت فيها الدولة الديمقراطية حرباً صغيرة لم تطلبها

1- يدرك ماك هذا الضعف ويقترح أن إستراتيجية القتال الفدائي (Guerrilla) تشرح المدة الأطول للنزاعات الغير متكافئة. (ماك، 1975: 195). ولكن هذا الجدال يعادني من مشكلتين:

(1) الأطراف الضعيفة لا تدافع دوما مع حروب العصابات (هذا يحد من عمومية نظرية ماك)، و(2) بعض المدافعين باستخدام إستراتيجية القتال الفدائي (Guerrilla) يهزمون بسرعة (هذا يحد من القدرة التوضيحية لنظريته).

(ولا زعمائها أو مواطنيها في بعض الاعتقادات الواقعية) كانت لها الأهمية الحيوية لبقائها، ولو عن طريق منطق "الدومينو".

و هذا بنفسه ليس متطلباً لهذا الحد أبداً لكل من الأطروحتين، لأن كلا النوعين من النزاعات غير المتكافئة تستمر لأن تبقى مشاكل مهمة في السياسات الخارجية لكل من الأطراف القوية والضعيفة. ولكن لجدال الحساسية الاجتماعية الديمقراطية، فثمة إشكال ثانيه وأنه لدينا أمثلة مهمة عن أطراف ديمقراطية قوية بدأت استراتيجيات وحشية ومازالت تخسر حروبا صغيرة. (كالفرنسيين في إندوتشينا، (1954–1964) والولايات المتحدة في فيتنام 1965–1975) (اتفاقية جنيف أنهت الحرب الفرنسية في إندوتشينا في عام 1954 وطالبت بالانتخابات المتزامنة في الشمال والجنوب لإنشاء حكومة وطنية واحدة لكل فيتنام...) وأيضاً تفعل الأنظمة المستبدة نفس الشيء، وتخسر الحروب الصغيرة (مثل النازيين في يوغوسلافيا، 1943، والإتحاد السوفيتي في أفغانستان، 1979–89). وتوجه الأمثلة حول النظم المستبدة انتباهنا إلى مشكلة ثالثة في جدال "ميروم"وهي أنها توحي بأن آلية النجاح في الحروب الصغيرة تنخفض إلى النية لاستهداف غير المعنيين بالنزاع[1] من جهة العدو بشكل متعمد ومنظم. ومجدداً فإن النجاح المؤرخ باستخدام هذه الإستراتيجية مختلف في أفضل الأحوال. في حين أن "ميروم" يخطئ بافتراض أنه – وبسبب الطرف القوي– يحمل قسوة احتياطية إضافية، وتصرفاته على أرض المعركة قد تبقى توصف بأنها معاقة. وعندما يترك الطرف القوي أرض المعركة تصبح الإعاقة القوة الاعتيادية[2]. كما أنهناك شيء آخر عن هذا الجدال: بحثي الخاص يقترح أنه في وحشية فترة بعد الحرب العالمية الثانية كانت الإستراتيجية معقولة في كسب حروب صغيرة ولكن في خسارة تبعات السلام.

و لكن يبدو أن "ميروم" يحكم إمكانية أن تحمل الأطراف القوية الديمقراطية قسوة في الاحتياط ليس لأن مجتمعاتهم تعيقهم ولكن لأنهم يشعرون بشكل صحيح بأن

1– إنها أيضا تضع الكثير من وزن الأسباب على أكتاف الأطراف القوية. ماذا إذا كان الادعاء من قبل الضعفاء أنهم ينوون المقاومة حتى الموت كان أكثر من مجرد حملة دعائية؟إلى حد أن حلول كهذه – ممثلة بالفيتناميين الجنوبيين خلال حروبهم مع فرنسا والولايات المتحدة في إندوتشينا– حقيقية، هنا توضع الأطراف القوية في مواضع إما بأنها يجب أن تلجأ للإبادة البشرية، أو الانسحاب. من المنطقي أكثر في هكذا حالات أن تبدو على الأقل معنية بالعوامل في الطرف الأضعف كما هي في الأقوى.

2– من غير المحتمل أن يكون ميرون لوحده هنا. فثمة مثاليركز على حالة تدخل الولايات المتحدة في فيتنام هي "أسطورة الهزيمة الحتمية للولايات المتحدة في فيتنام" ل س. ديل واطسون، والتي يجادل بها واطسون أنه لو كانت الولايات المتحدة أقل تقيداً ومعوقات كانت لتكسب (واطسون 2005: 5) المشكلة بهذا الجدال وهي نفسها نقطة ضعف في جدال ميروم. أنها تتجاهل عن عمد معوقات الطرف الذي لا علاقة له بضغط المجتمع الحضاري (مثل "لنفعل كل ما نستطيع من دون البدء بحرب عالمية أخرى").

الاستخدام المفيد لمزيد من القسوة قد تكون إما هامشية أو حتى سلبية[1] أكثر من ذلك الدول الديمقراطية التي تواجد التمرد تملك خياراً آخر بجانب تصعيد القسوة (البربرية)- خيار كان تاريخياً ناجحاً ومن المصالحات النادرة. فقد اختبرت بريطانيا النجاح بخيارها في طوارئ "مالاين" في 1948، وحيث دعمت الولايات المتحدة بنجاح جهود إعادة تشكيل "الماغساساي" الروماني لتجاوز "الهكابلاهاب" في "الفلبين" في عام 1952.

ثمة إشكال أخير في جدلية الحساسية الاجتماعية الديمقراطية وهي أنها ليست مختبرة بشكل جيد. فتحليل "ميروم" يجمع بمهارة التهديدات النظرية والتهديدات السياسية وتهديدات نظرية اللعبة لتشرح مثل ما افترضه "ماك" على سبيل المثال: الأطراف القوية الديمقراطية معرضة سياسياً للانتكاس في ساحة المعركة. ولكن تحليل "ميروم" يتجاهل نسب نجاح وفشل الدول المستبدة والدول الأقل معوقات من قبل:

1. استقلالية الدولة على المجتمع للقوى العسكرية.
2. التفضيل العام للإجراءات اللا حربية من قبل المجتمع.
3. أو عبر قدرة المجتمع من خلال ممثلين مؤثرين على تغيير السياسة الخارجية أو الإستراتيجية الحربية.

وبوضع هذه المشاكل جانباً، فقد عبر "ميروم" عن الضعف السياسي للأطراف الصغيرة الديمقراطية، والتي تقدم شرحاً مفيداً حول لماذا تختار الدول الديمقراطية هذه الإستراتيجيات، ولما تتمسك بالإستراتيجيات الناجحة حتى بعد تلقيهم لمؤشرات واضحة بأن إستراتيجيتهم للنصر في الواقع فاشلة.

1- هذا الجدال يعود إلى أول الحروب الصغيرة في العصر الحديث -بالفعل الحرب من المصطلح بحد ذاته، حرب العصابات، قوى نابليون بونابرت في إسبانيا تم مضايقتهم وهوجموا من قبل محاربي العصابات الإسبان من 1807 إلى 1814 وردوا على هذه الهجمات بردود انتقامية قاسية تضمنت التعذيب، القتل الجماعي، الاغتصاب والدمار الواسع للممتلكات وهذه بدت أنها لا تقوم إلا بتحريض مقاومة أكثر وخلق سلسلة من الردود الانتقامية التي لم تنته حتى غادر الفرنسيون إسبانيا في 1814. الصلة بين الهمجية والمقاومة الاجتماعية المتزايدة والتي قبل إقناع الفرنسيين بفرنسا، وضع ولينغتون أكثر القيود صرامة على تصرف فرقه العسكرية في البلدات الفرنسية (انظر فريمونت-بارنز، 2003: 53-58، 67، 90)

التفاعل الإستراتيجي

إن تفسيري الشخصي لنجاح الطرف الضعيف في الصراعات غير المتكافئة هو عام بشكل أكبر. وبرأيي فإنه رغم القوة النسبية، وطبيعة الفاعل، وانتشار الأسلحة، والمصالح غير المتناظرة، كل هذه لها أهمية، فإن أفضل توقع لنتيجة صراع غير متكافئ هو التفاعل الإستراتيجي. ووفق هذه الأطروحة فإن استخدام تفاعل الاستراتيجيات خلال أي صراع يتوقع نتيجة هذا الصراع أفضل من أي تفسيرات متنافسة.

إذا كان لنا أن نعتقد أن الإستراتيجيات هي معقدة لكن بنفس الوقت خطط عمل منفصلة بحيث تتضمن افتراضات عن قيم الأهداف والمبادئ القيادية والتكتيكية وقواعد الالتحام، فإن تفاعلات مختلفة ستولد منهجية مختلفة النتائج مستقلة عن القوة النسبية للعامل المشرك.

في الفصل الثاني، سأناقش أنه لأهداف نظرية بناء عالم مطبقي الاستراتيجيات الحقيقيين – فالحرب الخاطفة، الاستنزاف، عمق الدفاع، حرب العصابات، الإرهاب وما إلى ذلك – يمكن أن يقلص إلى منهجين مثاليين من الاستراتيجيات: مباشرة وغير مباشرة.

إن أطروحتي المركزية هي أنه عندما يقوم مطبقي الاستراتيجيات باستخدام مثل هذه المناهج (مباشرة– مباشرة، غير مباشرة – غير مباشرة) فإن القوة النسبية ستشرح النتيجة: المطبقين الأقوياء سينتصرون بسرعة وبشكل حاسم.

وعندما يقوم المطبقون باستخدام مناهج إستراتيجية معاكسة (مباشرة – غير مباشرة، غير مباشرة – مباشرة) فإن المطبقين الضعفاء هم أكثر ميلاً للفوز، حتى لو كان كل شيء نعرفه عن القوة يقول العكس. وتفسيري للخيار الاستراتيجي والتركيز على مبدأ "كينيث والتز" للتنشئة الاجتماعية للدولة: وفي فكرة أن مطبقي الإستراتيجية يقلدون السياسات الناجحة لمطبقين آخرين، وتفادي السياسات الفاشلة (والتز، 1979: 127).

اعتقد أن هذا النوع من التنشئة الاجتماعية يتعلق بالمناطق، حيث أنه بعد الحرب العالمية الثانية قلد العالم المتطور والمطور تماماً مناحي مختلفة من النجاح. وعندما جاءت هذه المناحي لتتفاعل بمنهجية، كما حدث بعد الحرب العالمية الثانية، أصبح المطبقون الضعفاء يفوزون أكثر.

لماذا ندرس نتائج الصراع غير المتكافئ؟

يعتبر حل مشكلة كيف يفوز الضعفاء في الحروب مهماً لعدة أسباب:

• أولاً: بخصوص السياسة الخارجية للولايات المتحدة في العقود القادمة، كالكثير من مشاكل الصراع غير المتكافئ - ككارثة الإرهاب، والضرورة، والشرعية، وتكلفة التدخل العسكري في الصراعات العرقية والحروب المدنية - ستبقى مدعاة للقلق، خصوصاً بسبب مستقبل الولايات المتحدة المتوقع والذي سيكون عاملاً أقوى بالنسبة لأي من خصومه المحتملين. الحروب الحديثة في العرق، الكويت، أفغانستان، ومرة أخرى في العراق، موضحة تماماً بهذا الخصوص.

والحروب الأخيرة في العراق وكوسوفو وأفغانستان ومرة أخرى في العراق هي توضيحية في هذا الاعتبار فكلها كانت صراعات غير متكافئة حيث كانت فيها الولايات المتحدة غالباً تقود تحالفاً من الدول تهاجم دولة أو كيان معادي أضعف بكثير. في حرب الخليج الأولى (1990)، التحالف الذي تقوده الولايات المتحدة أطلق هجوماً تقليدياً ضد القوات المسلحة العراقية التي كانت تدافع عن الكويت (ولاحقاً العراق) ومع دفاع تقليدي. لكن العراق ارتبك بسرعة وأعلنت قوات التحالف انتصارها وغادرت وكانت بذلك قد حققت أهدافها السياسية المعلنة بإخراج العراق من الكويت.

أما في كوسوفو، فقد قامت الولايات المتحدة عام 1999 وتحت رعاية الناتو بضرب القوات المدعومة من صربيا في كوسوفو من الجو، وذلك أملاً بإيقاف عمليات السلب المدعمة جيداً بالوثائق ضد الألبان العرقيين هناك.

وهكذا، فإن إستراتيجية الهجوم التقليدية غير الملائمة هذه لم يتم التصدي لها مباشرة من قبل طائرات التصدي الصربية أو صواريخ الأرض جو، وهي أيضاً لم تمنع القوات الصربية الدعم من تحصيل أهدافها في إخلاء كوسوفو من الألبان العرقيين والقضاء على جيش تحرير كوسوفو كقوة عسكرية. وفي ذات السياق، فإن الميزات الثلاث الجديرة بالملاحظة لهذه الحرب كانت: (1) - إن حلف الناتو كان قادراً على تبرير التدخل حتى ولو أنه لم يهدد أي من دوله الأعضاء بشكل مباشر من الصرب في كوسوفو لكنه في جوهره فقد انتهك الناتو القانون الدولي لكي يدعم المبادئ الإنسانية.

(2) – عاد اللاجئون الأليان.

(3) – اعتبر عدة مراقبين عملية القوى المتحالفة كنجاح باهر للفعالية المطلقة للقوة الجوية. في أفغانستان عام 2002 ضربت القوات الأمريكية طالبان بإستراتيجية توفير الدعم الجوي واللوجستي والمدفعية لآخر أعداء طالبان المحليين الباقين حلف شمال الأطلسي. وبشكل أساسي وضعت الحرب الحلف في حفرة الهجوم ضد طالبان التي تملك دفاعاً تقليدياً. في حين أن معظم المحللين توقعوا تكراراً للتجربة السوفيتية عام 1979 متضمنة الفشل.

لكن طالبان – والتي بقيت حوالي العقد تظلم الشعب الأفغاني وترشي الأعداء الكامنين بأموال المخدرات – كانت في حالة لا تسمح لها بإنشاء ميليشيات دفاع ذات قاعدة شعبية كما فعلت بوجه السوفيت في الثمانينيات. كان القرار الأمريكي يقضي بأن لا يتم ارتكاب مواجهات مسلحة كبيرة بهدف منع طالبان من تجميع المتزمتين دينياً لكي لا يؤدي ذلك لطرد غير المسلمين من أفغانستان. ولذلك، فإن طالبان خسروا الحرب، ورحلوا إلى شمال غرب باكستان. وأصبحوا اليوم يسببون عطباً مباشراً لأمريكا وللقوات الحكومية وينتظرون ويتدربون ليأخذوا زمام التحكم بأفغانستان حالما تصبح قوات الدعم الأمريكية أضعف هناك.

و أخيراً، فإن الهجوم الثاني الذي تزعمته أمريكا على العراق كان بطريقة مشابهة للحرب الهولندية (1899–1902) ومثل تلك الحرب والتي كانت شهرتها مسبوقة عالمياً باشتراك جيش آخر بقوته العسكرية كما في الحملات العسكرية التقليدية. وبعد عدة نكسات، انتهت تلك الحرب سريعاً وبنصر ساحق. ولكن كما في الحرب الهولندية، فقد رفض الخاسرون الاستسلام واستبدلوا خيار الحرب التقليدية بحرب عصابات كإستراتيجية دفاعية. ولكن هذه النتيجة زادت صعوبتها على أمريكا وقوات التحالف. فهذه القوى التي لم تصمم، أو تدرب أو تجهز لمهام عسكرية مديدة. وقد استمرت معاناة المصابين اليومية من الأعداء غير المرئيين وربما نتيجة لذلك ازدادت الرغبة بتوجيه عقوبة انتقامية لغير المتدربين. منجهة أخرى، يشرح هذا الكتاب كل الشروط التي سوف تحقق النصر لأمريكا في مثل هذه المعارك ولماذا سوف تخسر يشكل أكيد هذا القتال لبناء الديمقراطية في أفغانستان والعراق ما دامت تتبع إستراتيجيتها الحالية (التجنيد بإفراط والمزج الخاطئ لقوى الجيوش).

• ثانياً: على الرغم من أن الصراعات غير المتكافئة هي الأنواع الأكثر شيوعاً من الصراعات إلاّ أنها تعتبر من أقل الدراسات من قبل باحثي العلاقات الدولية. فإذا كان هناك صراعاً ديناميكياً فريدا من نوعه للصراعات غير المتكافئة، أو إذا كان التركيز التحليلي مركزاً على الصراعات غير المتناظرة فإن ذلك سوف يمكننا من إحراز وجهة نظر ذات قيمة باتجاه الصراعات المتناظرة أكثر، ثم شرح عام لنتائج الصراعات غير المتناظرة ليس فقط مرغوباً، ولكن بشكل ضروري من أجل تقليل احتمالية الصراعات غير الضرورية، أو من أجل زيادة احتمالية لنجاح أمريكا عندما تعتمد على قوة الجيوش لتحرز تقدماً في أهدافها العسكرية[1].

• ثالثاً: التساؤل كله حول لماذا يكسب الضعيف الحرب هو مذهل بحد ذاته. كما في المنافسة بين "ديفيد و"جلعاد"، و"هانيبال" والروم في "كاناي"، "هنري. ف. "والأرستقراطيون الفرنسيون في "أجينكورت". والهجوم الألماني نحو داخل الإتحاد السوفيتي في شهر تموز عام 1941، وحتى بطولة العالم للمصارعة في الأوزان الثقيلة بين "محمد علي كلاي" و"جورج فورمان" في دواة "زائير" في إفريقيا، والتي يتم تذكرها خصوصاً بشكل رئيسي لأن نتائجها لم تكن متوقعة. ومؤخراً، شهدنا هزيمة قوات الولايات المتحدة الخاصة غير المتوقعة في الصومال، والقوى الفيدرالية الروسية في الشيشان، والقوى الإسرائيلية في لبنان، وطالبان في أفغانستان. وتفسير كيف ولما حصلت هذه النتائج غير المتوقعة هو بجد ذاته مسعى يستحق العمل لأجله. هو جهد قد ينتهي بإضافات لفهمنا للقوة في نظرية العلاقات الدولية، وأيضاً كدليل لصانعي السياسات الأمريكيين التي تكافح للرد على الإرهاب العالمي.

و أخيراً، فإن نظرية نتائج النزاعات غير المتكافئة قد تساعدنا لفهم كيف ولماذا ترد الدول الضعيفة على الدول القوية، والمقوّاة في النظام الدولي (إلمان، 1995،

1- انظر بورل (1994:4) وماك (1975:176). استقصائي لجميع الحروب من عام 1816 حتى الآن شرحت توزع أنواع الصراعات كالتالي: الصراعات غير المتناظرة= 52(14%)، صراعات غير متناظرة محتملة=141(37%)، صراعات متناظرة=28(7%) بيانات مفقودة 156(41%) العدد الكامل للحروب المسجلة منذ 1800 كان 377 من الصراعات غير المتناظرة المحتملة. سنجر وسمول " الحروب فائقة التنظيم" (عدد الحروب الاستعمارية 300 – 454) البيانات المفقودة تتضمن معظم سنجر وسمول "حروب حضارية"عددها (600–982). إذا كانت الصراعات غير المتناظرة المحتملة أضيفت إلى الصراعات الفعلية أصبحت تشكل 51% من توزع جميع أنواع الحروب من 1800. حتى بدون إضافة الصراعات الغير متناظرة المحتملة، على أية حال الصراعات غير المتناظرة هي أكثر شيوعاً بمرتين من الصراعات المتناظرة.

والت، 2002، ناي 2004) إنه سؤال مهم لأنه إذا لم تتصرف الولايات المتحدة – والتي هي القوة العالمية الحالية– بحكمة ومع المعوقات، قد تحفز الحلفاء المؤازرين، والتي بالنهاية، تغمرها أو تلغي مزاياها الاقتصادية، والسياسية والعسكرية.

وهكذا، من أجل جميع هذه الأسباب، فإن تطوير نظرية عن نتائج النزاعات غير المتكافئة هو أمر حيوي.

مخطط الكتاب

لقد تم ترتيب بقية فصول الكتاب على الشكل التالي: سيناقش الفصل الثاني فرضية التفاعل الاستراتيجي بشك تفصيلي أكثر ويعرف مفاتيح الفصل، ويقلل من شرح المقترحات القابلة للاختبار، ويبحث في نتائج التحليلات لجميع الحروب غير المتكافئة التي دارت خلال الفترة الواقعة منذ عام 1816 وحتى عام 1998 وستدعم هذه التحليلات الإحصائية فرضية التفاعل الاستزاتيجي.

. سيحتوي الفصل الثالث وحتى السابع على الحالات الدراسية التاريخية للصراعات غير المتكافئة للكتاب. وقد اختيرت الحالة الدراسية الخامسة لأكثر من سبب:

• أولاً: كل حالة تُدرس هي انبثاق من إحدى أربعة تحاليل زمنية لفترة تاريخية رئيسية من الزمن: (1816 – 1849) (1850 – 1899) (1900 – 1949) و(1950 – 1999). وقد ساعدنا هذا للوصول إلى أثر النتائج خلال النزاعات التاريخية الكبرى. كما ساعدنا في تناسب حدسي أفضل بين البيانات الإحصائية الخام والحقائق لكل صراع.

• ثانياً: تتضمن الحالات اختلافاً على المتغيرات العادية الرئيسية، مثل نوع النظام، انتشار الأسلحة، والتفاعل الاستراتيجي. وفي النهاية فإن كلا القضيتين ستتضمنان تفاعلات الإستراتيجية المتعددة، ولذلك بالرغم من ان خمس قضايا تاريخية فقط مجربة سوية قد أمنت مجموعة من 16 اختباراً لفرضية التفاعلات الإستراتيجية. الفصل الثالث: يعالج النزاع بين الإمبراطورية الروسية و"الميردين" في "القوقاز"من عام 1830وحتى عام 1859. حيث انتصر الروس في هذه الحرب التي دامت29 عاماً من الصراع.

الفصل الرابع: سيتفحص الحرب بين الإمبراطورية البريطانية وجمهورية البوير المتحدة لمقاطعة وسط جنوب إفريقيا ومقاطعة شمالي شرقي جنوب إفريقيا عام 1902. حيث انتصر البريطانيون في هذه الحرب ذات الثلاث سنوات، والتي كانت ذات الكلفة الأكبر لكافة مستعمراتها خلال التاريخ. الفصل الخامس: يتفحص الصراع بين الفاشية الايطالية وإثيوبيا من عام 1935 حتى عام 1940. حيث استخدم الايطاليون غاز "الخردل" المحرم دولياً لكي ينتصروا في هذه الحرب بعد مواجهتهم بجيش أكثر عدة وعدداً وسلاحاً من القوات الأثيوبية.

الفصل السادس: سيتفحص الصراع بين الاتحاد السوفيتي والمجاهدين الأفغان المجاهدين منذ عام 1979 وحتى عام 1989. حيث خسر السوفيت هذه الحرب الوحشية التي دامت حوالي عقد من الزمن، وكانت هذه الحرب قد قتلت وشردت أكثر من نصف المواطنين المدنيين الأفغان. وأدت إلى الموافقة على تأسيس أكثر حركة دينية محافظة في التاريخ: وهي حركة "طالبان".

الفصل السابع: سيحلل أكثر الصراعات المعقدة في عصر الحرب العالمية الثانية: التدخل الأمريكي في الحرب الأهلية الفيتنامية. الفصل الثامن: سيحتوي على ملخص لمجادلات الكتاب، وملخصه، والصلة للعلاقات الدولية والسياسات الأجنبية (بالأخص السياسية الأجنبية للولايات المتحدة).

الفصل الثاني

شرح نتائج الصراع اللا متناسب

"أنا عفريت سريع. مقاتل بالفكر، أنا علمي، أنا فني، أنا أخطط إستراتيجيتي. هو ثور وأنا مصارع الثيران... "

محمد علي زائير 1974"

"آخذاً بالحساب العملي فالمنطقة التي أردنا أن نسلمها... بدأت بحساب الأميال المكعبة: ستون، ثمانون وربما مائة وأربعون ألف ميل مربع. كيف يمكن للأتراك أن يدافعوا عن كل هذا؟ لاشك أن ذلك سيكون مع خط من الخنادق، فلو أتينا كجيش مع راياته، وعلى افتراض أننا "وربما كنا" أثراً، فكرة، شيئاً غير ملموس، بدون مقدمة أو مؤخرة الجيش، نتسرب كالغاز؟ كانت الجيوش كالنباتات، ثابتة الجذور، تتغذى عبر السوق الطويلة إلى الرأس.

قد نكون ضباباً يطير حيثما كنا، ولكن ممالكنا موجودة في ذهن أي إنسان، ولما كنا لا نريد شيئاً مادياً لنعيش، لذلك فنحن نقدم عرضا غير مادي للقتل! لقد بدا بأن الجندي النظامي قد يكون عاجزاً بدون هدف، وذلك بسبب ما كان يبحث فيه، ويستعبد فقط ما يمكنه أن يوجه بندقيته نحوه، حسب الأوامر".

" توماس إليوت لورانس"

و هكذا، فإن المصالح، في صراع المصالح، للقتال، ترتبط مع الصراع بثلاثة أشياء:

1. تقييم للثروات الجاهزة مباشرة للقتال، ولها علاقة بعدو محتمل.
2. خطة لاستعمال تلك الموارد لهدف معين "إستراتيجية"
3. تقييم للثروات المتوافرة بشكل كامن عندما تبدأ المعركة "المتعلقة بعدو مرتقب".

وكما تبين في الفصل الأول، فإن الحكمة التقليدية المتعلقة بنتائج الصراع هي بشكل عام مستقاة من المقارنات بشكل فاعل بالنسبة للقوات المسلحة، القدرة الاقتصادية والسكان في بداية العداوات.

وبشكل عام، فإن الجهة الفاعلة بأكبر قدر من هذه الثروات من المتوقع أن تفوز وتكسب الحصص لصالح قوتها، ومع ذلك، فإن هذه الحكمة التقليدية هي مشكلة بحد ذاتها:

- أولاً: إن الاعتماد عليها للإيضاح يترك نتائج الصراع بدون شرح.
- ثانياً: كافتراض ضمني للسياسة، قد يكون له نتائج كارثية.

وفي هذا الفصل، نشير إلى أنه – بالإضافة إلى معرفة الثروات المتوافرة لكل مشارك – فإن إيضاح النتائج يحتاج إلى تقييم نتائج تفاعل إستراتيجية كل فاعل. ونحن نناقش بأن استراتيجيات الفاعل يمكن تصنيفها في واحد من منهجين رئيسيين، مباشر وغير مباشر، ونتائج الصراع اللا متناسب تعتمد على أي من نموذجي التفاعل المثالي الذي تسوده. فإذا كان الفاعلون الأقوياء والضعفاء يستخدمون إستراتيجية تمثل المنهج الاستراتيجي ذاته مباشر ضد مباشر، أو غير مباشر ضد غير مباشر فإن الفاعلين الأقوياء سيفوزون كما تقترح الحكمة التقليدية.

ومع ذلك فإن الفاعلين الأقوياء والضعفاء يستخدمون استراتيجيات تمثل المنهج الاستراتيجي المعاكس: مباشر ضد غير مباشر أو غير مباشر ضد مباشر. ومن المرجح أن يفوز الفاعلون الضعفاء على عكس ما تسمح به الحكمة التقليدية هذه هي نظرية التفاعل الاستراتيجي.

شرح نتائج الصراع اللا متناسب

إن فرضية التفاعل الاستراتيجي تجعل نقطة بدايتها النظرية الأولية عن مصالح القوي، المتناسب الذي نادى به "أندرو ماك" ففي نموذج "ماك" تحدد القوة النسبية مصالح نسبية. وينجم عن ذلك صراع يكون فيه اللاعب الضعيف أكثر تحفزاً للقتال من اللاعب

القوي، والمصالح النسبية، بدورها، تحدد عدم حصانة سياسية نسبية، لأن اللاعبين الأقوياء هم بالضرورة أكثر تحفزا للقتال والفوز من اللاعبين الضعفاء. ولن يتركوا القتال بدون تحقيق أهدافهم العسكرية والسياسية. وأخيرا يناقش "ماك" فكرة أنه في الحرب الطويلة سيكون اللاعب القوي مجبر على تركها بسبب اللا حصانة السياسية. وذلك بغض النظر عما إذا كان نظام الحكم فاشستي أو ديمقراطي. وهذا يبين لماذا يفوز الضعيف.

إن فرضية التفاعل الأستراتيجي هي نظرية عامة نسبية في الصراع اللا متناسب وهي تحسن نظرية "ماك" الأولية في ثلاثة جوانب:

- أولاً: تحدد المصالح النسبية عدم حصانة سياسية نسبية. ولكن في فرضية التفاعل الاستراتيجي لا يمكن بالنسبية أن تحقق النسبية بالقوة النسبية. وأنا أعتقد أن مصالح اللاعب أكثر تعقيداً من أن يتم تقليلها بشكل مفيد إلى الصيغة البسيطة لـ "ماك" فهناك دول عديدة، على سبيل المثال، حصلت على منفعة من نتيجة فتح أو احتلال للأراضي. وكانت هذه المنفعة أعظم من أن تتضمنها قوتها النسبية. لكن مصالح الدولة غالبًا تتغير عندما ينطلق أوار الحرب.

- ثانياً: إن نظام حكم اللاعب ذو أهمية كبيرة إنه يؤثر في تكاليف ومخاطر تبني استراتيجيات معينة. وهذه الاستراتيجيات تتغير فيما بعد احتمال النصر أو الخسارة.

- ثالثاً: وهو الأهم، فإن فرضية التفاعل الاستراتيجي تبين لماذا تنتهي بعض الصراعات اللا متناسبة سريعا بينما يطول سواها[1].

المصالح واللا حصانة

قد تعتبر المصالح تفويضاً لاحتمال التضامن الوطني. كما في أي اتفاق واسع ضمن مجتمع معين وبين النخبة والناس. ولكن من جهة ثانية، فقد عارض العديد من الأمريكيين تدخل الولايات المتحدة في الحرب في أوروبا منذ عام 1945 وأثناء الحرب العالمية الثانية. لأنها اعتبرت حرباً في سبيل المصالح العليا لكل اللاعبين: وهي البقاء.

1- يعزو "ماك" الحروب الطويلة الأمد إلى استخدام اللاعبين الضعفاء لإستراتيجية حرب العصابات ولكنه يميز إستراتيجية حرب العصابات بأنها قديمة جدا ولذلك لا يمكنها لوحدها أن تبين عدم خسارة اللاعبين الأقوياء، كما كانت تفعل في الماضي بعد الحرب العالمية الثانية.

وكان ذلك قبل الهجوم الياباني على ميناء "بيرل هاربور" الأمريكي. ولذلك، فإن البقاء أو على الأقل الدفاع عن النفس يعتبر مقبولاً عالمياً كسبب مشروع للذهاب إلى الحرب.

تعتبر معظم المصالح التي تكون تحت تصرف القوة غير سامية. وهذه طريقة أخرى للقول بإن هناك إجماع ضئيل ضمن حكومة محلية ما إلى المخاطرة وتضحية الحرب. وكل جهود تبذل للحرب لا حصانة لها بالنسبة للمعارضة السياسية المحلية. وذلك عندما لا تسير الأمور في طريقها الصحيح.

إن اللاعب ذو المصالح الكبيرة في المعركة، سيصاب في الشعور بالإحباط في أرض المعركة، في حين أن اللاعب ذو المصالح الضئيلة لن يهزم، وهذا ما نعنيه بعدم الحصانة السياسية.

و لذلك، فإن النتيجة الطبيعية لعدم الحصانة السياسية هو ما نسميه بالرخصة السياسية أو الرخصة العادلة وعندما تكون المصالح سامية (البقاء) فإن الحكومة تضع حدوداً قليلة على كمية الثروات المستخرجة والمعبئة للحرب، وطرق استخدامها. ويمكن اختصار أو تعليق الحقوق المدنية كما يمكن تجاهل قوانين العكسية (ماك1975\186–187) ولعل تجربة الولايات المتحدة في الحرب العالمية الثانية تعطينا مثالاً واضحاً. لقد تم سجن الأمريكيين اليابانيين خلال الحرب في تجاوز مباشر لميثاق الولايات المتحدة.

كما تم استهداف المدنيين اليابانيين بشكل متعمد من قبل حملات القذف بالقنابل الأمريكية.

وكلما كانت الجزر الرئيسية اليابانية تصبح ضمن مدى القاذفات الأمريكية الإستراتيجية كانت تقوم بقصفها[1].

وبالمختصر، فإن مصالح اللاعب وعدم حصانته السياسية تتغير بشكل عكسي. فكلما كانت مصالح اللاعب السامية في قضايا السباق كلما قلت حصانته وصار مجبرا على مغادرة الصراع قبل القرار العسكري. وكلما تدنت مصالح اللاعب كلما أصبحت أكثر تعرضاً للهجوم.

إن افتراض بأن لاعباً واحداً هو أكثر اهتماماً بالنتيجة من غيره، يجعل ذلك اللاعب في خطره. فكلما كانت المصالح قليلة كان قادراً على الفوز أكثر، ونتيجة الصراع المثالي تكون في صالح اللاعب ذو المصالح القليلة، وهو نصر سريع ونهائي. فحكومة اللاعب

1– كان ذلك صحيحا على الرغم من أنه في الوقت الذي كانت به قاذفات القنابل الأمريكية واقعة ضمن مجال الجزر الرئيسية اليابانية لن تحدث أي حالة غير موثقة لتهديد بقاء الولايات المتحدة.

القوي لا تكاد تبدأ بالتفكير بفائدة الصراع إلا ويكون قد تم حله. ومن المثير للشك بشكل كبير، على سبيل المثال، أن الولايات المتحدة كان لها مصلحة كبيرة في طريق المتمردين المدعوين من كوبا على جزيرة "جرانادا الكاريبية" الصغيرة في عام 1983. وما كان للولايات المتحدة من بقاء حسب منطق "دومينو" المريب أو حسب التدخل. فقد كانت تعتبر نفسها كمدافعة عن العالم الحر. ولكن الصراع في "جرانادا" انتهى سريعاً. ولم يكن هناك وقت لجماهير الولايات المتحدة لتنظر في الحاجة إلى التدخل. كما لم يكن بإمكانها معارضة ذلك التدخل. فسرعان ما أصبح انتصار الولايات المتحدة حقيقة واقعة والسلاح كان نتيجة مثالية للاعب ذو المصالح الضئيلة في الصراع الذي يسبق القتال، في حين ستكون النتيجة الأسوأ حرباً طويلة الأمد.

و في الحرب سيكون هناك وقتل وجهات النظر في الحاجة إلى للجوء إلى السلاح، وقيمة الأهداف التي يتم السعي إليها بالقوة. وهناك وقت للأخذ بعين الاعتبار قيم تطبيق القوة وتكاليف الفرصة. فاللجان والاجتماعات المدينة التي تنعقد والصحافة ستستكشف كل جوانب الصراع. في حين ستدعى النخبة السياسية لتبرير تكاليف ما يسمى بالدعوة إلى جاذبية الفردوس.

يدعو هذا التعبير اللطيف إلى الذهن سبب أكثر دقة وهو أن التأجيل يؤذي اللاعبين الأقوياء وخصوصاً اللاعبين الأقوياء الديمقراطيين. وفي الأزمنة القديمة كانت عدة ثقافات تعتبر أن الصراعات الشخصية كانت إلهية، وكان هذا يعني بأنه عندما يوجد طرفان مظلومان يمكنهما تسوية خلافاتهما بوحي شخصي. في حين أنه من المفترض أن يشير النصر في الصراع إلى إرادة قوة عظيمة وخيرة عالمة بكل شيء. وقد كان ذلك الصراع يعتبر مشروعاً. ولكن هذا العرف بتجربة الصراع، لم يختف بشكل مطلق من الوعي والإدراك الأمريكي الشمالي والأوروبي ولأن كان ذلك صحيحا فمدة الحرب تصبح مقياس لشرعيتها. وخصوصاً الحرب اللا متناسبة التي يكون فيها نصر اللاعب القوي متوقع وبسرعة.

الحساسية السياسية ومدة الصراع:

إذا كانت الحرب الأخرى، عادلة فلن تطول؟ أو بطريقة أخرى، إن إرث المحاكمة بالصراع يتضمن مصدر النسبية. والحصانة السياسية للاعبين الأقوياء ذات تأثير قوي في

تعزيز مصالح اللاعب. كما أن لهذا الإرث تأثير واضح في التلازم القوي للنتائج والشرعية على حد سواء خصوصاً عندما يكون هناك تزاوج غير متلائم في القوة المادية النسبية.

و في الصراع اللا متناسب، ثمة توقع قوي بأن أي حرب ستنتهي بسرعة – كما حدث في مثال "جرانادا"– ولكن بعض الحروب اللا متناسبة تطول أكثر مما كان متوقعاً قبل القتال. وإذا كانت القوة التي تتضمن معنى النصر، وكان الكثير من استخدام القوة يتضمن نصراً حاسماً وسريعاً، فكيف نفسر عدم حدوث هذا النصر السريع والحاسم دائماً؟

و جوابي هو: إنها الإستراتيجية. ذلك لكون تفاعل بعض الاستراتيجيات يجعل الطريق ممهداً للقوة كي تقرر النتيجة في حين أن تفاعل استراتيجيات أخرى يسبب حروبا طويلة. وهكذا تختصر القوة التأثير المتوقع في النتيجة.

عدم الحصانة السياسية
ونموذج نظام الحكم:

في النظرية الأولية في الصراع اللا متناسب ل"ماك" نراه يناقش فكرة تقييد عدم الحصانة السياسية للاعبين الأقوياء في النظامين الفاشستي والديمقراطي لأن كلا منهما يتعاقب على استعمال الموارد في الحروب.

وبحسب كلمات "ماك": "بالرغم من أن هذه النقاط الواضحة فإن رأيي الأساسي هو أن الحروب المحدودة بطبيعتها ستحدث قيوداً محلية في حال استمرارها. وهذا الرأي ليس مشكوكاً به، ولكن بحسب هذا النقاش، فإن السياسة تحت أي نظام سياسي لها علاقة بالصراع حول توزيع الموارد.

و في الحكومات المغلقة أو المركزية، فإن هذه الصراعات ستكون مقتصرة على النخبة الحاكمة، ولكن ليس بالضرورة. (ماك 1975\189). إنه جدال ضعيف فمناقشة "ماك" السابقة لهذا التعليق تدعم الادعاء بأن بالتوازن يؤثر في سلوك اللاعبين. ومن هنا، فإن ذلك سيؤثر في نتائج الصراع، وكما تمت الإشارة إليها الحروب، فهناك أسباب

للافتراض بأن التعاقب على الموارد لن يصمد، وأن نموذج نظام الحكم سيؤثر في نتائج الصراع. ولكن كيف يتم ذلك تماماً؟.

وفي هذا المجال، فإنني أرى بأن الأنظمة الفاشستية لديها ميزة في نوع معين من الحروب. وهي الحرب التي يحاول بها المناوئون للنظام استخدام إستراتيجية الدفاع غير المباشر مثل الإرهاب، حرب العصابات أو مقاومة اللا عنف. وفي حرب كهذه فإن الثمن ومخاطر استخدام الإجراءات الأقسى تكون أدنى للأنظمة الفاشستية في حين أن الفوائد التي لا تتغير مع نظام الحكم تبقى عالية بشكل محتمل[1].

إن الأنظمة الفاشستية تتمتع بميزتين على الأنظمة الديمقراطية:

- أولاً: الأنظمة الفاشستية لديها تحكم بالمعلومات التي تصل إلى جماهيرها المحلية، فالحروب يمكن أن تجعل بشكل يجعلها ضرورية لقضية عادلة ونفس التحكم بالمعلومات يمكن أن يجعل الطبيعة الحقيقية للعنف غامضة بالنسبة للجماهير الدولية. أضف إلى ذلك فإن الدليل على البربرية يصل إلى تصرفات الخصم الفاشستي، أو الجماهير ضمن الدولة. وبشكل يمكن تبريره كانتقام محدود لوحشية ارتكبها الخصم.
- ثانياً: وحتى عندما تصبح الجماهير المحلية مدركة للبربرية، فإنها لا تكون في وضع يمكنها فيه تغير سياسة الدولة أو إستراتيجيتها. وكما يتبين في الفصل الخامس فإن غزو ايطاليا لإثيوبيا تم دعمه من قبل تلك الميزتين.

و مع ذلك فإنه في أنواع أخرى من الحروب والتفاعلات الإستراتيجية الأخرى، هناك ثمة دليل صغير يدعم إدعاء الأنظمة الفاشستية بأنها تحارب أفضل أو تفوز أكثر من الأنظمة الديمقراطية في أغلب الأحيان. وعلى العكس فباستثناء الحروب الطويلة، فإن الدول الديمقراطية تظهر بأنها تكسب الحروب أكثر من الدول الفاشستية، وهكذا، فإن السؤال المناسب في هذا التحليل هو: "هل تقاتل الأنظمة الفاشستية بشكل أكثر فعالية من الأنظمة الديمقراطية؟.

أو بالأحرى:" تحت أية ظروف تقاتل الأنظمة الفاشستية بشكل أكثر فعالية من الأنظمة الديمقراطية"؟

1- أقول بشكل محتمل:"لأنه بالرغم من أن الأمر منطقي فإن استراتيجيات الدفاع غير المباشر يمكن التغلب عليها بسهولة بنهب المدنيين واللا محاربين أكثر من استراتيجيات الدفاع التقليدية. كما أن الدعم التجريبي للبربرية وفعاليتها المتزايدة هو أمر غير حاسم أفضل للنتائج غير المثمرة لاستعمال البربرية في الصراعات اللا متناسبة (أنظر أرجوين توفت 2003).

عدم الحصانة وخسارة اللاعب القوي:

سيخسر اللاعبون الأقوياء الصراعات اللا متناسبة الطويلة الأمد في أغلب الأحيان، كما إن وصف "ماك" لعملية ترك اللاعب القوي للمعركة بشكل نهائي هي كالتالي:

عندما تكون هناك حرب في العاصمة بدون انتقام مرئي ضد الخصم، الذي لا يقوم بتهديد مباشر، فإن هذه الحرب ستتعرض لنقد متزايد طالما أن إصابات المعارك تتزايد والتكاليف المالية تتصاعد.

كما إن تزايد الضرائب قد يكون ضرورياً لتغطية نفقات الحرب، وقد يكون هناك حاجة لإدخال نظام تمهيدي. والتضخم المالي سيصبح مؤكداً بالنتيجة. وهذه التكاليف تبدو كجزء من الثمن الضروري عندما يكون أمن الأمة مهدد بشكل مباشر، وعندما لا تكون هذه هي الحالة، يختفي أي أساس للإجماع. وفي حرب محدودة، فإنه من غير الواضح لتلك الجماعات المتأثرة بمصالح متضادة لما تكون التضحيات ضرورية.

في حين تتناول فرضية "ميروم" هذا الجدال بشكل أوسع. فالعلاقة الأساسية هي بين الإرادة المتوقعة والتكاليف. وكما أشار "ماك" وغيره إلى أن الصراعات اللا متناسبة هي التي، بشكل عام، سيمتص فيها اللاعب الأقوى التكاليف غير المتوقعة. وفي نفس الوقت وبشكل متناقض سيكون أكثر حساسية للتكاليف المتزايدة بشكل غير متوقع. وهذا بسبب أن النخبة، والجماهير في دولة اللاعبين الأقوى يكون لديها توقع نصر سريع وحاسم. لذلك فإن الحرب الطويلة الأمد تعتبر حربا مكلفة بشكل غير متوقع. ومرة أخرى، فإن اللغز الأساسي يبرز في التساؤل لما لا تنتهي الحروب اللا متناسبة بسرعة؟

فرضية التفاعل الاستراتيجي

إن أساس فرضية التفاعل الاستراتيجي هو وجود نموذجين للتفاعل الاستراتيجي وهما:

- نموذج الاتجاه المتماثل.
- نموذج الاتجاه المتعاكس.

و هما يقرران احتمالية فوز أو خسارة اللاعب القوي، وهذا القسم يستكشف منطق هذا الجدل.

الإستراتيجية

الإستراتيجية بالتعريف هي خطط اللاعب لاستعمال القوات المسلحة من أجل تحقيق أهداف عسكرية وسياسية. وهكذا، فإن الاستراتيجيات تمزج مفاهيم اللاعب النقدية – بشكل نادر– عن القيم النسبية لتلك الأهداف. ولذلك، فإن الإستراتيجية بهذا المعنى يجب تميزها عن مصطلحين مترابطين جداً: الإستراتيجية العظمى، والتكتيك.

تشير الإستراتيجية العظمى إلى إجمالية موارد اللاعب الموجهة نحو أهداف عسكرية وسياسية واقتصادية وسواها. في حين أن التكتيك يشير إلى فن خوض المعارك واستعمال أسلحة متنوعة للقوات المسلحة مثل المشاة، القوات المدرعة، والمدفعية على الأرض، وفي مواقع مفضلة بالنسبة لها[1]. كما أن كلا من الإستراتيجية العظمى، والإستراتيجية، والتكتيك تصف نقاطاً مختلفة في سلسلة متصلة من وسائل لاعب معين نحو نهاية فردية والتي تتلخص في إخضاع غيره لإرادته هو.

و فيما يلي دراسة لاستراتيجيات النموذج المثالي وهي مفيدة كنقطة بداية للتحليل:

السياسة التكتيكية المتبعة	استراتيجيات الهجوم (اللاعب القوي)	استراتيجيات الدفاع (اللاعب الضعيف)
الطريقة	هجوم تقليدي	دفاع تقليدي
الأسلوب (بالنتيجة)	إستراتيجية همجية	إستراتيجية حرب العصابات

و لدى كلا اللاعبين اختيارات إستراتيجية أخرى بالإضافة إلى تلك الموجودة في القائمة هنا. فعلى الجانب غير المباشر، مثلا، قد يختار اللاعبون الأقوياء القلب والعقل، هجومي. نتيجة الاسترضاء على اختيار الهمجية، وقد يختار اللاعبون الضعفاء مقاومة اللا عنف أو الإرهـاب بدلاً من حرب العصابات. وعلاوة على ذلك فإن الهمجية يمكن استعمالها بشكل دفاعي وحرب العصابات بشكل هجومي. على الرغم من أنه في كلتا الحالتين سيتم الاعتماد على ممثلين عن منهج الإستراتيجية غير المباشرة وفي هذا التحليل سوف يفترض:

1– هذا التعريف هو إعادة صياغة لأحد التعاريف المقتبسة من قاموس ليتريه بقلم كارنيه 1994\770

• أولاً: مبادرة لاعبين أقوياء بصراع غير متناسب[1].

• ثانياً:إستراتيجية العاصمة، النموذج المثالي هو الفوز بالحرب أكثر منه استراتيجيات إنهاء الحرب[2].

الهمجية

الهمجية هي الأذى النظامي أو المتعمد لغير المحاربين (مثل الاغتصاب، القتل، التعذيب)و ذلك من أجل تحقيق أهداف عسكرية وسياسية[3]. وعلى خلاف الاستراتيجيات الأخرى فإن الهمجية قد تم استخدامها لاستهداف إرادة وقدرة الخصم على القتال وفي الحملة الإستراتيجية للقذف بالقنابل فعندما يكون الهدف هو إرادة الخصم، يسعى اللاعب القوي لإجبار خصمه الأضعف على تغير سلوكه[4]. وذلك عن طريق إنزال الألم به بتدمير

1- إن اللاعبين الأقوياء هم غالبا وليس دائما يبادرون بالصراعات اللا متناسبة ويعد بول عشرين صراع بادر به اللاعب الضعيف من سنة 394 قبل الميلاد وحتى 1993(بول 1993\3-4). ونذكر منها أحد عشر صراعا

2- في ثمانية صراعات لا متناسبة 4. 1% كانت النتيجة متأثرة بإستراتيجية إنهاء الحرب أو التراضي. وتتضمن استراتيجيات التراضي استعمال الرشاوى، عروض العفو العام، المشاركة في القوة، إصلاحات سياسية. ولا تحتاج إلى قوات مسلحة لتنفيذ ذلك. والأمثلة على تلك الصراعات التي انتهت بسياسة التراضي تتضمن حرب موريد1830-59 حرب السيمينول 1855-58 حرب المالايو 1948-57 الصراع البريطاني القبرصي 1954-59، صراع الفيليبين- مورو 1972-80 وفي حالة المالايو على سبيل المثال أنظر (راما كريشنا 2002ا)بين القوات والقيم ينشأ من مطبوعات إستراتيجية الحرب النووية كما في استهداف مضاد القوة (أي مهاجمة قوات العدو) وذلك ضد القيم (مهاجمة مدن وسكان العدو).

3- أنظر، على سبيل المثال، والتس 2000\151 إن الأسلحة الكيماوية والبيولوجية قد تم تضمينها بشكل تقليدي في هذا التصنيف وذلك لأنها غير مميزة بشكل متأصل والتدمير المتعمد للبيئة الطبيعية للمدافع هو انتهاك لقوانين الحرب(و يتم ذلك عبر إزالة الإحراج وتجفيف المستنقعات.... الخ) أنظر بيري ومايلز 1999\132-135

4- إن العمل الكلاسيكي هو مجموعة تحديات:شيلينج 1966\1-4 أنظر بيب 1990\103-146 وبيب 1996. وفي النظرية فمن الممكن استخدام القوة الجوية الإستراتيجية لاستهداف قدرة الخصم على القتال. وذلك باستعمال القوات الجوية لتدمير أو قطع خط إمدادات العدو، تدمير نقاط الاتصال (نقاط اتصال السكك الحديدية، الجسور، المطارات) أو مصانع الأسلحة. ولو كان ذلك ممكناً فعله بدون قتل غير المحاربين، فإن ذلك كان يعتبر إستراتيجية هجوم مباشر. ولكن عمليا فإن الأخذ في الحسبان بأن التقدم في إحكام الذخائر الحربية ـ القوة الجوية الإستراتيجية هي سلاح غير ماض وغير المحاربين يقتلون بشكل غير متناسب مع الحاجة العسكرية لتدمير الأهداف والحملة الجوية الإستراتيجية للناتو في كوسوفو في عام1999 هي حالة وثيقة الصلة بالموضوع (أنظر اللجنة الدولية المستقلة في كوسوفو2000\92-94 ودالدير وأوهانلون 2000)

أثمن ما يملك. وفي حملة مضادة للتمرد[1]، عندما يكون الهدف إرادة الخصم قد يحاول المحارب القوي ردع ما يمكن أن يكونوا متمردين بسياسة الانتقام ضد غير المحارب لكن اللاعبين الأقوياء في حالة مكافحة التمرد يمكن أن يستهدفوا القدرة الفيزيولوجية للاعب الضعيف ليدعم المقاومة لإنجاز سياسة معسكر الاعتقال[2]. وتاريخياً، فإن أكثر أشكال الهمجية شيوعاً هي ثلاثة:

1. قتل غير المحاربين.
2. قتل المدنيين (وسجناء الحرب أو المدنيين خلال عمليات الصراع).
3. معسكرات الاعتقال[3].

ومنذ عام 1939 لم يعد للقصف الاستراتيجي للأهداف قيمة عسكرية[4].

الدفاع التقليدي:

الدفاع التقليدي هو استخدام القوات المسلحة لإحباط محاولة الخصم للاستيلاء أو تدمير الأشياء القيمة مثل الأرض، والسكان، والموارد الإستراتيجية.

و مثل استراتيجيات الهجوم التقليدي، فإن استراتيجيات الدفاع التقليدي تستهدف القوات المسلحة للخصم والهدف هو تدمير القدرة الهجومية للخصم بتدمير قواته المسلحة المتقدمة أو القريبة.

1- مثل هذه الإجراءات الانتقامية تتضمن إعدام مدنيين مختارين بشكل عشوائي ثأرا لقتل جندي محتل(أنظر آسبريه1994\108 وأريغوين توفت 2003).

2- إن عقلية المتمرد وشبكات الدعم تعتمد على مشاركة غير المحاربين المؤيدين ومعسكرات الاعتقال تعطل هذه الشبكات (أنظر هاملتون1998-59 وكريبس 1992\41-42).

3- لقد استخدم البريطانيون معسكرات الاعتقال كإستراتيجية مضادة للتمرد خلال الحرب الجنوب أفريقية. وعلى الرغم من أن البريطانيين كانوا غير متعمدين فإن 28000 امرأة وطفل من البوير ماتوا في تلك المعسكرات. وأكثر من ذلك كان هناك إجمالي إصابات من كلا الطرفين. وحول استعمال معسكرات الاعتقال كإستراتيجية ضد التمرد (أنظر أليس 1976\111) وحول استعمالهم ونتائج الحرب في إفريقيا الجنوبية أنظر(دوويت 1902\192-193 باكينهام 1979 الفصل 29 \607-608 وكيربس 1992).

4- إن قصف الحلفاء لمدينة دريسدين بالقنابل كان الحل كمثال شائع (أنظر شافير 1985\97-98) وحول موضوع القصف الاستراتيجي كإجبار ضد ألمانيا النازية(أنظر باب1996\260-262) وحسب نقاش باب فإن القصف الاستراتيجي الذي يستهدف غير المحاربين يعتبر همجيا. وعندما تستخدم القوة الجوية لاستهداف قوات العدو، فإن ذلك يعتبر إستراتيجية هجوم تقليدي. والهجوم على الأساس والصناعة يكون صعب الحل. إن غير المحاربين ليسوا أهدافا مدروسة لكن أولئك الذين يستخدمون هذه الإستراتيجية يعرفون سلفا أن غير المحاربين سيقتلون في مثل هذه الهجمات.

والأمثلة تتضمن استراتيجيات[1] الأهداف المحدودة جداً، والدفاع الساكن، والدفاع المتقدم، والدفاع في العمق، والدفاع المتحرك[2].

حرب العصابات

إستراتيجية حرب العصابات هي تنظيم له حصة من المجتمع بهدف فرض تكاليف على الخصم، وذلك باستخدام قوات مسلحة مدربة لتجنب المواجهة المباشرة[3]. وهذه التكاليف تتضمن فقدان الجنود، المؤن، البنية تحتية، هدوء البال، وأهم شيء الوقت[4].

وعلى الرغم من أن حرب العصابات تستهدف بشكل أساسي مقاومة القوات المسلحة وموارد دعمها إلا أن هدفها تدمير إرادة المهاجم[5] ليست قدرته حيث تتطلب حرب العصابات ضمان عنصرين أساسيين:

1. ملاذ طبيعي مثل المستنقعات، الجبال، الغابات الكثيفة أو الأدغال. وملاذ سياسي مثل مناطق حدودية ضعيفة التنظيم أو مناطق حدودية لدول متعاطفة.
2. وجود سكان مؤيدين لتزويد المقاتلين بالمعلومات، والمؤن، والاستبدالات. مع وجود طريقة ملائمة لانسحاب العصابات.

1- مثال عن إستراتيجية الأهداف الدفاعية المحدودة هو هجوم اليابان على أسطول الباسيفيك للولايات المتحدة في بيرل هاربر 1941 ومثال على الاستخدام الهجومي لإستراتيجية الأهداف المحدودة هو هجوم مصر على إسرائيل في تشرين الأول 1973

2- لوصف مختصر أنظر (ميرشيمر 1983 \48-50).

3- وفي إستراتيجية حرب العصابات الثورية بقيادة ماو تسي تونج، فإن حرب العصابات تتطور نحو مواجهة تقليدية تامة. وفي هذا التحليل فإن مثل هذا التطور يعتبر تغيراً في الإستراتيجية من المنهج الاستراتيجي غير المباشر إلى المباشر. والإستراتيجية المتعلقة بذلك هي الإرهاب وهو غالبا ذو أهداف سياسية مماثلة لحرب العصابات. ومنطق الإرهاب يعكس صورة القصف الاستراتيجي القهري. وهناك ظاهرة مدنية هي أن الإرهاب يمكن استبداله. إما لإنزال الألم لغير المحاربين حتى يضغطوا على حكومتهم لتوافق على المطالب السياسية، أو سحب الشرعية عن الحكومة كوسيلة لاستبدالها. وهذا يتضمن أن الإستراتيجية ستكون أكثر فعالية عندما يكون للمواطنين قول في سياسات الحكومة. وعن الإرهاب كإستراتيجية للعصيان أنظر (ميراري 1993) وعن قصف القنابل المتعاطفة. كإستراتيجية "أنظر باب 2003).

4- حول هذه النقطة بشكل خاص أنظر (صامويل هامتينجتون) وملاحظاته في (هوف مان 1981\7) وأنظر أيضا كوهين (1984\157).

5- مقدمات عامة عن إستراتيجية حرب العصابات أنظر (لاكيور 1976 إليس 1975 أسبري 1994 جوز 1996). وحول الاختلافات الكوبية والصينية لإستراتيجية حرب العصابات أنظر (سيتونج 1961 وكاتزينباخ وهانرا هان 1955\321-340 جيفارا 1961 ديب ريه 1968).

ويمكن ذكر مثال شديد الوضوح على ذلك، والذي يعتبر الأكثر تأثيراً، الحرب التي قادها الزعيم الثائر الصيني "ماو تسي تونج":

في حرب العصابات عليك اختيار التكتيك الذي يجعلك تبدو قادماً من الشرق واهجم من الغرب، وتجنب الهجوم المتواصل، وهاجم الثغرات. أهجم وانسحب، وتسبب بضربة موجعة، ابحث عن قرار مضيء. وعندما ينشغل رجال العصابات بشكل أبعد وأقوى، فأنهم ينسحبون عندما يتقدم العدو، ويزعجونه عندما يتوقف، ويضربونه عندما يكون مرهقاً، ويلاحقونه عندما ينسحب.

و في إستراتيجية العصابات، فإن الخلفية والجوانب والمناطق غير المحصنة الأخرى هي نقاط حيوية، وهناك يجب إزعاجه، ومهاجمته، وتشتيته، وإرهاقه، ومن ثم إبادته. (تسي- تونج 1961\46)

إن إستراتيجية حرب العصابات ليست من أجل الوصول إلى هزيمة سريعة لمقاومة القوات. (هاميلتون 1998-27) وعلاوة على ذلك، فإن رجال العمليات لا يستطيعون التوقف أو الدفاع عن مناطق خاصة – ما عدا المناطق الأساسية المعزولة- ذلك لأنهم لا يوفرون أماناً لعائلاتهم عندما يخوضون العمليات، أو عندما يكونون مسرحين بانتظار مهمات جديدة.

ولذلك، فإن حرب العصابات تعتبر إستراتيجية تتطلب عدم وضع الأشياء الأساسية الثمينة، مباشرة في يدي الخصم مثل: المزارع، الأسرة، المواقع الثقافية والدينية، والمدن.

وبشكل منطقي، فإن التكاليف المهمة لتبني إستراتيجية حرب العصابات تعتمد على الهدف وكبح جماح الخصم[1]. وعندما لا تمارس القوات الغازية أو المحتلة تقييدا في استعمال القوة، أو عندما تكون أهدافها السياسية هي التدمير أكثر من القهر أو الإكراه لشعب اللاعب الضعيف، فإن إستراتيجية حرب العصابات يمكن أن تصبح إستراتيجية دفاعية مكلفة بشكل محظور[2].

1- في آذار 1900 استولى البريطانيون على العاصمة الأولى للبوير، بلوم فونتين. فا جتمع قادة البوير الناجون ليقرروا هل يستسلمون أم يتابعون القتال. وكانوا منقسمين لكن انقلاب التوازن لمصلحة استمرار حرب العصابات كان إيمانا للمدنية البريطانية. وقد وجد البوير إيمانهم لا مبرر له (أنظر دويت 1902/192-193)

2- قضية أن يكون الدفاع غير المباشر ذو فعالية ضد لاعب قوي متحجر القلب، تم رفعها من قبل جين شارب وآخرين، وخصوصا بالنسبة لمقاومة اللا عنف أنظر (مكارثي وشارك 1997 وشارك 2003) كما أن حالة كوسوفو من 1998إلى 1999 تقترح بأن مقاومة اللاعنف ضد خصم مصمم على الإبادة الجماعية ستثبت فعاليتها فقط عندما تحرض على التدخل الخارجي المسلح. أنظر اللجنة الدولية المستقلة في كوسوفو 2000).

التفاعل الاستراتيجي

إن كل إستراتيجية لها إستراتيجية مضادة مثالية. واللاعبون القادرون على التنبؤ بإستراتيجية الخصم سلفاً يمكنهم تحسين فرص النصر لديهم. أو على الأقل تكبيد الخصم خسارة عالية غير متوقع، وذلك باختيار وتنفيذ تلك الإستراتيجية المضادة والمثالية. إن "ماو تسي تونغ" على سبيل المثال، يناقش بأن الهزيمة هي نتيجة غير متغيرة عندما تكون القوات الأصلية تقاتل بأسلحة رديئة ضد أعدائها وحسب شروط الأخير[1].

و هذه الحقيقة التي يطرحها "ماو" تبين أنه عندما يقاتل الضعيف القوي، فإن تفاعل بعض الاستراتيجيات سيكون في صالح الضعيف وبعضها الآخر في صالح القوي.

و بناء على هذه النظرة الثاقبة لـ" ماو"، أرى بأن العالم ذو استراتيجيات واستراتيجيات مضادة كامنة ويمكن تميزها بين منهجين استراتيجيين مثاليين مباشر وغير مباشر[2].

إن المناهج الإستراتيجية المباشرة كمثال: الهجوم والدفاع التقليديين، واللذين يستهدفان القوات المسلحة للخصم بهدف التدمير أو الاستيلاء على قدرة الخصم الفيزيولوجية على القتال وبالتالي، تدمير إرادته، وهذه المناهج تبرز صراع جندي ضد جندي مع قواعد منظمة بالنسبة لسلوكهم والمفهوم المشترك لما يعتبر نصر أو هزيمة. أما المناهج الإستراتيجية، غير المباشرة، كالهمجية وإستراتيجية حرب العصابات، فهي غالبا تستهدف تدمير إرادة المقاومة عند الخصم وبالتالي قدرته الطبيعية[3].

تستهدف الهمجية إرادة الخصم بالقتل والتعذيب وسجن اللا محاربين.

كما إن إستراتيجية حرب العصابات تهاجم إرادة الخصم باستهداف جنود العدو. وكذلك المدنيين الذين يمكن أن يصبحوا أهدافاً أيضاً وهذا الفقد المتزايد المستمر للجنود، والمؤن، والعتاد مع فرصة ضئيلة لحل سريع، الهدف منه تحقيق توازن للقوى السياسية في أرض اللاعب الأقوى. وإن تفاعلات المنهج المتشابه (مباشر– مباشر) أو القوي. (مباشر–

1- مقتبس من ماك (176/1975 التوكيد في النسخة الأصلية).

2- هذا الاختزال للاستراتيجيات إلى اتجاهين خاصين بشكل مشترك مؤسس في مطبوعات الدراسات الإستراتيجية. أنظر (كورفيزر وتشايدز 378/1994)و(ليدل هارد 361/1997-364)و أنظر أيضاً (كولتانك 1976).

3- لتعريف مماثل أنظر (باب 106/1990-107) إذا كانت القوة المجبرة هي مصدر الإرادة والقدرة الفيزيولوجية، فعندها أي من المنهجين يمكن أن يفوز. قدرة الخصم إلى الصفر تجعل إرادته للقتال معدومة. وإنقاص إرادته للقتال للصفر تجعل قدرته معدومة.

غير مباشر) والتي تتضمن الهزيمة للاعبين الضعفاء، وذلك لأنه لا يوجد نية لتسوية الخلاف أو تغير ميزة قوة اللاعب القوي. وباستثناء معجزة في أرض المعركة فهناك تفاعلات يجب حلها بالنسبة إلى القوة المطبقة.

و على العكس، فإن تفاعلات المنهج المعاكس (مباشر – ضد غير مباشر، أو غير مباشر– ضد مباشر) تتضمن النصر للاعبين الضعفاء، لأن الضعفاء يرفضون الانشغال حيث يكون للاعب القوي ميزة القوة (حسب شروط الأخير)[1] و لذلك فهم يميلون إلى تطويل الفترة. والوقت يكون مفيدا لهم[2].

و عندما يتسبب التفاعل الاستراتيجي في تأجيل غير متوقع بين التزام القوى المسلحة وبلوغ الأهداف السياسية والعسكرية، فإن اللاعبين الأقوياء يميلون إلى فقد الصراعات اللامتناسبة لسببين:

- أولاً: على الرغم من أن كل غير المحاربين يميلون إلى توقعات ضخمة للنصر (بليني 1988) فإن اللاعبين الأقوياء في الصراعات اللا متناسبة هم سريعو التأثر بشكل خاص بتلك المشكلة (أنظر ماك 1975/181–182 وهيرينك 1986/144–145) وإذا كانت القوة تتضمن النصر، فإن ميزة القوة الغالبة تتضمن نصراً سريعا وشاملا. وكما كانت الحرب ضد الخصم تطول، فإن المبالغات في النجاح تجبر النخبة العسكرية المتزايدة على تصعيد استعمال القوة لتناسب التوقعات. ومن هنا، فإن زيادة التكلفة للصراع – التي كان من المتوقع أن تكون بسيطة– تؤدي إلى الكذب ومظهر العجز المتزايد. وفي كلا الطريقتين بالنسبة للاعب القوي الديمقراطي، فإن الضغط المحلي لإنهاء الصراع من المتوقع أن يتزايد. وتطول بذلك الحرب على الأرض بقدر ما تزداد الفرص لتخلي اللاعب القوي عن الحرب بغض النظر عن حالة الشؤون العامة للأرض.

- ثانياً: تتطلب من اللاعبين الأقوياء تجنب التكاليف المتزايدة مثل إعلان الحرب، تعبئة المدخرات، زيادة الضرائب، أو تحمل الإصابات الإضافية. وقد تؤدي هذه الرغبة

1– في إستراتيجية حرب العصابات القوات المسلحة للمهاجم يتم تجنبها فيزيولوجيا أو التورط معها حسب شروط مقبولة. وفي حصار أو حملة قصف إستراتيجية ضد دفاع مباشر في حرب محدودة، فإن القوة التدميرية للاعب القوي قد تنحرف لأن مثل هذه الهجمات تضع بشكل متغير السكان المدنيين بين المهاجمين والنخبة السياسية.

2– وعن أهمية مدة الصراع كثمن للصراع أنظر ميرشيمر 1983–24 وكادزيمباخ وهانراهان 1955–324–326

لدى اللاعب القوي لأن تغريه باستعمال الهمجية، لأنه يؤمن بأنها ستكون إستراتيجية للاقتصاد بالنفقات من أجل النصر[1].

و لكن في زمن ما بعد الحرب العالمية الثانية، أصبحت الهمجية إستراتيجية صعبة التطبيق حتى النهاية وبشكل فعال، فإن الهمجية وهي ذات فعالية عسكرية تتطلب قوات خاصة مدربة ومجهزة لإتمام مهمتها المطلوبة. وهي تتطلب، فوق كل شيء، دقة في التطبيق. وحتى النازيون وجدوا أن هذه المطالب كانت أبعد من إمكانياتهم في الحرب العالمية الثانية. فكانت النتيجة حركة ارتجاعية للمقاومة والتي زادت من تكاليف الاحتلال النازي في الأراضي المغزوة التي كانوا يديرونها[2] وحتى عندما تكون الهمجية فعالة عسكرياً فهي تكون محفوفة بالمخاطر. فاللاعبون الأقوياء الديمقراطيون يرون أن هناك إمكانية لاكتشاف سياسي محلي ووجود معارضة[3].

أما اللاعبون لكل من نموذجي الحكم اللذين لا ينتميان للقوى النووية، فإنهم يتحملون مخاطر التدخل الخارجي.

1- ألكسندر داونز يناقش بشكل مقنع أن كلا الدولتين الديموقراطية والفاشستية من المحتمل ان تخدم البربرية في هذه الظروف لأن كلا الدولتين تؤمن بأنها إستراتيجية لتوفير التكاليف (أنظر داونز 2003) إن بحثي يبين أن الهمجية نادرا ما تكون مؤثرة عسكريا (إنها تميل أن تكون غير مثمرة) وهي غير مثمرة سياسياً. أنظر أريكون توفت 2003.

2- إن النازيين فعلوا الأفضل بتطوير القوات القادرة على مواصلة الهمجية أكثر مما فعلوا في الوصول إلى تمكن وشمولية في تطبيق الهمجية القلائل والشهود غير الملقنين الذين نجوا، على سبيل المثال، من القتل الجماعي القاسي في آينساتز كروبين، نشروا أقوالا عن تلك الأعمال الوحشية. وبذلك زادوا من تكاليف الإدارة المدنية والعمليات العسكرية في الأراضي المحتلة والهمجية النازية تثير مشكلة للفرضية التي في متناول اليد. ومع ذلك فعلى خلاف أكثر أنواع الهمجية التي تعامل العقليين، إجبار وقهر (أي وسيلة لنهاية). إن حجم الهمجية النازية (التي استهدفت المرضى العقليين، المعاقين، اليهود، اللوطيين في روما) لم تكن موجهة للإكراه ولكن للتدمير بشكل مطلق للجماعات المستهدفة. لقد كانت إستراتيجية بل نهاية بحد ذاتها للنوع. والمثير من هذه الجرائم (ضد اليهود في بولندا والشرق الأدنى)كانت مبررة بأنها إجراءات مضادة للتمرد وكان ذلك في وقت لم يكن فيه شيء من هذا النوع. ومع ذلك فإن حصة حقيقية أصغر من الهمجية النازية، في يوغسلافيا المحتلة، كانت مقصودة بأن تخدم مصلحة مقاومة التمرد في الأراضي المحتلة حول خلق الـ أينزاتس كروبن وتحديات الشعب المدرب لجريمة جماعية للمدنيين أنظر (بارتوف 1992 وخصوصا روديس 2002). حول استعمال النازيين للبربرية كاستراتيجية مضادة للأخيرة في يوغسلافيا أنظر (هين 1979).

3- يؤكد " ماك" بشكل صحيح أن الهمجية يتم الحكم عليها بالنسبة إلى القوة النسبية للاعبين فاللاعبون الضعفاء يمكن مسامحتهم في حين يجب شنق اللاعبين الأقوياء (أنظر ماك 1975\186-187)

التفاعل الاستراتيجي: شرح الاتجاه

هذا ليس كتاباً عن كيف ولماذا يختار اللاعبون استراتيجياتهم، مع أنني لست في صدد عرض شرح عام للأسباب التي يغير بسببها بعض اللاعبين استراتيجياتهم أثناء الحرب، بينما لا يفعل ذلك الآخرون[1] بالأحرى، فإنني أتناول استراتيجيات اللاعب كما هي عليه ثم أرسم بتفصيل عواقب التفاعل الاستراتيجي على النتائج. وأقول ذلك فإن شرحي للاتجاه نحو تزايد فشل اللاعب القوي منبعث من توقيت التغير الأكبر في النتائج لصالح اللاعبين الضعفاء (1950\99).

ولكن بحسب منطق "كينيث والتس" ونقاشه بأن اللا قوة نظام تفاعل تنافسي يجعل هذا النظام متناسبا مع الاستراتيجيات والسياسات المتماثلة، وكما يناقش "والتس": " إن قدر كل دولة يعتمد على استجاباتها لما تفعله الدول الأخرى. وإمكانية أن تقود الصراع قوة إلى منافسة في فنون أدوات القوة. والمنافسة تنتج ميل نحو التماثل بين المتنافسين (والتس1979\127).

يعني " والتس" ما يدعى "التأهيل الاجتماعي" لأن الدول تقلد بعضها في النجاحات وتتجنب ما يمثل فشلاً. وعبر الزمن، فإن ذلك يعني أن اللاعبين سيميلون إلى التقارب حول دمج ناجح للأسلحة، المبدأ، التدريب، الإستراتيجية والتكتيك. ويقاس النجاح بما يتم به الفوز في الحرب الكبيرة الأخيرة.

و أنا أناقش بأن التأهيل الاجتماعي مهم بشكل إقليمي. وبعد الحرب العالمية الثانية ظهرت نماذج مختلفة للنجاح في أوروبا وآسيا ففي أوروبا تم قياس النجاح في الحرب بقدرة الدولة على إنتاج ونشر قوات مسلحة متحدة وذات آليات واسعة. وذلك لتدمير القوات المسلحة للخصم في مناطق مفتوحة بشكل نسبي، وأيضا الاستيلاء على الأشياء القيمة بدون حاجة إلى معارك إبادة مكلفة: بالحرب الخاطفة، وهذا النموذج تم تقليده من قبل الولايات المتحدة[2] وحلفائها الأوروبيين والإتحاد السوفيتي[3]. وفي آسيا كان النجاح

1- في 77.5% من الصراعات اللا متناسبة لا يغير أحد من اللاعبين استراتيجياته. فالفائزون والخاسرون يبقون على نفس الإستراتيجية التي بدؤوا بها الحرب.

2- أنظر كوهين 1984 \179. حول هذه النقطة.

3- من الصحيح أن القوى الاستعمارية الأوروبية الرئيسية – فرنسا وبريطانيا – كان كل منها يملك قوات مسلحة استعمارية متخصصة وواسعة قبل الحرب العالمية الثانية وفي الحربين العالميتين الأولى والثانية كانت الطبيعة الاستعمارية لهذين الجيشين يشار إليها أحيانا كأسباب لفشل قواتهما البرية في الحرب خصوصا في الأدوار الأولى. ولكن، بعد الحرب، وخلال الفترة التي حاولت فيها بريطانيا اعتماد مقياس الحرب الخاطفة لتحسين أداء قواتها لقيادة عمليات مضادة للتمرد. في حين لا يزال أكثر من ذلك في الولايات المتحدة والإتحاد السوفيتي يتم الانتقاص منه بالمقارنة إلى ما كان هناك قبل الحرب العالمية الثانية.

يقاس بإمكانية مؤازرة الصراع الطويل ضد عدو متفوق تقنياً في أراضي مغلقة نسبيا "إستراتيجية حرب العصابات".

إن صراع "ماو" الطويل للإخضاع النهائي للصين كان هزيمة. وقد قلده عن قصد متمردو الجزائر والفيتناميون والمتمردون الكوبيون والشيوعيون في مالايو، وإلى حد كبير مجاهدي أفغانستان[1].

وهكذا، فإن نموذج الحرب الخاطفة هو منهج استراتيجي مباشر في حين أن نموذج حرب العصابات نموذج غير مباشر. وعندما كان يتداخل النوعان بشكل منظم – كما حدث في الحرب العالمية الثانية – فإن اللاعب الأقوى كان يخسر في غالب الأحيان، والحقيقة هي أنه في 78% من الصراعات اللا متناسبة لا يغير اللاعبون الخاسرون استراتيجياتهم. وهذا يبين أن اللاعبين يكونون على شفا إما صراعاً مسلحاً أو هزيمة. وأنهما ليسوا أحرارا بشكل مطلق ليختاروا الإستراتيجية المثالية، وهذا الأمر صحيح لسببين هما:

- أولاً: لأن القوات والتجهيزات والتدريب وكلها متماسكة ليست أشياء لا يمكن استبدالها

و كل منهج استراتيجي يمكن تسهيله بأنواع معينة من القوى والتقنيات وإضعافها من قبل الآخرين. وعلاوة على ذلك فإن التطور ومقاضاة إستراتيجية اللاعب أو الإستراتيجية المضادة يمكن إحباطها بالمصالح التنظيمية المطوقة أو الأعراف.

- ثانياً: يعطي اللاعبون الأولوية للتهديدات.

فإذا عرفت الولايات المتحدة والإتحاد السوفيتي نفسيهما كتهديد أساسي، فإن كلاهما يكون قد حسب بأن المنطقة المحتملة للصراع المباشر ستكون قلب أوروبا. وبتبني تجهيزات مندمجة ومبادئ واستراتيجيات مفضلة لكسب ذلك النوع من الحرب يكون لذلك معنا. لكن طبيعة التهديدات يمكن أن تتغير أسرع من استراتيجيات التغير، وإن عقودا من الإعداد للفوز بنوع من الحرب يمكن أن يصبح مسؤولية مشلولة عندما يواجه

1- حول حرب العصابات الثورية لـ ماو أنظر كيدزنباخ وهانراهان 1955\322. وهاملتون 1998\18. وقد أثبتت الفكرة القومية ضرورتها ولكن عدم كفايتها لتفسير نجاح نموذج إستراتيجية حرب العصابات ضد الدول التي كانت تملك قوات للحرب الخاطفة. وإن كلا من إستراتيجية حرب العصابات بدون قومية وقومية بلا إستراتيجية حرب عصابات ستخسر في هجوم المنهج المباشر للاعب القوي.

بنوع مختلف تماما من الحروب في مناطق ومناخ مختلف. وهذا يبين لماذا خسر اللاعبون الأقوياء – وأغلبهم أوروبيون – صراعات عديدة في آسيا في الفترة التالية للحرب العالمية الثانية، كما أنه يبين لماذا لا يكون عمل الولايات المتحدة جيداً باستمرار في حروبها ضد الإرهاب.

فرضيات رئيسية:
التفاعل الاستراتيجي ونتائج الصراع:

يستكشف هذا القسم منطق أربع تفاعلات للطريقة الإستراتيجية المتميزة. كما أنه سيشرح كيف أن الفرضية المستقاة من كل تفاعل يمكن إنقاصها بشكل مفيد إلى فرضية فردية متوقعة لتفاعلات المنهج الاستراتيجي للنتائج في الصراعات اللا متناسبة.

الهجوم المباشر ضد الدفاع المباشر:

يقوم اللاعبون في هذا التفاعل بافتراضات متماثلة حول أولوية الأشياء القيمة التي يتقاتلون عليها.

ولذلك فإن كلاهما يمكن توقع موافقته على مضمون الخسارة المفجعة في الحرب، قوانين الحرب، الاستيلاء على عاصمة. ولأنه لا شيء يتوسط بين القوة المادية النسبية ونتائجها فإن اللاعبين الأقوياء يجب أن يفوزوا بسرعة وبشكل حاسم.

الفرضية الأولى:

عندما يهاجم لاعبون أقوياء باستعمال منهج استراتيجي مباشر، ويدافع لاعبون أقوياء باستعمال المنهج الاستراتيجي المباشر، فكل هذه الأشياء – لكونها متساوية– تؤدي إلى فوز اللاعبين الأقوياء بسرعة وبشكل حاسم.

الهجوم المباشر ضد الدفاع غير المباشر

على خلاف الاستراتيجيات المباشرة، التي تتعلق باستعمال القوات المدربة والمجهزة للقتال كوحدات منظمة ضد قوات أخرى مجهزة ومدربة بشكل مماثل فإن استراتيجيات الدفاع غير المباشر مثل "الإرهاب، استراتيجيات حرب العصابات، مقاومة

اللا عنف" تعتمد على قوات يصعب تميزها من غير المحاربين عندما لا يكون هناك صراع فعلي.

وكنتيجة مماثلة فإن قوات الطرف المهاجم تميل إلى القتل هنا. في حين تتمحور التأثيرات المتوقعة للتفاعل الاستراتيجي حول نتائج الصراع (الفائزون المتوقعون في الخلايا) أو إيذاء غير المحاربين أثناء العمليات التي تحاول تحفيز مقاومة الطرف الضعيف.

ومن أكثر الأمور أهمية أن استراتيجيات الدفاع غير المباشر[1] تضحي بأشياء ثمينة من أجل الوقت أنظر (كادزينباخ وهانراهان1955\325-326)[2].

و هي بالضرورة تأخذ وقتاً لاتخاذ قرار طالما أن اللاعبين الضعيفين يتابعون الحصول على وسيلة للوصول إلى ملاذ ودعم اجتماعي وفي الصراعات اللا متناسبة يكون التأجيل في صالح الضعيف.

الفرضية الثانية:

عندما يهاجم لاعبون أقوياء بمنهج استراتيجي مباشر ويدافع لاعبون ضعفاء بمنهج غير مباشر، فكل الأشياء – بمَا أنها متساوية– لابد أن يفوز اللاعبون الضعفاء.

الهجوم غير المباشر ضد الدفاع المباشر:

لأن القوة السائدة موجودة للاعب القوي تتضمن النجاح ضد خصم ضعيف يحاول الدفاع التقليدي فإن الإستراتيجية الهجومية غير المباشرة في هذا السياق تستهدف إرادة المدافع للمقاومة، ويسبق وصول القوات الجوية الإستراتيجية والمدفعية البعيدة المدى كما هو في صواريخ V1 V2في الحرب العالمية الثانية، فإن القوات المحاصرة والحصار كانت وسائل أساسية لإجبار الخصوم بهذه الطريقة.

1– أنظر دوهيت 1921 وميتشيل 1925 حول فعالية القوى الجوية الإستراتيجية في حرب الخليج الأولى أنظر طبعة 2001. ويبقى هنا خلاف صحي حول ما إذا كانت الحملة الجوية 1999 ضد حكومة سلوبودان ميلوسوفيتش تعتبر كحالة ناجحة للإكراه باستخدام القوة الجوية. ولنقاش حَول ذلك أنظر دالدر وأوهينلون 2000. ولنقاش فعالية القوة الجوية أنظر ستيكلر 2003\124-157.

2– إن حملات القصف الإستراتيجية تبدأ عادة بنية تجنب المدنيين – وغالبا إلى نقطة وضع الملاحين والطاقم الجوي في خطر متزايد مثال عند الطيران بشكل منخفض. لكن في معظم الحالات هناك حملات تتصاعد حتى يمكن تقبل ببساطة إصابات المدنيين، كما في قصف الولايات المتحدة لشمال فيتنام خلال حملة الرعد المتدحرج.

فإن حملات القصف الاستراتيجي[1] وإقرار عقوبات اقتصادية[2] هي الأشكال الأكثر شيوعا للهجوم غير المباشر ضد الدفاع المباشر عندما يكون المهاجم هو اللاعب الأقوى[3].

كما أن منطق هذا التفاعل يمكن أن يسلك أي طريق كان.

و من جهة أخرى وكما تخيل بعض منظري القوى الجوية المبكَرة مثل "دوهيت وميتشيل" فإن تهديد مهاجمة المراكز السكانية للخصم وصناعاته - بتجاوز الجيوش المطوقة أفضل من مهاجمة حكوماتهم مباشرة، وإجبار الخصم على تغير سلوكه[4].

كما يمكن أن يحول شعب ما ليكون الطرف المدافع ضد حكومتهم. وهو بذلك يجعل من العقلانية أن يجبروا قادتهم على الاستسلام والتخلص من مزيد من الأذى للمواطنين[5]. ومن جانب آخر فإن إيذاء وموت الأبرياء - وخصوصاً الأطفال - يمكن أنه يزيد المقاومة بين المواطنين الذين كانوا سابقاً ضد الحرب أو حياديين. وقد يجعلهم أقرب إلى حكومتهم بدلاً أن يبعدهم عنها[6]. وحكومة الطرف المدافع قد تبدد الثروات الأساسية

1- لقد أظهر روبرت باب بأن القصف الاستراتيجي أو استراتيجيات العقوبات نادرا ما تكون مفيدة < وهي تفيد ضد استراتيجيات اقتصادية. المباشر مثل: إستراتيجية حرب العصابات. أنظر باب 1996 الفصل السادس. وأنظر أيضا كلوت فيلتار 1989 وإذا كان باب محقا والقوة الجوية التكتيكية فعالة كوسيلة لقهر الخصم، فإن الدعم الجوي التكتيكي الذي يقبل التدمير الملازم يتقبل أن التدمير الملازم يجب أن يصبح أكثر شيوعا وأن دفاع الدروع البشرية أو خطوط المواصلات ستصبح مقاييس مضادة شائعة بشكل متزايد.

2- 3 أنظر باب 1997\90-136 إن باب يأخذ نظرة معاصرة لخلاف قديم حول فعالية العقوبات الاقتصادية لتحقيق أهداف سياسية غير اقتصادية. وهو يستنتج بأن مثل هذه العقوبات من المرجح أن تكون فعالة فقط في ظروف نادرة.

4- عندما يكون اللاعب الأضعف هو المباشر. الإرهاب والتمرد هي الأشكال المباشرة والأكثر شيوعا للهجوم غير المباشر للدفاع المباشر. وأفترض أن اللاعبين الأقوياء هم المهاجمون لأنه

1. أنا أبني وأختبر نتائج الصراع اللا متناسب.
2. إن هجوم القوي على الضعيف هو النموذج الذي كان أكثر شيوعا على الإطلاق.

5- وقد يصبح المد الدقيق مقصوداً كما في حالة قصف النيران على "دريسدين" و"طوكيو" والقصف الذري على هيروشيما وناغازاكي. إن توضيحا دقيقا لقوانين الحرب قد يجعل من الحملة الجوية الإستراتيجية التي تقبل بالدمار المتلازم(موت وإيذاء المدنيين)كجريمة حرب. إن هذه القضية الدقيقة: فقوانين الحرب تسمح بالدمار المتلازم طالما أن الدمار متناسب مع الضرورة العسكرية لتدمير الهدف. ولكن هناك قوة جوية إستراتيجية ليس لها فائدة عسكرية. وقد تم تأسيس ذلك بتعزيزات دمار القنابل المقصود. والتالي تلك التعزيزات ستشكل جريمة حرب وسيمكن اعتبارها مقصودة. وهمجيا رغم أن تعبير الدمار متلازم بالتعريف غير المقصود. وهذا الأمر صحيح لأنه بالرغم من حالات الوفاة والأذى الخاصة المسببة من هجمات لم تكن مقصودة وقد تم تقبل هذه الحالات بشكل عام واعتبرت نظامية.

6- هاري تيرتيلدوف يستكشف عكس الواقعية حول ماذا كان سيحدث لو حاول غاندي تطبيق إستراتيجية مقاومة اللا عنف ضد الرايخ الثالث لـ هتلر بدل من البريطانيين كإستراتيجية دفاع غير مباشر المماثلة لإستراتيجية حرب العصابات والإرهاب، والاعتبار التخيلي لـ تيرتلدوف هو أن مقاومة غاندي كانت سيتم سحقها وأن غاندي ونهرو سيتم إعدامهما أنظر (تيرتلدوف 2001\231-262).

بشكل واسع لتحميها من التدمير المستقبلي من الجو. وكما يجيب "باب" فإن دول الأمة الحديثة ماهرة في إعادة توزيع أعباء الحصار والعقوبات الاقتصادية بعيدا عن مصادر قوة الدفاع (باب 1997\93–109)[1] و فوق كل شيء أتوقع أن اللاعبين الأقوياء سيخسرون هذه التفاعلات لأنهم يستنفذون الوقت، ويميلون إلى الهمجية. وبعد الحرب العالمية الثانية تألق الشعور القومي وأصبحت الهمجية غير مثمرة سياسياً وعسكرياً.

و حكومة الطرف المدافع قد تبدد الثروات الأساسية بشكل واسع لتحميها من التدمير المستقبلي من الجو. وكما يجيب "باب" فإن دول الأمة الحديثة ماهرة في إعادة توزيع أعباء الحصار والعقوبات الاقتصادية بعيدا عن مصادر قوة الدفاع (باب 1997\93–109) وفوق كل شيء أتوقع أن اللاعبين الأقوياء سيخسرون هذه التفاعلات لأنهم يستنفذون الوقت، ويميلون إلى الهمجية[2]. وبعد الحرب العالمية الثانية تألق الشعور القومي وأصبحت الهمجية غير مثمرة سياسياً وعسكرياً.

الهجوم غير المباشر ضد الدفاع غير المباشر

تستلزم استراتيجيات الدفاع غير المباشر مستوى معين من كبح الحريات من طرف المهاجمين.

وعندما يستخدم اللاعبون الأقوياء لأجله إستراتيجية تتجاهل مثل هذا الكبح للحريات فإنه من المرجح للاعبين الضعفاء أن يفوزوا. في حين تعتمد إستراتيجية حرب

1– لقد شبه ماوتسي تونغ مرة العلاقة بين المتمردين والمواطنين في حرب الشعب بأنها مثل تشبيه المقاتلين إلى السمك والناس إلى البحر، إن حركة ضد التمرد الفعالة ستحتاج إلى تبديل الأراضي (جعل البحر يرشح) أو قتل وإبعاد وسجن الناس (تجفيف البحر). وكلا الأمرين سيعتبر همجية. أنظر (ماوتسي تونغ 1968\284) هذا التفاعل يمكن تمثيله كأفضل ما يكون بإستراتيجية الاحتلال. كوسوفو من 1998 إلى 1999. وذلك قبل تدخل الناتو في عملية قوة الحلفاء وبالاندماج بين القوات البرلمانية الصربية فإن القوات المسلحة النظامية لـ يوغسلافيا التي هندست عسكريا طيران الألبان بفعالية حتى أنهم دمروا أي فرصة لجيش تحرير كوسوفو أن يصبح تمردا فعالا ضمن كوسوفو.

2– كما تم التنويه إليه، فإن مشكلة الهمجية ليست في أنها لا تكسب الحروب ولكن بأنها فقط تكسب في ظروف خاصة (يمكن تطبيقها لبعض القوات الخاصة وفي سياق ضد التمرد) والهمجية هي دائما تنتج في حال ضياع السلام. وهذا اتجاه تاريخي لا يتضح حتى عودة القوات الاستعمارية إلى مستعمراتها بعد الحرب العالمية الثانية، القتل، التعذيب، والقسوة يمكنها أن تعيق المقاومة وتروع الدعم الاجتماعي السابق للحرب العالمية الأولى. ولكن بعد الحرب العالمية الثانية عنيت الطرق ذاتها بزيادة المقاومة ومن هنا كانت زيادة تكاليف الغزو وخصوصا الاحتلال. اللاعبون الأقوياء بإرادتهم أو بقدرتهم على أتباع الهمجية حتى النهاية بشكل متطرف لا زالوا يستطيعون كسب الحروب ولكن ليس كسب السلام (كالجزائر تحت قيادة الجنرال ماسو).

العصابات مباشرة على شبكة من الدعم الاجتماعي للاستخبارات، وعلى الدعم المتعلق بتحركات الجنود وتغير المواقع. في حين أن الهمجية تنفع كإستراتيجية لمقاومة التمرد بمهاجمة العناصر الأساسية لإستراتيجية حرب العصابات – التي لا تتعاكس والدعم الاجتماعي – فإنها تدمر القدرة القتالية للخصم.

الفرضية الرابعة:

عندما يستخدم اللاعبون الأقوياء الهمجية لمهاجمة لاعبين ضعفاء يدافعون بإستراتيجية حرب العصابات فكل الأشياء ستكون متساوية لذا لابد أن يفوز اللاعبون الأقوياء.

إن فرضيات نتيجة التفاعل الأربعة يوصف التفاعل كمنهج متماثل أو تفاعلات إستراتيجية لمنهج متعاكس. ويتبع ذلك أن التفاعلات الأربعة يمكن اختبارها كفرضية فردية.

الفرضية الخامسة:

من المرجح أن يفوز اللاعبون الأقوياء في تفاعلات منهج متماثل ويخسروا تفاعلات منهج متعاكس.

فرضيات بديلة

كما تم التنويه عليه في الفصل الأول، هناك ثلاثة شروح بديلة لفشل اللاعب القوي في الصراعات اللا متناسبة والاتجاه نحو الفشل المتزايد عبر الزمن. وكلا من هذه الشروح يعمم اقتراحات قابلة للاختبار. فمثلاً، إن منطق جدال نشر الأسلحة يتضمن بشكل واضح أن الأسلحة تكون أفضل للاعب الضعيف والتي تجعل من المرجح فشل اللاعب القوي المهم. وبدوره يتضمن أن الأسلحة بحد ذاتها هي عنصر قوة مهم.

وبالتوسع، فإن الصراعات كانت أقل تناسباً مما كانت تبدو (الضعفاء كانوا أقل ضعفاً في حال التسلح الأفضل).

وإذا كان ذلك صحيحاً بالنسبة للقوي. فسيكون الشر كبيراً لتقنية القوي. ولكن شهد العالم النامي بعد الحرب العالمية الثانية فشل الكثير من اللاعبين الأقوياء.

الفرضية السادسة:

كلما كان اللاعب الضعيف أفضل تسليحاً كان من المرجح أن اللاعب القوي سيخسر الصراع اللا متناسب.

أولاً: قد يقدم نقاش طبيعة اللاعب طروحات قابلة للاختبار.

الفرضية 7: 1

اللاعبون الأقوياء الفاشستيون يكسبون الحروب اللا متناسبة في أغلب الأحيان أكثر من اللاعبين الأقوياء الديمقراطيين.

الفرضية 7: 2

إن اللاعبين الأقوياء الفاشستيين يكسبون الحروب اللا متناسبة التي يستخدم فيها اللاعب الضعيف إستراتيجية غير مباشرة في أغلب الأحيان أكثر مما يفعل اللاعبون الأقوياء الديمقراطيون.

ولذلك، فإن الأهمية التي تعطيها فرضية اللا تناسق تكمن في شرح بديل لنتائج الصراع اللا متناسب في حالتين:

- أولاً: إنها تعتبر أن القوة المتناسبة توضح عدم حصانة سياسية متناسبة(القوة وعدم الحصانة تختلف مباشرة).
- ثانياً: إنها تعتبر أن نموذج الحكم لا يؤثر. لذلك فهي تقود إلى فكرتين قابلتين متناسبتين.

الفرضية الثامنة:

إن القوة المادية النسبية توضح المصالح النسبية في نتيجة صراع لا متناسب.

الفرضية التاسعة:

إن اللاعبين الأقوياء الديمقراطيين والفاشستيين يشاركون بشكل متساو في عدم الحصانة السياسية في صراع لا متناسب طويل الأمد. وتقييمات الفرضيات الخامسةو السادسة والثامنة سيتم تضمينها في القسم النهائي لدراسة كل حالة تاريخية وتقييمات هذه الحرب ستظهر في النتيجة النهائية في الكتاب..

اختبار كمي لفرضية التفاعل الاستراتيجي

حتى لو كانت فرضية التفاعل الاستراتيجي جديرة بالتصديق وسليمة منطقيا قبل أن يتم إعلانها كنظرية، فإنها بحاجة لاختبار. وها أنا ذا اختبر فرضية التفاعل الاستراتيجي في تحليل كمي لمئتين واثنين من حالات الصراع اللا متناسب والتي حدثت منذ عام 1816 وحتى عام 2003.

والهدف من ذلك هو تحديد ما إذا كانت هناك علاقة متبادلة هامة إحصائيا بين التفاعل الاستراتيجي ونتائج الصراع اللا متناسب ولكني أيضاً اختبر النقاشات المتبادلة مثل نقاش أن الضعيف كان يفوز في الحروب بعد الحرب العالمية الثانية لأنه كان يحصل على مساعدة من القوى العظمى.

الترميز والحالات

إن أفضل طريقة لترميز الحالات هي فحص تاريخ كل حرب في مجموعة معطيات (العلاقات المتلازمة في الحرب). وقد كان يتم ترميز الصراع على أنه لا متناسب إذا كانت النتائج مشطورة بين السكان والقوات المسلحة للاعب ويتجاوز الإنتاج البسيط للسكان والقوات المسلحة للخصم بنسبة واحد أو أكثر. فإذا كان اللاعب القوي يستخدم قوات مسلحة ليحاول تدمير قوات اللاعب الضعيف أو السيطرة على الأشياء القيمة " وليس تدميرها " فقد كان ذلك يرمز كهجوم تقليدي. وإذا كان اللاعب الضعيف يستمر بالمقاومة المسلحة ضد قوات اللاعب القوي في محاولة لمقاومة هجماته، فقد كان ذلك يعتبر دفاعاً تقليدياً. وقد كان ترميز الهمجية ويبقى اللاعبون الأقوياء الذين كانوا يستهدفون اللا محاربين بشكل نظامي. والذين يستخدمون الأسلحة غير المميزة. أو يتقبلون فكرة الأذى المتلازم في حملة قصف إستراتيجية بعد تعزيزات التدمير بالقنابل لا تلقي أي شك على الضرورة العسكرية للحملة ككل. واللاعب الضعيف كان يرمز له بأنه يستخدم إستراتيجية حرب العصابات إذا كان يسعى لفرض تكاليف على اللاعب القوي ذو القوة المسلحة في حين يتجنب المعارك الضارية وكل صراع ثنائي كان يتم ترميزه بأحد التفاعلات الإستراتيجية

الأربعة (مباشر، مباشر – مباشر، غير مباشر – غير مباشر، غير مباشر – غير مباشر، مباشر)[1] قبل أن يتم إنزاله إلى أحد نماذج التفاعل الاثنين (المنهج المتماثل أو المنهج المتعاكس)[2] كما أن المتغير الرئيسي للتحليل هو التفاعل الاستراتيجي البدائي مقارنة بنتيجة حصيلة الصراع. وإذا كان التفاعل استراتيجي يسبب تغيرا في نتيجة الصراع، فإن التغير في قيمة التفاعل الاستراتيجي يكون عبر عالم الوقائع. يجب أن يرتبط بتغير متماثل في النتائج وإن المتغير البدائي كان يتم ترميزه إذا خسر اللاعب القوي أو إذا انتصر[3].

إن اللاعبين الضعفاء يفوزون بنسبة 22.1% في المنهج المتماثل و74.4% في تفاعلات المنهج المعاكس وهذه العلاقة هي متميزة إحصائيا (بير سون تشي سكواريد). في حين أن تحليل تأثير الدعم الخارجي لعدم الحرب بالنسبة للاعب الضعيف لا تحبط نظرية التفاعل الاستراتيجي. وحتى عندما لا يستلم اللاعبون أي دعم، فإنهم يبقون من المرجح أن يفوزوا في تفاعلات المنهج المعاكس أكثر من تفاعلات المنهج المتماثل (بير سون تشي سكواريد).

1- إن معظم الحروب اللا متناسبة تحتوي على تفاعل استراتيجي بارز من البداية إلى النهاية. ولكن القليل منها كما في الحروب في جنوب إفريقياً وتدخل الولايات المتحدة في فيتنام، يحتوي نتائج متعددة أو تفاعلات متزامنة متعددة على التوالي وفي صراعات التفاعل المتعدد النتائج تتغير الاستراتيجيات، ولكن في توالي مؤقت فإن التغير الاستراتيجي لجانب واحد يتبعه بسرعة تغير آخر وصراعات التفاعل المتزامنة المتعددة هي تلك التي فيها لاعب فردي أو لاعب وحلفائه يناضل لتحقيق استراتيجيات مختلفة ضد الخصم ذاته وضمن مسرح فردي للعمليات. والتوزيع التجريبي لنماذج الصراع هو كما يلي:

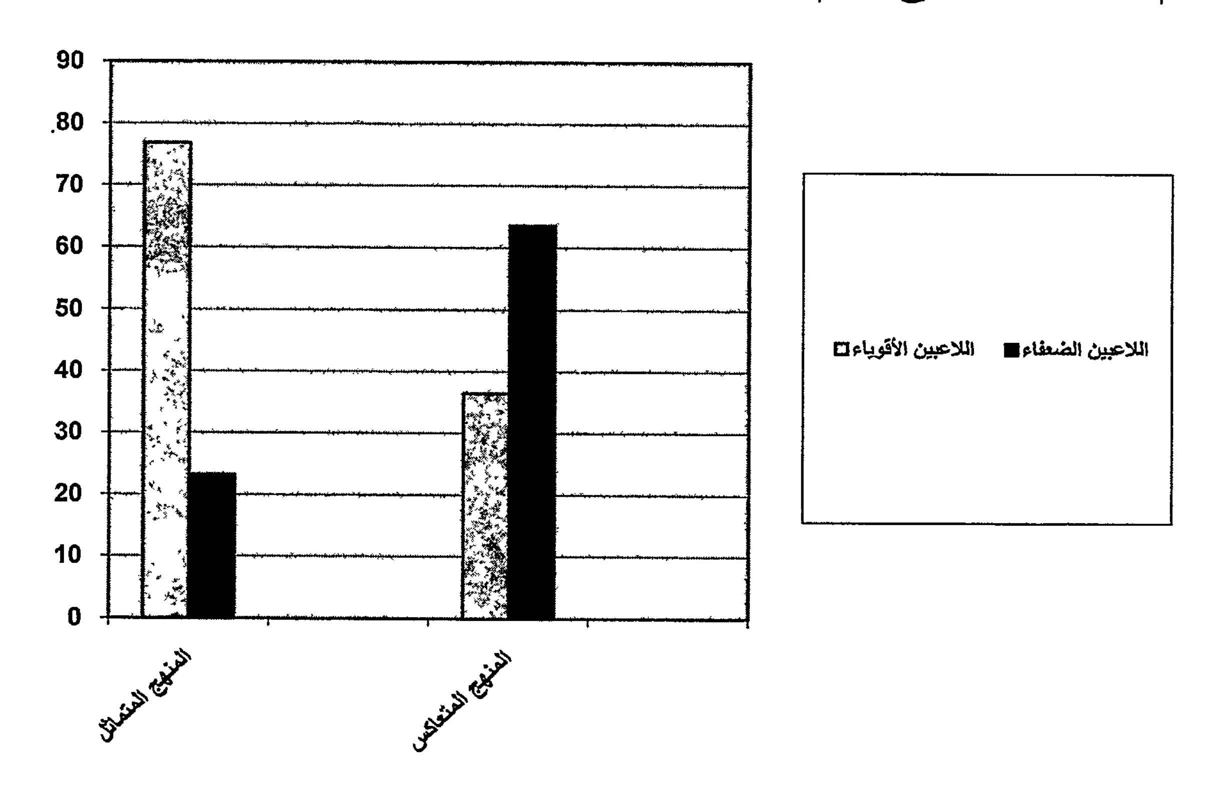
فردي / 134 (77. 5%) متعدد النتائج / 29 (16. 8%)متعدد النتائج بشكل متزامن / 10 (5. 8%) وفي هذا التحليل، فإن نتائج الصراع يتم شرحها عن طريق نتائج التفاعل الاستراتيجي.

2- وفي التحليل الرئيسي فإن الحروب القليلة نسبيا وذات التفاعلات المتعددة قد تم إضعافها إلى تفاعلات فردية وفي التفاعلات المتعددة النتائج فإن التفاعل النهائي كان يستخدم ليمثل الصراع الكلي: لقد تم ترميز حرب جنوب إفريقيا كمنهج متماثل لأنها انتهت بتفاعل غير مباشر – غير مباشر

3- وفي الصراعات المتزامنة المتعددة، فإن التفاعلات تقسم على نحو متناسب فتدخل الولايات المتحدة في فيتنام تم ترميزه على أنه منهج معاكس لأنه بالرغم من أن بعض التفاعلات كان من نوع المنهج المتماثل، فبالتوازن، فقد تقرر الصراع من قبل تفاعل مباشر – غير مباشر. والنتيجة الرئيسية لهذه الإضعاف هو اختبار أقسى لنظرية التفاعل الاستراتيجي – لأن التفاعلات المنهارة تزيد من تأثير القوة المادية النسبية على النتائج.

التفاعل الاستراتيجي ونتائج الصراع

إن الجداول المتقاطعة رسخت فكرة أن التفاعل الاستراتيجي ونتائج الصراع لا تتناسب إذا كانتا مرتبطتين معاً لأن هذه العلاقة تعتبر هامة إحصائيا "أنظر الرسم التوضيحي رقم /1/ لذا فإن النتائج تدعم الفرضية الخامسة[1].



الرسم التوضيحي رقم (1)

لقد فاز اللاعبون الأقوياء بنسبة 76.8% من تفاعلات المنهج المتماثل، وفاز اللاعبون الضعفاء بنسبة 63.6% من المنهج المعاكس. لذلك كان من المرجح للاعبين الأقوياء أن يفوزوا عندما يقوموا بتقليل الأقوياء من التفاعل الاستراتيجي في المنهج المعاكس.

و لأن اللاعبين الأقوياء لديهم قدرة مادية على التكيف مع الهزيمة أكثر من اللاعبين الضعفاء.

1- إن إحراج الشاه والصراعات المستمرة كان يتم ترميزها كخسارات للاعب القوي. بير سون تشبديل:ريد "1"

فالتفاعل[1] يعرض اللاعب القوي بشكل أكبر من هزائم اللاعب الضعيف وقد اختبرت أيضاً هذه النظرية باستعمال التفاعلات الإستراتيجية (أكثر من نتائج الصراع) كمتغير مستقل، وكذلك في عدم انهيار المعطيات التي تم تحليلها هنا.

اختبار توضيح بديل: الدعم الخارجي للاعبين الأقوياء

كم من تلك الانتصارات للاعب الضعيف كانت بسبب الدعم الخارجي[2] ومنطقياً فإن اللاعبين الضعفاء قد جذبوا الدعم الخارجي بشكل ضعيف عند الصراع مع لاعبين ضعفاء. في حين أن اللاعبين الضعفاء قد يجذبون بعض الدعم، في غالب الأحيان[3].

يمكن للاعبين الضعفاء أن يفوزوا في الصراعات اللا متناسبة بسبب الدعم الخارجي أكثر من مجرد استخدامهم للإستراتيجية المعاكسة المفضلة. في حين أن المقارنة بين المتغيرات العادية الرئيسية، بينما هي تتحكم بالدعم الخارجي للاعب الضعيف.

ويمكن تلخيص النتائج في الرسم التوضيحي /2/ في حين أن الجدولين التوضيحيين /1/ و/2/ متشابهين كثيراً، والحقيقة أن كون اللاعبين الضعفاء أسوأ قليلا يتضمن الدعم الخارجي. لكن نتائج البحث الرئيسية تتضمن أنه حتى عندما لا يستلمون أي دعم، فإن اللاعبين الضعفاء يكونون أوفر حظاً للفوز بثلاثة مرات بتفاعلات المنهج المعاكس أكثر من تفاعلات المنهج المتماثل. وبشكل أساسي فإن تأثيرات التفاعل الاستراتيجي تسوء بتأثيرات الدعم الخارجي للاعبين الضعفاء.

التفاعل الاستراتيجي واستمرار الصراع

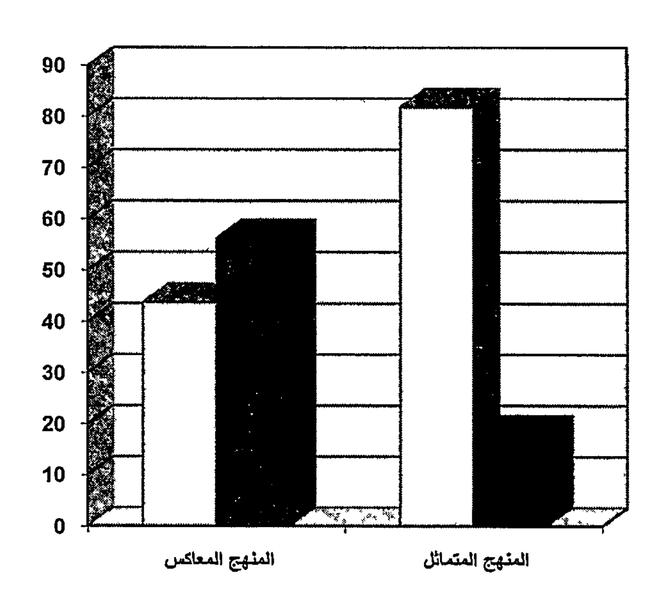
إن الآلية العرضية الرئيسية لنظرية التفاعل الاستراتيجي هي: الوقت.

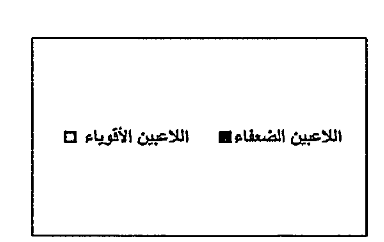
فتفاعلات المنهج المتماثل تنتهي بسرعة في حين أن تفاعلات المنهج المتعاكس لابد أن تطول (واللاعبون الضعفاء يميلون إلى كسب الحروب الطويلة).

1- تحليل العلاقات بين التفاعل الاستراتيجي ونتائج التفاعل (كما هي ضد نتائج الحرب). هذا التحليل يعطي نتائج بحث مدهشة

2- لقد تلقت الولايات الكورية. دعماً من تركيا بما في ذلك الوحدات الكورية. وذلك خلال سياق الدعم. كما تلقت دعما من استراليا خلال الحرب الفيتنامية وفي هذا السياق، فإن الدعم كان لإحداث تأثير مادي في توازن القوى المتواجد للاعب القوي. ولإقرار سياسة الولايات المتحدة وجعلها شرعية.

3- لم يكن هناك حالات كافية للإدعاء الإحصائي. الإيجابي لجعل نتائج البحث متميزة بشكل إحصائي. وكنتيجة، يمكن تقرير فقط العلاقة بين التفاعل الاستراتيجي والنتائج عندما لا يستلم اللاعب الضعيف أي دعم خارجي.





الرسم التوضيحي رقم /2/

و لأن تحليل الاستمرارية المتوسطة لتفاعلات المنهج المتماثل والمتعاكس تدعم هذا الإدعاء في الاستمرارية العادية فإن نسبة تفاعلات المنهج المتعاكس كانت 2، 27% عاماً وتفاعلات المنهج المتماثل كانت 1، 57% عاماً (1، 66 عاما كان العادي الإجمالي).

التفاعل الاستراتيجي والاتجاهات طويلة الأمد

وبلغة الاتجاه عام 1949، فإن كلاً من تفاعلات المنهج المعاكس ونجاحات اللاعب الضعيف قد زاد عملها الإضافي:

منذ عام 1800 إلى عام 1849 بمقدار 5، 9% للتفاعلات في (34) من الصراعات اللا متناسبة كانت في المنهج المعاكس.

ومن عام 1850 إلى عام 1899 بمقدار 10، 1% من الصراعات في (64) صراعاً لا متناسب كانت متعاكسة. ومن عام 1900 إلى عام 1949، فإن 16، 1% من (31) صراعاً متناسبا كانت متعاكسة. ومن عام 1950 إلى عام 1999، في 21 % في (38) صراعاً لا متناسبا كانت متعاكسة.

وباختصار، فإن تحليل المعطيات يدعم ثلاث فرضيات رئيسية تتعلق بالتفاعل الاستراتيجي نحو نتائج الصراع اللا متناسب:

- أولاً: اللاعبون الأقوياء من الأرجح أن يخسروا التفاعلات الإستراتيجية ذات المنهج المعاكس.

• ثانياً: صراعات التفاعل المعاكس – المعاكس، تستمر أكثر من تفاعلات المنهج المتماثل.

• ثالثاً: تكرار تفاعلات الاتجاه المعاكس قد تزيد في التناسب التقريبي لهزيمة اللاعب القوي الإضافية.

وهذا التحليل محدود لأن المعطيات مفقودة: كما أن العديد من الحروب الاستعمارية والمدنية لم تسجل كمية القوات الملتزمة ولا اللاعبين المستخدمين في الإستراتيجية، ورغم أن نقاط الضعف هذه تتوازن مع الضوابط الإحصائية فإن المعطيات التامة كانت ستدعم فقط العلاقة المتبادلة بين المتغيرات وليس السببية.

ومن هنا، فإن تحليل المعطيات رغم أنه قد يرخص قضية التفاعل الاستراتيجي، فإن هذه الفرضية يمكن إثباتها من خلال الاتحاد مع مقارنة دقيقة للحالات التاريخية. فإن اللاعبين في صراع المصالح يأتي كل منهم إلى ذلك الصراع بذرائع، وخطة لاستخدام الموارد الخمسة. والمساعدة من الحلفاء أو الأسلحة التي ستنتشر في وقت قريب، ومن غير الوارد أن تكون الأشياء الأخرى كلها متساوية، لأن وفرة الموارد هي شيء جيد للحصول عليه في الحرب. ولكن إذا كانت فرضية التفاعل الاستراتيجي صحيحة، فإن تفاعل خطة كل لاعب لاستخدام الموارد عظيمة كانت أو هزيلة – يتحول إلى شيء أكثر أهمية.

كيف تم تنظيم الفصول المتبقية:

إن المتبقي من هذا الكتاب قد تم التعامل فيه مع تحليل نظامي لدراسات الحالات التاريخية الخمس وكل دراسة حالة لها نفس البنية:

الخلفية: بما في ذلك الجغرافيا والمناخ. مصالح اللاعب السابقة للقتال: كيف يتم خوض الحرب ونتيجة الحرب.

المتنافس: كيف كانت القوة ونموذج نظام الحكم لكل لاعب يؤثر في مصالحه وإستراتيجيته وكيف كانت تعمل التقنية العسكرية المقارنة؟.

وهل كان هناك جانب بدون إحصائية سياسية وإن كانت كذلك، فكيف ساهمت تلك الإحصائية في نتائج الحرب[1] .

1- إن تناسب خسائر اللاعب القوي مقارنة بالنسبة المئوية المتزايدة لتفاعلات المنهج المعاكس هي في فترة الخمسين سنة النهائية أكثر منها في فترات أخرى وهذا يوحي بأن العوامل الأخرى – مثل نموذج المضاد للاستعمار، ارتفاع الشعور القومي، وانتشار أنظمة التجارة الحرة، وتدخل القوى العظمى خلال الحرب الباردة – تشرح بعض جوانب هذا الاتجاه. ومع ذلك، فإن المعطيات تبين بوضوح أن فرضية التفاعل الاستراتيجي تبقى المتميز الطارئ الأكثر أهمية.

الفصل الثالث

روسيا في القوفاز

حرب "الموريد" (1830-1859)

يعتبر رجال القوقاز العظيمة، أقوياء بطبيعتهم، كالمصانع التي يحميها الجيش ويدافع عنها. إلا أن الرجل المستهتر يحاول أن يكبر على معقل قوتها، في حين يرى القائد الحكيم ضرورة اللجوء إلى الفنون العسكرية، ووضع خطط موازية، متقدما في الخنادق والألغام، ولذلك يسيطر على المكان (فالمينوف بادلي 1908).

فعندما تدخل في معركة، فحتى لو كنت المنتصر، وتستمر لفترة طويلة فإن القوات الخاصة بك تصبح مملة وغير حادة؛ وإذا حاصرت قلعة لفترة طويلة، فإن قوتك تصبح متعبة ثم سمعت من العمليات العسكرية بأنها كانت خرقاء ولكن على وجه السرعة، لكنني لم أر واحدا كان ماهرا واستغرقت وقتاً طويلاً.

إنـها ليست مهمة مفيدة لـلأمـة لمواصلة العملية العسكرية لفترة طويلة "صن تزو" (1988).

بدأت روسيا محاولة ليّ مرفق القوقاز بشكل حثيث نحو مائتي سنة مضت. وبما أن العديد من الدراسات المعاصرة المشتركة بين السياسة تبدأ بالتحذيرات من حساسية نتائجها لفترات معينة من التاريخ[1] على ما يبدو فمن المفيد أن نقول لماذا أعتقد أن دراسة متأنية بعيدا عن الصراع لا تزال مفيدة. بل وملائمة ومن الواضح أن هناك ثمة أشياء كثيرة

1- على سبيل المثال، نظريته في السياسة الدولية، كان كينيث الفالز يقيد القوة التفسيرية بهيكلية واقعية لمرحلة ما بعد الفترة الزمنية ويستفاليا، وتقليدية في الردع، وجون ميرشيمر يقيد القوة التفسيرية بحجته لفترة ما بعد الحرب العالمية الثانية والفترة الزمنية. (الفالز انظر (1979)، وميرشيمر (1983).

عن المكان والزمان التي تبدو فريدة من نوعها على حد سواء. فطابع الحرب كان من مائتي سنة.

روسيا في القوقاز:

بعيداً عن المنطق المختلف عن منطقة الحرب العالمية الثانية ففي زمن السؤال الممتد من زمن الثورة الفرنسية إلى الحرب الأهلية الأمريكية يبرز اختلافان بشكل خاص:

• أولاً: شعور عميق من الشرف، الواجب، والمجد المرتبط بالحرب كان مصدراً رئيسياً لدوافع كل من الضباط والجنود. وكانت هذه الأشياء تنمو بقوة دافع الرغبة في المخاطرة وتقديم التضحيات وعلى وجه الخصوص، شجاعتهم في المعركة. ومن المعتقد إن الشجاعة في المعركة كانت بدورها وبشكل واسع أنها تؤثر على نتائج النزاع وهكذا فعلت.

• ثانياً: التكاليف الباهظة لحرب الموريدين من حيث الوقت (30 سنة) ويعيش فيها (أكثر من نصف مليون رجل) بشكل ما حول الأخطار المسبقة وحول معنى النصر في الحرب وإنجاز التكلفة النسبية لتحقيق هدف سياسي بوسائل عسكرية. كان لاستيلاء روسيا على القوقاز بعض المزايا الإستراتيجية الجديدة على حفظ الاستقرار على الحدود الجنوبية.

كانت المنطقة مكلفة ليتم السيطرة عليها وتجاوز الصعوبات حتى العصر الصناعي (الذي بزغ قدر كبير منه في روسيا في وقت لاحق في مكان آخر) وثروتها النفطية التي تقع بالأراضي البور.

وإذا وضعنا هذه الخلافات جانباً، فلا تزال أوجه تشابه كافية خلال فترة الحرب الموريدية لجعلها أكبر لهذا الغرض كما لا يزال هناك نظام مع أنواع أنظمة يوصف بأنه ديمقراطي أو استبدادي.

كانت تكنولوجيا الأسلحة مختلفةً عن اليوم لكن الإستراتيجية متشابهة والتفاعل بين هذه الأسلحة التكنولوجية والإستراتيجية كانت متماثلةً أيضاً، والأهم من ذلك، فالتفاعل الإستراتيجي ما كان يهم في القرن التاسع عشر وكذلك عند فوزه "بعل" في "كاتاي" في

عام 216 ق. م أو كنصر الجنرال الأمريكي "نورمان شوارزكوف " في عاصفة الصحراء في الكويت عام 1991.

مسرح القوقاز:

كانت الفكرة في أن الفضاء الإرهابي الإقليمي يمتد من قزوين إلى البحر الأسود ويشكل القلعة الطبيعية متمثلة بالمعلقين على هذا الكفاح وعلى كل من الطرفين. كما فعل نابليون من قبلهم حين عبر عن أن الذي لا يسير ضمن المسيرة لا يستطيع فعل شيء ضدي فأنا لا أقارن نفسي بدول ذات السيادة، فأنا شمائل أفكاري عادية (بلانش 1960 – 129).

وفي الواقع، كانت جبال داغستان بمثابة نوع من المحافظة على إبقائه الداخلي، وهي في الواقع آخر سد عائق للكسب في حين أن التلال والغابات الكثيفة في الشيشان كانت بمثابة نوع من الجدار الخارجي للخندق وكحواجز عصية على الغزو (بديلي، 1908: الخامس والثلاثون).

إن عدم وجود طرق وكثافة الغابات في الشيشان وقلة الطوارئ كانت تضعف سلاح الفرسان وفي الوقت نفسه فإن الكشف عن خط المسيرة كان يبدو وكأنها لا نهاية لها من أجل مهاجمة المعاقل الجبلية لهزيمة الروس، لقد طرح خبراء الألغام والمدفعية الثقيلة مسحوق الرصاص وتطلب ذلك قدراً كبيراً من قطع الميدان والموارد السوقية وهذه بدورها تتطلب إجراءات أمنية مشددة حيث كان الروس يعانون من البطء في التكيف على الرغم من التأثيرات المختلفة أمام الحرس المتقدم وراء الخطوط الخلفية وعلى كلا الجانبين، عند التخلي عن المدفعية والإمدادات يصبح التنقل أسهل، ولكن عند الوصول إلى المعاقل الجبلية سيكون من المستحيل عليهم التمسك بمواقفهم، وستضعف قوتهم لكن روسيا تكيفت مع صعوبات تضاريس القوقاز بطريقتين:

- أولاً: من خلال قطع الأشجار.
- وثانياً: عن طريق بناء الطرق والحصون ويقول المعلقون من نواح كثيرة مقنعة أن الشيشان وداغستان سقطتا على الفأس ولكن ليست بحد السيف، فإستراتيجية تغيير

التضاريس نتيجة منطقية وإستراتيجية مكافحة التدمير التي استخدمها "يرمولوف" كقطع الأشجار وإزالة الغابات. وهذا ما قامت به الإستراتيجية الأمريكية في وقت لاحق من تجريد ورق الشجر لمناطق كبيرة من جنوب وشمال فيتنام فضلاً عما فعله الرئيس العراقي السابق "صدام حسين" في تجفيف مياه المستنقعات في جنوب العراق لاحتواء وتدمير الميليشيات الشيعية المتمردة التي كانت هناك بعد كل مزاياها الدفاعية من جبال وغابات فهي لم تشكل لها مصدراً للقوة بشكل واضح وصريح بل على العكس تماماً فهي تبرهن أن صعوبات التضاريس والمناخ قد فأقمت الأوضاع، وبذلك يزداد تأثير كل من العرق واللغة والتفاصيل الأخرى(بدلي1908).

ووفقاً (لبدلي) فإن "الموريدين" سوف يفوزون طالما كانوا قادرين على الحفاظ على جبهة سياسية موحدة على أن انشقاق التحالف سيؤدي في النهاية إلى تهلكتهم، فإذا كان هذا صحيحاً فإن تضاريس الشيشان وداغستان قد قدما عرضاً شاملاً للميزة العسكرية، ولكن بدون الميزة السياسية كخلفية غزو روسيا للقوقاز والذي وقع على ثلاث مراحل:

- المرحلة الأولى: وقعت أثناء حكم "بطرس الأكبر" ومباشرة بعد أعقاب نجاحه في الحرب مع السويد في عام1721م والاستفادة من الغزو الأفغاني لبلاد الفرس، قاد بطرس الأكبر بنفسه حملة الجنوب وحقق نجاحه في نقل سيادة مختلف المناطق الإدارية من سلطة الفرس إلى روسيا. وفي هذه المرحلة ظهر هناك نزاع عسكري صغير جداً وذلك بعد صد النزاع الذي حصل والذي يمكن أن نتنبأ بما يلي في كل من غابات الشيشان وغابات وجبال داغستان حيث كانت روسيا قد شهدت صعوبات (غامر1994\2\) ولكن نجاح روسيا في هذه المرحلة كان يرجع في الحقيقة إلى أن نزاعها كان في المقام الأول وليس مع أيا من الشيشان أو الأفكار \الاثنية الرئيسية لقبيلة داغستان\ القديمة وانجازها في غضون أشهر قليلة لكن فرحة الروس بالنصر قد تضاءلت ليلاحظ كيف أن الفرس سروا بشكل عظيم بأنهم يمكن أن يضعوا أيديهم على الروس ولكن هذا القلق كان غير نافع، وفي التحليل الأخير تماما – الأرض المستقلة عن قطاعي الطرق (اساد1931\213).

- المرحلة الثانية:وقعت أثناء حكم "كاترين الأكبر" في عام 1693م فهي التي أنشأت غابات "الموزليك في قلب (كاباردیا) وبعد14عاماً من النضال الشاق كانت(كاباردیا)،تفتح وتحتل من قبل فوج جديد من "الكوزازك المزدوك "القوقازي في حين كانت حروب أخرى تدور من خلال التوسع في عهد "كاترين" احتلت "جورجيا"

لفترة قصيرة ثم تم التخلي عنها، لكن التدخل الروسي في القوقاز بقي غير متحمس لذلك، حتى قبل موتها ولكن عندما قام البربر بنهب "تفليس" كانوا قد استفزوها لتعلن الحرب على الفرس حيث كان الروس قد هزموا الفرس في كل مكان، لكن "كاترين" ماتت أثناء الحرب فقام ابنها– وريثها– "بول" بسحب القوات الروسية من القوقاز ليتخلى عن كل الممتلكات الروسية هناك، ومع ذلك وبعد وفاته في عام 1800م فإن ابنه "الكسندر" وافق على عروض التنازل عن السيادة الجورجية لصالح روسيا بعد وفاة العاهل الجورجي، إلا انه توفي عام 1800 م – وإيذاناً ببدء الروس لمدة سنتين من محاولة لقهر القوقاز– فإن ضم جورجيا كان مثل ضم "منشوريا" في وقت لاحق من قبل اليابان وذلك في عام 1891م حيث حرضت مجموعة من الالتزامات العسكرية المتصاعدة، والتي كانت تتضمن توسيع نطاق المنطقة العتيدة من أجل الحفاظ على ما لدينا لنا – توسيع نطاق الحصول على المزيد من الإيرادات ولكن كان علينا أن ننفق من الموارد لتوسيع نطاق الملكية الواهية، ولذلك علينا أن نتوسع ثانية للحفاظ على ما لدينا.

كانت الفترة الممتدة من عام 1800م وحتى عام 1815م وقتاً صعباً بالنسبة لروسيا في القوقاز وبصفة خاصة في الغرب، وحيث كانت روسيا تحكم القانون فإن ضم جورجيا كان من الصعب تحقيقه بشكل عملي للإمبراطورية الروسية التي واجهت الحرب ضد العثمانيين وضد الفرس ولا حتى هزيمة نابليون كانت قادرة على تحويل الاهتمام المتواصل إلى الجنوب.

المرحلة الثالثة والأخيرة:كانت تبدأ من منطقة القوقاز وبقسوة وعنف، وظلت هكذا حتى عام 1816م واستمرت حتى إلقاء القبض على (شامل) في عام 1859م لكن هذه الحرب جاءت في نهاية المطاف لاستيعاب كامل اهتمام الإمبراطورية الروسية مع حياة العديد من الموهوبين ومن أحب الشعراء ومئات الآلاف من الجنود العبيد وفي هذه المرحلة الثالثة كانت هناك محاولات الغزو التي تشكل المحور الرئيسي لهذا الفصل في التمهيد لحرب "يرمولوف – فيلمينو–الهمجية" وذلك عندما انضم "ميخائيل يرمولوف " لجيش الجنوب في عام 1816م حيث كان اسمه أسطورة في صفوف الجنود الروس ولم يقتصر الأمر على هذا الأسد الروسي العملاق والتبجيل الروسي العام لاندفاعه وشجاعته في العديد من الاتفاقات مع نابليون حيث كان قد منح صليب "سان جورج" وهو في سن السادسة عشر، وكما تمت ترقيته إلى رتبة عقيد في الجيش بعد معركة "استر لتيز " في عام 1805 م

لكنه ظل يتذكر وللأبد كما كان من القادة المحبوبين من قبل الجنود فهو قادهم (بدلي1908\95\) إلى نصر كبير، وحيث كرس "يرمولوف" نفسه للقيصر ولداره ولمجد روسيا، في حين تلخص "بدلي" هدفه على هذا النحو حيث كانت فكرة "يرمولوف" الرئيسية هي أن كل القوقاز يجب أن يصبح جزء لا يتجزأ من الإمبراطورية الروسية وكذلك أي وجود مناطق مستقلة أو شبه مستقلة أو أي نوع من التجمعات سواء كانت مسيحية أو مسلمة أو وثنية.

كانت المناطق أو الجبال والسهول تتعارض مع المعارض في كرامة وشرف سيده "القيصر" وسلامة ورفاهية شعبه (بدلي في 1908\99–100) كما هي إستراتيجيته لانجاز هذه النهاية، فقد كان من الصعب على "يرمولوف" أولاً وأخيراً أن يأتي ويفعل بناء على ما يعتبره مثاليا لإستراتيجيته مكافحة الهمجية فالفكرة كانت في تقسيم المنطقة لزعيمهم وذلك إلى مناطق اصغر للهجوم على كل منها وتدمير الأجزاء – المناطق المقسمة– من قبل الجنرالات الروس الذين يقرروا وبنظام قاس وشديد الانتقام من المواطنين الأصليين الذين لا بد من كسرهم وتدمير قراهم ومحاصيلهم وردم آبارهم وقطع أشجار البساتين وتقليل الكروم كما ويجب أن يقدموا بجهنم بحسب الجنرالات وليس يجب أن يعطى للعثمانيين دور وليس يجب في أي وقت مضى أن يسأل أي من المقاتلين عن أي شي ء كما أن الحملة يجب أن تقدم بوثيقة دون مزيد من التأخير (بلانش 1960\23\).

كانت إستراتيجية "يرمولوف" بسيطة للحصول على اتقاء الداخل – فالجبال كانت معاقل الداغستان– وكانت الأولوية الضرورية إخضاع الشيشان، ولهذا الهدف بدأ "يرمولوف" ببناء قلعة تدعى "غروزني" وتعني حرفياً "الخطر" واستخدم "يرمولوف" غروزني كقاعدة لمجموعة عملياته من الغارات على جماعات الشيشان، وهذه الغارات كما هو ملاحظ أعلاه كانت تهدف لغزو الشيشان قبل تدميرها لتصبح جزءا من سلطة القيصر أو لجعل الشيشانين يعانون ويموتون وهذا يعني كل رجل وامرأة وطفل.

ولفترة من الزمن، فقد بدا أن "يرمولوف" قد نجح في خطته – حيث قطع الأشجار وبنى الطرق واستكمل الطريق الممتد من بحر قزوين إلى البحر الأسود، ودمر القرى والحصون الجبلية حيث أصبحت مجرد أنقاض، وواجه القبائل قبيلة بعد قبيلة لإخضاعهم لروسيا، ولذلك، فقد بدا عظيماً بقوة عزمه. وبنهاية شهر حزيران من عام1820 أعلن خضوع داغستان للقيصر والتي بدأت كانت قد بدأت في العام

الماضي، واكتملت الآن، فهذا البلد فخور ومولع بالحروب، وحتى الآن لم يقصر وقد سقط " يرمولوف " في القدم المقدسة الخاصة بالجلالة الإمبراطورية كما أشار إليه "بدلي 1908\138" وإن كان يمكن له أن يفكر في وقت تقديمه لإثبات سابق النجاح يتلوه نجاح حتى عام 1824 حيث بدأ "يرمولوف" ينتبه لإشاعة التعصب الديني مخضعا داغستان وقيادتها الدينية وقد شهدت الشيشان انتفاضة في كانون الأول 1825 بعد موت "الكسندر الأول" على غير المتوقع وكان "يرمولوف" يفكر أن أخاه القيصر "قسطنطين " قد قبل التاج وقسم قيادته إلى "القسطنطينية" ولكن "يرمولوف" كان مجهولاً على كل حال، حيث رفض "قسطنطين" أن يأخذ التاج، ولذلك مرره إلى ابن "نيكولاس" " القيصر" في حين أن التزام "يرمولوف" للقسطنطينية قد أيقظ "نيكولاس" ولكن عدم السماح له بالاستمرار في القيادة لعام آخر وانضمام "نيكولاس" قد سجل نهاية لسيرة "يرمولوف" الذي طرد واضطر لأن يتسول من القوقاز تراثه لمناضلة القوقاز وتوحيد الشعوب. ومن جهة ثانية، فقد قام "دفالمينوف "باختراع فيالق القوقاز، وفي سلسلة من الحصون التي كانت حاسمة لقواعد الاحتلال في وقت لاحق في الشيشان وداغستان. .

و من جهة أخرى فإن إستراتيجية الهمجية المباشرة قد عهدت الطريق لظهور جهة المعارضة من "الموريد" والشامل والتي لم يذكر أن كان لها مثيل على مر التاريخ من الشعب القوقازي في صلب جهة القتال وجهة المعارضة الروسية السيادية ومصالح روسيا خلال حرب "الموريد" الإمبراطورية الروسية المترامية الأطراف حيث كان من حكم "بطرسبرغ "قبل سنتين متتاليتين القياصرة "نيكولاس الأول" من 1826 إلى 1855 و"الكسندر الثاني" من 1855 إلى 1859 وإن كان يميل إلى الفردية فإن القيصرية تمثل عكس الفلسفات السياسية والاجتماعية التي تسعى للإصلاح.

كان القياصرة ككل يتقاسمون نزعة السلطة المطلقة العلمانية والدينية خلال حكمهم لمصالح روسيا العظمى والتي وضعت بنظام خاص حكومي وحيث السلطة التي كانتالميزة الكبرى في روسيا والتي تكمن في نظام الحكم، على أن السلطة الاستبدادية التي، إلى جانب وجود العبودية، قد مكنتها من ملء صفوف الجيوش في البلاد، ولكن الأهم من ذلك، لتأمين طريق الفتوحات ولشبكة واسعة من تسوية الأراضي القوقازية. (بديلي 1908:236)

كانت الحيازة العسكرية ووضع الخطط الجديدة أمراً بالغ الأهمية، لأنه في كثير من وسائل روسيا فقد كان النظام يشكل الأساس للحكم منذ القرون الوسطى. إلا أقلية ضئيلة من مواطنيها كانوا يعرفون القراءة والكتابة، والنظام العبودي والرق.

و في الواقع، فإن روسيا في ذلك الوقت لم تكن تمارس النفوذ الأجنبي أو العسكري كما يجب. فلم يكن هناك مركزية واسعة النطاق لجمع ونشر التقارير عن وقوع خسائر بشرية.

وأخيراً، لم تكن روسيا الاجتماعية والنخب السياسية والقوقاز تشارك في هذه الحملات، بل وإنه يمكن القول إنهم غالبا ما كانوا رومانسيين ولا أكثر وضوحاً، والدليل على ذلك أن هناك حاجة إلى أكثر من الرومانسية كقصائد "ميخائيل" وقصص القوقاز "لرمنوتف" كأن نوع العظمة الروسي الذي هو تعريف مطلق للفاشية "السلطوية" في حين كانت مصالح روسيا في القوقاز بسيطة لإخضاع وضم وتحويل وتهدئة هذه المصالح التي لم تتغير بشكل مؤثر منذ عهد القيصر " بطرس الأكبر" ولم تتغير خلال مجرى الحرب. اهتمامات الموريد في عام 1816 كان يمكن وصف خصوم روسيا في القوقاز على أنهم أفضل القبائل المستقلة وكل منها قاوم الاندفاع الروسي بشكل منفرد على الرغم من أن معظم المناطق المسيحية في نهاية المطاف قد تمت رشوتها أو أجبرت على القسم بيمين الولاء لروسيا ومناطق المسلمين عموماً وقد تم التعامل معها في روسيا بوسائل عسكرية (غامير1994) بغض النظر عن العقيدة أو اللغة أو الولاء أو مهما يكن هذه المناطق بشكل عام كانت تحكم من قبل الأسر الحاكمة بشكل وراثي وبمصطلحات قيصرية فكانت أنظمة (غاشمة متسلطة) وعليه، يجب أن يضاف على أنه ولغاية حلول الفترة الموريدية لم تكن هناك قبيلة واحدة من العائلة المالكة تتمتع بقدر من السلطة مقارنة بسلطة قياصرة روسيا وبدلاً من ذلك فقد كان الحكام يتبعون سلطة مقيدة بقوانين قديمة تدعى "اداتس" والتي – من بين الأمور الأخرى– حددت مكافأة مناسبة وعقوبات قواعد سلوك الجنسين، كما أن " الاداتس"تلك قد أسست لممارسات مختلفة ولضغينة الدم والثأر من جديد وذلك حتى حلول الفترة "الموريدية" التي قامت بتوحيد المقاومة للاندفاع الروسي – ولو انه كان مستحيلاً بعد عام 1830 – فالمناطق غير المسيحية والخانات في الشيشان وداغستان كانت تحت سيطرة مطلقة للحاكم الذي كان مثل القيصر يدعي العلمانية والسلطة الدينية "كغازي محمد " الذين عين إماماً لداغستان في عام 1830 وعقيدته سميت بالموريدية

(انظر أدناه) وعند وقوع المعركة التي سميت معركة "كريمي" في تشرين الأول/اكتوبر من عام 1832 كان "غازي محمد " لا يزال على قيد الحياة في هذه المعركة، كما لو كانت معجزة، وعلى الأخص بعد أن جرح على يد أعدائه. وفي تشرين الثاني/نوفمبر من ذات العام 1832 أصبح "حمزة بيك" إماماً ثانياً لداغستان، والذي قام – مثل سلفه– بنشر العقيدة "الموريدية" ووقد عززت أفعاله العسكرية بالتخوم الرئيسية المساعدة بين القبائل القوقازية المتذبذبة – حتى حمزة بيك الذي لاقى اللوم الكبير لغدره وإسقاطه "غازي محمد"في معركة "كريمي"– تمت إزاحته بتهمة الخيانة وذلك في شهر أيلول/ سبتمبر 1834 حيث تم تعيين " شامل" إماماً ثالثاً لداغستان وكانت البطولة في أن يبقى ممسكا بالسلطة لخمسة وعشرين عاما لم تكن مبالغة في مصطلحات السلطة المطلقة لقيادة "شامل" لكونها عادلت بسرعة سلطة القيصر نيكولاس الأول الذي كان يمثل خصمه الرئيسي قبل حلول الفترة "الموريدية".

قاتلت القبائل القوقازية ضد الروس بتكتيك بارع، لكن ارتباطات الاستراتيجيات كانت غير منسقة باهتماماتها في مثل هذه الهجمات، بل كانت للكسب أو الشهرة الشخصية. وبعد حلول الفترة "الموريدية" نظم "شامل" الموريدين في نظام الحرب "السفسطائية" على أساس نظام العشرات فالعشرة الأكبر يكون لديهم نواباً من أشهر القادة والأتباع المخلصين للجنرالات، والذين يقود كل منهم مئة منظم من الذين يضمنون ولائهم، والذين بدورهم يتوددون إلى نواب أقل شاناً أو مرشدين تكتيكيين مهرة برتبة "قباطنة" فالرجال المتطوعون والضباط – على حد سواء – كانت تحركهم العاطفة والحرقة لتحرير أراضيهم من الكفرة! فعندما يربط المصطلح نفسه المعنى العلماني والديني غير المسلم بدلاً من أن يكون الكسب والشهرة هدفاً للارتباطات، فقد أصبحت نتاجات لخدمة الله، وكانت هذه المصطلحات أو هذه الخدمة تعرف من قبل إمام " الموردين" الناطق بلسان "الله "فقد كان الخمر مسكراً غامضاً وقوة مطلقة – حتى بعد أن صارت للروس مرادفاً للمقاومة – إلاّ أنها كانت بتغير متنوع، كان هناك "الموردية" وبعض أصحاب الطريقة من الذين لم يحملوا الأسلحة للموردين من الذين خاضوا الحرب المقدسة بتعصب ولهؤلاء الذين استمروا هناك لم يكن هنالك تفسير آخر لتعاليم النبي إذا كان العيش بسلام يعني الخضوع لقانون الكفر، وعلى هذا فإنه لا سلام. بينما ارتأى بعض أتباع الطريقة أن يحقق العنف وتواجه القوة لكسب بعض الملاذ الروحي الداخلي، ولكن

هذا لم يكن ضمن العقيدة التي جاءت بسهولة إلى القبائل القوقازية المتقدمة، ذلك لأن أغلبهم قد فسروا أن هذه المسألة والطريقة أيضاً يجب أن تعدل وتتكيف لتلبية المزيد من الميول القتالية للمعسكرات الإسلامية التي وعدت بالانتصار على العدو الكافر (بلانج-1960-\58-59) وهذا التحليل الرائع يذكر بالفلسفة الدينية "للموردين" التي لم تطلب المقاومة المسلمة، ولذلك لم يتم تواصل "الموريدية" في داغستان ولا انبعاثها في عام 1920 والذي يفسر معالجة الحل للقبائل القوقازية لمقاومة الامبريالية الروسية وعلى أنه التغيير الخاص للحربية بنجاح الأمة والذين جعلوا "الموريدية" القوة الكاملة، وأصبحت القوة هي التي صنعت السياسة وجعلت الوحدة ممكنة، وكرست مفاهيم التضحية بالنفس في حين كان انضمام "شامل"علامة فارقة للتحويل بمعادلة القوى المضادة لروسيا وتحويل للمصالح من الشهرة والمجد والغنيمة إلى طرد الكفرة الروس من منطقة القوقاز وتأسيس حكومة رجال الدين التي تحكم الأراضي من البحر الأسود إلى بحر قزوين.

حرب الموريد:

كان تعداد سكان الإمبراطورية الروسية في عام 1816 حسب الإحصاء المعطى من قبل" سنكر وسمول ما يقارب واحد وخمسين مليون نسمة منهم ثمان مائة ألف يحملون السلاح (سنكر وسمول 1983) في حين أعطى "غامير" الرقم الكلي المخصص لمنطقة القوقاز وهو (30.000 نسمة) وذلك عام 1830 وقد تصاعد هذا العدد إلى نحو (200.000) وذلك في عام 1850 (غامير 24/1994) في الوقت الذي لا يعين فيه "غامير" فترة زمنية هنا، لكنه يفترض أنها تعني (أثناء العام 1830).

كما ويلاحظ أيضاً أن أكثر من 80% من هذه القوات كانت من وحدات الجيش النظامي (انظر أدناه) ولاحظ عدم وجود أي تغير في القوة النسبية بالإضافة إلى التحول الكبير في عدد الجنود الروس ليكونوا جاهزين للقتال.

وبالفعل تشير الوقائع إلى مقترحات (ماك) بأن هناك صلة بين القوة النسبية والمصالح النسبية الضعيفة وذلك في أحسن الأحوال. كانت قبائل القوقاز تعني الشيشان وداغستان

فقط كما سيتضح أدناه حيث أنه في هذين المجالين تتشكل منطقة جغرافية، وخلال هذه المرحلة من الصراع غير المتشابهة، والتي نحن مهتمين فيها.

لا يوجد هناك تعداد سكاني مقنع (مُرضي) ولا تعداد مقنع للقوات المسلحة ولا بيانات لقبائل القوقاز بالرغم من أن "غامير" يقيم العدد بنحو (200.000 نسمة وأربعين أو خمسين ألفاً) على التوالي فإن "غامير (1994، 22)" وبناء عليه فليس ثمة خلاف فيما يتعلق بتناسب القوة المادية بين هاتين الجهتين حيث أنه من الواضح أن روسيا هي القوة الفاعلة والموريدين كانوا الطرف الضعيف. أظهرت حرب الموريدين تداخلات إستراتيجية مختلفة:

التداخل الأول: أنه منذ عام 1827 وحتى الآن، كان مجمل الموريدين يتبعون أسلوب حرب العصابات (GWS) بشكل مستمر. التداخل الثاني: بدأ من عام 1845 إلى عام 1855 وهو يتزامن مع انضمام (فورون زو فوَ فريتاج) إلى القيادة، حيث أن بداية هذه الفترة أظهرت الإستراتيجية الهجومية المباشرة للروس ضد مقاتلي عصابات الموريد(GWS) رغم أنها انتهت بعودة القوات الروسية إلى الهمجية. التداخل الثالث: والذي بدا من عام1855 وحتى عام 1859 وتزامن مع انضمام كلا من (بريتنسكي ويفدوميكوف) إلى قيادة الجيش وبحلول هذا الوقت، فإن الإستراتيجية الرئيسية للقوات الروسية قد تحولت إلى الهجمات المباشرة تارة واستمالة الطرف الآخر تارة أخرى، في حينبدأت ولاية (باسكي فيتش) بعدم التيقن، وحيث أنه ورث بدايات الثورات التي كانت تعتمد على حرب العصابات (GWS) الوحشية والهجوم التقليدي ضد مقاتلي القومية الدينية والتي كانت للمرة الأولى قد أظهرت من أن روسيا عليها أن تهزم، فبداية ولايته كانت هكذا ولكن مع كل ما يبدو فإن غزو داغستان يتزامن مع ارتفاع النزعة "الموريدية" لسنوات من عام 1827 وحتى 1830 والتي كانت قد مرت بهدوء وكانت كافية لإنهاء الصراع.

على الرغم من أنه – وأثناء طيلة هذه الفترة كلها– كان أئمة الموريدين الكبار حكماء ومجتمعين بقوة وأيضاً أتباعهم وذلك في جميع أنحاء القوقاز وخلال عام 1831م أيضاً، إلا أن "محمد غازي" الإمام الأول في داغستان كان قد حشد مجموعة ضخمة من القوات المخصصة والتي بدأت بغارات على القبائل المتحالفة مع روسيا.

ولكن، على الرغم من أن "الموريدين" كانوا قد حققوا بعض النجاحات، إلاّ أنه ثبت أن تلك المحاولات قد فشلت.

كان الإمام "محمد غازي" رجلاً متعلماً ومبجلاً، لكنه ببساطة كان يفتقر إلى الشخصية القيادية وإلى الإستراتيجية والمهارات اللازمة لاستغلال والحفاظ على انتصارات الحلفاء. وما يظهر من حسابات المعارك خلال هذه الفترة المبكرة هو فكرة أهمية سمعة التحالف لجنب الدعم.

كان لدى القوقاز – منذ عام 1830 – المزيد من الحلفاء حول العالم فالنجاحات تعني كسب الحلفاء والفشل يعني العزلة، ولكن فشل "محمد غازي" النهائي جاء بالدفاع البطولي – حتى الموت– عن منطقة "جيرمي" والتي فقد فيها حياته.

وعلى الرغم من استشهاده، فإن "شامل" الذي كان تلميذه ورئيس هيئة الأركان تمكن من الفرار. وهكذا، فقد كانت القوات الروسية ترد على هذا التهديد الديني في داغستان والشيشان وتجدد همجيتها بالنار والسيف، كما وزرعت بالكراهية ورويت بالدماء والآثار ما زالت ظاهرةً بعد سبعين عاماً (بدلي 275/1908) مما أدى إلى الأثر النهائي لهذه السياسات، وهو لضمان بقاء "الموريدين". لم تكن روسيا حينذاك قد اكتسبت القدرة بعد على مواصلة الوحشية على النطاق الذي يلحق الضرر بالموريدين، وحيث كان " شامل" قد شفي بشكل تام من جروحه في وقت قصير، في حين كانت الغارات الروسية الانتقامية كفيلة لاستعداد الجمهور لسماع رسالته.

ومنذ عام 1830 وحتى عام 1837 فقد أصبح "الموريدون" أكثر قوة، وتوحدت القبائل أكثر وأكثر وهدموا بذلك صورة روسيا التي لا تقهر عسكرياً، وحتى الانتصارات العسكرية الروسية فقط قد أصبحت تعزيزاً لقبضة "شامل" (بدلي 305/1908–304) وعلى الأخص بعد أن تحداها مراراً وتكراراً.

كانت إستراتيجية روسيا المبتكرة هي قتل الجميع وتدمير كل شيء، ولكن النتائج جاءت عكسية.

عادت الحملة من جديد، لكن ذلك كلف "فورنزوف" ثمناً باهظاً. فبعد الوصول لقلعة "شامل" فقط فوجئ بأمور لم يكن يحسبها بشكل سليم، فقد فوجئ بحجم الخراب، وقد كان الموقف بالنسبة "لفورنزوف" واضحاً له: وقد تلخص في أن العزلة التي شاهدها لم تكن سوى تكتيكاً، فقد كانت الجبال المحاطة من كل الجوانب مليئة بأعداء فطنين ومعززين.

و قد أدرك أنه لكي يستعيد السلطة فإنه يحتاج إلى معجزة، ولذلك، فإنه سرعان ما أعطى أمراً بالانسحاب وبدأ بالتراجع.

وبشكل لا يصدق غالباً، فقد كان انسحاب "فورنزوف" توسلاً من نفس الالتزام الأعمى للأمثلة التي كانت تقريباً قد دمرت ذلك الامتداد الهش.

ومرة أخرى، أصبحت الأعمدة منفصلة من جديد، فالموريدون الأذكياء قطعوا الطريق وزادوا من العزلة للشريط، عندما كثرت المصائب، ونفذ الطعام والذخيرة، قام "فورنزوف" بإرسال خمس رُسل لطلب المساعدة من الجنرال "فورتيج "، وبشكل مدهش، فإن الرُسل الخمسة وصلوا إلى القيادة وقد أُرسلت المعونة معهم بدون تأخير من أجل التخفيف على "فورنزوف" المحاصر. وحسب " غامير"فقد مُني "فورتزوف" بخسائر في الأرواح قدرت بأكثر من (984)قتيلاً – والذي كان من بينهم ثلاثة من القادة– و2753جريحاً و179مفقوداً و3 مدافع ومبلغاً كبيراً من النقود بالعملة المعدنية وكذلك جميع حقائب الحملة (غامير 1914: 156). كانت رؤية الجنرال "فريتج" قد أنقذت حملة "فرونزوف" الذي أقرّ بها بعد إعلانه المبكر لطلب المساعدة، إلاّ أنه شرع بعد ذلك بتنظيم المزيد من التدمير المنهجي "لشامل" وما تبعها من احتلال القوقاز، على مدى العقد المقبل، وهذا ينطوي بحد ذاته على تعقيدات أكثر أو أقل فتكاً من إزالة الغابات في الشيشان.

كان عام 1845 علامة فارقة على ذروة سلطة "الموريد" وفي عام 1846 حاول "شامل" القيام بهجوم عسكري تقليدي ضد مواقع روسية في "كابريدايا" آملاً من أن شعب "كابريديا" سينهض عفوياً لدعم "الموريدين" ثم تابع ضربته الجريئة مستكملاً بضرب الاتصالات الروسية بشكل قاسٍ بينما ترك "الموريدين" لبسط سيطرة مستمرة على الفضاء الجغرافي بين بحر قزوين والبحر الأسود.

ولكن النتيجة كانت فشل "شامل" بالتأكيد، ويعود السبب الأساسي في ذلك إلى شجاعة وإصرار "فريتج " والذي أدى تماماً إلى عواقب الفشل الإستراتيجي.

وهكذا، فقد استغل الروس ذلك الوضع، وعلى الفور، انطلقت القوات لغزو "لشامل" وفرسان الموريدين مع الجماعات المختلطة – غير المتلائمة– وقوات القوقاز وبين تشكيلات الجيش النظامي، فقد عزل "شامل" من قبل دهاة الاستخبارات الأذكياء.

لم يدرك أن القوة التي تهدف إليه كانت ضعيفة، فقد تبين أن دعم "الكابريديان" كان مشكوكاً فيه لأنهم كانوا ينتظرون ليرى نتائج هذه الحرب قبل إعلان دعمهم، وبعد مقاومة غير متوقعة من قلعة "الكابريديان" واجه "شامل" احتمال وجود مصائد بين القلعة العتيدة وقوة الإغاثة.

ولذلك، ومع الكثير من الاحترام "لفريتج" فقد انسحب، بعد الوفاء بوعده للمحاكمة المنهجية والمدروسة لغزو القوقاز.

في عام 1839 نجا "شامل" ثانية بعد مطاردة مؤكدة بعد أن حاصره الروس وهزموا قواته. وبعد خسائر مخيفة من الجانبين في مدينة "أخالجو" قبل عام 1840 حيث تم الهجوم أكثر من مرة. ومنذ عام 1840 وحتى عام 1842 فقد أصبح "مريدون" "شامل" يتقدمون بحذر شديد ويخشون الأفواج الروسية والطرق، فقد كان "شامل"خلال هذه الفترة يتجنب المعارك الضارية مختاراً بدلاً منها الهجوم المتفرق فقط واستخدام العنف أو عزل بعض القوات، والانسحاب قبل وصول القوات المساعدة، وظل الأمر كذلك طيلة الفترة الواقعة من عام 1843 إلى عام 1844 حيث لم يكن "شامل" والروس الذين يرغبون بأي مبادرة عسكرية (باديلي 1908: 364) فحسب "باسكي فيتش" فقد كانوا يفضلون خططاً إستراتيجية دفاعية، وتميل إلى لعب دور "شامل". ومع ذلك فإن "الموريدين" لم يكونوا فقط وحدهم من يتعلمون الدروس المهمة، ومن الجانب الروسي أيضاً فقد كان هناك مجموعة من صغار الضباط الروس الموهوبين الذين تعلموا كيفية القتال وكيفية عدم القتال مع "الموريدين".

في عام 1845 تم استبدال "باسكفيتش" بالكونت "خورونزف".

المقطع الثاني: الهجوم التقليدي لحرب العصابات GW

كان للوصول الجديد والسريع – من غرفة عمليات حرب القيصر نيكولاس– لتعزيزات جديدة واستحالة خطة المعركة الطموحة لمتطلبات "فونزوف" قد أقنعته بحماقة إستراتيجية القيصر: فقد كان الهجوم يهدف إلى أسر أو قتل "شامل" نفسه.

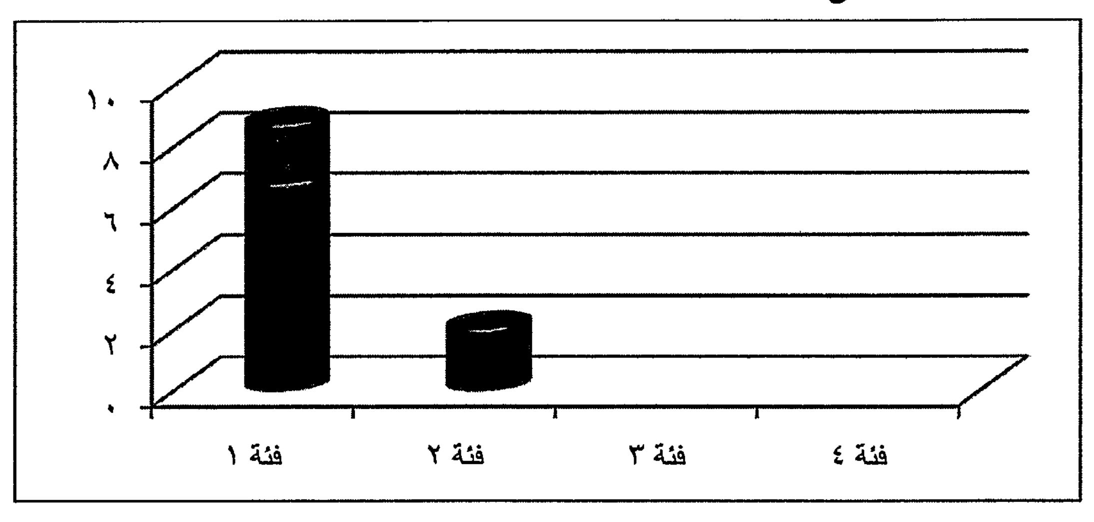
لكنه، ومع ذلك، فقد كان خادماً مخلصاً لتحدي إرادة سيده. ومع الشعور المحتم بالموت فقد كان "فرونزوف" يشرح كيفية أسر "شامل" في قلب داغستان قائلاً:

" إذا كان الله لا يرضى أن يبارك لنا النجاح، فنحن سنكون أوفياء، ولا يجوز إلقاء اللوم، ويمكننا بعد ذلك تغييره في وقت لاحق إلى حد ما، إلى النظام المنهجي الذي سوف يؤتي ثماره، وإن كان بالطبع ليس كما الانتصار على "شامل" نفسه (فورنوزف كما نقل من باديلي 1908:387).

كانت السيطرة على "شامل" قبل هذا الوقت يتطلب سيطرة كاملة إستراتيجياً وتكتيكياً لمتطلبات الدفاع ضد مثل هذه المغامرات: ذلك لأن الإستراتيجية كانت ثانية إستراتيجية GWS في تجنب المواجهة المباشرة مع العدو، والتخلي عن التحصينات حتى إذا كان ذلك ضرورياً لتجنب الاتصال، ومن ثم الهجوم على الجيوش المنسحبة عندما تضعف نقل الإمدادات والمعنويات، وحين يضعفهم الصقيع ولذلك، فإن فرصته ستأتي متأخرة، حين كانت الطبيعة حليفه الأكبر، لكنها لم تفعل فعلها، وعلى الرغم من ذلك، فقد كان الغزاة يعانون الإرهاق مع الكد والضعف الحرمان وعدم التشجيع.

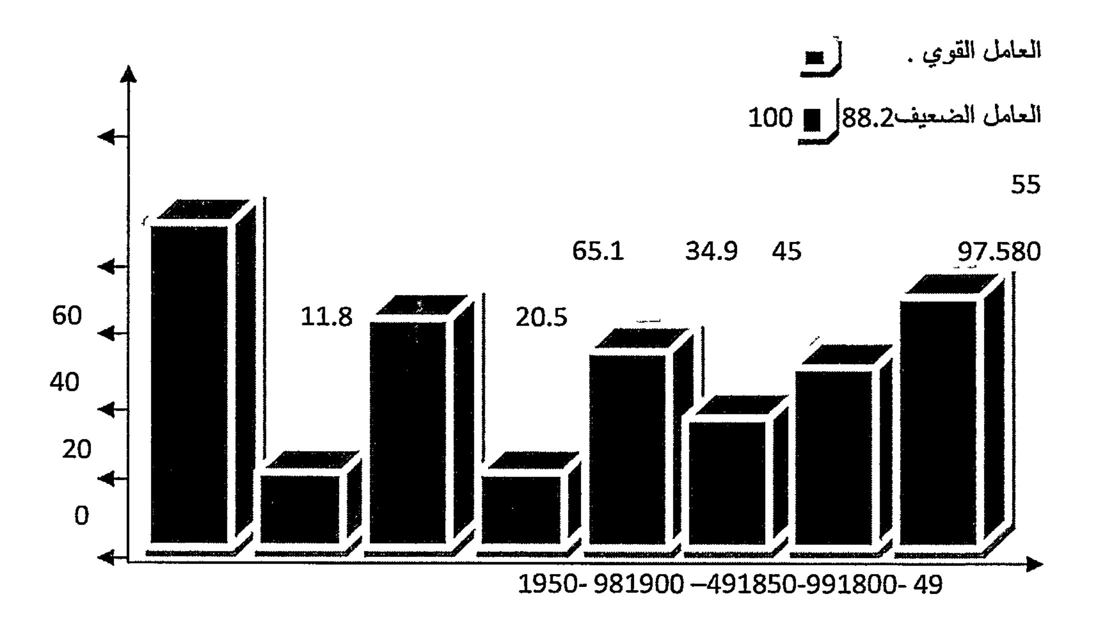
فئة (1) – العامل القوي بنسبة 80%


فئة (2) – العامل الضعيف 22، 8 %



في الفترة بين 1800 – 1998

الشكل (1) النسبة المئوية من انتصارات النزاع اللا متناظر بنوع الفاعل



الشكل (2) النسبة المئوية من انتصارات النزاع اللا متناظر بنوع الفاعل في فترات لمدة 54 عاما

تفاعل التوفيق مقابل حرب العصابات GWS: في هذه الفترة الأخيرة منذ عام1845 إلى عام 1859 فإن مسيرات أخرى من الأسماء الشهيرة بين قادة روسيا في القوقاز: "باراتنسكي، فورنزوف" كانت قد مددت على تقويض قوة "شامل" بطريقتين:

- الأولى: أنه تسارع لإزالة الغابات في الشيشان.
- ثانياً: تركيز التنمية والتطوير لسلاح المدفعية الروسية.

كان تطهير الغابات والطرق الواسعة.لجعل طريق الشاشات الثقيلة تصل بسهولة، والتي كانت آنذاك قد أوقعت خسائر مخيفة، بعد قصف معاقل "المورديين" على الأرض الواحد تلو الآخر.

وعلاوة على ذلك، فقد حاصر الروس الموارد الغذائية "لشامل" وكذلك طرق الخيول والذخائر، والبارود وطرق الدعم من الطرف الشيشاني الذي قدم دعماً لوجستياً "لفورنزوف"والذي زاد من ضعف "شامل" الذي أصبح بدون إمدادات كافية، ولذلك، فقد أصبح هجوم "الموريدين" أكثر صعوبة بكثير بسبب تلك الأضرار والقحط الذي أصابهم لفقدان الإمدادات.

ثم بعد ذلك، فقد تم زيادة الدعم للقوات الروسية المحاصرة، لكن ثمة خلل حدث في روسيا في ذلك الوقت، والذي غير مجرى الأحداث قليلاً أولاً، ثم بعد ذلك حدث

الطوفان. فقد كان "بارتنسكي" قد حلّ في نهاية المطاف مكان "فورنزوف" وأضاف الضربة الأخيرة وذلك قبل الشروع في سياسة لم يسبق لها مثيل.

الرحمة (الاعتدال):

كانت هذه السياسة غير متوقعة "للموريدين" وهذا أهم ما أثبت عجزها عن الاستجابة فثمة ثلاثة أمور أدت لهزيمة قوات "شامل" للجيش الروسي بقيادة الأمير "بارتنسكي" الذي كان القائد الأعلى بدلاً من "فرونزوف "المريض، وقبل كل شيء، فقد كانت قضية "شامل"قد فقدت الاهتمامات الداخلية للإرهاب الذي كان دائماً السلاح الأقوى "لشامل" والتي كانت حتى القوى المرشدة في الحرب الآسيوية.

لقد كانت رحمة "بارتنسكي" تثبت بقوة السلاح، فقد كانت القبائل تخشى مدافع الروس، وليس الانتقام الروسي، وعلى الأخص بعد أن اكتشفوا أن عددها كان مرعباً في المعركة، لكن الشهامة بالنتيجة كانت على المحك. ولذلك، فقد آثروا التخلي عن الآلاف من أتباعهم تاركين "شامل" ومن بقي من "الموريدين" في عزلة، وتقلصت بذلك مع انسحاب كل يوم على نحو أبعد، وإلى الجبال المرتفعة (بلانش 1960: 390 – 391)[1].

كانت إستراتيجية الاعتدال التي اتبعها "باراتسنكي" غير تقليدية من وجهة النظر الروسية، وأثبتت فعاليتها على الرغم أن قوات "شامل" قد فقدت عدداً أقل من القوات المشاركة من الروس، وقدرتهم على تفكيك هذه الخسائر باستمرار روسيا التي يمكنها دائماً الاعتماد على الموارد بشكل أبعد من متناول "شامل" وحيث كانت موارد "شامل" البشرية والمادية باستمرار– وبشكل متزايد– تدخل ضمن قبضة روسيا، وهي حقيقة لا يمكن نكرانها. وبمعنى آخر، فقد استطاعت روسيا – بكل معنى الكلمة – أن تحول ميزة أنها أدت في نهاية المطاف إلى هزيمة "شامل" ومن المرجح جداً وبعبارة أخرى، إن الشيشانين لم يسبق أن عانوا لعقود من الغارات العقابية، ولم يتمكن الروس من قطع

1– هذا الشرط لا غنى عنه لفعالية حرب العصابات GWS التي هي درجة قوية من التنظيم الاجتماعي التي تجعل من الإكراه والرشوة غير فعالة، اقتراحات القبائل المرتدة التي لم تخضع للقومية التي أصبحت تعرف بالحرب العالمية الإيجابية للمناقشة العامة للعلاقة القومية للمقاومة المسلحة.

الأشجار، مع عدم مسّ الغابات، وكان يمكن أن يكون صعباً في أي وقت مضى لجلب المدفعية الثقيلة لتؤثر على الجبال. وأخيراً، فإن اعتدال "بارتنسكي" قد اتخذ لضعف "كمايارمولوف" الذي كان حذر سابقاً.

مكاسب روسيا:

سقطت القلعة الأخيرة "للمريدين" "جونيب" في 25 آب من عام 1859 واستسلم "شامل" لكنه فعل ذلك لأنه فقط – بهذه الطريقة– ليحمي سلامة عائلته (ابيضت 1960: 408، غامير 1994:286) وهكذا فقد استطاع الروس في النهاية التغلب على القوقاز بعد ما يقارب من ستين عاماً من القتال المكلف.

وهكذا، فخلال منهاج إستراتيجية الصراع الروسي العسكري، فقد كان يعتمد اعتماداً كلياً على الفلسفة العامة من عمليات القيادة هناك، وكذلك حكم القيصر وخاصة في سان بطرسبرغ، بعد حروب نابليون. كان القائد الأول للجبهة الجنوبية "ميخائيل بارمولوف" قد عرّف الهمجية على أنها: إستراتيجية تتطلب استخدام وسائل الحرب المحظورة في الحروب الأوربية مثل قتل غير المقاتلين، التعذيب، الاغتصاب ونهب الآبار والمحاصيل والثروة الحيوانية، وبالطبع هذه الأمـور تحدث في كل حـرب. لكن "بارمولوف" جعلهم سياسيين. فقد كانت هذه السياسة متبناة من قبل "باسكيفيتش" وأعيدت فيما بعد من قبل "فورونزوف "ومع ذلك، ففي كل حالة تأثير، كانت الهمجية قد أثبتت امتزاجها، على المدى القصير بالميزة العسكرية التي اكتسبت على الروس مقابل التكلفة السياسية.

و في نهاية المطاف، فقد جعلت الهمجية أنه من المستحيل الضغط على القبائل القوقازية، وإذا تعذر ذلك قسراً، لا يمكن إلا أن تكون قد دمرت، وذلك فقط بالتكلفة الهائلة بالأرواح، وحيث أن التفاعلات الثلاثة تتزامن مع الثروات من كل جانب وتشرح أكثر من أي عامل آخر نتيجة الحرب الهمجية.

كان "بارمولوف" قد عمل بصفته عسكرياً، ولذلك، كان بالإمكان الإعلان عن إخضاع القبائل في عام 1825 حيث كانت روسيا تستخدم الإستراتيجية غير المباشرة في

حين كانت القبائل تقابلها بإستراتيجية غير مباشرة، ولكن مع ذلك روسيا، لم تطور ضرورة الوصول اللوجستي لجعل الهمجية حاسمة، ونتيجة لذلك فإن همجية "بارمولوف وباسكيفتش" لم تطلق العنان ضد قبائل القوقاز - فالعزل والتدمير تركت كجمرة ملتهبة.

كان "الموريدون" و"محمد الغازي، وحمزة بيك، وشامل" بالنسبة للروس كالجمرات الساقطة من الجحيم والذين تقريباً نجحوا في طرد الكفار الروس من مسرح القوقاز.

كما كانت النجاحات الكبرى للمريدين تعتبر خلال الفترة التي تشتد فيها المعارضة الإستراتيجية.

في الوقت الذي كانت فيه روسيا قد استخدمت إستراتيجية مباشرة وقام الموريدون بإستراتيجية غير مباشرة. ومع ذلك فإن الروس لم يستسلموا. وتحوّلت- مرة ثانية- الإستراتيجيات إلى إستراتيجية مباشرة للتوافق بينهما، فالموريدين لم يكن لهم إجابات أخرى أكثر من إستراتيجيتهم غير المباشرة الخاصة عبر حرب العصابات GWS.

كانت إستراتيجية التوافق "لبارتيسكي" تستحق الذكر بصفة خاصة لسببين اثنين:

- السبب الأول: وخلافاً لجميع الاستراتيجيات السابقة - والتي كان هدفها كان أكثر من إنهاء الحرب وأكثر من الفوز عليهم - فإن "بارتنسكي" كان القائد الأول في معالجة أعدائه المقاتلين، والرجال بدلاً من قطاع الطرق (العصابات) والوحوش. وقد سعى لإقناع الناس بدلاً من تدمير الحيوانات، وعامل السجناء وفق المعايير الأوربية، وألغى التعذيب والاغتصاب، ووفر الغذاء والكساء للنساء والأطفال من هزيمة خصومة.

- السبب الثاني: هذه السياسة كانت مستحيلة في ظل القيصر "نيكولاس" الأول على النقيض منْ جده "الكسندر الثاني" وهو الإصلاح والإيمان الأكيد بقوة العطف للعدو المهزوم.

تحليل: إن شرح النتائج المتنافسة لحرب الموريد سيؤدي إلى أن الإمبراطورية الروسية قد انتصرت في معظم تلك الحرب بسبب استخدامها لأساليب مثالية ممثلة بنتائج صراع غير متكافئ خلال الخمسين سنةَ الأولى من فترة 200 سنة من الدراسة التي تضم عناصر الكتاب التحليلية تماشياً مع روح العصر الذي كان ينظر - على نطاق واسع - كالصراع الذي يحرض الأمم المتحضرة ضد الوحوش الجامحين، وعلى هذا النحو فقد لوحظت أعداداً قليلة من القيود بالكمية والنوعية (الهمجية).

قبل المقارنة بين المزايا التفسيرية النسبية لصفة الفاعل، وانتشار الأسلحة وتقليل عدم تناسق المصالح للنتائج هناك نقطتان إضافيتان ينبغي أن تؤسس:

• أولاً: يبدو أن القوة النسبية قد تجاوزت الآثار لكل الحجج المتنافسة، متضمنة حتى التفاعل الاستراتيجي وذلك لكونها ميزة ساحقة للإمبراطورية الروسية. والأهم من ذلك دعمها الثابت لحل توظيف هذه الموارد لأجل غير محدود يوفر شرحاً بديهياً ومرضياً لنتائج الحرب.

• ثانياً: هذه التكلفة القصوى للحساسية تكون فقط ممكنة بحقيقة مطلقة للحاكم والأمين وتوزيع الظروف على حد سواء عبر زمان ومكان محددين، الأمر الذي يجعل من هذه القضية اختباراً صعباً من المنافسة على تقليل نتائج صراع غير متكافئ.

لقد قيل بأن هناك الكثير من الدروس المستفادة من الطريقة التي خاضت بها الحرب مستقلة عن نتائجها.

يفسر التفاعل الاستراتيجي انتصار الإمبراطورية الروسية من حيث التكلفة أكثر من ذلك بكثير في الوقت المناسب، والدماء أكثر من أي قوة عظمى أخرى كان يمكن أن تكون على استعداد للدفع في الظروف المماثلة كنموذج للنظام الذي أثبت حيوية كلا الفاعلين القوي والضعيف، كما أن انتشار الأسلحة قد لعب دوراً غير متوقع، في حين أن القيادة والتضاريس والمناخ تعتبر من العناصر المهمة أيضاً في تفسير عوامل الحرب ونتائجها. وليس من المصلحة عدم التماثل في شرح أكثر لاستخدام هذه الحرب.

و هكذا، فإن تقييم مزايا النسبية التفسيرية المتنافسة لتعليلات الصراع غير المتكافئ يتطلب الإجابة عن أربعة أسئلة أساسية:

• أولاً: ما هي مصالح الأطراف الفاعلة قبل النزاع وكيف يتم شرحها بشكل أفضل؟ ثانياً: ما هو نوع النظام الفاعل وكيف تؤثر الإستراتيجية والقيادة؟

• ثالثاً: ما هو الدور الذي يلعبه انتشار الأسلحة العسكرية في نتائج الصراع؟

أخيراً: ما هي الاستراتيجيات المستخدمة من كل جانب؟وما هو المنطقي لاختيارها، أو التغيير؟

وكيف لها أن تؤثر على النتيجة النهائية للحرب؟

مصالح الفاعل:

لم تفسر مصالح روسيا علاقة القدرة المادية لهؤلاء الموريدين.

ويبدو أن مصالح روسيا قد تم تسويتها في إطار الجغرافيا في أواخر القرن التاسع عشر، وببساطة لا بد لها من أن تستمر بالقوة الدافعة بعد ذلك باعتبارها إمبراطورية وحيث أن مصالحها يجب أن توصف بأنها الأفضل كالتوسع، وإن كان أقل وضوحاً لأن واقع قياصرة روسيا كانوا قادة علمانيين ودينيين على حد سواء، وهذا يعني أن قادة المعارضة لإرادة القيصر كانوا مع الله، وخاصة عندما تأتي المعارضة من غير المسيحيين.

يصبح الوجود الجديد للمقاومة عندئذ مبرراً للحرب، ولذلك، فقد كان "الموريديون" قد قاتلوا من أجل بقائهم، ولكن أيضاً كان هدفهم الإيجابي يتمثل – من وجهة نظرهم– في طرد الروس من القوقاز. أما الهدف السلبي، فيُشرح بنسبية القدرة المادية لكن ليس الهدف الإيجابي.

أنواع النظام:

الإستراتيجية والضعف

كما ذكر أعلاه، فإن نوع النظام الروسي كان فريداً، وعلى الأخص حكم الإمبراطورية الإقطاعية من قبل الحاكم المستبد وكيف تؤثر ضعف الإستراتيجية والسياسة الروسية على ذلك؟

لكن الآثار المترتبة على الإستراتيجية مختلطة من جهة، ولذلك، فإن المناقشات بين أهل النخبة السياسية في روسيا تدور حول سؤالين:

– متى تخضع القبائل؟

– عدد الرجال؟

كانت المسألة الإستراتيجية – إلى حد كبير – تترك لقادة الجبهة الجنوبية "يارمولوف، باسفيتش، فورتزوف، وبارتنسكي " ولكن على أية حال، فسلطوية روسيا لم تحتج لتشاور الرأي العام الروسي قبل تخصيص الموارد للمعركة، كما أنها لن تكون مسؤولة عن الفشل والتأخير أو الهمجية.

ومن جانب آخر، لم تؤثر التفصيلات الشخصية من القياصرة في الإستراتيجية في الحالتين:

- أولاً: قام "نيكولاس" بإرسال "فوروتزوف" إلى القوقاز مع تعزيزات ضخمة وخطة محددة وجدول زمني لاستخدامهم.

- ثانياً: بعد موت" نيكولاس" كان ابنه "الكسندر الثاني" يدرك بوضوح من أن الهمجية لن تكون رأياً إستراتيجياً فأعرب عن تأييده التام لاستخدام "بارتنسكي" للرشاوى والتنازلات من أجل تسريح ما تبقى، الأمر الذي ساعد بصيغة الضعف السياسي، ونوع النظام الروسي يمنع هذا النوع من الفعالية وفقاً لمصلحة اللا تماثل في الحجة، ولذلك، ينبغي توقع رؤية أنه – حتى الأنظمة السلطوية تخضع لقيود المفاضلة عند المشاركة في النزاعات التي طال أمدها– بحيث تكون النتيجة العملية لدرجة التماثل من الضعف السياسي التي من المتوقع أن تكبر في ظل الأنظمة الديمقراطية، ولكن، لأنها هنا، فإن روسيا في الواقع كانت متورطة في صراعات خطيرة محتملة خلال حرب "المورَيد" وليس من المتوقع أن تسبب ضعفاً. فقد كانت معركتها الأولى مع الفرس في عام 1826 فقط قبل مجيء "الموريدين".

كان الفرس الذين شنوا غزوهم من جهة الجنوب قد هددوا بالاستيلاء على "جورجيا" باستخدام القتال بعبارة تقليدية، لكن بطء الفرس كان يؤدي المرة تلو الأخرى إلى الهزيمة على يد تشكيلات روسية صغيرة. وكمصدر محتمل عن الضعف الروسي، فقد كانت حرب القرم (1853 – 1856) قد أثرت على سير أعمال حرب "الموريدين" بطريقتين:

- الأولى: وهي الأكثر وضوحاً، تكمن في حشد القوات للتخفيف.

فقد كانت القوات قد نقلت إلى القوقاز فور انتهاء الحرب، وهذا يعني سريعاً، تدفق أعداد كبيرة من القوات الجديدة لروسيا.

- الثانية: والأكثر أهمية فلازالت نتيجة حرب "القرم" تحمل الأمل في الإغاثة، أو تقديم الدعم من بريطانيا أو من العثمانيين – يحاول كلا من غامير وبدلي أن يبرهن أن هذه ضربة قوية لاعتبارات معنويات شاملة ومقنعة بأن الحرب ضد روسيا كانت معكوسة، وفي نهاية الأمر ستضطر القوات بالإذعان والاستسلام.

وباختصار، فإننا لا نرى آلية للمفاضلة في هذه القضية، ولا يوجد في الواقع شعور بالضعف السياسي وأيضاً، ففي روسيا – حتى للحرب الدائرة في القوقاز – فقد كان سلوك

الجنود الروس هناك – بشكل عام– ومن جهة الديمقراطية الاجتماعية "لميروم" فإن الاحتشام كان حجة لتلقي الدعم المختلط وعلى جانب الآخر، لا يمكن مقارنتها بالنظام الديمقراطي – وعدد قليل منها تسلطي – ويمكن أن تدعم مثل هذه التكاليف لكي تهزم قوات "شامل". ومن جهة أخرى فان السبب المباشر لسقوط "شامل"لم يكن الوحشية التي كانت مثبتة من قبل ولكن لم تثبت بشكل حاسم، فقد كان انتشار الأسلحة التكنولوجية العسكرية قد لعبت دوراً بسيطاً نسبياً في المنحدر وفي معركة "الموريد" وفي أول تفاعلات الحرب التكنولوجيا العسكرية الروسية، وبما فيها الأسلحة النارية والمدفعية وحتى الملابس أكثر ضعفا على التكليف في حرب الشيشان أو داغستان. وبهذا المعنى، فإن تكنولوجيتهم كانت متفوقة أكثر من خصومهم، وكانت أقل تقدماً، وبعد ذلك، ومع مرور الزمن، فإن هذا الوضع قد تحسن إلى أن التكنولوجيا العسكرية والروسية قد تساوت مع خصومهم، في حين كان سلاح المدفعية البعيدة هو الأفضل من بينها، وجميع المعلقين قد توافقوا على أن سلاح المدفعية قد أثبت أن التكنولوجيا العسكرية كانت حاسمة، لكن فعالية المدفعية توقفت على ظروف محددة للغاية. وعلى صعيد الإستراتيجية والعقيدة (بدلي 1908)[1]

وعلى سبيل المثال فإن حملات الروس عموما قد شّنت من داخل الحصون أو من التلال المنخفضة للسهول الغربية من النهر بالإضافة لكون سلاح المدفعية كان مجدياً في حرب "الموريد" و–التي كانت في الواقع، ولفترة فائدتها ضد الروس في هذه الحصون– والتي كانت تتطلب قدرا كبيراً من الحراسة.

كيف يكسب الضعيف الحرب؟

لمواجهة تشكيلات فرسان القوقاز، والتي كانت تعمل في بيئتها المثالية، فقد كان لا بد من وجود القدرة على التقدم ضد الحصون وذلك بواسطة التلغيم والأنفاق تحت مواقع العدو وحيث لا تمتلك جبال الموريدين ولا الغابات التي تملكها الشيشان تلك القدرات.

1– علما بأن هزيمة روسيا لم تضعف سلطة القيصر أو تغيير النظام. انظر بدلي 236: 1908 مرة أخرى.

فعندما حاول "الموريدون" استخدام المدفعية الروسية – التي استولوا عليها ضد الروس – فقد وجهوا بعدة مصاعب كارثية. فقد كانت الصعوبة الأولى في عدم وجود المهارات اللازمة والكافية لاستخدام التكنولوجيا المتطورة، والتي سببت في تفويت إصابتهم لأهدافهم، ولكن الأهم من ذلك كله كان في إصرار "شاميرز" على إشراك المدافع مرة أخرى في الاشتباك، وبذلك فقد تحولت المعركة إلى كارثة كلّفت (الموريدين) خسائر فادحة جداً.

ومن جانبهم، فقد كان الروس غير قادرين على استخدام سلاح المدفعية بشكل فعّال إلا بعد إزالتهم لغابات الشيشان، وقد ارتضوا بقبول معدلات الإصابات العالية بين قواتهم وذلك من أجل التقدم ووضع المدافع والأسلحة لتدمير تحصينات "الموريدين". (بلانش 1960، 90)

التدخل الإستراتيجي:

إذا كانت القوة النسبية لا تفسر المصالح النسبية كما أن نوع النظام يفسّر قابليته للانتقاء من الناحية السياسية (وفي هذه الحالة يكون مغيباً) فما هو الأفضل لتفسير نتائج حروب الموريدين؟

أنا أزعم أنه التدخل الاستراتيجي!.

ولكن، ومع أهمية (سكافيت) ونظراً إلى التفاوت في الموارد المادية بين الطرفين الفاعلين، ونظراً لثبات وديمومة مصالحهم مع مرور الوقت، فإنه من اللافت للنظر أن حرب الموريدين قد استمرت تسعة وعشرين عاماً.

وكما كان واضحاً في هذه الحالة، فقد كان هناك ثلاثة أسباب استغرقت وقتاً طويلاً لتفريق (الموريدين):

- السبب الأول: وهو أن التضاريس والمناخ قد جعلت العمليات الروسية الهجومية صعبة جداً حتى مع وجود افتراض أفضل القيادة والتدريب والمعدات العسكرية.
- السبب الثاني: هو أنه كانت هناك مشكلة الغطرسة الروسية وعدم الكفاءة وكلاهما ساهمتا في نظرة استخفاف الروس بعدوهم (خصومهم).

• السبب الثالث: والأهم من ذلك كله هو (مقاتلي الموريد) فقد تحولوا إلى الهجوم بشكل منتظم والتضحية بالحصون لكسب بعض الوقت.

وهكذا، فعندما يحاكم "يرمولوف" بإستراتيجية الهمجية القوقازيين (قبائل القوقازيين) بعد فوز روسيا وانتصارها، وعندما جاء بعده (باسكي فيتش) و(فوروزوف) فقد تحولت الإستراتيجية الروسية إلى إستراتيجية الهجوم المباشر. ولذلك، فاز "الموريدون"عليهم وانتصروا.

ومن ثم – وبشكل نهائي– فعندما جاء (برتينسكي) تحولت الإستراتيجية الروسية إلى إستراتيجية الاسترضاء والاستمالة. وعندها فاز الروس أيضاً، وكانت الإستراتجية النهائية هي التدخل (نفس النهج السابق) لإنهاء الحرب.

وبالنتيجة:

كانت الحرب صراعاً غير متكافئ بين الإمبراطورية الروسية وتحالف قبائل القوقاز تحت راية المصالح الروسية، وكانت تنتصر أكثر من التوقع من قبل مصلحة الاتفاق غير المتكافئ في حين كانت روسيا تريد أن تقهر وتضم القوقاز، وهي كانت مستعدة لاتفاق مئات الآلاف من الأرواح، في حين كان ملايين الروس قد ظلوا – ولأكثر من نصف قرن – يكافحون لإنجاز هذا الهدف ولحيازة روسيا – المشكوك بها– لجورجيا أثبتت بكونها واحد من سببين فترفض روسيا أن تتخلى– تتنازل– عن حملتها الصليبية في القوقاز. وحتى بعد قرار "كاترين" ترك ممتلكات روسيا – حتى الأرض المراح – ورغبة "بول" أن تتنازل عنها تماماً كحليف، كما كانت مساهمة جورجيا لدعم الحرب طفيفة وغير حاسمة، إلا أنها أعطت الروس مصالح إستراتيجية هائلة، كما فعلت بين القوة المسلمة الأخرى والإمبراطورية العثمانية والخصوم الروس في التقدم نحو موانئ جورجيا على البحر الأسود أيضاً وقد ساهمت في إمداد السفن والتعزيزات والإمدادات العسكرية من "اوديسا و"سيفا ستوبول"وبسبب المصلحة الإستراتيجية الحقيقية الوحيدة فقد كذبت روسيا لتحمي جورجيا، ولكن، فمن المستحيل القول مع ذلك إن الاستيلاء على جورجيا نفسها مادياً أو استراتيجيا يعتبر منفعة للإمبراطورية الروسية ضمن أي نسبه معقولة لموارد روسيا، فقد كانت تنفق على ضمان إخضاع جورجيا والقوقاز حيث كانت مصالح"الموريد" مبنية – حسب معتقداتهم الدينية

والسياسية– على الاستقلال عن روسيا، ولإنجاز هذا الهدف، فإن"الموريد"كانوا مستعدين لأن يقاتلوا حتى النهاية وقد فعلوا ذلك.

وخلاصة القول إن نظرية القوة المادية النسبية تشرح المصالح الشعبية في نتائج أي صراع غير متكافئ ولما تدعم الحرب "الموريد" القوة النسبية التيير هنت على ضعف التنبؤ للمصالح النسبية في هذه القضية على الأقل من الجانب الروسي. إذاً، هل شرحت المصالح النسبية المعرضة للهجوم سياسياً فروسيا لم تكن ببساطة عرضة للهجوم السياسي وفقا لمصلحة الاتفاق غير المتكافئ ولذلك فقد كان ينبغي لمجالها أن يجعلها في موقف ضعيف سياسياً لعدم وجود تهديد جدي من القوقاز، ولذلك يمكن اعتبار أن حساسية روسيا السلطوية تجاه "الموريد"المناضلين قد أضعفها سياسياً من هذه الناحية ومع ذلك، فخلال الحرب "الموريدية" كانت روسيا قد واجهت اثنين من النزاعات القتالية الخطيرة المحتملة، ولم تسبب الضعف المتوقع للنظام القوي الفاعل، ولذلك فقد تطورت الأمور إلى نحو أكثر من المسموح به، وهو لمصلحة التماثل في التساؤلات التي برزت حول طبيعة الاتفاق الفاعل، ولذلك فإن أفضل شرح لنتائج حرب "الموريد" من التفاعل الاستراتيجي ونوع النظام، قد حالف كلا الجانبين[1].

ولكن حظوظ كل جانب كانت متنوعة بشكل ملحوظ خلال الحرب ثلاثية التفاعلات في حين أن نوع النظام لم يكن له اثر يذكر على الاستراتيجيات المختارة أو المقاضاة من قبل أي من الجانبين.

فمن الجانب الروسي، ما يمكن قوله هو إن "نيكولاس" عادة ما قدم بصورة مباشرة في التخطيط الاستراتيجي، وكثيراً ما كان لها آثار ضارة، ولكن ينبغي أيضاً أن يضاف إلى ذلك أن الجدارة كانت – بصعوبة– هي الأساس لاقتراح قيادة الجبهة الجنوبية.

و على العكس من ذلك، فإن الضباط الروس – مع الأفكار غير الشهية سياسيا أو امتداد الديون أو معاناة القلوب المكسورة – غالباً ما كانوا ينتهون بقيادة القوقاز.

و على جانب "الموريد"فهناك ما يمكن قوله حول سلطة"شامل" لفترة تتجاوز كل الانقسامات العرقية والإقليمية لإباحة قوة متطورة وفعالة.

1– والسبب الآخر هو بسيط وهو في النزعات الطائفية: كيف تجرؤ هؤلاء"الجهلة المتوحشون" مقاومة إرادة قيصر العظيم الأبيض؟ لغة كل المعلقين ومصادرها يجعل من وجهة النظر هذه من القوقازيين واضحة: فهي على الدوام تشير إلى المتوحشين، ووصفت التصرفات بأنها ماكرة، ووصفها الأوروبيون بأنها شجاعة أو باهرة وهذه المقاومة تجاهلت القيصر لذلك وصفت بإهانة الحضارة نفسها.

وخلافاً للجيش الروسي، فإن قيادة الجيش "الموريدي" كانت تقوم حصراً على أساس الجدارة، ولكن عندما نستطيع تقدير الاختلاف بين الجانبين فإن ذلك لن يكون مبنياً على أنواع النظام الذي يكون نفسه، كما أن انتشار الأسلحة تقريباً قد لعبت دوراً في حرب "الموريدين" لكن تأثيرها المحدود كان على العكس، فما هو معلن بالمنطق من اتفاق انتشار الأسلحة هو امتلاك قطعة مدفعية حديثة من قبل الموريد يقودهم للتخلي عن مزاياه النسبية بتقلبها وجديتها تضعفهم الفرضية أفضل تسليحا ضعيفا هو الفاعل والأرجح أن الفاعل القوي يخسر أي صراع غير متكافئ لذلك لا يؤيد حرب الموريد وبصيغة التفاعل الاستراتيجي للحرب التي لعبت بحد ذاتها ثلاثة تفاعلات خلال الفترة الأولى لتفاعل الإستراتيجية بنفس النهج الذي اتبعه الروس ضد استراتيجيات الموريد والتي أدت إلى أن الروس فازوا عسكريا وكفى بالنتائج السياسية من التفاعل الأول الذي يقود المخاطرة من مقاتلي الموريد خلال النصف الثاني من التفاعل الاستراتيجي حيث كان الروس ينتهجون إستراتيجية الهجوم الهمجي وكان الموريدون يتابعون نهجهم، الأمر الذي أدى إلى فوز "الموريدين".

ولكن خلال التفاعل الأخير انتقل التفاعل الاستراتيجي لنفس النهج ثانية حيث سعى الروس للتوفيق – بشكل غير مباشر– لوضع إستراتيجية "للموريد" ثانية، فقد فاز الروس ونفي "شامل" مع توضيح هام بعد ذلك حسب الفرضية الخامسة وحيث كانت الأطراف الفاعلة قوية لكسب المزيد من نفس النهج والتدخلات، وفقدان النهج المعاكس الثابت غير المحدود للموارد عن طريق التدخل الاستراتيجي. وفي المقابل، فإن التكاليف الإمبراطورية الروسية في الوقت والحياة والثروة هي أفضل تفسير للتدخل الاستراتيجي. وباختصار، فإذا أردنا أن نشرح لماذا فازت روسيا في حرب "الموريد" لا يمكننا الاعتماد على القوة النسبية وحدها، ومن الواضح أن القوة النسبية مهمة، ولكن ما يهم أكثر هو التدخل الاستراتيجي.

الفصل الرابع

بريطانيا في وسط جنوب إفريقيا
وشمال شرق إفريقيا

حرب الشمال الإفريقي (1899-1902)

"لقد كانوا مُحتلّين، ولذلك، فأنت لا تحتاج إلاّ إلى قوة همجية غير مدعاة للفخر، عندما تمتلكها، فإن قوتك عبارة عن ازدياد مفاجئ من ضعف الآخرين.

لقد اختطفوا كل شيء قادرين على أخذه في سبيل ما جاؤوا من أجله. لقد كانت سرقة مع العنف، وزادت خطورة القتل على نطاق واسع، وهجم الرجال عليها كالعميان – بكل ما في الكلمة من معنى– كالذين يهاجمون بعضهم في الظلام. واحتلال أرض هؤلاء الذين لديهم بشرة مختلفة، أو لديهم تسطح بسيط في أنوفهم أكثر من أنوفنا، إنه ليس شيئاً جيداً عندما تفكر بذلك كثيراً. ولكن ما يمحو تلك الفكرة هو العلم فقط. فالعلم يعود إلى الماضي: ليس تظاهراً بالعاطفة، بل تظاهراً بالعلم: فالإيمان لا يكون أنانياً بالعلم، إنه شيء تدعو إليه، وتنحني أمامه، وتقدم له التضحية"..

"كونراد، قلب الظلام(1985)"

كانت الحرب التي دارت بين الإمبراطورية البريطانية وحكومات جنوب وشمال شرقي إفريقيا – والتي بدأت في الحادي عشر من تشرين الأول من عام –1899 كانت تدعى حينها حرب مواطني جنوب إفريقيا ذوي البشرة البيضاء الإنكليز، أو تدعى – لفترة بسيطة من الزمن– حرب مواطني إفريقيا ذوي البشرة البيضاء، ولكن المؤرخين يطلقون عليها الآن "حرب الشمال الأفريقي" إقراراً لأهمية مشاركة الأفارقة السود في هذه الحرب.

مسرح أحداث الشمال الأفريقي

تعود الاهتمامات الأوربية في الشمال الإفريقي في أصولها إلى تطور العلاقات التجارية مع الهند وآسيا. فقد كانت ذات علاقة مع الاهتمامات الاقتصادية الأساسية والأمنية الأوربية– مدينة الخليج– والتي تأسست على أيدي الشركة الهولندية الشرق هندية في عام 1652. ولكن، خسر الهولنديون بعد ذلك المدينة، ثم أعاد الانكليز استعمارها حتى نهاية الحروب النابولونية الفرنسية عام 1815 وفي ذلك الوقت استطاعت بريطانيا أن تثبت مكانها بشكل نهائي وقاطع.

رأت بريطانيا في تأسيس مستعمرة هناك حماية لها ولمصالحها الأمنية، بينما في الوقت نفسه تهدئ وضع البطالة والاضطرابات الأهلية. وفي عام 1820 وصل إلى مدينة الخليج في إفريقيا 4000 مواطن بريطاني:

ولكن ما جرى في القرن التاسع عشر فالبريطانيون على أية حال لم يندمجوا مع المواطنين البيض الأفارقة كما حصل فيما مضى مع الفرنسيين "البروتستانت" ووصول الألمان.

لقد جاؤوا من مجتمع مدني متصنع من بريطانيا وقد نزعوا إلى التوطين في مدن شمال إفريقيا، وفي المدن الكبيرة التي أصبحت بشكل عام تتكلم الإنكليزية. (سميث، 1996–15–16)".

بيد أن هذا الانشقاق المدني– القروي زاد من الاختلافات العرقية واللغوية و، في نهاية الأمر، فقد وضع هذا الانشقاق الأساس لانشقاقين ".

–فعلى الصعيد نفسه، كان المهاجرون الذين وصلوا إلى إفريقيا على قناعة تامة بتفوقهم العرقي على المواطنين المحليين من أصل أوربي (سميث، 1996:16).

–وفي الوقت نفسه، فإن المواطنين من أصل أوروبي قد ساورتهم الشكوك في أن هؤلاء الغرباء(الأجانب) في جنوب إفريقيا كانوا غير مهتمين في مشاركة القوة والممتلكات في جنوب إفريقيا، بل كانوا مهتمين فقط في الاستيلاء عليها لوحدهم فقط. وقد كان ذلك صحيحاً إلى حد ما، وخاصة بعد حظر مجلس النواب البريطاني العبودية في المستعمرة عام 1834.

كانت العبودية- منذ وجودها- آنذاك مصدر انتعاش للاقتصاد الريفي- فالأكثرية من المواطنين ذو الأصل الهولندي كانوا ساخطين بشدة من هذا التحول المفاجئ في طريقة حياتهم. ولذلك فإن القيام بإلغاء العبودية إلى هذا الحد قد حثّ على هجرة جماعية داخل الجنوب الأفريقي- هجرة معروفة الآن بالرحلة المضنية العظيمة بين عامي 1835-1837. حيث استقلت آلاف من العائلات الأفارقة ذو الأصل الهولندي حاملين جميع ممتلكاتهم، مع خطورة شديدة على حياتهم (عدد كثير منهم قُتل وهُجموا على الطريق بشراسة من قبل قبائل افريقية بالغة القوة مثل قبائلا لكوثا والزولو) ثم انتقلوا داخل البلاد، مشكلين في النهاية جمهورية المواطنين الأفارقة من أصل هولندي على الجانب الشرقي في الجنوب الأفريقي على المحيط الهندي، في وسط جنوب إفريقيا وأقصى شمال شرق إفريقيا.

كانت تلك أياماً صعبة بالنسبة للمواطنين من أصل هولندي، والذين واجهوا عدداً هائلاً من القبائل الأفريقية العدوانية على طول الطريق. ومن وجهة نظر الأفارقة، فأن تلك الأيام كانت ذات صورة ساكنة وحالكة الظلمة. فالمواطنون البيض الذين نزحوا عن أراضي أجدادهم، كانوا أكثر بكثير من الذين قُتلوا واستعبدوا كلما ساروا إلى الإمام.

جرت الأعمال الوحشية على كلا الطرفين، فبالرغم من أن المواطنين الأصليين الأفارقة كانوا - بشكل ثابت- يشردون ويطردون من أراضيهم. إلاّ أنه في عام 1838 فقد استطاع الجنرال"بريتوريس" من أصل هولندي أن يتغلب على قائد قبيلة "زولو" القائد "دينغان" في معركة "نهر الدم (بلود ريفير)" وبذلك، بدأ المواطنون الأصليون الهولنديون يتمركزون في الجانب الشرقي من شمال إفريقيا.

ولكن، على أية حال، فبعد مضي خمس سنوات، وفي عام 1843 بالتحديد، استولت بريطانيا على الجانب الشرقي من شمال إفريقيا، التي كانت تدعى "ترانسورانغيا"(لتنضم بعد ذلك إلى مقاطعة وسط جنوب إفريقيا).

وبعد عدة نزاعات دموية بين المواطنين الأصليين الهولنديين النازحين والتاج(بريطانيا) وافقت بريطانيا في نهاية الأمر على الاستقلال المشروط للجمهوريتين الداخليتين المحكومتين من قبل المواطنين الأفارقة الأصليين من أصل هولندي، وهما مقاطعة شمالي شرقي إفريقيا (1852) ومقاطعة وسط جنوب إفريقيا (1854).

مرت قرابة ثلاثة عقود من السلام النسبي بعد ذلك، وفي عام 1870 اكتشف الماس في مدينة "كيمبيرلي"والتي تقع بين مقاطعة وسط شمال إفريقيا ومستعمرة الخليج وبعد ذلك – وبشكل سريع وغير شرعي– استولت بريطانيا على المدينة.

أدى جنون الماس في عام 1870–1871 إلى تدفق ملحوظ من الأجانب– والذي تضمن أيضاً المدعو حينها "سيسل رهودز"– والذين تغلغلوا إلى داخل المجتمعات الريفية والقروية لمقاطعة وسط شمال إفريقيا.

ولكن إدمان الشراب والكحول، والمقامرة من قبل حفاري ومنقبي المناجم كان صدمة مبكرة للفلاحين الأصليين المحافظين ذوي الأصل الهولندي، والورعين والكادحين، والذين يشكلون الغالبية العظمى داخل الجمهوريتين.

وهكذا، فقد زادت خطورة هذا التوتر بعد إعلان السير "ثيوفيلوس شيبستون" بتصريح رسمي بضم مقاطعة شمالي شرقي إفريقيا إلى مستعمرة التاج البريطاني في عام 1877.

سبب هذا الاستيلاء– بشكل قوي– إلى امتعاض السكان الأصليين من أصل هولندي، والذين أشاروا إلى هذه الحركة بأنها خرق واضح لمعاهدة "ساند ريفير" عام 1852 التي نصت بشكل واضح بضمان بريطانيا لسلطتهم الشرعية. كان وضع الخلافات ومرارتها جانباً قد ألمح إلى أحقية السلطة الشرعية البريطانية في شمال إفريقيا في مسؤولية الأمن الأوربي في داخل سلطاتها المعلنة.

وهكذا، فقد نجحت تلك القوات البريطانية في إنجاز مالم يستطع فعله السكان الأصليون الهولنديون الذين كانوا ضعفاء جداً ليحققوه بأنفسهم في مقاطعة شمالي شرقي جنوب إفريقيا. كما أن ضم الأراضي التي قامت به بريطانيا ربما أزال حريتهم الدينية، ولكن في نهاية العام 1879 كانت بريطانيا قد استطاعت تأمين مقاطعة شمالي شرقي جنوب إفريقيا وأهم وأقوى جيرانها الأفارقة.

وكان هذا التطور الحاسم قد حرر المواطنون الهولنديون لمحاولة استعادة استقلالهم خلال السنة المقبلة. (سميث، 1996–28). وفي عام 1879 دمر البريطانيون القوة العسكرية لقبائل "الزولو".

كانت قبيلة "الزولو" آخر قبيلة افريقية رئيسية تقاوم الاستعمار الأبيض في جنوب إفريقيا.

ومع إزالة التهديد الوحيد لبقاء المواطنين الهولنديين، فقد كانت الساحة.معدة وجاهزة للمواجهة بين السكان الأصليين الهولنديين والبريطانيين. وبالرغم من التصريح الرسمي "لشيبستون" بضم المقاطعة فقدكان قد وعد سكان مقاطعة شمالي شرقي جنوب إفريقيا بحكومة منفصلة ذاتية لها قوانينها ومجلسها التشريعي، ولكن بعد العام 1879 كانت تلك المقاطعة تُحكم مباشرة عن طريق التاج البريطاني وبطريقة فاشية خرقاء. وهكذا، فأثناء ازدياد المقاومة في مقاطعة شمالي شرقي جنوب إفريقيا والتهديد باندلاع عصيان مفتوح، كان رئيس المقاطعة(كروجر) ينتظر نتائج الانتخابات العامة في بريطانيا. ولكن، نصبت الانتخابات "كلادستون" والمتقدمين على السلطة، وانتظر (كروجر) لتغيير السياسة تبعا لخطاب "كلادستون" عن سياسة بريطانيا في جنوب إفريقيا. قال (كلادستون) عن مقاطعة شمالي شرقي جنوب إفريقيا:

"لقد اخترنا الموقف الأكثر رعونة، وقد رغبت بالقول – بشكل جنوني– بأننا قد وضعنا أنفسنا في مأزق غريب بالمواجهة مع المواطنين الأحرار للمملكة التي ستجبر المواطنين الأحرار للجمهورية لكي تخضعهم ليقبلوا التبعية التي هم بدورهم يرفضونها. (سميث، 1966–29)".

ولكن عندما كان في السلطة، فقد كان العائق الذي وقف بوجه (كلادستون) هو كيف له أن يضع مستقبل الإتحاد الإفريقي الجنوبي بأيدي الجهلة من أمثال (كروغر) وأزلامه؟

وفي هذا السياق، فقد رفض (كلادستون) منح مقاطعة شمالي شرقي إفريقيا استقلالها الذاتي، وسرعان ما أصبحت المنطقة بكاملها في ثورة عارمة. وتوجت حرب الثلاثة شهور بهزيمة بريطانيا الذليلة في معركة تل ماجوبا في العشرين من شهر شباط من عام 1881. فإن المعركة، التي شارك فيها بعض المئات من الجنود وحيث هزمت بريطانيا، وتضمن ذلك موت "كولي" نفسه –والتي اعتبر موته حوالي ثلث نتيجة الحرب– سرعان ما اكتسبت أهمية رمزية عظيمة. مثل الفشل للتخفيف عن الجنرال (جوردن) في الخرطوم، والذيجاء لكي يعتبر كوصمة عار للشرف الوطني الذي أشار إليه المحافظون على أنه مثال في سوء الإدارة التحرري.

ولذلك، فقد أصبح تذكر معركة "تل ماجوبا " يثير الحزن والبكاء الشديد لإثارة الحماسة الجماعية والتي كان الكثير من الجنود البريطانيين يبدؤون العمل بها في

عام 1899 (سميث 31-32-1996). وهكذا، فمع حلول عام 1884 أي بعد ثلاث سنوات على المعركة، وسنتان قبل اكتشاف الذهب أصبحت مقاطعة شمال شرق إفريقيا مستقلة بموجب اتفاقيات لندن رسمياً وتحمل اسم الجمهورية الإفريقية الجنوبية. وكل سلطات الممالك والدول المستقلة تعطي الحق لتقرير السياسة الخارجية و"التوسع إلى ما بعد الحدود الحالية "إلى الجمهورية نفسها. ثم جاء اكتشاف الذهب في "ويتووترزراند" في عام 1886 الذي تلاه سباق البحث عن الذهبَ والذي كان له ثلاثة تأثيرات مهمة:

• أولاً: أدى إلى تدفق جديد وهائل للأجانب الذي بدل نوعية السكان والاقتصاد بجمهوريات "البوير".

• ثانياً: إن اكتشاف الذهب خلق (لكروغر) مشكلة أخرى في إبقاء سيطرة "البوير" على الدولة. بينما في الوقت نفسه يزوده اكتشاف الذهب بفرصة ثمينة لاستعمال العائدات لدعم الأمن والاستقلال بشراء الأسلحة وإبقاء احتكار الدولة على صناعة الديناميت (سميث، 1996:54).

إن هذه المشكلة التي كادت في أن تصبح - بالنسبة للبريطانيين- السبب الأساسي للحرب ودلالات حدوثها، كانت حول مسألة الامتياز، فعلى سبيل المثال، خصصت مقاطعة شمالي شرقي جنوب إفريقيا الامتياز للمواطنين الأصليين من أصل هولندي بواسطة المتطلبات القانونية للإقامة، وهذا يعني أن أكثرية السكان في المقاطعة لم يسمح لهم بالتصويت، وكذلك في الاحتجاج على الحرمان من الامتياز. ولذلك، فحتى الملكة فكتوريا نفسها أرسلت طلباً في ذلك، وهذا سمح لبريطانيا لاستغلال الموقف، والحطّ من كرامة السكان الأصليين الهولنديين على أنهم مستبدون وفاسدون كما جاء في الصحافة البريطانية المحلية. وقد منح "كروغر"أيضاً تنازلاً عن سكة حديدية لشركة هولندية(احتكار آخر).

لقد اتخذ كلا القرارين لحسم الموقف أثناء التفاعل للحرب التالية.

• ثالثاً: خلق الذهب والماس ثروات غنية وقوية، وقوة وجهت الاهتمام بالمنطقة. إن حكومة المحافظين(الفلاحين)-التي تعتبر بالمعايير البريطانية فاسدة تحت قيادة "كروجر"- فقد كانت عائقاً ثابتاً في جانب راس مأليي المنطقة العظماء، مثل"سيسيل رودرز" و"الفريدبيت" الذين كانوا خجولين من استخدام نفوذهم لتقويض "كروجر" وقد تتوج تدخلهم في النهاية في الإخفاق التام لهجوم "جيمسن".

في الثامن والعشرين من شهر كانون الأول 1895 عبر الدكتاتور "ليندار ستار جيمسن "و500من كبار الشخصيات الحدود إلى مقاطعة شمالي شرقي جنوبي إفريقيا في محاولة لإثارة تمرد الأجانب في "جوها نسبيرغ" لتقديم الحجة للتدخل البريطاني في المقاطعة. ولكن لم يحدث أي تمرد ومهاجمو"جيمسن"هزموا واجبروا على الاستسلام بشكل ذليل في معركة "دورنكوب".

كان هناك ثلاثة تأثيرات رئيسية لهجوم "جيمسن":

- أولاً: قدم حافزاً قوياً لقومية السكان الأصليين من أصل هولندي والتي كانت قد أثيرت في معركة "تل ماجوبا".
- ثانياً: أكد في عقول "كروجر" و"ستين"أن بريطانيا كانت وراء المحاولات لاسترداد السيادة على مقاطعة شمالي شرقي جنوب إفريقيا.
- ثالثاً: الحرب، استعد "كروجر"– وبجدية–للحرب، وخصوصاً بناء الحصون والاستثمارات في أفضل وأحدث المعدات الحربية.

عشية الحرب، المصالح البريطانية:

تجلت الاهتمامات البريطانية بمصير جنوب إفريقيا بشكل رئيسي بشخصين:

- الأول والأشهر "ألفرد ميلنر".
- والثاني"جوزيف تشامبرلين" وزير المستعمرات.

وكان "ميلنر" بصفته المفوض البريطاني الأعلى يعتبر رجل الإمبراطورية في المنطقة بينما اعتبر "تشامبرلين" كوزير للمستعمرات، وكان مسؤولا عن تقديم التقارير للملكة والوزارات، والبرلمان في كل ما يتعلق بشؤون الإمبراطورية الاستعمارية.

تم إقناع "ميلنر" بالضرورة المطلقة لإظهار القوة العسكرية، وذلك لإجبار المستوطنين الهولنديين على ترك السيادة، وبشكل أساسي على تقبل التبعية، وبعدها الالتزام بكل التنازلات التي قبلها المستوطنون الهولنديون، وتحت مثل هذا الإكراه

يبدو أن (باكنهام، 1979: 77) مقتنعاً بأن فرض التبعية بالقوة هي الوسيلة الوحيدة لضمان السيطرة البريطانية على الجمهوريتين[1] فقد كان "ميلنر" قلقاً على فرصة السلام، والذيسينذر بالخطر أكثر من تنازلات "كروجر" التي ستقود إلى التسوية، الأمر الذي سيلحق العار "بميلنر" وبكل بريطاني جنوب إفريقي. وقدكتب"ميلنر" في 23 تموز:

"ثمة شعور بالإحباط لا يوصف، فأنا لا أرى بشائر أي خير قادم من الصراع الطويل ضد سوء الحكم في جمهورية جنوب إفريقيا. مما سيخدع الرأي العام البريطاني عاجل أم آجلاً. (باكنهام 1979:82)

يوضح هذا المقال أهمية النخب السياسية الأساسية المرتكزة على قوة الرأي العام البريطاني[2]، وفي هذه الحالة، تم توجيه الرأي العام عن طريق وسائل الإعلام والتي يعتقد أنها كانت تمارس تأثيراً مباشراً على الرأي العام البريطاني ولكن اتباع "ميلنر" الآخرون منذزمن"بول مول" كانوا مضطرين لإظهار الولاء وهذا ما كان. كما أن كل الصحف أعلمت الرأي العام البريطاني بالأسابيع الأخيرة بخطورة التأخير وخطره على تسوية الامتياز. كما كانت صحيفتا "التايمز" و"المورنينغ بوست"من بين الذين أبدوا الولاء للحكومة السابقة وقرعت كلاهما طبول العصبية القومية.

كان" لميلنر" تأثيراً كبيراً على "تشامبرلين" ولم يكن أبداً ذو شخصية ساخرة، ولكنه كان على اتصال بالحدث بالإضافة إلى حثه المتواصل، وحتى التوعد والتهديد أحياناً في سبيل إرسال جنوده العشرة آلاف إلى "ناتال" وذلك عن طريق ممارسة الضغط الشديد على "تشامبرلين" المعتبر المحور الأساسي لاقتراحات"كروجر" النهائية التي ستعيق أية فرصة للتسوية يتم التفاوض عليها، والبرهان الأخير لهذا أي من آخز عرض قدمه "كروجر"واقترانه بامتياز مدته خمس سنوات وأيضا شرطان تُوقِعَ رفضهما سلفاً. ولكن هيمنة البريطانيين

1- تضمن مفهوم ميلنر للسيطرة نوايا محددة جيدة. أقتنع أن كروجر وأتباعه مفارقة تاريخية من الجيد التخلص منها، وأن إدارة ميلنر سترفع المستوى الحضاري للشعوب التي تعيش في تلك الجمهوريات سواءً كانوا من المستوطنين الهولنديين أو البريطانيين

2- وهنا إعادة باكنهام لصياغته اعتبار ميلنر لخطر تقويض الرأي العام البريطاني (الضرورات القاسية) لسياسات بريطانيا في جنوب إفريقيا (فوق الجميع، الاستقامة المنزلقة، استهزاء رودس الشهير) للرأي العام البريطاني يجب أن لا يسمح له بتقويض التسوية لا أصوات للأشخاص، أصحاب البزات الملونة في كرانسفال مهما كان الثمن هناك مجموعة واحدة من القوانين التي يعتبرها اليوتيلاندرز حقاً مشروعاً من الدرجة الممتازة لإبقاء الزنوج في مكانهم (باكنهام 1979 ص123-124) هذا المقطع مهم لسببين الأول يعتبر كدليل ما سيدعوه ماك سياسة الضعف الثاني يظهر المقطع نفاق الموقف البريطاني من السود في جنوب إفريقيا في نقاشه مع الوزارة حيث تمادى تشامبرلين باعتباره أن سود جنوب إفريقيا يجب اعتبارهم رعايا بريطانيين وهذه للأسف كانت كذبة مكشوفة (باكنهام، 1979 ص 113-520)

ومحاولتهم لعدم التدخل، قد أثبت– بشكل حاسم– بأن السلام لم يكن مرغوباً فيه، والطريقة الوحيدة للحصول على الامتياز كان عن طريق العنف، وبِقوة السلاح.

كان "اليوتيلاندرز (المستعمرين غير الهولنديين) يعاملون بدونية، ولكن قبائل "الكافييرز" والهنود كانوا يعاملون بدونية أكثر وصلت حد الاضطهاد.

ولكن السؤال الذي يبرز هنا: هل كان الامتياز حقاً الحجة الواهية المستعملة من قبل البريطانيين؟

أو كتبرير للحرب أمام الرأي العام البريطاني الذي كان بدوره يواجه عوائق جدية؟.

ربما خدم الامتياز دوره لتمضي الأمور قدماً في جنوب إفريقيا، وكصرخة حرب مؤثرة لتحصيل الدعم من الرأي العام البريطاني.

ولكن"تشامبرلين" عرف بأن حلولاً أخرى يجب أن يتم إيجادها عوضاً عن الحجج الواهية لأنها لا تنطلي على البريطانيين من جهة، ومن جهة أخرى لأن الرأي العام البريطاني لن يدعم مغامرة حربية فائدتها المرجوة رفع الامتياز من مدة خمسة إلى سبع سنوات وهو فارق سنتين فقط.

وبعبارة أخرى، فإن صانعي القرار في بريطانيا كانوا معلقين بين منطق المقبول وغير المقبول، ولكن "جون سموت" وبعض المستوطنين الهولنديين لم يأخذوا المعلومات على قدر كاف من السرية، وكنتيجة لذلك، قدموا عرض سلام مصمم لخدمة نوايا بريطانيا الحقيقية، ولكن الرفض البريطاني أكد"لجون سموت"و"كروجر" أن الامتياز لم يكن هو الموضوع المنشود، ولكنه كان عوضاً عن تلك السيادة البريطانية على حساب تذلل "الترانسفل" (سميث 1996 صـ 43–54) في حين أن هناك ميزة هامة أخرى من مناقشات "تشامبرلين" للوزارة وهي تأثيرات ما قبل التنفيذ[1] لكن الأمر الآن تعدى شكاوي المستوطنين غير الهولنديين، والسكان الأصليين (ما هو الآن على المحك ليس بأقل من الوضع البريطاني بأسره في جنوب إفريقيا بالإضافة إلى تقدير القوة والتأثير البريطاني على مستعمراتهم والعالم أجمع) وذاك كان فحوى نقاش "تشامبرلين" مع الوزارة (باكنهام 1979. ص91).

1– في جغرافية العنف العرقي لمونيكا دوفي توفت أسهبت بالصعوبات التي تواجه مفاوضات التسوية في حالة ولايات متعددة الأعراق وخاصة بوجود جماعات عرقية تجنح للاستقلال حيث سيكون هذا سابقة بالنسبة للجماعات الأخرى (توفت 2003)

وفي الواقع، فقد رأى"تشامبرلين" أنه إذا لم تهدد بريطانيا باستعمال العنف، فإن الآخرين سيظنون أن بريطانيا ضعيفة، وسيسعون للاستفادة من هذا الضعف. مع الأخذ بالاعتبار أن النصر البريطاني قد امتلك إمبراطورية استعمارية ممتدة، وقد كان هذا اعتبار خطير، لكن "تشامبرلين" كان لديه نقاش أخير بني على أساس رأيه القانوني بقرار وثقافة المستوطنين الهولنديين.

ولكن قد يكون إرسال الجيوش غير ضروري لأن"كروجر" كان مخادعاً، وأُجبر على التراجع بالقوة (بيكنهام 1997 ص:91-92). ولكن، هل كانت بريطانيا تريد خوض الحرب؟. وهل امتدت مصالحها لدرجة تجعلها تخاطر بكل معاركها الخارجية مع الجمهوريات الهولندية الصغيرة؟.

هذا سؤال تصعب الإجابة عليه، لكن السؤال عن الاستعداد البريطاني للتضحية من أجل المصالح الحيوية جداً من حيث المبدأ والاستعداد لنشر الدماء، والثروة في الحرب هو مؤشر جيد عن المصالح الحيوية.

فكلما قل الاستعداد للحرب كلما قل وضع المصالح الحيوية على المحك[1].

ناقش"سميث"في أن بريطانيا لم تكن ترغب بالحرب في الواقع ومؤشره عن النوايا البريطانية هو نقص التجهيزات العسكرية لدى بريطانيا في الحرب (سميث 1996 ص337-338) ولكن هنالك مشكلة واضحة في هذا التفسير، فقد يكون هناك أسباب أخرى جعلت بريطانيا لا تستعد للحرب بشكل جدي في جنوب إفريقيا. الأهم من بين كل هذه الأسباب هو عدم الانتباه للقدرات العسكرية للخصم[2].

و قد لاحظ "سميث" بنفسه أن بريطانيا كانت معتادة على الحروب الصغيرة التي تتطلب عددا قليلا جدا من الجيوش (سميث 1996 ص:3) كما أنه وضح أن بريطانيا

1- كان هنالك مصالح اقتصادية كالذهب والألماس في جنوب إفريقيا التي ناقش الباحثون طويلا على أنها الأسباب التي جعلت بريطانيا تخوض الحرب. أكثر نقاش جدير بالذكر كان قد صدر عن الاشتراكي ج. ا هوبسون، في كتابه المؤثر:حرب جنوب إفريقيا:عن أسبابها ونتائجها. رأى هوبسون أن السياسة البريطانية كانت رهينة مصالح رأسمالية خاصة أولئك الذين يدعون بحشرات الذهب مثل سيسل رودس وألفريد بيت (هوبسون، 1990). وقد نفت الدراسات التالية ذهنية الفرضية تماما (سميث، 1996ص:393-412)، لكن حتى إن لم تكن قد نفيت فإن النقاشات كانت لتقلل من ادعاءات أن جنوب إفريقيا كانت تعد مصلحة حيوية لبريطانيا، وأنها كانت لتقاتل وتموت لأجل ذلك.

2- تفسير آخر يقول إن بريطانيا لم تكن مستعدة لأي فعل عسكري، من خلال المناقشات عن النقص الكلي للاستعداد البريطاني لمعركة كبيرة، انظر في كتاب هامر (1970، الفصل 6). يظهر هامر أن نقص الاستعداد البريطاني لم يكن خاصا بالقتال في جنوب إفريقيا، ولكنه كان ليتضح في أي شيء آخر عدا الحرب الصغيرة.

لم تعر اهتماما كبيرا لتهديدات الهولنديين (سميث 1996 ص:339). بيكيهام أخذت النقاش إلى منحى أبعد. بعد وصول لاندس أون بأيام قليلة أرسل برقية ليسأل عن الأسئلة الأساسية الأولى. كان رد (بين سيمونس):أن مجرد ألفي جندي إضافي سيحمون منطقة ناتال من الحدود الشمالية على الرغم من محاولات تقييدهم من الجمهوريين (بيكيهام، 1979 ص:74).

كان السؤال الحقيقي: ما الذي سيفعله المستوطنون الهولنديون؟

ففي شهر أيلول/سبتمبر كان الحاصل الكلي للجمهوريين الهولنديتين أربع وخمسين ألف رجل، في حين كان مجموع الرجال البريطانيين عشرة آلاف الحرب. في مستعمرتي"ناتال" و"كاب"..

ولكن إذا قام الهولنديون بالهجوم، فهل سيسعون لاشتباك مباشر مع قوات الحامية بقوة، أم أنهم سيتخذون إستراتيجية الإغارة، أم دفع القائد فقط لداخل مستعمرتي"ناتال" و"كاب"؟.

تنبأت الاستخبارات العسكرية البريطانية، تحت قيادة الجنرال "جونكيف" بالأهداف وقد استطاع مع قطعته العسكرية التكيف مع النتيجة؟ويبدو هذا مذهلا في ظل هذه الأحداث أن الملاحظات العسكرية قد أعطت الجواب، حيث لم يعتبر المستوطنون الهولنديون كخصم عسكري حقيقي أو كرجال مقاتلين، بل كان من المتوقع أن يكونوا رديئين مقارنة بالهولنديين الذين هزموا قوات "كولي" الصغيرة في منطقة " موجابا".

- الأول: كان الهولنديون– الذين اعتادوا على مقاتلة قبائل "الكافير"– يجهلون كيفية محاربة رجال كبار (بيكنهام، 1979، ص:74–75).

ومن ناحية أخرى، لا يوجد قطعاً طريقة لتأسيس رغبة بريطانية نهائية لمشروع الحرب على الرغم من أن ما سبق وضح التحضيرات البريطانية للحرب إضافة إلى ذلك كميات كبيرة من الإثباتات الموثقة المتوفرة بأن رغبة "ميلنر" بالحرب على أنها الحل الوحيد لتحقيق الأهداف البريطانية في المنطقة كانت الراجحة حتى ولو أن بريطانيا لم تفضل ذلك الخيار، وبعبارة أخرى، فقد أرادت بريطانيا الحرب فعلاً ولكنها لم تردها كما كانت.

عشية الحرب والمصالح الهولندية:

لقد عرفنا مسبقاً بأن بريطانيا رغبت باحتلال الجمهوريات والتحكم بسياساتها وإدارتهم الاقتصادية وذلك لتسهيل تأسيس مساحة سياسية موحدة حكومة أفريقية جنوبية مذعنة للحكم البريطاني، ولكن ماذا كانت الاهتمامات الهولندية؟ وبشكل أساسي، كانت المصالح الهولندية بشقيها وبقيادة كل من "كروجر" و"ستين" تسعى للحصول على الاستقلال السياسي عن بريطانيا من خلال مفاوضات هدفت إلى اندلاع الحرب.

استطاع الهولنديون إثبات وجودهم بشكل ملحوظ، وكذلك سعيهم للتعويض عن العديد من المواضيع الرئيسية، وعلى سبيل المثال امتياز "تشامبرلين" و"ميلنر" ومع ذلك، فمع حلول عشية الحرب، كان اثنان من أشكال تضارب المصالح قد جعلا من الحرب قدراً لا مهرب منه[1].

- الأول: أن بريطانيا أعلنت بشكل واضح بأن الاحتلال لابد منه. والهولنديون من جانب أخر عبروا عن استعدادهم الواضح للتعامل مع إعادة انتشار القوى البريطانية وزيادة عددها ولكن لا تفاوض للإذعان المطلق للسيادة البريطانية.

- الثاني: وبشكل أسوأ، فقد قلل البريطانيون من شأن حجم الجيش الهولندي، وإعادة استخدامهم لهذا الجيش، وما نتج عن ذلك أن الطرفين تبادلا التهديد والوعيد لتحقيق مطالبهم وعند عدم استجابة أحدهم للأخر ابتدئ الهولنديون بالحرب[2].

1- لنكن عادلين ودقيقين: لا يوجد هنالك مصالح هولندية واضحة ما عدا تصريحات بعض القادة الناتجة عن الألم والانكسار والتفرق على الصعيد الهولندي والتي شارفت على الانتهاء. ولم يكن آنذاك من أمة افريقية متحدة والأفارقة في أنحاء البلاد يحاولوا أن يتوحدوا بأكثر من طريقة خلال القرن التاسع عشر. إن الجدير بالذكر أنه كان هناك هولنديين أكثر في مستعمرة كاب من الجمهوريتين معاً (سميث 1996 على الرغم من ذلك لربما المطالبة الجمهورية بالتخلص من الحكم البريطاني كانت ملحوظة)، ص7.

2- على الرغم من أن الهولنديين بدءوا بإشعال الحرب ولكن هذا من الناحية التقنية لتيار المصالح ولكن بريطانيا هي المسئولة الأولى والأخيرة عن الحرب كلها ولا جدل على ذلك.

الحرب الجنوب افريقية

أمن سميث الملخص الأكثر منطقية وواقعية للحرب الجنوب أفريقية من حيث الأهمية التاريخية وعلاقتها بسؤالنا المركزي.

لقد استمرت الحرب الجنوب أفريقية من عام 1899 إلى 1902 واعتبرت الأكثر تشديدا وكلفة وإذلالا مقارنة مع جميع الحروب الأخرى التي خاضتها بريطانيا منذ اندحار نابليون في عام 1815 إلى بدايات الحرب العالمية الأولى عام 1914شملت الحرب من القوات ما يعادل أربع أضعاف القوات التي شاركت بحرب كريمين كما وكلفت ثلاثة أضعاف تلك الحرب المذكورة مسبقاً وهي أيضاً اعتبرت الحرب الاستعمارية الأكثر كلفة خلال القرن للإمبراطورية العظمى كما واعتبرت الحرب الأعظم في فترة الوجود الأوربي في إفريقيا حين لجأت الحكومة البريطانية إلى الحرب عام 1899 لإنهاء الحرب الموقف الهولندي البريطاني المتنازع بمنطقة "ترانسفيل" حيث كانت القوة السياسية متمركزة بأيدي الهولنديين لتجاوز أسباب التوحد الجنوب الأفريقي وتأسيس قوة بريطانية مهيمنة في الجنوب الإفريقي حيث كانت جهتان جمهوريتان هولنديتان قد قاتلتا في سبيل استقلالهما عن حرب استعمارية ضد الإمبراطورية البريطانية. تلك الأمتان الأفريقيتان اللتان اعتبرتا الأصغر عالمياً حيث لم يتجاوز عدد سكانهما مئتين وخمسين ألف نسمة مع حلول شهر آذار من عام 1900 وما قدر مجموعه بمئتي ألف جندي بريطاني شاركوا في الحرب في جنوب إفريقيا ضد الهولنديين مما أسفر عن خسارة خمس وأربعين ألف قتيل (سميث 1996 ص 1).

ومما لاشك فيه، أنه بعد أخذ القوى بعين الاعتبار القوى من الطرفين في هذه الحرب، فقد كانت بريطانيا اللاعب الأقوى على الرغم من أن الطرفين الهولنديين، والدعم الذي قدم لهم من السكان الأصليين في مدينتي "كيب" و"ناتال"إلاّ أنهم خسروا في النهاية جميع قواتهم التي كانت نسبتها خمسة إلى واحد.

المواجهة الأولى: الهجوم التقليدي ضد الدفاع التقليدي: (تشرين الأول – كانون الأول 1899)

في بداية تفاعل الحرب، كان عدد المستوطنين الهولنديين يفوق عدد الجنود البريطانيين في مستعمرة "كيب" و"ناتال" بثلاثة أضعاف. وهذا كان وصف "بيكنهام" لإستراتيجية المستوطنين الهولنديين فباعتقاده أن إمكانية الحرب ستكون مؤكدة أكثر.

انطلق(سماتس) بعد ذلك في خطة محمومة لهجوم عسكري. وكان القرار هو حرب خاطفة ضد "ناتال"وقبل وصول أية تعزيزات.

كانت الفائدة في الزيادة العددية سوف تكون في مصلحتهم بشكل تقريبي وبنسبة ثلاثة ضد واحد. فهناك أربعون ألف هولندي ضد خمسة عشر ألف جندي بريطاني. وهكذا، فمن خلال إطلاق كل جيوشهم ضد "ناتال"فإنهم سوف يأسرون "دوربان" قبل أن تحضر سفن التعزيزات البريطانية.

وبهذه الطريقة، كانوا يستطيعون احتجاز المدفعية والمخازن بكميات هائلة، وكذلك سوف يشجعون أفريقيي مدينة "الكيب" في الداخل ليشكلوا لأنفسهم جمهورية ثالثة عظيمة.

و في هذا الصعيد، فقد عبر البريطانيون من أن الارتدادات العالمية سوف تكون مفاجئة: "وسوف تسبب هزة فورية للإمبراطورية البريطانية في قسم مهم فيها".

فأعداء البريطانيين، فرنسا وروسيا وألمانيا، سوف يسارعون لاستغلال انهيار البريطانيين[1]. (10)

يبدي النصف الأول من رؤية "سماتس" الجدلية في ضوء هذه الأحداث. فما الذي لعن من جهة أخرى الخطة الإستراتيجية الجيدة حيث كان الوقت والتردد من رئيس ولاية "أورانج فري" " ستين". لقد تردد"ستين" طيلة شهر أيلول عندما كانت سفن الجند البريطانية تتبخر (يقل عددها) قرب "دوربان".

خلال ذلك الوقت كانت قد جندت الجمهوريتان، لكنهما كانتا متأخرتين جداً. فمع حلول التاسع من شهر تشرين الأول، كانت أكثرية سفن الجند البريطانية قد رست

1- (بيكنهام، 1979: صـ 102 – 103)

عند"دوربان" وبالنسبة للتكتيكات الهولندية ومعداتهم وتدريباتهم الواجب إضافتها للتمكن من إحداث هجمات تقليدية ضد القوى النظامية في المراكز المدعومة، وإن منظمتهم وتدريبهم جعلهم مدّعيين مثاليين لإستراتيجية "سماتس".

كان قادتهم المدنيين المنتخبين قد أصبحوا قادة منصّبين كما أنهم يحكمون من خمسمائة إلى ألفي مواطن من كل مغوار في المعركة. وفي نظام المغاوير هذا كان لا يوجد أي شخص مهمته تدريب المواطنين فكان الرجال يتركون للقتال كما يقاتلون بالعادة مع تكتيكات الفرسان على الجبهة. فإذا كان عدد جنود العدو هو الأكثر فإنهم يثيرون هجومه ثم يفككونه ويتستروا ثم يصوّبوا ويمتطوا فرسانهم ثانية وينطلقوا.

وفي الأدلة العسكرية الأوروبية كانت هناك صيغة تعرف " بالهجوم الإستراتيجي والدفاع التكتيكي". فالهولنديون لم يرووا هذه الأدلة من قبل. (بيكنهام 1979: ص105)

بدأت الحرب بهجوم المغاوير الهولنديين (بشكل أساسي مدعومين بالفرسان والمشاة وبالمدافع الثقيلة) ضد البريطانيين في ثلاث مناطق: "داندي"في الجنوب، "مافيكينغ"في الشمال، و"كيمبيرلي"في الشمال الغربي. في الوقت الذي كان فيه البريطانيون مكشوفون بشكل خطر في شمال نهر "توجيلا"في"ناتال".

كان الجنرال البريطاني"جورج وايت" الموجود في المنطقة قد تساءل إذا ما كان عليه أن ينسحب من "داندي"إلى مواقع أخرى في جنوب"توجيلا"، وقد أجيب بالرفض من قبل الوكالتين العسكريتين المحليتين (قائد موقع "داندي" العسكري، السيد "بين سيمونس") – الذي لم يعتبر الهولنديين خصوماً عسكريين – ومن قبل الوكالة السياسية (حاكم "ناتال" السيد "والتر هيلي–هيوتشينسون) – لأنها سوف تشجع قبائل "الزُولو" ليثوروا (بيكنهام، 1979: ص109)[1].

أخذ أول صدام مسلح بالحرب مكانه في العشرين من شهر تشرين الأول في "تالانا هيل" خارج "داندي" في "ناتال". في حين كان الهولنديون بقيادة "لوكاس ميير" وكان البريطانيون بقيادة "سيمونز" الذي كان جالساً لتناول الفطور عندما انهارت أول الدروع الهولندية في "داندي".

1- اجي ميلنر في مجادلة مماثلة مؤخرا وقرر بشكل مماثل تحضيرات رهيبة أخذت بعين الاعتبار الإمكانية الثورية لأفريقيي الكيب في إحباط الإحداث العسكرية أو نقصان وجود الضرورات العسكرية في كيب.

كان"سيمونز" مجنوناً وليس عبقرياً عسكرياً. في حين كان الدفاع في "داندي "منظماً حيث إن تكتيكاته كانت تلزم الهولنديين الذين كانوا:

(1) –جهزوا هجوم المدافع.

(2)– هجوم المشاة (الذي انتهى بمهمة المطالعة بالسلاح الأبيض).

وأخيراً (3) – أعطيت مهمة منع تراجع العدو، على الرغم من أنه كان هناك عدد من تابعيه قلقين على الهدف الذي من الممكن أن يقدم الجيوش المجهزة بأحكام ليدعم ويعجل إطلاق النار، كما أن على "سيمونز" أن يؤمن أيضاً المحافظة على جنوده المشاة تحت أهبة الاستعداد (لتقديم ضربة عظمى).

و بذلك، فقد أثبت الخطى، ولكنه كان يجب عليه ألا يكون رحيماً، أو يري عدم اهتمام أو عجز في هذا الحساب، لأنه، وكما علق باكنهام:

" في كل أوروبا، ليس هناك أي أحد من الجنود لم ير في حياته إطلاق نار كثيف في مخازن ذخيرة البنادق[1].

مع نهاية مسكتة في وجوههم ". (باكنهام، 1979:132) وبنتيجة ذلك، كانت للتو قد رفعت الستارة على جولة أخرى بين منظمة جيش المزارعين المترجل المجهز بشكل دراماتيكي بالعتاد الحربي المدعم، مقابل الجيش الباهظ والضيق الفكر والواثق من نفسه وحتى الأفضل (و بمصطلح الأرقام) الجيش الإمبريالي البريطاني.

و في المعركة نفسها، التي فاز البريطانيون فيها المبارزة بالمَدفعية (ثمانية عشرة سلاحاً ضد ثلاثة)، وكان "سيمونز" والعديد من ضباطه وجنوده المشاة ماتوا لإجبار مغاوير المزارعين على الخروج من تلة "تالانا" فقط ليكتشفوا أن معظم مغاوير "ماير" قد هربوا

1– حكمة كروجر جهزت الهولنديين بالسلاح الحربي –98و الدقة، الجدارة بالثقة، التغذية الإعلامية، تسخير المؤخرة بذخائر لا دخانية. صحفي بريطاني في هذا المشهد قدم الوصف التالي للهجوم المفاجئ للفرسان ضد مغاوير كوك المتقهقرين في يلاند سلاغات " الهجوم المفاجئ لمئتي فارس يعدون عبر خطة صممت لتكون قوة غير قابلة للمقاومة. إنها لن توقف بسهولة لأن العدو سوف يطلب الاستسلام... خط الهجوم المفاجئ للفرسان امسكهم بالطرف الجانب يمثل المقدمة الفولاذية للسفينة المحطمة التي تحطم قارباً خشبياً. الناس سمعوا أثر السحق – وشاهدوا وميض مسدسات الضباط، وسمعوا صراخ الهولنديين كمحاولة لإنقاذ أنفسهم... تراجع المحاربون لهجوم مفاجئ ثان. ("أفضل طريقة لصيد الخنازير البرية... لحوالي عشر دقائق، لتعبة ستون شخصاً في الكيس"كما علق أحد الضباط لاحقاً) إطلاق النار والصراخ مرة أخرى... مبكرة. لقصة أصبحت بأن الهولنديين لوّحوا بأعلام الهدنة، وبأية حال، كان الأمر: لامعتقلين" (باكنهام، 1979: 143–144).

على الأحصنة. وبعدم معرفة "سيمونز"، الذي كان يفترض أن يقطع انسحاب"ماير"لكنه دخل في مشكلة وانسحب في ساعات مبكرة. ولذلك فاز البريطانيون بالتل، ولكن هل فازوا بالمعركة؟ لقد أثبت القتال من أجل تلة "تالانا" مثالية معظم المواجهات بين البريطانيين والمزارعين حتى "بلاك ويك، أي الأسبوع الأسود " في كانون الأول.

وبالرغم من أن الهولنديين غالباً يملكون أسلحة أفضل، فإنه لم يكن لديهم مشاة من الهولنديين قادرون على تغيير المعطيات" القانون الثاني"من نمط القوانين الثلاثة المنشأة من قبل "سيمونز" وضباط نظيره في التفاعلات المبكرة لهذه الحرب. فقد كان جنود المشاة البريطانيين يميلون إلى الهجوم المباشر ضد الجنود المشاة الهولنديين المتحصنين في نظام مغلق، وذلك لدعم المصابين الكثيرين من قوة الأسلحة الكثيفة لأسلحة حربية جديدة.

كان الضباط البريطانيون، الذين زجوا برجالهم إلى المعركة، وكذلك تأثيرات البودرة اللادخانية قد أثبتت فعالية في إحداث حالة من الإرباك على أقل تقدير. فبالنسبة للبريطانيين، كان الهولنديون المحصنون غير مرئيين حتى أصبح الجنود المشاة متقدمين فوقهم. وهذا ما جعل من الصعب على الضباط الاختفاء والتركيز والتقدم، وكان انسحاب جنودهم المشاة فعالاً. لكن النتيجة كانت قتل الكثيرين منهم. وهكذا، فبعد تثبيت الحراب من أجل الهجوم المفاجئ الأخير، كان البريطانيون عادةً يجدون هدفهم مهجوراً: معقلة من الهولنديين المقتولين عبر المدى المنظور، لكون معظم المغاوير قد هربوا بعيداً على الأحصنة. وحيث يملك البريطانيون في الحقيقة سلاح فرسان قوي، كما في حالة جنرال الهولندي "ينكووك" المتقدم تقدماً غير ناضج ضد البيض في معركة "ليدي سميث أو السيدة سميث"، بشكل حاسم – إذا كانت البربرية– المعطيات ممكنة[1]. ولكن على أية حال، فقد كان البريطانيون يفتقرون للعدد الكافي من الفرسان في جنوب إفريقيا لمواجهة تكتيكات الكر والفر عند المستوطنين الهولنديين[2].

وفي الأسابيع القليلة التالية، استمرت القوتين في المواجهة معركة بعد معركة، والتي كان فيها البريطانيون هم الأسوأ. وفي شهر تشرين الثاني، وقع البيض في الشرك في منطقة"ليدي سميث" وانتهت بذلك جميع ادعاءات الحرب القصيرة. وقد كان اعتقال البيض في "ليدي سميث" ربما أكبر خطأ استراتيجي بريطاني في الحرب. وعلى الرغم من

1– 2 – ثلاثة مشاكل ظهرت بعلاقتها مع فعالية حلبة الفرسان في جنوب أفريقيا.

أن الأمر قد أعطي من جنوب نهر "توغيلا" فقد كان ذلك – وفق حرب القوى العظمى – أن الأوامر، بمعنى آخر، كانت لتفادي الحصار بجميع تكاليفه. ولكن ماذا حدث بعد ذلك ولماذا؟.

أولا: وجد البريطانيون أنه من المستحيل أن يضعوا عدداً كافياً من الأحصنة في المسرح. وقد جردوا الأحصنة من المستعمرات الأخرى كما فعلوا في الهند واستراليا. ولكن الناقل أخذ معدات ثقيلة والأحصنة التي نجت لتصل إلى المسرح كانت غالباً ضعيفة جداً لتستخدم للفرسان.

ثانياً: كان المناخ والمنطقة في جنوب إفريقيا صعباً على الأحصنة والتي لم تكن تحتاج فقط لوقت إضافي للتأقلم، ولكنها لا تستطيع بعد ذلك أن تستخدم في دعم العداء(التي قتلتهم). مع مرور الوقت البريطانيون فهموا هذا، وقد كانوا دمروا بفعالية فرسانهم المتحمسين كقوة مقاتلة. أخيراً، سياسة الأرض المحروقة البريطانية الأخيرة (الورقة الرابحة) كان لها التأثير بحد حركية تشكيل الفرسان إلى سكة الحديد، لأن السياسة لم تدمر فقط العلف لأحصنة الهولنديين، بل دمرت العلف لأي أحصنة. في النهاية، البريطانيون عدلوا عن محاولة توظيف الفرسان، ولجؤوا لسياسة أكثر حكمة ألا وهي التظاهر بأنهم الهولنديون ويستخدموا أحصنتهم ليعتمدوا على الجنود المشاة المدربين جيداً.

لقد أدرك البيض – بشكل رئيسي مثل جميع نظرائهم في ذلك الوقت – بأن الهولنديين ليسوا خصماً عسكرياً ثرياً؛وإنه بوضع قدرتهم القتالية جانباً؛ فإن روحهم المعنوية سوف تصبح هشة جداً حيث أن انتصاراً بريطانياً حاسماً سوف يضيق الخناق عليهم.

و مع ذلك فإن تجاوز الأرقام مع "جوبرت، الجنرال الهولندي المشهور، بنسبة اثنين لواحد. ما الذي جعل إرادته توقعه في خطر الوقوع في الشرك بتقديم حرب ضد مأموريه الخاصين؟

لقد أثبت "باكنهام" اثبت جواباً بالغاً الطول في السرد:

"كان (البيض) إلى حد معين يعبرون فحسب عن إهمال الجنرالات البريطانيين التقليدي لحقائق الحرب واسعة النطاق. فلنصف قرن، خاض البريطانيون معارك صغيرة ضد رجال القبائل في الهند وإفريقيا ضعفاء السلاح وغير المتحدين. وغالباً ما بدأت هذه

الحروب المرعبة، حيث أجسام الرجال الصغيرة، المحاطة من قبل الهمج الذين لم يعطوا أي رعاية، والذين قاتلوا إلى آخر طلقة.

وفي الوقت المناسب، يأتي الجيش الرئيسي البريطاني المشهد ويوقع السحق والهزيمة الدائمة بالعدو. كان هناك القليل من الإستراتيجية، أو الكثير من التكتيك، المناورة، بالمعايير الأوروبية حيث أُجهد الرجال في الصحراء أو الغابة، والتي كانت المشكلة الرئيسية للجنرال البريطاني". وبالمقارنة، فقد كان القتال الفعلي بسيطاً. كما كان لدى "روبرت"في أفغانستان، و"لسلي"في مصر و"كيتشينر"في منطقة "أم درمان" في السودان.

على الرغم من أن الحملة قد تستغرق شهوراً، لكن المعركة الحاسمة يمكن أن تتم في ظرف ساعات. وحدثت الحرب ليوم واحد، كما تدربوا في سهل "ساليز بوري"لذلك كان من الطبيعي للجيش الأبيض لكي يحاول أن يوجه الضربة القاضية إلى "جوربت"، أما بالنسبة إلى "سيمونز" فإنه سيحاول أن يتعامل بنسبة واحد ضد واحد"لوكاس مير". (بانكيهام، 1979: 155).

أخفقت قوات البيض في حسابات الحقل"بالبويريين"وذلك في الثاني من شهر تشرين الثاني، وتراجع البيض إلى منطقة "ليدي سميث"حيث ظلت مع ما تبقى من القوات محاصرة حتى الثامن والعشرين من شهر شباط من عام 1900.

وعند نهاية الأسبوع الأول من تشرين الثاني من عام 1899كانالبريطانيون قد حوصروا عملياً في ثلاثة حصارات:

1. "كوك يوش"مع"سيسل رهوديس"على "كيمبيريلي".
2. وكانت"بادبين بويل"تحت الحصار في"مافيكينج".
3. وحوصر البيض مع"قوة فيلد"في"ليدي سميث".

لقد عقدت الحصارات الثلاثة حملة عسكرية بشكل ملحوظ ضد البويريين، ولأن الفخ الذي نصب للبيض(ولأسباب سياسية"سيسل رهوديس"في كيمبيريلي) فقد أجبر البريطانيون على أن يقسموا قواتهم لكي يخففوا من ضغط الحصارات، بدلاً من أن يركزوا بشكل أسرع نحو المدن "البويرية" الكبيرة بشكل لا ويقاوم.

الأسبوع الأسود: كانون الأول 1899

سقطت مهمة تخفيف هذه الحصارات أولا بيد قائد من جنوب إفريقيا في العام الجديد وهو القائد "ريدفير بوللر" واللورد "إيثن" الذي تقدم ليخفف عن "كيمبرلي" وذلك في الحادي عشر من كانون الأول وحتى الخامس عشر منه، بينما كان يسرع البيض ليعيشوا ثانية في "ليدي سميث" بعد أن وجد "بولر" نفسه يرد على "بويري" المتحصنة تحت القيادة الماهرة للقائد "لويس يوثا" احد أصغر القادة والأكثر قدر على الجنرالات "البويريين" ولذلك، فقد تم استبدال "بولر" باللورد (روبت) مع اللورد (كيتشينير) كرئيس هيئة أركان واللذين قاما بما أصبح معروفاً بالأسبوع الأسود في الصحافة البريطانية.

في الحقيقة، على الرغم من أن الحالة العسكرية كانت تنقل البريطانيين كانت متغيرة على الدوام، فقد أخذوا على عاتقهم في النهاية الهجوم على "البويريين" لإيقاع خسائر أكثر، لكن النتيجة جاءت عكسية مما سبب في تراجع القوات، الأمر الذي سبب غضباً عاماً على مدار الأسبوع والذي يعكس أبعاد الأزمة، وقد كان هذا الغضب في الحقيقة قد ساهم في التأثير على التصرف البريطاني في الحرب:

وهكذا، فمن أجل توسيع الجيش البريطاني في جنوب إفريقيا، كان بجب تجنيد قوّات جديدة، واستئجار السفن، وإرسالها إلى جنوب إفريقيا. لكن ذلك جوبه بموجتي ضغط سياسيتين، وعواصف شاذة من الرأي العام "

—حيث هزت الموجة الأولى أركان "الوايت هول" في لندن.

—الموجة الثانية كانت مصدر شوءم للعالم بأكمله: كانت صدمة قوية – فموجة الخوف من الإنكليز تتذبذب عبر القارة، وعجّل بالحرب من قبل البريطانيين، ولكنهم فشلوا في ربحه. (باكينهام1979–257)

مرة ثانية، وبشكل إدراكي، اعتقد"باكينهام"أنه وباستمرار المحاولة للعزل، فإن ما ساهم في جذب اهتمام الرأي العام البريطاني هو"الأسبوع الأسود"والذي يجادل بأنه كان"إحباطاً في النصر المتأخر الطويل جداً ": كان لدى الشعب البريطاني حرباً رخيصة جداً لنصف قرن، فحروبهم الصغيرة تلك كانت ضدّ الرمح والدرع والجلد الخام. ولكن الإصابات الصغيرة للبريطانيين – كفقد أكثر من مائة جندي بريطاني قُتلوا في المعركة – كانت كارثة عانت منها القوات البريطانية فقط منذ التمرد.

أما الآن، ففي عام 1899 قاموا بإرسال البعثة إلى ما وراء البحار الكبرى في التاريخ البريطاني لإخضاع واحدة من أصغر أمم العالم. وهو أمر قد يكون شاذاً إذا ما اشترك الجمهور في ثقة الحكومة.

لكن الإصابات الناتجة أعادت الحسابات: سبعمائة مقتول في الحرب، والكثير من الجرحى– أكثر من ثلاثة آلاف جريح– منذ تشرين الأول...

كان هذا الإذلال قد تسبب في مرارة شديدة (باكينهام، 1979: 258).

وتبرز قضيتان رئيسيتان:

—سياق حساسية المصاب البريطانية.

—والدرجة التي تحفز الفخر وخزي الأعمال البريطانية، وأهداف الحرب البريطانية.

أما الآن، فأن التكاليف تتزايد، والمكاسب غير متوقعة؟.

ولذلك، فإن إعادة صياغة "باكينهام"تضيف ما اعتبر تنبيهاً للناس والذي سيكون —مشوّهاً– لإبعاد هذه المخاوف عن الموقع، وهو قارن الواقع الحاضر "الإذلال والإهانات" أثناء الفترة الوطنيّة الحقيقية كالتي حدثت أثناء الحرب النابوليونية أو التمرد الهندي.

ولكن، كيف سينجو "مالبورو" و"يلينغتون" و"هافلوك" من هذه المحنة؟ فقد كانت تصل البرقيات إلى لندن حول نتيجة كل ضربة يضربونها، أو المحاكمة. وتخضع للفحص كل ساعة من قبل الجمهور البريطاني.

ذهب الكفاح أعمق بكثير الآن من مجرد السؤال —كإبقاء موقعنا في جنوب إفريقيا– والتي ستكون عنواننا الذي سيكون معروفاً بقوة عالمية على المحاكمة. (باكينهام، 1979: 258)

مع أن الحرب لم تبدأ على أنها مصلحة لبريطانيا، فقد جاءت ملاحظات "اسكويث" لتوضح بأنها أصبحت كذلك الآن. يشير هذا النص أيضاً لما من الممكن أن تشكل الشكوى الإعلامية الأولى بخصوص الاشتباك بين العامة من أجل الحصول على معلومات حول تكاليف وإدارة الحرب، وضمان درجات الحرية لسلطات الجيش المحلية فوزها. كما سيصبح واضحاً في التفاعل القادم للحرب، ولكن لن تكون الشكوى الأخيرة. مع موافقة "روبرت" و"كيتشينير"على الأمر– والأهم من ذلك وصول عدد كبير من الجيوش البريطانية المساعدة – المرحلة النهائية للتفاعل الأول للحرب قد وضعت الآن.

كانت هناك حماقات من كلا الجانبين، ولكن مع نهاية شهر حزيران من عام 1900 قامت قوات "روبرت" بأسر "بلويم فونتين"في13 آذار، و"جوان يسبورغ"في31 أيار. وأخيراً"بورتيا" في 5 حزيران. ولشدة سروره إثر أسره"لبلويم فونتين" قام روبرت بإصدار إعلانه الأول في15 آذار: للعفو عن الأعضاء النظاميين من "البويريين"كما أنه – بإمكانهم الإبقاء على ملكيتهم إذا أعادوا بنادقهم وأقسموا قسم الحياد – ولكن العفو لا يشمل الزعماء "البويريين" وكانت الحصارات الثلاثة أيضا سارية المفعول.

انتهت الحرب في "كيمبيرلي" في15 شباط، وفي "ليدي سميث"في28 شباط)، وفيما فيكنغ في 17 أيار. لكن موكب"روبرت" المنتصر، والمتجه إلى "بورتيا" أشار إلى انتهاء الثلث الأول من الحرب فقط والذي كان بانتظار أن تدوم الحرب، وبطريقة وحشية أكثر لسنتين قادمتين.

المواجهة الثانية:الهجوم التقليدي

من"بلويم فونتين"إلى "بيرتوريا": آذار، حزيران كان للمواجهة الثانية للحرب تكوينها الخاص في الفشل على الصعيد الهولندي. وكان "كريستيان دي ويت"– وهو من أكثر القادة موهبة، بل والموهوب الوحيد من قادة العصابات – قد فكر من خلال الايجابيات والسلبيات لهم. الهولنديون ومن خلال سياسة الطعن والهرب بعد استسلام الجنرال "كرونجي" في "بارديورغ" لكن"دي ويت" قد شاهد الكثير ليدرك على أنه– إلى جانب الأخطاء التي ارتكبها القادة الهولنديون كالقائد "كرونجي"– فإن التفوق العددي للبريطانيين طالب بإستراتيجية جديدة من الهولنديين. ،

لم يكن النظام القيادي مناسباً لحروب ذات نطاق واسع بل لهجمات العصابات ذات النطاق الضيق. حيث يمكن لمجموعة صغيرة أن تقوم بأفضل استخدام للموجودات وقابلية الحركة، في حين أن أسوأ عيوبهم وقلة انضباطهم سيكون بمثابة عقبة لهم. على الرغم من أن البريطانيين ارتكبوا أخطاء أيضاً:

1. من حيث الاستخفاف بعدوهم.
2. فشلهم في إعداد قواتهم وتكتيتكاتهم وعدم استغلالهم لإمكانية إصابة الطرق الهولندية في القتال ولكن البريطانيين – الذين ربحوا في النهاية– أظهروا اهتماماً قليلا بتعلمهم من أخطاءهم.

فبعد أسر"روبرت" من قبل الهولنديين الرأسماليين، عاد إلى لندن حيث تم الترحيب به كالأبطال، وقام"كتشنر" بإعادة"روبرت"كقائد عام للجيش في تشرين الثاني من عام 1990 ولم يكن مهتماً بأخطاء القادة الآخرين، إذ لم يظهر "كتشنر" أي اهتمام بالتعلم من أخطاء"بولر" و"ميثون" وأرجع سبب فشلهما على الأرجح إلى ضعف ثقتهم بأنفسهم.

في ثورة التكتيكات– في الحرب الجديدة الخفية للبنادق والخنادق– فقد ظهر أنه غير مدرك بشكل خطير (1979 ص:351(في حين أبدى بعض القادة البريطانيين قلقهم بشأن الصعوبات التكتيكية والإستراتيجية والتي يمثلها العدو، كالأرض والطقس.

في بواكير شهر تشرين الأول / أكتوبر من عام 1899 خطط"بولير" لبناء وتجهيز قوة كبيرة من جيش المستعمرات غير النظامي المدرب للمحاربة كالهولنديين، وقد تنبأ "بولر" بمشكلة النقص في قابلية التحرك، وقام نفسه بالتكهن بانتقال الهولنديين لسياسة الطعن والهرب (و هذا أمر منطقي)، في هذا النمط من المجتمعات الاستعمارية الأولية، حيث لم يكن هنالك تخطيط عال للآليات الإدارية والحكومات المركزية كانت تمتلك تأثيراً وسلطة محدودة، لم يمجد الزمن بعد كرسي الحكومة مع هالة من الاحترام، وهذا ما كتبه "بولر":

"لكل رجل بيت هو الرأسمالية. لذلك ليس هنالك مركز متحكم من قبل الاحتلال حيث يمكن إخضاع البلد أو حتى المقاطعة بالكامل. فلا نقطة حيوية توجد بحيث يمكن لضربة واحدة أن تشل كافة أعضاء الجسم. يوجد هنالك أنظمة يمكن أن تقسم إلى مجموعة متعددة من الأجزاء من دون تدمير حياة كل جزء". وكان هذا جزء من تحذير "بولير"إلى "روبيرت".

الهولنديون كانوا جسدا بلا رأس. ولكن كما رأينا سابقاً فإن "روبرت" لم يكن يؤمن كثيرا بآراء "بولر". فقد تشبث"روبرت" بالرأي التقليدي عن الإخضاع.

احتل المدينة معتقداً بأن ذلك بمثابة قطع لرأس العدو. وستكون روح العزيمة لديهم قد ماتت أيضا، وقد نوى أيضاً على استعمال الوسائل السياسية – ذاك النوع الذي استعمل غالباً في الحروب على الحدود الهندية– ليمهد تقدمه نحو "بريتوريا".

و في الخامس عشر من شهر آذار، أصدر عفواً عاماً عن كل مواطني الولايات الحرة مستثنياً القادة منهم. (باكينهام 1979ص:399). لذلك لم يدرك البريطانيون بسرعة أن إستراتيجيتهم لن تتمكن من الفوز بالحرب. فقد استمروا بالاحتفاظ بفكرة أسر القيم

وإصدار عفو محدود كطريقة لإنهاء مقاومة الهولنديين، في الوقت الذي بدأ فيه الهولنديّون بالمقابل بالتخطيط لإستراتيجية جديدة مبشرة بعد أسر مدينة "بلويم فونتين.

كانت تلك الإستراتيجية تعتمد على سياسة الطعن والهرب. وكان المخطط الرئيسي لهذه الإستراتيجية هو "دي ويت" الذي طرح نقاشه لتحول استراتيجي في حزب الحرب والذي لم يستطع الصمود سوى لمدة أربعة أيام بعد اقتحام "روبرت" لمدينة "بلويم فونتين".

كان للإستراتيجية ثلاثة عناصر أساسية:

1. احتاجت لنوع جديد من القوات– التي تكون تماماً من الرجال الذين تفانوا بعنف للسبب الهولندي، فبعد سقوط"بلويم فونتين" أرسل "دي ويت" قادته المنهكين لإجازة مدة عشرة أيام وهو على دراية تامة بأن العديد منهم لن يعودوا مجدداً ولكن كان ذلك عن قصد. لأن أولئك الذين رجعوا كان يعتمد عليهم تماماً.
2. احتاجت لقوات يمكنها أن تدير العربة التي يديرها الثور باستقلالية، والتي رافقت القادة الهولنديين في هذا المجال.
3. الحث على التحول من التركيز على الجنود البريطانيين، إلى مهاجمة الاتصالات البريطانية التي كانت ضعيفة للغاية. وعلاوة على ذلك، فإن كل هذا قد ألح على "دي ويت" على أن مجرد الحصول على انتصارات قليلة، يمكنها أن تنال من روح العزيمة لدى المواطنين بنسبة أكثر من التأثير العسكري. (بيكيهام 1979، ص:408–409).

و بالتالي، فإن الإستراتيجية الجديدة قد أعطت أملاً جديداً– من تجنب الهزيمة على الأقل–وبالإضافة إلى ذلك، فثمة شيء آخر–أساسي –لم تتم مناقشته كجزء من تداولات مجلس الحرب:وهو التنبؤ بالسلوك البريطاني الأخلاقي في الحرب.

إن السبب الذي جعل الجيش الهولندي منظمة عسكرية متحركة –بالإضافة إلى النقل المتحرك– هو تماماً بسبب صفة طبيعة الحرب ضد القبائل الإفريقية الأصلية، التي لم تحترم مفهوم الحصانة غير القتالية لهذا قامت سرايا الهولنديين بإبقاء النساء والأطفال في العجلات، مستعدين للفرار من مزارعهم الخاصة بهم في غضون فترة قصيرة، ولكن بسبب

الدمار الذي أحدثته قبائل "زوسا" و"زولو" كتهديد عسكري، فقد أصبح الهولنديون أكثر استقراراً وأقل تنقلاً.

ولكن، كما وضح "دي ويت"في تقريره الأخير عن الحرب، فإنه لم يخطر ببال مجلس الحرب أن يسأل عن سلامة الأطفال، والنساء الهولنديين الخاضعين للاحتلال البريطاني.

قامت الفتيات الأصيلات بالإسراع في الهرب على ظهر خيولهن، لتبقين بعيدة عن أيدي المطاردين ما دام ذلك ممكناً، وكي لا تثرن اهتمام المخيمات، والتي أطلق عليها البريطانيون اسم مخيمات اللاجئين.

ترى، هل فكر أحدهمِ يوماً بأن حروب القرن العشرين يمكن أن تظهر هذا القدر من الوحشية؟.

لا، فالكل يعلم أن وحشية القتل هي أكثر بشاعة من أي شيء يحدث، ولكن جرائم مباشرة وغير مباشرة كهذه الجرائم التي ترتكب ضد نساء وأطفال عاجزين عن حماية أنفسهم– وهو شيء كان علي أن آخذه بعين الاعتبار –كان يجب الا يحدث في حرب تشنها الأمة البريطانية الحضارية (دي ويت 1902، ص:192–93).

بالطبع ليس كل من يحضر مجلس الحرب مؤمنا بالتحفظات الأخلاقية للجيش البريطاني. فقد اعترض"لويس بوثا" الذي قاد الجيش التقليدي الهولندي الأخير في الحقل على التغيير في إستراتيجية على الصعيد الإنساني، ولكن متى اعتبرت حرب العصابات حرباً حضارية؟.

من الواضح أن هذا السؤال قد أزعج ضمير قادة "الترانسفال" وخصوصاً"بوثا".

وهذا يفسر أيضاً لماذا تشبثوا بإستراتيجية الحرب النظامية على الجبهة الأمامية. لابد أن "بوثا" قرأ ما يكفي عن التاريخ العسكري–و بالطبع فإن "سماتس" أيضا فعل ذلك– ليعرف ما تستلزمه حرب العصابات حتميا من المدنيين.

إن زحف القادة خلال جورجيا ومعاملتها السيئة للفرنسيين كان لها انطباعها السيئ جداً واعتبرت سابقة دولية لم تحدث من قبل في حرب العصابات في جنوب إفريقيا.

وعلى الرغم من ذلك، فان المقاتلين أعلنوا تهديدهم بغياب عناصر الوحشية من الحرب في أكثر بلاد العالم تحضراً(بيكنهام1979، ص: 500)

في الثالث من آذار، أكمل"روبرت" تقدمه الذي لا يمكن مقاومته إلى "بريتوريا" من خلال طريق "جوهانسنبرغ" وقد أرسل نصف قواته – حوالي 2000رجلاً – لحراسة طرق النقل، وللبدء بعمليات مكافحة العصيان، والتي صممت لقطع الدعم عن "دي ويت" من خلال نزع السلاح عن المزارعين الهولنديين وحرق مزارع محددة كان أصحابها بعيداً عن أرضهم للقيام بمهمات أوكلت لهم.

(يعتبر هذا نقاشا حساساً، فالأعضاء الأساسيين في كل من الطرفين وافقوا على فكرة أن جزء من مسؤولية النهب والسلب– والتي تصدر غالبا من عمليات مكافحة العصيان – تقع على عاتق المدافعين. وهكذا كانت خلال مناقشات القادة العسكريين عندما كان المعنيون في البرلمان بشأن قضايا حرائق المزارع في بريطانيا وسياسة المخيمات، مثلاً حين صرح اللورد "بردوديريك" للمرة العشرين سياسة المسح لبلاد قد أجبروا عليها من قبل العصابات. فقد كانت بعض النساء يساعدن العدو، والبعض الآخر قد تم التخلي عنهن، ولا أحد منهم يمكن أن يترك ببساطة ليتضور جوعاً. وفي الثالث من شهر آذار، أكمل"روبرت" تقدمه، والذي لا يمكن مقاومته نحو "بريتوريا"من خلال طريق "جوهانسبرغ". وقد أرسل نصف القوات –أي 2000 رجلاً– ليبدؤوا بحماية خطوط النقل، والبدء بالعمليات لمكافحة التمرد والعصيان، التي صممت لقطع الدعم عن "دي ويت".

ومن خلال نزع السلاح عن المزارعين وإحراق مزارع محددة. كان مالكوها بعيداً يخدمون في فرق عسكرية.

المواجهة الثالثة: الهمجية.

حيث كانت سياسة الضرب والهرب قد حددت المواجهة الثالثة في بداية إستراتيجية مكافحة المتمردين والتي ستقوى لاحقاً وتتحول لوحشية تامة.

وهكذا، فحين اقترب "روبرت" من "جوهانسبرغ"من التفاوض بشأن الهدنة مع المقاومين الهولنديين وقد وافقوا على تسليم المدينة للبريطانيين بشرط واحد، وهو أن يمنحوا 24 ساعة ليتمكنوا من استخراج قواتهم (وقد اتضح أنه من ضمن ما استخرج من ذخيرة حربية، كانت هناك سبائك ذهبية).

وفي استعادة لأحداث الماضي، يتضح أن هذا الخطأ يقع على عاتق "روبرت" الذي لا يدري في الحقيقة أن جزءاً منها قد مني بالفشل، وبكل تهكم يجب أن يلقى على عاتق الإستراتيجية نفسها فقد تحرك"روبرت"ليقوم بتقسيم جيشه.

يوجد دائماً فجوة بين المبادرة بإستراتيجية كإستراتيجية الهمجية وتأثيرها العسكري المتوقع، وهذا يخلق خطراً كبيراً لدرجة أن الهمجية في هذه الحالة، من خلال إحراقها للمزارع وإجبارها الأطفال والنساء في معسكرات الاعتقال - سوف يحث على قرار المقاومة في حين أنه يمكن إحداث أثر تافه على عمليات العصابات..

و هذا ما حدث هنا من قبل العديد من المواطنين العفو العام البريطاني، وعادوا إلى مزارعهم، ليجدوها وقد احترقت، وليجدوا أن مواشيهم قد ماتت، وإن نسائهم وأطفالهم فقدوا.

لقد ثار غضبهم، ولذلك، فقد عاد العديد منهم مع "دي ويت " وليقاتلوا بشراسة معه، مع "جان سمتس، كوس دي لاري". ((بيكنهام، 1979، ص: 500) وقد بدا أن الهولنديين أنفسهم قد قبلوا بهذا الجدال جزئياً، (وهذا كان مشكلة أخلاقية مروعة).

ولكن هل كان هذا عادلاً للقوم (النساء والأطفال بالمثل مع الرجال) لإقحامهم في حرب وحشية كهذه؟

بالنسبة للنساء والأطفال، فسيبدو هذا كالعودة إلى الصفحات السوداء حيث صارع أسلافهم ضد "الكافيرز"الذين أخضعوا النساء والأطفال للخدمة، واحتجزوا كل مزرعة، ومخزناً، ونهبت بيوتهم وأُحرقت، ثم تم تخييرهم بين إما ترحيلهم للمدن كلاجئين، أو اللحاق بالمعسكرات للحرب، (بيكنهام، 1979).

وفي هذا السياق، فإن الموضوع الأساسي- والذي سيحكم فيه المجتمع الدولي حول قوانين الحرب في القرن الآتي- قد يكون لم يناقشه"باكينهام"، فنتائج كهذه كانت حتمية الوقوع.

كانت أوروبا في الماضي، وكأنها محكومة من قبل ملوك يستمدون شرعيتهم من خلال (الحق الإلهي) أو من احتل مكانه المدافع عن الإيمان. ولذلك، فقد كان التمرد، والهرطقة مرتبطين بشدة يبعضهما البعض، ولا أحد فيهما قدتم حمايته من قبل قوانين الحرب التي تسيطر على معاملة المساجين أو تسليم ربعهم، أو تدبر أمر المدنيين في مناطق

التمرد والعصيان، وبالمقابل كان جائزاً للملوك والحكومات الأخيرة أن يستعملوا أي قوة أو يقوموا بالنهب والسلب للقضاء على التمرد والعصيان، وقمع الهرطقة، (باركر 1994، ص:43) وقد تغير هذا ببطء مع مرور السنوات، خلال زمن قواعد "لاهاي"في عام 1899 فقد جذب موضوع التمرد اهتماماً كبيراً، ولكن القضية لم تحل هنا، حتى أنها لم تحل عام 1907 (روبرتس، 1994 ص:122-121).

حالما استعد "روبرت"للتقدم، بدأ يشعر بالإحباط بسبب نصره الذي لم يتحقق بعد، حيث كان لجيش الهولنديين المفترض أن يقاوموا تقدمه، ولماذا لم يهبّوا ويقاتلوا؟.

طوال عبوره من "جوهانسبرغ"إلى "بريتوريا" قام "دي ويت" وبعض قادة العصابات بالتضييق على مواصلاته، واعتقال جنوده ومؤنه، وإذلال جيشه المنهك، وكانت النتيجة أن إستراتيجية "روبرت" الجديدة في مكافحة العصيان كانت على وشك أن تأخذ منحى منظما وأكثر وحشية.

وصل"روبرت"إلى "بريتوريا" ودخل بين شوارعها المهجورة، وفي الخامس من حزيران عام 1900 وخلال الأشهر الخمس المقبلة، وأثناء إكماله لتقدمه نحو المدن الهولندية الأخيرة في الشرق، انتظر اقتراب "كروجر"، و"ستين، أو أي من القادة الهولنديين "دي لا راي، دي ويت، سماتس أو بوثا"ولكن بدون فائدة. وفي شهر تشرين الثاني، أبحر نحو انكلترا، وأثناء ذلك، كان"كتشنر" قد استولى على السلطة كقائد أعلى للجيش..

استمر إحراق المزارع، وتفاقم المرطبات، من"كشتنر"- وربما كان هذا يبدو منطقياً على الصعيد العسكري - لكن هذا لم يكن من السهل محاكمته، وعلى الأقل ليس في البداية:

"إن أسوأ لحظة هي التي تدخل فيها لاحتلال وطن. لقد ظن الناس بأننا طلبنا بعض المرطبات، فقامت إحدى النساء بإحضار بعض الحليب. ثم كان علينا إخبارها بأن علينا إحراق المكان!! وببساطة، لم أكن أعرف في أي اتجاه علي أن أنظر؟!..

لقد سلّمت المساجين -ثلاث نساء وبعض الأطفال - وأمهلتهم عشر دقائق لإخلاء المكان مع ثيابهم وبعض أغراضهم، ثم أحضر رجالي حزمة من القش وبدؤوا بإحراق المنزل. كانت الجدة غاضبة جداً، وكانوا تعساء للغاية، كانت النساء تبكي، وكان الأطفال

ينظرون إلينا تارة بعيون محدقة خائفة، وتارة أخرى إلى المنزل الذي يحترق!. فهم لن ينسوا ذلك المشهد أبداً، وحتى حين يكبرون.

رحلنا بعيدا وتركناهم وراءنا. مجموعة صغيرة من البائسين الواقفين بين أغراض منزلهم من بقايا أثاث وأسرّة، وحلي متناثرة على الأرض، كانت هسهسة وفرقعة النار لا تزال تطنّ بآذانهم، وألسنة اللهب والدخان تتصاعد من المنزل (باكينهام، 1979. ص:466-467).

على الرغم من إن عملية إحراق المزارع كانت تطال ظاهرياً إحراق مزارع المتمردين فقط، لكنه في الواقع كانت النيران تطال كل المزارع، بل وجاءت لتشتمل على ما هو أكثر من إحراق المنازل والمزارع، فقد تم أخذ الأحصنة، وكان يتم سلب المواشي وأخذها.

في الوقت الذي قامت فيه الدوريات البريطانية بعملها، وبمعنى آخر، كانوا قد منعوا الطعام والملجأ عن المدنيين، لكن البريطانيين قرروا فيما بعد حل هذه المشكلة من خلال وضع الأطفال والشيوخ في مخيمات الاعتقال لضمان سلامتهم.

نظرياً، كان يمكن لهذا الحل من ناحية أن يكون إستراتيجية مذهلة لمكافحة العصيان، ومن ناحية أخرى كان يمكن للبريطانيين أن يناقشوا هذه القضية، ففي النهاية، لم يكن ممكنا ترك أولئك الأطفال، والنساء لوحدهم ليصونوا أنفسهم ضد العوامل المحيطة بهم، بما فيهم الأفارقة السود.

ومن ناحية أخرى، كان الهدف الرئيسي من تلك الحملات هو منع العصابات من الحصول على الاستخبارات، والدعم الشعبي، والتكتم عنه (كرييس، 1992، ص:41-42).

كانت المشكلة في تلك النظرية، أن "كتشنر"أو"روبرت" لم يهتمّا بالقضايا الشعبية، ولهذا السبب تكبّدت القوات البريطانية خسائر جسيمة وبنسبة عالية جداً وأكثر من المعتاد.

وبصراحة، فقد ترك"روبرت" قيادته للمشافي الميدانية، وتركها بأيدي غير مؤهلة للعمل. هذا إلى جانب إصلاحه الخاص في نظام المؤن الفيلقية، وقد سببت الأعمال المباشرة للعصابات بخسائر بالآلاف، ولم تحصد هذه الخسائر من المعارك فحسب بل من مرض التيفوئيد الذي تفشّى أيضاً.

و هكذا، فإن هذه العيوب ذاتها قد قضت على التبريرات الخيرية لإقامة المدنيين الهولنديين الجبرية، حيث بدا وكأن النساء والأطفال يموتون في المّخيمات، وبأعداد مفزعة[1].

قد تعد الحرب الهولندية أول حرب كبيرة يشارك فيها جنود مثقفون من الحكومة الديمقراطية وقد احتوت العديد من السفن البخارية والقطارات التي تذهب من لندن وتأتي إليها رسائل من وإلى منازل الجنود النظاميين في هذا المجال.

كان الشعب البريطاني أيضاً-كما لاحظنا سابقاً- مثقفاً وقادراً على التأثير على سياسة بريطانيا الخارجية. فاكتشف الشعب البريطاني حقيقة الأوضاع في المخيمات ومعدل الوفيات المخيف، من خلال جهود عاملة الإغاثة"أميلي هوبهاوس".

بدأت "هوبهاوس"رحلتها في المخيمات في كانون الثاني من عام 1901، وما رأته كان قد أرهبها: نقص في الإمدادات الصحية، مجاعات، نقص في المياه النظيفة، واحتشاد كبير للناس.

كانت "هوبهاوس" قد شاهدت ما يكفي حتى شهر نيسان، فقامت بالعودة إلى لندن حيث كتبت.تقريراً حول ما رأته، وكان تقريرها مفاجأة مروعة.

على الفور، هاجت مشاعر الشعب، ولو أنه سمح له بالتعبير عن شعوره الحقيقي، لم تكن المعسكرات فقط ستُصلح على نحو كاف، ولكن من المحتمل جداً، أن الحرب كانت ستخسر شعبيتها وكانت

ستنتهي. وكان المسؤولون الحكوميون خائفون فقط من حدوث شيء كهذا. (كيربس، 1992:52)

فقد كان "لويد جورج" والليبراليين قد جعلوا من الظروف في المعسكرات قضية كبيرة، وهي موجودة في تلك الخطابات في البرلمان والتي نجدها دليلاً داعما لهذه

1- في آذار عام 1901 كان هنالك 93940 من البيض و24457 من السود في مخيمات اللاجئين. وكانت حصيلة القتلى تزداد بشكل مرعب لشهور، مات 550 شخصا في آذار، وفي حزيران توفي 782. وفي تموز 1675. وفي تشرين الأول كان معدل الوفيات 34. 4 بالمئة كل سنة للبيض من كل الأعمار. و62. 9 للأطفال في مستعمرة اورانج ريفر، و58. 5 بالمئة للأطفال في ترانسفال. أظهرت الأرقام في تشرين الثاني معدل الوفيات السنوي والذي قدر ب173 بالمئة (باكينهام، 1979. ص:548)
و قد حسب بيكنهام أنه على الاقل توفي 20 ألف من البيض و12 ألف من أعراق مختلفة في معسكرات الاعتقال وتوفي الغالبية منهم جراء وباء الحصبة والتيفوئيد، والذي كان من الممكن تفاديه (باكينهام، 1979، ص:549).

المطالبة حتى أوائل عام 1900 حيث اعترف البريطانيون بقواعد الحصانة غير القتالية، والانتهاك الذي اعتبر سبباً كافياً آنذاك لتغيير الحكومة.

وقد تساءل "جورج":

"ما السبب في متابعه هذه السياسة المشينة؟ ولماذا تشن الحرب ضد النساء والأطفال؟.

ففي حين أن الرجال كانوا هم الأعداء – لإنهاء قواعد الحرب المتمدنة– فقد كان يفترض بنا أن نعامل الأطفال والنساء كمدنيين وغير مقاتلين على الأقل.

كانت الطريقة التي اعتمدت في الحرب مخزية، لأنها كانت تطيل الحرب بدلاً من جعلها أقصر. ونحن نريد أن تكون بريطانيا الوفية خاضع لهؤلاء الناس.

فهل هذه هي الطريقة الصحيحة لفعل ذلك؟.

الرجال الشجعان سينسون إصاباتهم بسهولة أكبر من نسيانهم للإهانات، والمذلات، والإساءة التي مورست على أطفالهم ونسائهم – فعندما يعامل الأطفال بهذه الطريقة ويتعرضون للموت، فإننا، وبكل بساطة، نحرك أعمق مشاعر فيقلب الإنسان ضد الحكم البريطاني في إفريقيا.....

وسيتذكر العالم دائماً أن هذه، ولا الطريقة التي بدأ الحكم البريطاني بها هناك وهذه هي الطريقة التي أحضرها ". (باكينهام، 1979:539–540).

ولكن – على الرغم من ذلك – لم تتغير الحكومة، ويرجع ذلك لثلاثة أسباب:

1. كان الحزب الليبرالي منقسماً على نفسه حول قضية الحرب البريطانية مع الهولنديين.
2. كان الشعب البريطاني أيضاً منقسماً كذلك: فبعضهم شعر أن الهولنديين هم الوحيدون الذين يجب أن يلاموا على معاناتهم، والظروف في المعسكرات. في حين كان آخرون خائفين من فكرة مشاركة بريطانيا في نظام يضمن نتائج قاتلة للنساء والأطفال.
3. مشاكل المعسكرات لم تكن غامضة، ولا مكلفة التصحيح. ولكن، فبما أن الأزمات السياسية قد اهتاجت في المعسكرات في شهر آب /أغسطس، فقد

تبعتها إصلاحات فعالة في شهر أيلول /سبتمبر. وبحلول شهر تشرين الأول /أكتوبر استقرت معدلات الوفيات، ولكنها سرعان ما هبطت بشدة بعد ذلك، وفي الوقت ذاته، كانت الحرب قد مضت بسرعة، حيث امتلك"كيتشنر" جيشاً نظامياً مكوناً من مائة وعشرين ألفاً من لجنود النظاميين وعشرين ألفاً من الجنود غير النظامية والذي كان سيواجه بهم هجوم القوات الهولندية المكون على الأكثر من قلة قليلة.

وهكذا، فقد قسم قواته إلى فصائل أكثر تنقلاً وخفة، وجعلها تلاحق المغاوير الهولنديين بشكل غير متكافئ، فقدا بدا الأمر وكأنهم يستخدمون مطرقة لقتل ذبابة.

كانت الإستراتيجية (جوهرياً هي بحث، وتدمير مهم على نطاق واسع) لكنها كانت غير فعالة، بل ومخربة!. وقد كانت غير فعالة، أيضاً لأن الهولنديين ظلوا التنقل من البريطانيين والهروب الدائم منهم أجبرهم على تخفيف عدد العناصر ضمن السرية إلى عدد يكاد يقارب في قلته مئة أو مئتين.

ولكن هذا الأمر لم يكن مدمراً فقط لمزارع وماشية الهولنديين، بل أيضا لأحصنة البريطانيين ولروحهم المعنوية.

كانت خطة"كتشنر" التالية تتضمن استخدام الأسلاك الشائكة، واحتجاز المنازل لخلق شبكة واسعة تغطي الريف وتطوق المحيط، ولذلك، كانت الحواجز بمثابة هجوم، وليس أسلحه دفاعيه لإبعاد العدو ولكنها كانت كأقفاص لاحتجازهم، كانت تبدو كشبكه لاصطياد غوريلا، وكانت ممتدة على طول إفريقيا الجنوبية.

وبحلول شهر أيار من عام 1902 كان هناك أكثر من ثمانية آلاف منزل محجوز وتغطي ما مجموعه حوالي ثلاثمائة وسبعين ميلاً محمية من قبل خمسة عشر ألف فرقة عسكرية من البيض وستة عشر ألف كشاف إفريقي على الأقل (بيكنهام 1979:569).

كانت شبكة الأسلاك الشائكة ومن فوقها البيوت المحجوزة مكلفة جداً، ولكن، بالمقارنة مع كل الإجراءات الأخرى، فقد اخترقت أخيراً دفاعات الهولنديين الخلفية، وحرقت المزارع ومعسكرات الاعتقال لجعل من المستحيل بالنسبة للقادة الهولنديين استبدال أماكنهم في الجبال أو تجديد الإمدادات الغذائية، بعد أن أسست مواقع استخباراتية متقدمة. أكثر من الاتصالات القصيرة، والتي كانوا

يعتمدون فيها على الحظ وامتطاء الجياد السريعة فقط، وهو ما أنقذ الكثير من القادة من براثن الأسر.

وبالمقابل، كان البريطانيون قد بدؤوا بتجنيد الأفارقة الأصليين، وبتوظيفهم ككشافين وجواسيس. ولكن تأثيرات هذا الفعل كانت درامية.

وعلى حين غرة، بدأت الفرق البريطانية الثقيلة أخيرا بكشف (لعبتهم) تلك وأسلوبهم في البقاء أحراراً حيث كان: كيتشنر" وطاقمه قد ابتكروا فكرة جديدة مفادها:

"لما لا نوقف نقل النساء والأطفال الهولنديين البحري إلى المعسكرات المركزية كبادرة للتحرر؟.

وكانت تلك حركة سياسية فطنة وقد قامت بمنطق عسكري ممتاز، كما أنها قامت بإعاقة العصابات ولأن القيادات في تحول كامل، فربما كان هذا السلاح الأكثر فاعلية ضد العصابات، كما ظهر قريباً.

لقد كانت حركة فعالة وبدقة لأن تعكس اتهامات التحرريين، كما كان ذلك أقل إنسانية من إحضارهم إلى المخيمات على الرغم من أن هذا لم يكن بذي شأن كبير "لكتشنر. (باكينهام. 1979، ص:581)

كانت ثمة مشكلة أخرى قد سممت جهود الهولنديين في الحرب وكانت تتلخص في سؤال حول: ما الذي علينا فعله بالسجناء؟.

و بخلاف السجناء الهولنديين، فإن الجنود البريطانيين كان يتم أعادتهم للخطوط خلال ساعات من أسرهم.

"إن عدم قدرتنا على الاحتفاظ بالأسرى هو شيء نندم جداً عليه، ولكننا كنا في وضع حتم علينا القيام بذلك، وكان العالم ليفاجأ بعددهم لدينا، ولكننا، لسوء الحظ، لم نكن قادرين على الاحتفاظ بأي من سجنائنا. لم يكن لدينا أي خيار، ولا مكان يمكننا إرسالهم إليه، بينما كان كل سجين يأسره البريطانيون يعني خسارة رجل من رجالنا. ولذلك، فإن آلاف الأسرى الذين احتجزناهم من البريطانيين لم يكن يشكل خسارة لهم على الإطلاق، وفي معظم الأحوال كانوا يحتاجون ساعات قليلة ليتمكنوا من المحاربة مجدداً (دي ويت 1902ص:227)

تقدير لقدرات وتكريس القادة مثل "دي ويت، سماتس، ودي لا راي " لدرجة أن جهود الهولنديين الحربية امتدت طوال ما فعلت ضد الاحتمالات القاهرة. وحتى شروط الاستسلام التي تم التوقيع عليها في "بريتوريا" في 31 آذار من عام 1902.

النتيجة: بريطانيا تنتصر:

على الرغم من أن الجميع وافقوا على أن"كتشنر" يجب أن يعتقل ويحطم كل قطع الجيش المتبقية. إلا أن قرار الاستسلام كان صعباً.

وفي مجلس الحرب الذي قرر في النهاية إقرار قضية أن هنالك ستة نقاشات حول الأسباب التي لأجلها يجب على الهولنديين أن يسعوا للاستسلام للبريطانيين:

1. لا يوجد طعام للنساء والأطفال.
2. ولم يعد هنالك طرقاً أخرى لخوض الحرب.
3. في حين أن مخيمات الاعتقال (كانت بغرض نشر الدعاية).
4. كما أن"بوثا"قد اعترف (أننا ممتنون جداً لبقاء نساءنا في المخيمات تحت حماية البريطانيين)
5. بالإضافة إلى ذلك، كانت الشروط التي فرضها "الكافيرز" لا تحتمل.
6. إعلان "كتشنر" في السابع من تموز، والذي هدد بمصادرة أراضي المواطنين، مع استحالة الاحتفاظ بالأسرى البريطانيين.

وباختصار، لم يكن هنالك أمام الهولنديين مجالاً للفوز.

وهكذا، فقد صوت معظم المندوبين لعقد السلام مع "كتشنر"وبغالبية ساحقة. وكانت هذه نهاية مرة. (باكينهام، 1979ص:603-604)

ضمت بريطانيا ولاية "أورانج فري" -التي سميت فيما بعد بمستعمرة "أورانج ريفر" - وذلك في شهر آذار من عام 1900. في حين ضمت "ترانسفال"في شهر تشرين الأول من نفس العام.

واستطاع"ميلنر" من ترأس اتحاد جنوب إفريقيا. وهنا، قام"باكينهام" بإيجاز نتيجة الحرب:

"منذ عام 1815 لم تسرف بريطانيا بالأرواح والمال في حرب لها كما في حرب "ميلنر" الفاصلة والتي كان يتوقع أن تنتهي بحلول عيد الميلاد في عام 1899.

لقد كلفت بريطانيا جمع ضرائب أكثر من 200 مليون جنيه، وكذلك كان ثمن الدماء التي هدرت وقد حسب مكتب الحرب أن الخسائر بلغت نفوق أكثر من أربعمائة ألف وثلاثمائة وأربع وستين حصان وحمار، وكلها نفقت في الحرب.

في حين بلغت الخسائر في الأرواح أكثر من مئة ألف قتيل بريطاني من بين مجموع القتلى الذي بلغ أكثر من ستمائة وثلاث وخمسين ألفاً وتسعمائة وثلاث وستين قتيلاً من مجموع الأجناس لجنود الإمبراطورية البريطانية والمستعمرات حيث قتل أكثر من اثنين وعشرين ألفاً من جنوب إفريقيا في حين أن أكثر من خمسة آلف وسبعمائة وأربع وأربعين كانوا قد قتلوا على يد العدو أو بسبب الحوادث. وستة عشر ألفاً ومائة وست وثمانين ماتوا بسبب الجروح أو الأمراض أو سبب تكاسل الأطباء.

وعلى الجانب الآخر الهولندي، فقد قدر عدد الوفيات بأنه قد تجاوز سبعة آلاف قتيل من أصل سبع وثمانين ألفاً وثلاثمائة وخمس وستين نسمة، متضمنا ذلك ألفين ومائة وعشرين من المتطوعين الأجانب وثلاثة عشر ألفاً وثلاثمائة إفريقي من مستعمرتي "ناتال" و"كيب" اللتان خدمتا في جيوش كلا الشعبين.

ومن جهة أخرى، فلا أحد يعرف عدد النساء والأطفال والرجال الذين ماتوا في مخيمات الاعتقال. ولكن المسؤولين قدروا العدد بين ثمانية عشر ألفاً إلى ثمانية وعشرين ألف نسمة.

عاد الناجون إلى منازلهم محطمة. تحليل: من المواشي التي كانت جميعها، مالهم الوحيد قد نفقت جميعها، أو تم سلبها.

تحليل: التفسيرات التنافسية لنتائج حرب جنوب إفريقيا

يعتبرتقييم الاستحقاقات التفسيرية نسبياً عن التفسيرات التنافسية للنزاع منقطعة النظير، ولذلك، فإن الإجابة عن ذلك يتطلب الإجابة أولاً عن خمسة أسئلة أساسية:

1. ماذا كانت اهتمامات الممثلين المسبقين في النزاع؟.
2. ماذا كان نوع النظام لدى كل ممثل؟و كيف أثّر ذلك على الهشاشة الإستراتيجية والسياسية؟.

3. ما الدور الذي لعبته جيوش الانتشار العسكرية في نتيجة النزاع.
4. ما هي الاستراتيجيات التي تم توظيفها على كل صعيد؟.
5. ما هو السب الجوهري لاختيارها أو تغييرها؟وكيف أثرت على النتيجة النهائية للحرب؟.

لم يُعبّر عن مصالح بريطانيا – بقوتها العسكرية الملموسة– على الجمهوريين الهولنديين الذين عارضوها. فقد تصرفت بريطانيا كما لو أن المتبقي من إمبراطوريتها كان مهدداً بالضياع.

ولذلك، فقد نظمت ثلاث حجج لمسانده ما كان في الحسبان:

• أولاً: مع أن قناة "سوز" كانت مفتوحة في عام 1869 إلاّ أنه كان يمكن إغلاقها بسهول(أو تخريبها) في وقت الأزمات، وقد حسبت بريطانيا أن السيطرة السياسية على مدينه "كيب"كانت مصلحة أمنية جوهرية.

• ثانياً: لأن الأغلبية الساحقة في مستعمره "كيب" كانوا من الأفارقة، وقد حسبت بريطانيا أنها لن تستطيع المساومة، أو أن تتراجع بخصوص جهودها لاستبدال قائديها "كيرجر" و"ستين" بقائدين أكثر طاعة. ولذلك، فإن الفشل في ولاية "أورانج فري" و"ترانسفال" ستصبح فقط مسألة وقت قبل أن يتشجع الأفارقة في مستعمرات "ناتال" وكيب" بسبب ضعف البريطانيين، وتسهيل إلحاق مستعمرتي "كيب" و"ناتال" بالجمهوريين الهولنديين. وعندئذ ستفقد بريطانيا مينائها الحيوي في مدينه "كيب".

• ثالثاً، وأخيراً، فإن صانعي السياسة البريطانية حسبوا أن الفشل في إضعاف مقاومة جمهوريين مبتدئين، كهؤلاء، وستجعل بريطانيا تظهر ضعيفة أمام خصومها من ذوي القوه العظيمة، ومشجعيهم لاستغلال ضعف بريطانيا، وبشكل نهائي لتمزيق تماسك الإمبراطورية ولذلك، فقد كان الجمهوريون الهولنديون، يقاتلون، ويتصرفون على أن بقاءهم كان على المحك وقد كان كذلك بالفعل. كما أن القيادة الهولندية كانت قد تفهمت مسبقاً– وبشكل واضح – أن هدف بريطانيا هو القضاء على استقلاليتهم السياسية وعلى سيادتهم أيضاً.

أنواع النظام: الإستراتيجية والضعف.

يمكن القول – في زمن الحرب الجنوب إفريقية– بأن بريطانيا كانت ديمقراطية! فقد كان لديها تعداد سكاني ضخم ومثقف، مع نخب واسعة ومتعددة المشارب. في الوقت الذي كان فيه ثمة نخب منهم قد خشيت من الرأي العام، وكان عليها أن تأخذ الرأي العام بالحسبان عند صياغة السياسة العامة(سميث، 1996:399–400). وبعد ذلك، ما الذي يمكن أن يقال عن العلاقة بين نوع نظام بريطانيا والاستراتيجيات التي اختارتها قادتها في إفريقيا الشمالية؟.

كانت أولى الصعوبات التي واجهها"تشامبرلاين" و"مايلنر" كيف يقنعان العامة البريطانية بضرورة التهديد باستخدام القوة في إفريقيا الشمالية، فخلال كل شهور صيف عام 1899 كان هذان الرجلان يبذلان قصارى جهودهما، لكنهما فشلا في إيجاد حجج واهية وكافيه لجذب الدعم العام.

كانت أفضل جهودهم قد أسفرت عن قضايا الامتياز ولكن على الرغم من أن هذا قد نال تعاطفهم ولكن ذلك لم يكن كافياً لتبرير المخاطرة بحياة البريطانيين.

وفي الأحـداث، وكما رأينا، فقد أنقذا من وجوب تبريرهما لاستخدام القوة بإنذار"كروجر"النهائي وفي التعبئة اللاحقة.

كان الدفاع عن النفس حجة واهية تذرع بها كل بريطاني. فقد كان لبريطانيا نظاماً سلطوياً قادراً على توزيع الاهتمام نحو تبرير أفعالها أمام الرأي العام. ولكنكم من القوات التي تم إرسالها، والتي أصبحت قراراً استراتيجياً ثانياً، والذي سيكون مقيداً من قبل الرأي العام.

لم تكن بريطانيا تستطيع إرسال الكثير من القوات، لأن هذا سيكون مكلفاً. وعلاوة على أنها تعني الاهتمام بها، فهي لا تتناسب مع الهدف المعلن، وهو مجرد حماية مستعمرتي"كولوني" و"كيب" من الهجوم. وبالإضافة إلى ذلك فلم تكن هناك حاجة لذلك.

لقد كان جزء من الحملة الإعلامية يهدف إلى إظهار الهولنديين كرجعيين ومتخلفين، وكانت ضربة واحده على الكبرياء كافية لإرسالهم من أجل حزم أمتعتهم أو مع حلول أعياد الميلاد بالحد الأقصى.

لقد توقع العامة أن سحابهم بأقل التكاليف. فقد كان بإمكان النظام المستبد البريطاني إرسال العديد أو القليل من القوات وبالقدر الذي يريد، بدون التقيّد بالتوقعات العامة. ولكن القرار الاستراتيجي النهائي كان يهدف إلى إضعاف الأحزاب السياسية، كما كان القرار يشمل إتباع سياسة الأرض المحروقة، واقتياد المدنيين وغير المقاتلين إلى معسكرات الاعتقال.

لقد كان هذا القرار هو القرار الحاسم، كما بدا في الميدان من قبل"روبرت" كنوع من الانتقام من رفض الهولنديين للحرب العادلة والاستسلام بعد احتلال "بلويم فونتين، جوهانسنبورغ، بريتوريا" إلاّ أن تأثيرها السياسي كان تقريباً هو ما أجبر بريطانيا على الابتعاد عن الحرب.

هل كانت بريطانيا استبدادية؟ لتكون "أميلي" في ظل الديمقراطية، وتقمع تقاريرها، أو من المحتمل أنها نفيت على أنها كانت جاسوسه هولنديه أو أن تكون عائلتها قد غُيبت في ظلام السجون إثر ما كتبته من تقارير عن الأوضاع المأساوية التي رأتها – والتي أثارت الرأي العام البريطاني برمته – حين كانت في مهمة في جنوب إفريقيا.

وهكذا، وطبقاً لنوع النظام والضعف السياسي، فلا شيء يظهر أكثر قوة في هذه الحالة من الإحساس بأن النخبة السياسية البريطانية عاشت في خوف دائم، كما كان مناسباً لوضع "سيسيل رودس" فقد قامت بتملق بريطانيا. في حين اهتمت أنظمة الحكم لأنه كانت ثمة فجوة في بريطانيا الديمقراطية بين ما كان ضرورياً ولكنه لم يكن جائزاً.

و لكن، ففي النظام الاستبدادي القائم في بريطانيا، فإن كل ما هو ضروري كان سيكون جائزاً. ولكن في بريطانيا الديمقراطية، فإن هذا لم يكن القضية، وهو ما دفع أكثر الزعماء إلى السكوت المجرد لهذا القيد.

و كما رأينا مسبقاً، فإن مصالح بريطانيا لا تفسر ضعفها في هذه القضية.

وبالمحصلة، يجب أن تكون المصلحة العليا للتاج البريطاني أعلى من تلك التوقعات، أو من نقاشات المصالح اللا متماثلة، ولكن من جهة ثانية، فإن عامة بريطانيا في ذلك اليوم ربما وافقوا على أنه (يجب أن يوضع المدنيين في مكانهم).

لقد كان الرأي العام البريطاني يصعّب الأمور على بريطانيا للبدء بالعداوات في إفريقيا الشمالية، أو لفعل ذلك بالعدد الضروري من القوات.

و بالمحصلة، فقد كانت بريطانيا الديمقراطية عرضة لبعض الأعمال المعينة التي انتهكت إحساس الجمهور بالحق والباطل، وبطريقه لم تكن بريطانيا الاستبدادية لتوجد بها.

ولكن على الرغم من ذلك، فإن الوقت كان الشرط الضروري لعملية الضعف.

هل انتهت الحرب بالفعل في إفريقيا الشمالية بحلول ميلاد عام1899ثم أن استقامة الجمهور المتملق ما كانت لتملك وقتا لانجاز العملية.

و هكذا، فقد كان النصر مؤجلاً. وقد كان هذا التأجيل:

1. بسبب الاستخفاف بالعدو.
2. وبسبب العمل المشترك للاستراتيجيات المتبناة من قبل البريطانيين والهولنديين على حد سواء في شهر آذار من عام 1900.

انتشار الجيش

كان يبدو – في حرب شمال إفريقيا – أن نقاش انتشار الجيش يكتسب دعماً قوياً، فبعد"جيمسون" و" رايد" الديمقراطيان الهولنديان اللذان شرعا باستملاك الأسلحة الضخمة والبرامج الحديثة.

ولذلك، فقد كسبوا بنادق تقارن – أو تتفوق– على بنادق البريطانيين، وخاصة أن مدفعيتهم كانت في الواقع أفضل من التي امتلكتها القوات البريطانية.

وعلاوة على ذلك، فإن الهولنديين لم يهملوا تدريب استخدام المدفعية الميدانية لتوظيف قطعهم الميدانية الجديدة بشكل فعال(ناسون، 1999:59). ولكن أياً يكن، فالهولنديون لم يستطيعوا التغلب عليهم لأنه كان هناك مشكلتان فيما يتعلق بالمدفعية:

1. اعتمدوا على عقود لإعادة تزويد السلاح بالذخيرة التي كانت تشترى باستمرار من بريطانيا (ناسون، 1999:59).

ولذلك، فقد نجح الهولنديون– بقليل من التوسع– بتصنيع ذخيرتهم الخاصة، لكنها لم تكن كافية على الإطلاق لمواكبه الطلب.

2. حرية الحركة المحاصرة، كما كانوا (تجاوزوا أسلحة البريطانيين في معظم الحالات) ولكن مع ذلك، فقد كانت تلك المدافع قليلة العدد. وعندما وصلت قوة الحملة العسكرية وبدأت تتحرك داخل البلاد، فإن البنادق القليلة نسبياً– التي امتلكها الهولنديون– لم تستطع فعل شيء للتأثير على التوازن الاستراتيجي للقوى. كما أن تنقل الهولنديين كان معوقاً من قبل الأسلحة وقطارات النقل والإمداد، وذلك لأن الطريقة المفضلة للقتال قد أنشأت موقع دفاع جيدة في المناطق الوعرة ثم الهروب في الوقت الذي يستحيل فيه الاحتمال ليصبح مستحيلاً، فهل كان الهولنديون ليستمروا في الاعتماد على المدفعية؟.

كانت البنادق– ذات الأداء العالي – التي اشتراها "كردجر" و"ستين" لشعبهم فقد كانت قصة أخرى. وقد أثبتت الفعالية الفائقة في الحرب، ولكن عملياً، ففي مراحلها الأولى، وعندما طلب من القوات البريطانية الإسراع لمهاجمة الهولنديين في المواقع الحصينة. لم يتسن للبريطانيين أن يدعموا مؤخرة الجيش بالقذائف غير الدخانية (باكينهام، 1997: 184، 2أولوية للتعلم) لم يكد يمضي بعض الوقت – وليس لقلة الاشتباكات الدموية – حتى تعلمت بريطانيا تكتيكات استطاعت التقليل من تعرض الجنود لإطلاق النار من بنادق تتركز في مواقع حيوية.

ومن العدل القول هنا، إنهم لم يتعلموا بسرعة، ولكن غالبيتهم العددية المطلقة جعلتهم أقل أولوية للتعلم بمرور الوقت:

لقد كانوا يتعرضون لخسائر أكثر مما كان متوقعاً، ولكن الهولنديين كانوا يربحون إلى أن بدلوا استراتيجياتهم من الدفاع التقليدي إلى إستراتيجية حرب العصابات.

المواجهة الإستراتيجية:

حدثت حرب جنوب إفريقيا خلال ثلاث مواجهات، فكانت المواجهة الأولى تعتبر القوة العليا بشكل كبير للقوات الإمبراطورية البريطانية– حيث أخطئوا على الرغم من ذلك– وهزموا خصومهم بشكل حاسم واحتلوا مدنهم الكبيرة، واستخدمت الإستراتيجية من قبل البريطانيين حيث كانت هجمة تقليدية وطالبوا بإنهاء الحرب عن طرق تحطيم

الجيوش الهولندية بساحة المعركة (أو إجبارهم على الانسحاب) وذلك باحتلال عواصم الولاية "بلويم فنتين" لولاية "اورانج فري" و"بروتوريا" لولاية"ترانسفال".

و في الواقع، الأولى، فقد وجهت الجمهوريتان الهولنديتان الإستراتيجية البريطانية بإستراتيجية الدفاع التقليدي فأرادوا منع التقدم البريطاني.

وهكذا، فإن كلا الطرفين قام بأخطاء، ولكن البريطانيين عموماً، كانت لديهم أخطاء أسوأ من أخطاء منافسيهم، ومع ذلك باستعمال التفوق العددي الساحق، وهذا مابدا جلياً، حيث لن يكون باستطاعة الهولنديين هزيمة البريطانيين باستخدام إستراتيجية الدفاع التقليدي.

وفي الواقع، فإن الجنرالات اللامعين الهولنديين، قد عرفوا أن الإستراتيجية السابقة كانت لها نتيجة عكسية، والحدود كأسلوب القتال والتدريب والتسلح والانضباط أو أكثر العصيان، وهذا ما جعل المدنيين الهولنديين جنوداً نظاميين فقراء.

ولكن مع ذلك، فبعد احتلال "بلويم فنتين" انتقل الهولنديون إلى سياسة الطعن والهرب، وهذا التغير بالإستراتيجية قد أدى إلى بداية مرحلة جديدة للحرب.

كانت هذه المرحلة الأكثر دموية ووحشية، وخلال الشهور الخمس الأولى الخمس بعد احتلال "بلويم فنتين"فقد استمر البريطانيون باستخدام إستراتيجية الهجوم التقليدي، والذي أوضح أن الخلط بين العفو، وعرض احتلال العاصمة، لم يتسبب في استسلام الهولنديين، ولذلك فقد انتقل البريطانيون

إلى استخدام الإستراتيجية الهمّجية، وهذا ما يفسر لماذا يتوجب علينا تصنيف الإستراتيجية البريطانية بهذه الطريقة؟.

هناك بعض الجد وحده، واحد من الجوانب الإستراتيجية البريطانية: فمعسكرات الاعتقال. وكما هو واضح أن البريطانيين اعتزموا الجمع بين حرق المزارع واحتجاز الهولنديين المدنيين وغير المقاتلين كورقه رابحه.

وبهذا المنطق وحده، فإن هذه السياسة تندرج تحت اسم سلب المدنيين وغير المقاتلين.

صحيح أن ممارسة الحصار على الأطفال والنساء الهولنديين قد أدى إلى حدوث وفيات أكثر– بسبب سوء التغذية وتفشي الطاعون – من كل الخسائر البشرية التي تعرض

لها طرفي النزاع في المعارك ولكن من الواضح أن هذه التأثيرات لم تكن متعمدة من قبل البريطانيين وحتى بعد أن قاموا بتحسين الظروف في المخيمات وأوقفت بريطانيا سياسة الحجز الإجباري، ولتسبب- عمداً- المَشقة للهولنديين غير المقاتلين، ولتقييد الفدائيين.

ومن ناحية أخرى، فقد قام القادة المحليون إجمالاً بانتهاك قوانين الحرب فيما يتعلق بحصانة المدنيين وغير المقاتلين على نحو منظم، وعلى اعتبارها ورقة رابحة.

وعلاوة على ذلك، وعلى الرغم من توفر شهادات كافية لدينا من أن كلا الجانبين في المناقشات البرلمانية قد أكد ذلك.

و عموماً، فقد قبل البريطانيو ن مبدأ الحصانة لغير المقاتلين كقانون للحرب. وعلى الجانب الهولندي فقد كانت هناك أعمالاً وحشية، وانتهاكات لقوانين الحرب. في حين كانت الشكاوى البريطانية الثلاث الأكثر شيوعاً تتلخص في:

- أولاً:انتهاك البيض لعلم الهدنة.
- ثانياً: استخدام الأسلحة المحرمة.
- ثالثاً:ارتداء القماش الخاكي.

وهكذا، فعلى الرغم من ذلك، فقد أدت هذه الوسائل -وبسرعة- إلى انتهاكات بريطانية وعلى نطاق واسع. وعلاوة على ذلك، وعلاوة على أن مثل تلك الانتهاكات التي حدثت لم تكن أمراً مباشراً على الجانب الهولندي. فقد كانت المواجهة الإستراتيجية إجمالاً تعتبر المواجهة الأولى والأخيرة. وهكذا، كان البريطانيون في المواجهة الأولى -المنهج ذاته- من شهر تشرين الأول/أكتوبر من عام 1899 وحتى شهر آذار من عام 1900 يتابعون سياسة الهجوم المباشر، والتي واجهها الهولنديون بسياسة الدفاع المباشر. وكانت الهزيمة وشيكة لكلا الجانبين، لكن الهولنديين انتقلوا إلى سياسة الكر والفر في المواجهة، والثانية ن الحرب والتي امتدت من شهر نيسان /إبريل من عام 1900إلى شهر أيار / مايو من عام 1902.

كان البريطانيو ن قد ردوا على ذلك بإتباع الإستراتيجية البربرية في المواجهة الأخيرة من الحرب، والتي امتدت من شهر حزيران/ يونيو من عام 1900.

وكانت النتيجة أن فازت بريطانيا في كلا المواجهتين الأولى والأخيرة من الحرب، في حين تمركز الهولنديون في "فيرينجينج" في 31 أيار / مايو من عام 1902.

خاتمة:

كانت حرب شمال أفريقية نزاعاً غير متماثل بين بريطانيا العظمى (ثم القوات العظمى في العالم)مع إحدى أصغر ولايتين في العالم وهما"أورانج فري" و" وترانسفال".

كانت المصالح البريطانية كثيرة، ولكن رغبتها في الذهاب إلى حرب في إفريقيا الشمالية كان السبب في تجاوزها لهذه المصالح.

فقد كانت القوة السياسية- التي لا تقهر- لجمهوريات إفريقيا الشمالية الأربع بالامتداد، تؤمن طريقاً حيوياً للاتصالات بين بريطانيا وممتلكاتها الاستعمارية في الهند.

وهكذا، فعلى نقيض أطروحة المصالح اللا متماثلة، والتي تعني بأن الطرف الأقوى في نزاع لا متماثل ستكون مصلحته في نزاع أقل. ولذلك، فقد ظنت بريطانيا أن التحكم بولايتي "أورانج فري ستيت" و"ترانسفال" كانت حيوية لثلاثة أسباب:

1. السيطرة على مدينه "كيب" كان المفتاح للإبقاء على الاتصالات البحرية مع الهند.
2. وهو مرتبط بالسبب الأول، والذي يسمح للجمهوريين الهولنديين الإملاء على البريطانيين، والذي من شأنه ان يشجع غالبية السكان في مستعمره "الكيب" الأفارقة للحصول على السيطرة التامة في مدينة "الكيب".
3. إن المنافسين الهولنديين الذين وضعوا بعض القرارات لإملائها على البريطانيين، سيظهر البريطانيين على أنهم ضعيفي العزيمة مقارنة مع القوة العظيمة لأعدائهم الأوروبيين، وبالتالي تشجيع تدخل هؤلاء الأعداء وذلك من خلال توظيف منطق "الدومينو"ومن أجل ذلك، فقد ظنّ البريطانيون أن الحرب ضرورية في إفريقيا الشمالية.

ومن جهة ثانية، فقد كانت مصالح الهولنديين هي في البقاء مستقلين عن بريطانيا. في حين اعتقد رؤساء الجمهوريتين بأن مصالح بريطانيا الحقيقية كانت – كما هي بشكل ثابت – في إبقاء حقوق وكالة المستعمرين غير الهولنديين، والتصرف بتمدن أكثر تجاه "كافيرز".

و لذلك، فقد اعتقدوا بأن بريطانيا أرادت القضاء على استقلالهم وقد أثبتت مجريات الأمور في النهاية بأنهم كانوا على حق.

وهكذا، فإن النظرية الثامنة إجمالاً، توضح بأن القوة المادية النسبية تهتم بنتيجة النزاع اللا متناظر وهو أمر غير مدعوم في إفريقيا الجنوبية.

كانت مصالح الهولنديين - بتثبيت استقلالهم عن بريطانيا- وكذلك رئيسيّ الجمهوريتين قد عرفا تماماً بأن مصالح بريطانيا الرئيسية لم تكن بالامتيازات والتحكم الشعبي بقبائل "الكافيير"، والذين عرفوا تماماً بأن ما أرادته بريطانيا فعلاً هو القضاء على استقلالهم، وقد وثبت ذلك فعلياً في النهاية.

كانت النظرية الثامنة تنص على أن: قدر معين من القوه يعني قدر معين من النتائج وبالسرعات غير المتكافئة، ولكن هذا الكلام لم يكن قريباً من الواقع في حرب جنوب إفريقيا، فالقوه لم تكن هي دائماً الغالبة في هذا الوضع، في حين كان السؤال المطروح هنا:هل القوه والمصالح تقدر على شرح الضعف السياسي؟.

ولكن هذا السؤال كان تصعب الإجابة عليه أيضاً من الجانب الهولندي.

إن النقص بصلابة ومتانة القومية الإفريقية ذاك، قد قلل من شأن الانتقال الذي حصل بعد ذلك من قبل الهولنديين إلى سياسة الكرّ والفرّ.

فبدون تلك الهوية القوية للسياسة الهولندية التي ضعفت كثيراً أمام القوة البريطانية، وقد وصف الجنرال "كريستيان ديويت" لاحقاً بأن ما سبق كان بمثابة قنابل قاتلة تمزق صفوف الأفارقة.

فمثلاً، استسلم أكثر من ثلاثة عشر ألفاً وتسعمائة من قوات المغاوير الهولنديين وسلموا أسلحتهم مع حلول شهر تموز من عام 1900وهذا الرقم يعتبر ما يعادل 26 %ه من قوه الجيش المعتمد عليها فعلياً في كلا الجمهوريتين.

وما كان يفاجىء الهولنديون في أقل تقدير هو الحرب لأجل البقاء، ولكن من جهة ثانية، فهؤلاء كانوا أمام خيارين: إما استقلالهم السياسي، أو نجاتهم القومية.

وقد اختار الهولنديون في تلك الحالة نجاة القومية.

يمكن– من جهة معينة تبرير الضعف السياسي البريطاني بالتفوق العسكري الساحق على الجمهوريتين معاً، وهذا يوضح قطعاً قسماً كبيراً من تقليل الشأن للهولنديين من قبل الجانب البريطاني ولذلك لم يهتم البريطانيون لا بخطورة، ولا بتكاليف الحرب ضد الهولنديين، ولكن قدرتها الطاغية كانت أفضل شرح.

ثمة حقيقتان أخريان توضحان أيضاً الضعف السياسي البريطاني وتشرحانه بشكل أفضل:

1. إتباع الأنظمة الصارمة.
2. تحقيق الأهداف بأقصر وقت ممكن لأن الزعماء السياسيين وصانعي القرار غير قادرون على إنشاء سياسات بدون الرجوع إلى الرأي العام ودراسة ردود أفعاله وأخذها بالحسبان.

وبالعودة إلى شروط نظرية قوانين الحرب السياسية، فقد كان هناك مستوطنتان لبريطانيا في منطقتين حساستين وهما:

– جسأد بيلوم (jus ad bellum) وإنصاف الملاذ البريطاني للقوة في جنوب إفريقيا.
– وجس إن بيللو (jus in bello) وإنصاف إدارتها للحرب في جنوب إفريقيا.

وفي أساليب الحكم الفاشي لهذه المستوطنات الحساسة التي أديرت بمعنى السيطرة على دخول المعلومات حول كلا المستوطنتين.

وفي الحقيقة – فعلى الرغم من وجود المعلومات– إلاّ أنه ليس هناك أية جنود الاحتلال يروون تفاصيل عن معركة بنت جبيل آلية لاتصال العموم مع السياسات الغربية.

وكما رأينا الآن، فقد عوض إنذار"كروجر" النهائي أعيان بريطانيا عن الصعوبات عبر "جس أد بيلوم": فالعموم البريطاني كان قد ميّز شرعية الدفاع عن النفس كتبرير لملاذ الجيوش.

ولكن ما هي أخلاق الإدارة لهذه الحرب؟

وهنا، فإن أنواع أساليب الحكم البريطانية قد صنعت فرقاً كبيراً كإنشاء المعسكر التخاصمي المكثف وإمكانية الانسحاب البريطاني من الحرب قد قصر إنجاز أهدافه السياسية.

وقد لاحظنا قبل الآن أسباب لماذا كانت هذه الإمكانية معروفة، ولكن النقطة هي أن الانسحاب الفاشي البريطاني قد قصر إنجاز الأهداف السياسية لأن القلق حيال "جس إن بيلو" لم يكن يعتبر كاحتمالية.

و لذلك، فإن أنواع أساليب الحكم قد همّت أكثر من السماح بالاهتمام بالأدلة غير المتناظرة.

و على أية حال، فإن الأمر المحدد – والأكثر أهمية – للحساسية هو وقت الهدف. ولكن هذه القضية توضح أهمية الوقت بالنسبة إلى الهدف في الحرب، وهذه التكلفة الايجابية بنسبة متوازية تقريبا مع الدم والثروة.

ولكن، هل انتهت الحرب بقدوم عيد الميلاد– كما كان متوقعًا على نطاق واسع من قبل النخبة والشعب والبريطاني –؟؟

لم تجد هذه الاهتمامات – حول تطبيق شرعية استعمال القوة والتصرف الأخلاقي الحربي– حيّزاً للتطبيق العملي.

وبالفعل، ففي هذا الصنف العام للنزاع، فإننا نتوقع أن الحروب ستكون سريعة وحاسمة، كما هو متعارف عليه، ولكن، بما أن الفجوة في نسبة الموارد المتاحة لكل طرف يتجاوز الخمسة إلى واحد فإنه، وبسبب الضعف بالتأخير في وقت الهدف، فمن المنطق أن نسأل هنا:

ما الذي تسبب في التأجيل؟.

لم يكن نشر الأسلحة – بالرغم من امتلاك الهولنديين أولياً لأسلحه أفضل من أسلحة البريطانيين وبالرغم من امتلاك البريطانيين لتكنولوجيا عسكرية متطورة – إلاّ أن ذلك ارتبط بخسارتهم السريعة لا بفوزهم.

وهكذا، فبالرغم من أن النظرية السادسة التي تنص على أنه:

(كلما كان الطرف الضعيف أفضل تسليحاً، كلما كانت الفرصة بأن القوي سيخسر النزاع اللامتماثل) فإن تلك النظرية تلقى بعض الدعم.

وإجمالاً، فإن النتائج الهامشية – بالإكثار من الأعذار التي تمتع بها الهولنديون – لم تؤثر على نتيجة الحرب.

وقد قامت – بشكل هامشي– بالإكثار من زيادة التكاليف البريطانية من خلال ازدياد الجرحى من الجنود. ولكن تغيير الإستراتيجية فقط هو الذي أنقذ الهولنديين من الخسارة في شهر آذار /مارس من عام 1900.

وهنا، نظن أن التغيير في الإستراتيجية إلى الكرّ والفرّ من قبل الهولنديين في شهر آذار/مارس من عام 1900 هو ما يفسر التأجيل الذي أبعد بريطانيا تقريبا عن الحرب.

ولكن عندما تعمق البريطانيون بالتفاعل الأول من الحرب، وبعد سقوط "بلويم فونتينغ" اجتمع القادة الهولنديون لمناقشه الاستسلام أو إتباع الإستراتيجية للمقاومة المستمرة. وبعد النقاش الساخن على تناسب الكّر والفرّ.

كان قد مر خمسة شهور قبل ان يتأقلم البريطانيون مع هذا التغيير في الإستراتيجية.

ومع مرور الوقت، كان "روبرت" يتقدم من مدينة إلى أخرى، ومن أسرة إلى أسرة، مرسلاً إعلان العفو. ولكن عندما لم يستسلم الهولنديون، وردّوا الهجوم على اتصالات البريطانيين ووحذاتهم المنعزلة قام البريطانيون بتكثيف سياستهم السابقة، والتي تلخصت في الأعمال الانتقامية الجماعية ضد الهولنديين المدنيين وغير المقاتلين. وانتقلوا بذلك إلى الإستراتيجية الأخرى، ومع أن هذا كان له مخاطره من قبل الرأي العام البريطاني. لكنه أثبت أيضاً فعاليته العسكرية ضد الهولنديين في عام 1901 (باكينهام1979:، 500–501).

وفي تقييم تأثير الهمجية كورقة رابحة، يجب أن نتذكر الأدلة في أنّ الإستراتيجية كاختصار للحرب قد احتوت القدرة الفعالة على صنع سلام لاحق مكلف وغير مستقر.

لقد وافق "د، أنونلد" على أن العقوبات الجماعية لم تكن عادلة ولا سياسية. فالهجمات على السكة الحديدية لم تكن من فعل المحليين (وعندما أُحرقت المزارع ذات مرة، أصبحت البلدة مجرد صحراء، وجعلت الكراهية تزداد للبريطانيين (باكينهام 1979، :479–480).

أما المواجهة الواقعية العظيمة من النزاع، فمن المحتمل أن البريطانيين لم يغيروا الإستراتيجيات، فقد كانت الحرب ستستمر لوقت أطول بكثير، أو أن التأجيل المستمر بذاته كان سيصبح مشكلة سياسية والتي كانت ستؤدي في النهاية إلى تغيير الحكومة في النهاية.

ومن المحتمل، أن ما كان ينقص معاهدتهم هو الأهداف السياسية. (وبعباره أخرى خسارة بريطانيا).

من الواضح أيضاً أنه -كما في حرب الموريد- فقد فقدت الإستراتيجية البربرية في فترة فعالية ما بعد الحرب السياسية، شيئاً كانت قد اكتسبته في زمن حرب الفعالية العسكرية:

وهو أنها كانت ضد أمة متخلفة مكونة من المزارعين الذين أساؤوا تقدير البريطانيين، والذين كانوا في طريقهم لإنقاذ جنوب إفريقيا، حيث انتهى منح الحكم الذاتي في نهر "أورانج كولوني" وكذلك في "الترانسفال".

بعد ثماني سنوات فقط، والتفافاً حول القومية الأفريكانية، فقد عززت - جزئياً على الأقل- بذكرى آلاف القتلى في معسكرات الاعتقال، والبيض في مستعمرة "الكيب" و"ناتال" وانضمت تلك الجمهوريات السابقة من أجل أن يصبحوا مواطنين لاتحاد جنوب إفريقيا في بداية عصر جديد لحكومة البيض في جنوب إفريقيا. (كريبز، 1992:54)

وخلاصة القول، إن التفاعل الاستراتيجي هو أقوى شرح لنتائج حرب جنوب إفريقيا. بعد أن أصبح واضحا أن الاعتقال من عواصم المستوطنين الهولنديين لن يجبر المستوطنين الهولنديين على الاستسلام، وكان للبريطانيين ثلاثة استراتيجيات للاختيار:

- أولاً: مع الاستمرار في الإستراتيجية الحالية، وربما إرسال المزيد من القوات والمعدات، والخيول إلى مسرح المعارك.
- وثانياً: عرض شروط المستوطنين الهولنديين: شيء ما يمكنه حفظ ماء الوجه بعد نهاية الحرب.
- ثالثاً: التحول إلى إستراتيجية الهمجية: إيقاف اللطافة، وملاحقة جنود المستوطنين الهولنديين غير المقاتلين، سواء من جانب إبقائهم كرهائن، أو قتلهم على الفور في الانتقام لاستمرار المقاومة.

وهكذا، فقد واجه المستوطنون الهولنديون خياراً أكثر وضوحاً بعد سقوط "بلويم فونتين" وذلك:

-إما أن يباغتونه وأن يتحولوا إلى سياسة الكر والفر الخطيرة.

ولكنهم اختاروا سياسة الكر والفر، وبذلك استمرت الحرب لمدة عامين آخرين.

وخلال تلك الفترة، والذي فتح نافذة من الضعف السياسي. فقد كان على واضعي السياسات البريطانية مواجهة احتمال الغضب من التأخير في حد ذاته، ولكن بصفة خاصة

التركيز على قتلى المخيمات في الواقع قد يجبرهم على الرحيل من الحرب، أو على الأقل تقديم تنازلات سياسية التي من شأنها تدمير مبرر لخوض الحرب في المقام الأول.

العامل الضعيف: مقاربة إستراتيجية

غير مباشر مباشر

العامل الضعيف	العامل القوي
العامل القوي	العامل الضعيف

مباشر
العامل القوي
مقاربة إستراتيجية غير مباشر

التأثيرات المتوقعة للتفاعل الاستراتيجي على النزاع (توقع الفائزين ضمن الخلايا)

الفصل الخامس

إيطاليا في إثيوبيا

الحرب الإيطالية الأثيوبية

(1940-1935)

"نحن شجعان و"بواسل" نحن محاربون لا يقهرون حاملين الأعلام في إفريقيا الشرقية رمز المجد والسلام والحضارة. سوف يكون قد صنع ليشع مرة أخرى بالنصر الايطالي.

العبودية والهمجية حكم عليه بالموت ليتلاشى حاملي الأعلام باللحظة ذاتها، فالنسور الرومانية تظهر بأغنية سير الجنود الإيطاليين في سلسلة المعارك الحربية.

نحن ألقينا بأنفسنا إلى أوكار الآلات والمدفعية لنطردهم، نحن قذفنا بأنفسنا ضد مدفعية العدو نحن تمسكنا بثبات ضد مدافعهم وعبوات الغاز الحارقة، نحن لا نستطيع لوم أنفسنا بأي نفحة من الجبن. ولكن ضد المطر غير المرئي من الغاز المميت الذي يرش على أيدينا ووجوهنا، لم نستطع فعل أي شيء، وبعد أن أقول مرة أخرى، إننا لا نملك سبباً لنكون خجولين، فنحن لم نستطع (ردع) هذه المطر ".

(هيلا سيلاسي " إمبراطور إثيوبيا)

بدأت الحرب بين ايطاليا الفاشية وإثيوبيا في شهر تشرين الأول من عام 1935 / وقد كانت ايطاليا الممثل القوي بالهامش العريض على أنها كانت معارك تقليدية حادة بين جيش مسلح جدا ومجهز جيدا – حتى ذلك الوقت – في حين كان الجيش الأثيوبي سيء التجهيز[1].

1- الاستعمال المغني والبيانات الصغيرة الذي تجيء بالنسبة المنصفة للقوة المادية النسبية ل 1 إلى 24. 23 % وكانت دقيقة لمصلحة ايطاليا

في شهر أيار 1936 كان إمبراطور إثيوبيا(هيلا سيلاسي) والقائد العسكري الإيطالي"سارو بمسار"مبتهجين بالنصر في العاصمة(أديس أبابا) في ذلك الوقت. حيث كانت الحرب لم تنته بعد، لكنها استمرت كحرب عصابات من عام 1936 وحتى عام1940عندما انضمت بريطانيا للقتال حيث استسلم الإيطاليون للبريطانيين في شمال إفريقيا في الخامس من شهر أيار من عام1941.

المسرح الأثيوبي:

في عام 1935 كانت إثيوبيا قد أحيطت بالممتلكات الاستعمارية لأربع دول أوروبية بدءاً من الجنوب الغربي ووصولاً إلى الشمال الغربي وكينيا والسودان (الانكليزي).

وإلى الجنوب والشرق (الايطاليين) وارض الصومال (الانكليزي) كل بحسب ترتيبه ودوره إلى الشرق والشمال الشرقي وارض الصومال الفرنسي (جيبوتي) واريتريا (بعد ذلك الاستعمار الايطالي) حيث كانت إثيوبيا– على هذا النحو– محاطة بالأرض المستعمرة من كل جانب، في حين كان طريقها الرئيسي نحو البحر، وكان عبارة عن خط سكة حديد وحيدة من "أديس أبابا" العاصمة إلى ميناء "جيبوتي"الذي كان تحت السيطرة الفرنسية على البحر الأحمر.

إنها بلد الصفتين المميزتين من حيث الطبوغرافيا والمناخ ابتداء من جنوب "أديس أبابا"إلى أراضي الصومال وحيث تنبسط من بلاد شديدة التلال والجبال، والتي– بشكل بطيء– تهب نحو صحراء (أوغادين) تلك الأرض الحارة الجافة والمنبسطة من شمال "أديس أبابا"إلى السودان واريّتريا حيث تبسط بعض أكثر الجبال وعورة، ولا يمكن اجتيازها نحو كل البلاد الإفريقية فيه سوى بالسير على طريق واحد مرصوف يدوياً، والذي بني من اجل تتويج الإمبراطور في عام 1930.

هذا البلد الذي لا يمكن اجتيازه سوى بإتباع وسائل آثار أقدام البغال، والطرق غير المتطورة، والتي عادة ما تكون غير سالكة خلال أمطار الربيع والصيف – التي تغمر بشكل نظامي المنطقة بالماء بدءاً من شهر أيار وحتى شهر أيلول– كل سنة.

يتحدث شعب إثيوبيا لغة(أمهاريك) وهي لهجة مسحية قديمة، حيث أن أغلب الإثيوبيين كانوا يعتنقون الدين المسيحي. في حين تتألف الدولة من حكومة فيدرالية لمناطق شبه مستقلة بحيث تحكم كل منطقة من قبل عائلة نبيلة، وكلها تحت السيطرة الاسمية للإمبراطور في "أديس أبابا"وكانت كلها أنظمة إقطاعية.

كانت مدينة "ديل بوكا تعتبر المدينة الأثيوبية الأكثر والأفضل تطورا في عام 1935 ولكنها – فيما بعد– سوف تستخدم لتكون مبررا لايطاليا لغزوها واستعمار إثيوبيا.

يعود تاريخ الاهتمام الايطالي في إثيوبيا إلى تلك السنوات الشاحبة للقرن التاسع عشر.

كانت إيطاليا قد أسست مستعمرة قابلة للحياة في اريتريا المجاورة، لكن الايطاليين قرروا القيام بحملة انتخابية عسكرية لتأييدهم داخل البلاد، ولكن في 26السادس والعشرين من شهر كانون الثاني من عام 1887 كانت القوة العسكرية الايطالية قد أُبيدت على يد قوة مؤلفة من عشرين ألف مقاتل أثيوبي بقيادة الإمبراطور"يوحانيس"في إقليم "دوغالي"[1] وهذا ما اجبر الايطاليين ليؤجلوا محاولاتهم للغزو لعدة سنوات.

وفي الحقيقة. فبعد موت "يوحانيس" واستلام وريثه الإمبراطور "مينليك الثاني" فقد تبدلت الأحوال، وأصبحت العلاقات بين البلدين حميمة، وقد تطورت إلى تنفيذ خطوات كانت ملموسة بتوقيع معاهدة ودية ترافقت مع هدية خاصة من ملك ايطاليا "امبيرتو"إلى الإمبراطور "مينليك" والتي كانت عبارة عن ثماني وعشرين ألف بندقية وثمانية وعشرين مدفعاً.

وفي اتفاقية "اوتيالي"فقد أقر "مينليك" بحق ايطاليا بأرتيريا، بل ووافق على السماح لايطاليا بالتحكم ببعض شؤون الإثيوبيين!.

ولكن، الايطاليين قاموا بتفسير المعاهدة على طريقتهم، وعلى أنها اعترافاً إثيوبيًا بأنها قد أصبحت محمية لإيطاليا.

1- كان هناك مولداً كهربائياً واحداً فقط. مولد كهربائي مزود بضوء كهربائي والطاقة من اجل قصر الإمبراطور. ومتوسط الجودة. وكان ينير طريق القصر الإمبراطوري فقط. ، الطريق الذي كان قد رصف من اجل حفل تتويج (هيلا سيلاسي). لم يكن هناك مصارف للمياه. ولا نظام للتخلص من النفايات، وكانت الطرق الأخرى عبارة عن مزابل وكانت السماء دائما سوداء مع النسور والغربان المحلقة فوق الخرائب (ديل بوكا 31/ 1969).

وهكذا، فقد تداعت العلاقات وفسدت بشكل سريع، الأمر الذي جعل الطليان يسرعون لإعادة ترتيب الأوراق من أجل تهدئة الإمبراطور الغاضب "مينليك" وإقناعه بالمحاسن التي سيجنيها في حال أصبحت إثيوبيا في مكانة المحمية.

وفي عام 1893 قدم الايطاليون هدية أخرى وكانت عبارة عن مليوني رصاصة للبنادق التي قام الطليان بتقديمها كهدية سابقة.

ولكن، في الوقت الذي قبل الإمبراطور فيه الهدية الجديدة، إلاّ أنه كان يرغب بوضع حد للمعاهدة مؤلباً رأي من حوله ومهدداً من غزو إيطالي وشيك ليجمع قوى الأثيوبيين الرئيسية حوله (كوفي1974).

في البداية، دعم الايطاليون بعد ذلك محاولته بلطف من أجل تطوير إخلاص الإثيوبيين لوطنهم وتوحيد قواه مستخدماً إشعاره الرسمي بإنهاء المعاهدة كذريعة. لكنهم اعترفوا على أنه قد تم تجهيز حملة كبيرة قوامها سبعة عشر ألفاً وسبعمائة جندي تحت قيادة الجنرال "اوريست باراتيري" حاكم اريتريا - والتي اعتبرت اكبر قوة من بين الدول الاستعمارية الأخرى - والتي كانت جاهزة على استخدامها من جديد في الجنوب المسلح من الحدود الأثيوبية.

لكن الايطاليين اختاروا طريق الغزو الذي اظهر التوازن العارض من خلال إقليم "اكسوم" والذي يعتبر واحداً من أكثر مناطق إثيوبيا قداسة، والمركز الروحي لكنيسة "كوتبيك".

كان هذا الأمر قد سمح للإمبراطور "مينليك"أن يستنهض الهمم واستجماع قوى أكثر لأسباب رئيسية، وقد استطاع جمع جيش مؤلف من أكثر من مئة ألف رجل مسلح، وسط أشياء أخرى من البنادق، والعتاد الحربي الذي كان قد أعطاه إياه الايطاليون بشكل مباشر.

لكن الجيش في ساحة قتال كهذه كانت مقياساً صعباً بالنسبة "للمينليك"فقد كان جنوده الجوعى قد هددوا بالتخلي عنه حيث قام الايطاليون- بشكل مباشر- بتأسيس موقع منيع في منطقة "ساوريا" فقرر التوقف.

وبحسب الظاهر، فإن التفاوت الفاحش في ميزان القوة على الحدود الاستعمارية كان مناخاً مناسباً للإيطاليين بتوجيه هجمة مفاجئة - وبشكل سريع- على الأثيوبيين المجتمعين[1].

1- كما أنها تتعارض مع توقعات النظرية الإستراتيجية: ممثل قوي وممثل ضعيف كلاهما يستخدم النهج والممثل الضعيف يربح.

ولذلك، فإن حاكم أرتيريا آنذاك "باراتيري"قد قسم قواته إلى ثلاث كتائب، والتي كانت كلها لتتوصل إلى الهضاب المطلة على مواقع الأثيوبيين.

وبعد ذلك، وعند الإشارة الصحيحة، تنقضّ في حركات ساحقة واحدة لإبادة الأثيوبيين.

ولكن، ولسوء حظ الايطاليين، فحين شرع "باراتيري" يستكشف المداخل بما يفي الغرض، كانت خرائطه غير دقيقة. وهكذا، فقد أصبحت الكتائب، وكان الأثيوبيون في انتظار الوقت الملائم لتدمير جناح الكتيبة قبل أن تستطع الوصول للموقع المَخصص.

في الصباح التالي الموافق للأول من شهر آذار من عام 1896) توجهت الكتيبتان المتبقيتان لخوض معركة قرب "ادوا" إلاّ أنهم لم يكونوا يتوقعون أن جناحهم الأيسر كان غير محمي تماماً، كما لم يحسبوا لهجوم قوات الجيش الأثيوبي. غير أنه سرعان ما طوق الايطاليون، وبدأت المعركة.

على الرغم من أن القوات الإيطالية قد قاتلت بشجاعة، إلاّ انه كانت قد تكبدت حوالي اثني عشر ألف قتيل وذلك قبل غروب شمس نهار تلك المعركة في حين بقي خمسة آلاف جندي على قيد الحياة، وهم الذين يدينون بحياتهم للتقليد الأثيوبي القديم بإنهاء كل معركة مع غروب الشمس، وهو ما أبقاهم أحياء كان هذا الفوز الساحق – والوحيد – للأثيوبيين في معركة "آدوا"بمثابة رسالة واضحة للأعداء الذين يحاولون استعمار إثيوبيا.

كانت محاولة الاحتلال تلك قد وحدت القومية الإثيوبية وأثبتت الخسارة المذلة جدا للايطاليين بحيث مازال يعتبر "كاسوس بيلي" عبرة للبعض من ايطاليا الفاشية لمدة 93 سنة تالية.

ولكن في الوقت الحقيقي. لعقت إيطاليا جراحها، وأعلنت عن استيائها وانتظرت[1].

لشخصيات ديل بوكا تأثيرات كالإذلال بهذه الطريقة بعد أدوا، الفيردو اورياني كتب: نحن وقعنا على السلام لكن لن يكون هناك سلام نحن سوف لن نستسلم في إفريقيا.

الحرب ستستأنف، الهزيمة تكوي عقولهم، وكلمات متفاخرة من الأناشيد الوطنية أعلى:نشدها الجنود كلمات مثل هذه تلسع مثل السياط: حذار يا بلاديسار من هؤلاء الناس السود ذوو الشعر الصوفي مينليك، أنت ميت ويأتي هنا حمام من الرصاص ليس كسكر

1– ديكتاتور ايطاليا الفاشية بينتو موسو، كان في سن 13 في وقت معركة أدوا وهو شخصيا خبير بإذلال ايطاليا بالهزيمة (كوفي 1974/22)

الخوخ، وعموما لا يمكن لايطالية نفسها أن تتقبل حقيقة أن "جحافل همجية(شون)" قد نجحت في القضاء على جيش أوروبي.

ولكن في عام1906 وقعت إيطاليا على معاهدة سرية مع فرنسا وبريطانيا وكانت تنص على: "اعتراف ايطاليا بالأولوية في إثيوبيا، على أن ايطاليا لن تعرقل سير عمل الفرنسيين الذين يملكون السكك الحديدية "

إيطاليا في أثيوبيا

من "أديس أبابا" إلى "جيوتي" أو مسار تدفق مياه النيل الأزرق من بحيرة إثيوبيا إلى النيل الأبيض، التي غدت من توابع انكلترا، مصر والسودان (كوفي، 1974:11).

ليلة الحرب: اهتمامات إيطاليا.

عاد "بونيتو موسوليني" ليقوي إيطاليا عام 1922 وذلك عندما دعاه ملك إيطاليا "فيتوريو ايانويل" ليشكل الحكومة. وخلال سنتين استطاع أن يرسخ سلطته وفي أن يتخلى أو يغتال معارضيه، وحين التمست إثيوبيا للحصول على العضوية في عصبة الأمم عام 1932، أيد "موسوليني" تلك الخطوة لأنه لم يعتقد أن بإمكانه هزيمتها، على الرغم من معارضة انكلترا له. فقد جادلت بريطانيا على أن إثيوبيا لا ينبغي أن تُقبل في مجتمع العصبة المتحضرة لأنها لا تزال تابعة للعبودية....

فعلى الرغم من أن "راس كافوري" كان قد اتخذ الخطوات اللازمة، إلاّ أنها لم تكن فعالة دائماً، وعلى الأخص تجاه إلغاء العبودية. لكن طلبه تحقق في نهاية المطاف وأصبحت إثيوبيا عضواً في عصبة الأمم. (كوفي، 1974:13).

كانت إيطاليا قد عارضت انضمامها في البداية لأن إثيوبيا لم تكن متحضرة بما فيه الكفاية لتبرير العضوية. ولكن بعد سنوات من المشاحنات المريرة الداخلية بين أفكار ورجال "راس كافوري"، القويّة وبين"شون" النبيل، والذي توّج لاحقاً كإمبراطور لإثيوبيا تحت اسم العرش الملكي ل "هيلا سيلاسي".

كان ذلك الإمبراطور مثقفاً، ذكياً، ورجلاً يتمتع بشخصية قوية، يتحدث اللغة الفرنسية بطلاقة وقد كان يخطط لإصلاح وتطوير إثيوبيا على غرار إحدى الدول الأوروبية[1].

لكنه كان معوقاً بسبب فقر بلاده، وبسبب صعوبة البناء والمحافظة على السلطة المركزية على الأمراء المستقلين الذين حكموا المناطق النائية من إثيوبيا. وفوق كل هذا، كان مشتتاً بسبب تزايد الأطماع الإيطالية الفاشية – بشكل واضح – لامتلاك إثيوبيا.

حاول الإمبراطور"سيلاسي"[2] التوصل إلى تسوية مع إيطاليا في المعاهدة الإيطالية الأثيوبية للصداقة التوفيق، التحكم في الثاني من آب من عام 1928لكن "موسوليني"كان ميّالاً إلى استخدام أحكام المعاهدة الأكثر تحرراً، استعداداً لمشاركته في غزو أثيوبيا، فقد عددّ"ديل بوكا" كيف أن جهود "موسوليني" لبناء طريق من "أساب" إلى "ديسي" قد وضعته في موقع حرج من الإمبراطور (وإن كان ذلك مسموحاً وهكذا، فقد بدأت إيطاليا – منذ ذلك التاريخ من عام 1930 – تستعد لغزو واحتلال أثيوبيا، وكان كل ما كانت تحتاجه هو عذر مهذب من أجل الشروع بالغزو.

وهكذا، فإن الحادث الذي أثبت دخول"موسوليني" في الحرب الإيطالية الأثيوبية كان قد وقع في موقع بعيد من"وال وال"في صحراء "أغادين"وذلك في الخامس من شهر كانون الأول من عام 1919.

1- هذا هو الموضوع الذي يعتبر الأساس الذي تقوم عليه جميع المناقشات والمفاوضات بين الدول الأوروبية الثلاث.
ومن الصعب تقدير مدى تأثير هذه المعارضة، ولكن مذكرات المشاركين أوضحتها لتكون رئيسية. إذ كان في بعض الأحيان غير معلن، وعامل (انظر إلى الأسفل)

2- و أضاف أن عدداً من المستشارين الأجانب كانوا على مقربة من العرش، بما في ذلك أمريكي كأفريت كولسون، وسويدي، الجنرال اريك فيرجن، ورجل انكليزي، السيد سيدني بارتون (جلالة وزيره البريطاني). كان تتويجه في الثاني من تشرين الثاني عام 1930 وكان مباشرة كتتويج الملك إدوارد الخامس في لندن.
من الناحية الفنية بموجب المعاهدة) وكيف أن آلة الدعاية الخاصة "بموسوليني" تتميز باعتراض الإمبراطور بمثابة رفض للحضارة:
"إن رفض الإمبراطور لتقدم البلاد التي لها حدود مشتركة مع أسرع هزيمة لغزو ما كان مبرراً تماماً وطبعاً، علم "موسوليني"بذلك، ولكن منذ تلك المرة التي كنا فيها كرسل الملائكة والحضارة، لكن الأثيوبيين كانوا هم الأدنى، وأعمق سباق لعين على الأرض، ويكنون الحسد، ويتمنون كل ما هو شر وبغيض للطليان. "
وبالطبع، فقد كان هذا الكلام الصبياني بمثابة الرد المفحم حيث أصبح غالبية الإيطاليين يعتقدون
وبصدق بأن هذا الهراء كان صحيحاً، وبالصدفة، وعندما قربت الساعة، هتف الطليان بسرور للأعمال العدوانية (ديل بوكا، 1969:14).

كان"موسوليني" قد أرسل قوة عسكرية كبيرة إلى "إريتريا" تتألف من مئتي ألف جندي، وسبعة آلاف ضابط، وستة آلاف رشاش، وسبعمائة مدفع من كل العيارات، ومئة وخمسين دبابة، ومئة وخمسين مطاردة، وطائرات قاذفة (ديل بوكا، 1969:21).

ولكن "سيلاسي" فهم بوضوح نوايا "موسوليني" وقد نقل - بحكمة - جميع قواته المسلحة إلى منطقة آمنة بعيداً عن أريتريا على وجه الدقة، وذلك لتجنب أي فرصة لاجتياز الحدود "الحادث" والذي استطاعت إيطاليا تضخمه إلى عذر للغزو.

كما شرع - في الوقت نفسه- في البحث عن مساعدة في إطار مقالات عهدة عصبة الأمم. ولكن الإيطاليين كانوا قد وضعوا الجنود في "أوغادين" في "وال وال" وبعمق ستين ميلاً داخل الأراضي الأثيوبية.

وعند مسح لجنة القوات الأثيوبية التي ترافقها برحلاتها إلى جانب الحدود، قامت دوريات "الدوبات" - المؤلفة من الجنود الأفريقيين تحت أمر الإيطاليين- الحدودية الصومالية بتوقيفها.

وهكذا، ، فعندما احتجّ الأثيوبيون، أعلن الإيطاليون بأنهم لن ينسحبوا لأن "وال وال" كانت أراض إيطالية، وجزءاً من الأراضي الصومالية الإيطالية.

كان الأثيوبيون في البداية يتجاوزا الإيطاليين، كما رفضوا الانسحاب لأن ذلك يمكن أن يفسر على أنه اعتراف على مطالبات الإيطاليين للمنطقة، وذلك ما زاد من حدّة التوتر، وكذلك من تعزيزات إيطاليا حتى الخامس من كانون الأول.

إيطاليا في إثيوبيا

في أحد الأيام من عام1934 أطلقت أعيرة نارية غزيرة على القوات الإثيوبية وفي المشاجرة التي أعقبت ذلك، وحيث تمركزت تلك القوات الأثيوبية، وهو ما كان بمثابة الإشارة الأقوى عن الحادث، وتلك كانت هي الطريقة التي أرادتها إيطاليا، والطريقة التي كانت صادرة عن دفع القوى العالمية حيث زعمت إيطاليا على الفور بأنها كانت ضحية للاستقرار العدواني على أراضيها.

وقد طلبت- في أكثر الأساليب حده مهنية ممكنة- اعتذاراً وتعويضات من الأثيوبيين وذلك بعد أن احتج إثيوبيون على أنهم كانوا قد هوجموا من قبل الإيطاليين وعلى مسافة

60 ميلاً ضمن حدودهم، وقد بذلت العديد من الجهود للتقليل من وقوع الحوادث، وفي الوقت نفسه رفضا لاعتراف بالذنب أو الاعتذار.

وفي عصبة الأمم، فإن معظم الممثلين- ببساطة- قد افترضوا أن الادعاءات الإقليمية الإيطالية كانت ضحية وأن إثيوبيا كانت شجاعة - بشكل قوي- لكي لا ترضخ إلى أوامر إيطاليا. على الرغم من أن بعض الشائعات تقول بأن إقليم"والوال" في الحقيقة، ربما يكون في إثيوبيا، بيد أن معظم الصحف الإيطالية كانت قد قبلت التأكيد الإيطالي بأن "والوال" كان في الصومال، وخاصة بعد أن أرسلت إيطاليا ملاحظة إلى العصبة في السادس عشر من كانون الأول لإعادة تجديد التأكيد وشجب اتهامات أثيوبية.

وفي النهاية، قام مراسل صحفي - في غرفة الصحافة في عصبة الأمم المتحدة في العشرين من كانون الأول، حيث لم يكن أحد قد فكر بفعل ذلك- ونظر على خريطة معلقة على الحائط أمامه. كانت الخريطة لإفريقيا، وصادرة عن المعهد الجغرافي الإيطالي في"بينرامو"، مما يدل في الواقع أن إقليم"والوال" كان في الأراضي الأثيوبية وبعمق يصل إلى ستين ميلاً على الأقل داخل إثيوبيا، وهكذا، ووفقاً لشروط الوزارة في معاهدة عام1897 والتي حسمت حرب عام1896 بين البلدين وبعد أن تبلّغ الوفد الإيطالي هذا الدليل.

ولكن، على الفور، قام البارون "بومبيوالواسي" وممثلين من روما في "جنيف" بطلب نقل الخريطة من غرفة الصحافة تلك لأنها كانت قد بطل استعمالها. ولأنها لم تأخذ بعين الاعتبار بعضاً من التعديلات في معاهدة عام1897 والتي جرت عام 1890.

لم تكن تلك الخريطة متقدمة من المراسلين، فهي الآن تملأ الشركات، وذلك بعد أن وجدت طريقها إلى مكتبة الأمة في الجناح الشمالي من البناء الرئيسي، وحيث وجدوا خريطة الحكومة الإيطالية لإثيوبيا والصادرة عن المكتب الاستعماري عام1925. وهذه الخريطة أيضاً تظهر أن إقليم "والوال" كان على الأقل بعمق ستين ميلاً داخل إثيوبيا. (كوفي، 1974:19).

وباختصار، فبغضّ النظر عمن أطلق النار أولاً، كانت إيطاليا مخططة لتغذيتها أثيوبيا، وإنشاء موقع مسلّح ضمن أراضي إثيوبيا. ولكن لم يحدث أياً منها أي تغيير حقيقي.

كانت إيطاليا قد واصلت التبجح، والاستعداد، وفي النهاية استخدم "موسوليني" هذا الحادث كوسيلة لتبرير الرسالة لجلب المزيد من الجنود والإمدادات إلى المسرح.

ولكن على الرغم من طلب الأثيوبيين الحصول على مساعدة العصبة. إلاّ أن بريطانيا وفرنسا قد تفاوضتا – كل فاوض على صفقات منفصلة – مع "موسوليني" حيث كانت النتيجة النهائية: إطلاق يد إيطاليا في إثيوبيا.

ولكن ماذا كانت اهتمامات إيطاليا الحقيقية في إثيوبيا؟[1].

كان حادث إقليم"وال وال" مفيداً في هذا المصدر لأن "موسوليني" طال انتظاره كعدّو لغزو إثيوبياكما أنها دفعت الإيطاليين لتقديم الحجج والمبررات لهذا الطمع وهذا لثلاثة أسباب:

- السمعة
- والمسؤولية.
- و المصادر.

كانت الهيبة الوطنية على الهزيمة في "أدوا" قد تأثر بها معظم الإيطاليين وبعمق، وشخصياً "موسوليني" وخصوصاً القوات العسكرية التي كانت دقتها سبباً كبيراً من جس نبض الهجوم والغزو على إثيوبيا، وسيكون ذلك كافياً لمحو هذا الذل، وتصويب الأمور كما تريد إيطاليا[2].

ومع ذلك، كان هناك سببان آخران لسمعة إيطاليا من القضايا المطروحة وهي:

- سمعة إيطاليا من حيث كونها قوة استعمارية.
- وسمعة الفاشية باعتبارها سياسية وإيديولوجية حاكمة داخل إيطاليا.

كان الإيطاليون يشعرون بشيء من الإذلال بسبب عدم تعهد قادتهم بغنائم "الانتصار"على ألمانيا والنمسا وهنغاريا في الحرب العالمية الأولى (كوفي، 1974:25)[3].

1– كان من المستحيل الإجابة عن هذا السؤال الذي هو من أطلق النار أولاً (كوفي، 1974، 1969: 19)، وأن المعركة نفسها كانت مقررة من قبل السيارات الإيطالية، ضد الأثيوبيين الذين لم يملكوا أي أجور مضادة فعالة.

2– يضيف كوفي أنه في مذكرة "موسوليني" السرية جادل على الأمر الواقع في أثيوبيا. حسب "موسوليني" أنه ما دامت مصالح البريطانيين والفرنسين في المنطقة محترمة فإنه يستطيع الهرب بالكسب: أن أحلام الاستعمار والمجد ل "موسوليني" وذكريات طفولته المريرة لهزيمة إيطاليا في "أدوا" أجبروه على ذلك الأمل. "أن هذه المشكلة موجودة منذ عام 1885، " لقد كتب في مذكرته السرية" (كوفي، 1974: 22) حيث يشير "غريفين" إلى أن الفاشية تعود إلى وصية العدوانية الاستعمارية والطموح ك "مشاكل"، التي كثيراً ما "حلت"بعد ذلك عن طريق اتخاذ تدابير عسكرية أو قياسات ديكتاتورية (غريفين 1995: 74).

3– البارون الواسي، ممثل، إيطاليا في عصبة الأمم، يجعل هذه العلاقة الواضحة. كان هناك وقت سابق من الهزيمة في "أرو" التي تتمنى أن تكون "مغسولة بالدماء" (كوفي 1974: 73)

إن مسؤولية المصالح تركزت على فكرة إيطاليا في حد ذاتها وهو المفهوم الذي كسب تعاطف من بريطانيا وفرنسا في ذلك الوقت–10بوصفها قوة أوروبية حضارية.

إيطاليا في إثيوبيا:

أعلن "موسوليني" أيضاً: أن إيطاليا تستطيع جعل إفريقيا حضارية، وأن ممتلكاتها في البحر المتوسط قد أعطتها هذا الحق، ولو فرضت عليها هذا الواجب. ومن ثم، فإن القوى الاستعمارية الأخرى قالت بأن إيطاليا لم تفعل:

"تريد إيطاليا وصولات أبكر لعرقلة روحيتها، وسياستها والتوسع الاقتصادي "(كوفي، 1974: 21). كان الجدل السلبي يبدو وكأن له شكل "توكوك": بعد كل هذا، فإن كل ما كان على إيطاليا فعله أخيراً، هو تقوية إثيوبيا الأضعف من بين هؤلاء، وكانت مصالح الموارد هي الأهم حسب "موسوليني" الذي قال:

"إن تطوير واستعمار إثيوبيا سيكلف ثمناً باهظاً، وربما سيستغرق حوالي خمسين سنة لاسترجاع أرباح الأسهم. " وذلك إشارة بأن إيطاليا ستفعل في إثيوبيا الذي فعلته القوى الأوروبية الأخرى لعدة قرون (ديل بوكا، 1969: 26: كوفي، 1974: 59، 60، 75)و مع ذلك، فإن مثل هذا الجدال كان شائعاً على جهود إيطاليا لتبرير استعمارها:

"لم يكن لإيطاليا الخيار إلا في التوسع"[1].

وكانت تلك الحجة النهائية لعلاقة "موسوليني" مع نفسه ومع اشتهائه إلى القوة الشخصية.

لقد جادل "كوفي" على أن جزء من طموحات"موسوليني" في الخارج كانت باثولوجية:منذ أن اكتسب نفس قدر القوة من الشعب الإيطالي ما كانوا قد عرضوا اعتماد إرضائه على كسب القوة من الآخرين في الخارج(كوفي، 1974:20).

1- وهنا يبرزكيف أن وزير الخارجية البريطاني، السيد "ساموبل هور"، وعلى حد قول لجنة مجلس العموم: "قد فهمنا دائماً، رغبة إيطالية للتوسع في الخارج " أخبر لجنة مجلس العموم. " في عام 1925 [حقيقة عام 1924] نحن تنازلنا عن "جوبا لاند"(قطعة قاتمة من شرق كينيا على الحدود مع الصومال الإيطالي) لإيطاليا. حيث لم تدع أي أحد في إيطاليا يقترح بأننا غير متعاطفين مع الطموحات الإيطالية. "و نحن نعترف بالحاجة إلى توسيع إيطاليا"؟ (كوفي 1974، 105). وهذه الحاجة للممتلكات الاستعمارية كانت هناك كقاعدة لسياسات القوة الأوروبية، وبالتالي تطلع لقوى الأوروبية خارج أوروبا. كان هناك منطق آخر أثناء اللعب:" سابقة قانونية. " إن النصر الحبشي قد يؤدي إلى سلسلة من الانتصارات.

عرف "موسوليني" كل هذه المصالح في الغزو، ولكن مصالح ورقته الرابحة كانت واحدة عندما كنا قد صدمنا قبل ذلك: الدفاع عن النفس (موسوليني1995:74–75)[1].

إن الهدف من هذا هو أن غالبية إيطالية بالقياس إلى إثيوبيا لم تخفّض مصالحها في الغزو أو الاستعمار ولكن لم يكن هذا طمعاً وانتصار الحبشيين على الإيطاليين كان في عام1896 وقد قال "موسوليني" ذات مرة: "كان ذلك أحد العوامل الحكومية التي أدت إلى الحملة الإنكليزية المصرية[2].

في تلك المنطقة تطلبت حملة منتصرة من البيض ضد السود" (كوفي، 1974:112). طبعاً، الصعوبة الحقيقية بهذا الخلاف هو أن إثيوبيا وإيطاليا لم يكونا في الحرب بعد، ومنع الحرب كان يمكن أن يكون بسيطاً نسبياً (إغلاق، أو التهديد بإغلاق قناة السويس).

وعلاوةً على ذلك، فقد ألحقت إثيوبيا بالمساعدة تحت بند ميثاق العصبة. وبمعنى آخر، لمنع تأثيرات "الدومنة" المقترحة من هزيمة البيض في إفريقيا السوداء. كل هذا كان ضرورياً لمنع الحرب. وكأنه هو وحده الذي حفز إيطاليا للبحث عن مستعمرة في أثيوبيا. ولم تكن رغبتها بفتح قضية فاشية كلياً في إثيوبيا من أن المستعمرات كانت بمثابة حلم طويل بالنسبة لإيطاليا التحررية.

لقد أتى الإيطاليون ليروا مستعمراتهم في إثيوبيا لأن كلاهما ضروري، وقد وُزّع هذا الخيار عبر أصناف وانتماءات سياسية في إيطاليا[3].

ولكن الضغط الأكبر من بين كل هذا، هو أن إيطاليا استدعت أهدافاً أكثر عطفاً من الإدانة من الولايات الأخرى. في حين إن حقيقة عضوية إثيوبيا في عصبة الأمم المتحدة قد

1– عندما أجبرت مهارات إثيوبيا الدبلوماسية إيطاليا على تشذيب يدها، أصبح "موسوليني" الآن محروماً من الفرصة لإدراك إستراتيجية أمره الواقع، مُرجع إلى تكاليف غارقة مغايرة: يجب أن تستمر الحرب لأن إيطاليا قد أنفقت ملايين الليرات على هذه المغامرة (كوفي، 1974:75، 142).

2– زعم "موسوليني" بأن سفينة اللواء التي خسرت في "أدوا" لم تكن سيئة، ولكن المصادر لم تكن كافية:"بسبب نقص البعض من ألف رجل، فقدنا اليوم في أدوا. ولن نرتكب ذلك الخطأ أبداً. أنا مستعد لذنب الزيادة، ولكن ليس ذنب النقص أبداً "(ديل بوكا، 1969:21). على خلاف القيود التي وجّهت من قبل الديمقراطي البريطاني في الحرب الأفريقية الجنوبية، إن إيطاليا الفاشية يمكن أن تريل قوات زائدة (و أسلحة محظورة) إلى إثيوبيا بدل الخوف من الاتهام المضاد العام.

3– جادل ""ديلبوكاعلىأن "إن الغالبية العظمى من الإيطاليين، وبالتحديد الجيل اليافع، رحّب بالمشروع الاستعماري بحماس مخلص. كانوا يقاتلون من أجل مكان في الشمس حيث القوة العظمى الأخرى انضمت إليه لسنوات وقرون، وكبلد فقيرو كثافته السكانيه عاليةمثلإيطاليا، إنغزوإثيوبيايعنيالوظائفورقعةأرضلملايينالتعساء. "(ديلبوكا، 1969:26).

أنجزت أكثر بقليل من إحراجاتها المتكررة لإيطاليا ;إن جهود إيطاليا في الحذر والصبر لضمان المساعدة نفسها التي كانت مؤهلة تحت بنود العصبة قد فشلت في النهاية.

وفي ليلة الحرب: وحيث بدت المصالح الأثيوبية كدولة، فقد كانت إثيوبيا أقل توحيداً من إيطاليا وإلى حد كبير. كما كان الحاكم الاسمي "هيلاسيلاسي" إمبراطوراً بالسيطرة الفخرية على مئتين من الأمراء المتحالفين، ، ولكن مع هذا، فقد ظلوا موالين للإمبراطور.

كانت مصالح إثيوبيا ناجية، لكن همنا الواضح من كل المصادر أنه– حتى الجنود الإيطاليين والأريتيريين– في الحقيقة قد عبروا الحدود ليدخلوا إثيوبيا عام 1935 وحتى عدة شهور بعدها، فقد اعتمد الإمبراطور على التدخل الخارجي من حلفائه الشرعيين: بريطانيا، فرنسا، وبعض الأعضاء المؤثرين الآخرين من العصبة المتحدة.

وبمعنى آخر، فإن البعض من المعارك المبكرة – من بين التعهدات الأكثر دموية وارتباطا – لم تكن مدفوعة بإحساس الموت الحتمي. ما الذي يوضح مصالح إثيوبيا في أو لثلاثة أشهر من الحرب هنا هوتراث الشرف الشخصي، والعائلي، والوطني، وذلك لأن كل الصبية الأثيوبيين كانوا قد كبروا على حكايات هزيمة الجيش الإيطالي المتبّجح في "أدوا" على يد الإمبراطور "مينيلك".

و كيف أن المقاتلين المسلحين في إثيوبيا قد ضحوا بأنفسهم وحاربوا برشاقة وهم حفاة بأرواحهم وبشجاعة، وبالآلاف كنتيجة لهذا الإحساس المتشرّب من الشرف.

بدأت الحرب الأثيوبية الايطالية في شهر تشرين الأول /أكتوبر من عام 1935 وذلك عندما طلب الإمبراطور "هيلا سيلاسي" تعبئة جنوده الثلاثين ألفاً من القوات الشمالية لمواجهة أي احتلال متوقع من القوات الإيطالية. كانت القوات في الفريق الأول تحت قيادة الجنرال"دي بونو" وقد عبروا إلى إثيوبيا من اريتريا[1] وقد ووجهت هذه الحرب في خمسة تفاعلات إستراتيجية[2]:

1- هذه القوات تضمنت (انقسامين للاريتريين ذوي كفوْ عالية الأولى والثانية من الاريتريين) (موكلر 1984: 54) الانقسامات الاريترية كانت بين الجنود الاريترين السود (الضباط المترفعين) تحت قيادة الايطاليين المكتبيين.

2- بعد إعلان الحرب على فرنسا في حزيران عام 1940، النزاع الإثيوبي أصبح قتالا بين البريطانيين والايطاليين. في هذه العملية السادسة والأخيرة تقررت الجولة بواسطة قوات تقليدية استخدمت أسلوب دفاع وهجوم تقليدي جدا. في أيار من 1941 القوات الايطالية المستسلمة والمنهارة في إثيوبيا. لان النزاع أوقف لكونه غير متناظر كما هو متعارف عليه ضمن هذه التحليلات هذه العملية الأخيرة لم تتناقش هنا.

- **التفاعل الأول: هجوم تقليدي – ضد دفاع تقليدي.**

فالقتال لأجل إثيوبيا قد بدأ كسباق بين قوات إيطاليا المتفوقة في العدد والتقنية ضد قوات إثيوبيا الفقيرة في العتاد والتنظيم. في حين أجبر إمبراطور إثيوبيا جنرالاته المتحمسين لاحترام المنطقة الحدودية الواسعة بين أرتيريا وأثيوبيا.

وهكذا فقد كانت الأسابيع الأولى للحرب غير صعبة. وقد تقدم الإيطاليون بخطوات حذرة من أرتيريا نحو هدفهم الأول"آدوا" مستعينين باتصالات الراديو المتقدمة والمواصلات الآلية والتفوق الإجمالي ولم يصادفوا مقاومة جدية.

وقد تساءل المحللون العسكريون في ذلك الوقت عن اختيار ايطاليا لطرق الغزو.

ولما اختارت إيطاليا الطرق التي لا تصلح للآليات، ومعدومة التطور، في حين كان بإمكانها ببساطة أن تتقدم عبر "أوغادين" من أراضي الصومال الإيطالية حتى تصل إلى العاصمة "أديس أبابا"؟

وكان الجواب بأن الإستراتيجية الايطالية كانت تقودها الحاجة للانتقام (لمحو إهانة"آدوا" الذي كان أمراً ضرورياً لتطويقها)وقد فضلت إيطاليا ذلك على القتال الصعب والنصر الحاسم ضد الإثيوبيين، ولكن ذلك ما كان ليحدث.

و في الحقيقة: ففي الأسابيع الأولى من الحرب عملياً لم يكن هناك حرب. فقد اتخذت الحرب النموذج التالي.

كانت القوات الايطالية قد قيدت بوساطة الأرتيريين الذين سوف يتقدمون بعض الأميال في الوقت الذي يكون الطيران الإيطالي يقوم بستار جوي، كانت في البداية مجرد مناوشات، ومن ثم أخذت مكانها حيث كانت عادة ما تحرض القوات الأرتيرية الجيدة التدريب ضد الأثيوبيين الذين يماثلونهم تدريباً على حد سواء.

ولكن بعد ذلك، فقد كانت قوة النار الرئيسية للأريتيريين هي التي حددت القضية، والتي أدت إلى انسحاب الإثيوبيّين وتقدم الايطاليين بشكل نحو العمق الإثيوبي وبحذر مرة أخرى.

كان التقدم الأخير إلى "آدوا" في الحقيقة بدون معارضة من قبل الإثيوبيين[1]. فالإيطاليون المتلهفون – وبالأخص– "موسوليني"الذي ظهر خائب الأمل من أقلية الارتباط الحاسم. ولكن في تلك الأثناء، كان الإمبراطور الإثيوبي في المقابل قد بدأ بحشد قواته، ويشرف بنفسه على شؤون التنظيم ونقل القوات إلى مناطق الاشتباك المحتملة.

لم يكن لدى الإثيوبيين دعماً جوياً، ولا دعم تنقّل أرضي أيضاً سوى بعض أجهزة الإذاعة. وعندما كان الإيطاليون يتواصلون باستخدام الأجهزة، فقد أُجبروا على فعل ذلك بوضوح (يعني ذلك الجمع مابين التفوق الجوي الكامل وتمتع الايطاليين باتصالات استخباراتية قوية) وفي المقابل، ذهب معظم جنود الإمبراطورية الإثيوبية إلى المعركة حفاة الأقدام، في حين كان الكثير منهم عُزّلاً ولا يملكون حتى البنادق، ولكنهم سلّحوا بدلاً من ذلك بالرماح والسيوف، وحتى الكثير من تلك السيوف كانت قديمة ومتهرئة، وآخرين كانوا يملكون القليل من الذخيرة. هذا بالإضافة إلى الصعوبات اللوجستية لتعبئة دفاع منسق تقليدي ضد التحايل الايطالي الأكثر تنظيماً.

من جهة ثانية، فقد برزت الكثير من الصعوبات الأخرى، وعلى الأخص صعوبات التعبئة حيث لم يكن معظم الجنرالات من الموالين للإمبراطور، والذي اضطر بدوره إلى طرد عدد منهم وذلك قبل أن يكشفوا خطط الإمبراطور الدفاعية، أو أن يرتدوا عليه في اللحظة الحاسمة في المعركة الحاسمة.

ولكن، عندما واجه أحد أولئك الضباط الجنرال "كوكسا"– الذي كان مع الجانب الايطالي– بالدليل القاطع، رفض الإمبراطور الأخذ بحقيقة ذلك الدليل ضده. بالإضافة إلى الشائعات التي تفشت حول الادعاء بأن الكثير من الجنرالات قد أخذوا مالاً من الإيطاليين، ولكنهم كلهم كانوا ولاة للإثيوبيين.

على الرغم من ثبوت خيانة الجنرال الإثيوبي "كوكسا"لصالح الإيطاليين، إلاّ أنه كان قد وعدهم على أية حال بأنه سوف يحضر مع عشرة آلاف مقاتل إلى الجانب الايطالي، وهكذا، وفي شهر تشرين الثاني قام بتحركاته، وكان هو والإيطاليين على حد سواء محرجين

1- أمور كوفي المهمة كانت في ماذا سيصبح قريبا لمشاكل الروح المعنوية للايطاليين. (سبب الجسر الاريتري الثالث لم يستخدم لاحتلال الوادي، بعد تزعم الدافع لأسرها، كان لأنهم سود، وكان شرف إعادة الغزو للمنطقة، حالما انه كان قد أعيد سالما بواسطة السود، كان محجوزا لدى الايطاليين البيض. النصب الذي شهد انه كان شاهدا مكتوبا، لاموات ادوا انتقام إخيرا) (كوفي 1974 / 184)، شرف المعركة والمهارات العالية للوحدات السود بدأت تسبب مشاكل جدية للروح المعنوية للايطاليين. وخاصة انقسامات أصحاب القمصان السود (رؤيا كوفي 1974: 262).

في إيجاد طريقة لإخفائه، حين وصل في الوقت المناسب إلى الحدود الايطالية، ولكن جيشه الذي كان يتفاخر في أنه سيقوده والمؤلف من عشرة آلاف رجل، قد تضاءل في الحقيقة إلى أقل من ألف ومئتي رجل.

وهكذا، كان الجنرال الخائن "كوكسا"قد أثبت بنفسه على أنه شوكة في حلق الإيطاليين. الأمر الذي كان يضايق الجنرال "دي بونو" – وبشكل مستمر– في التقدم نحو إقليم "ماكال " (المقعل لقوة عائلة كوكسا) ولكن "دي بونو" كان حذراً، وكان يرد على الطلبات المتزايدة والمتكررة "لموسوليني" في الأحداث الحاسمة بتأخير متكرر قبل التقدم.

وهكذا، فقد كانت حيرة موسوليني ونفاذ صبره لمثل هذه البرقيات من "دي بونو" مفاجأة صعبة. كان "دي بونو" قد أمضى معظم سنوات خدمته في التحضير من أجل الغزو الأثيوبي. ثم، – وبعد تطور واضح في الخمس والعشرين ميلاً داخل البلاد خلال ثلاثة أو أربعة أيام، وخلال المرة التي لم تكن فيها طائرته قادرة على إيجاد أياً من جيوش العدو– كان قد قرر أن الاستمرار في هذا العمل سيكون خطراً، حتى لمكان مثل "ماكال"، حيث تعمل الدفاعات الإثيوبية (كوفي)1974.

كان التأخير في الحشد الأثيوبي، جماعياً مع حذر شديد من الطرف الإيطالي، وفي تشرين الثاني، كان

"موسوليني" قد وصل إلى مرحلة أصبح فيها مرهقاً من معارضة وتأخير الجنرال "دوبونو" من أن يتقدم ويشغل العدو، فبادر إلى استبداله ـ لسوء الحظ– بالجنرال "بادوغلين".

سرعان ما اشتكى"بادوغلين" على "دوبونو" من دون علمه بأن "دوبونو" لم يكن مناضلاً بما فيه الكفاية، ولكنه قريباً، سرعان ما بدأ هو أيضاً بإرسال برقيته يطلب فيها التأجيل والمزيد من التزود بالعتاد.

وعلى عكس "دوبونو"، ومهماتكن النتائج، فقد كان "بادوغلين" على وشك اللقاء بقوات العدو.

معركة "تيمبين"

لم يكن الإمبراطور أحمقاً، فبعد تقييم الأرض، وقوة وضعف جنوده، صمم على أن الأمل الوحيد في اليوم الأول هو في الاحتشاد، وفي الثاني من تشرين الأول، كان قد استمر بالنجاح ولكنه نصح ضباطه ذو المرتبة العليا وجنوده بهذه الطريقة قائلاً:

"أيها الجنود، أنا أنصحكم، فلكي نتمكن من إحراز النصر على العدو، كونوا دهاه، عنيفين، واجهوا العدو واحد تلو الآخر، اثنان اثنان، خمسة خمسة في الحقول والجبال. ولا ترتدوا الملابس البيضاء ولا تجتمعوا كما فعلتم الآن. اختبئوا، وهاجموا على حين غرة، قاتلوا بطريقة فن الحرب البدوي، تصيدوا واقتلوا على انفراد. فاليوم قد بدأت الحرب، لذلك انتشروا وتقدموا نحو النصر".

وبهذه الكلمات حرفياً يكون قد حصل على المفتاح إلى النصر المحتم، فقد علم الإمبراطور أنه إذا استطاع أن يترجى زعمائه ومقاتليه الأثيوبيين أن يجمعوا لأحد أفراد العصابات في صراع ضد الإيطاليين، فربما يكون عندهم على الأقل فرصة ضئيلة بالفوز. ولكن لم يكن من السهل عليه أن يخبر مقاتلاً إثيوبيا أن عليه التسلل خلف عدو هو مهاجمته من فوق صخرة أو شجيرة. فبالنسبة لهؤلاء الرجال المتغطرسين، كانت الحرب إما سلسلة من المعارك أو معركة واحدة مثيرة جداً.

كانت كل معركة من تلك المعارك تطول لمدة يوم واحد فقط، ومن الفجر حتى الغسق، وفي حقل مفتوح، ولكن الظافر في المعركة الأخيرة هو الذي سيعترف به من الطرفين ليكون منتصراً حقيقا.

وعلى هذا المنوال، سيكون إما الخلاص الممكن لأثيوبيا، أو توضيح هلاكها. ولكن المقاتلين الأثيوبيين ساروا وقاتلوا في المكشوف، بل وارتدوا "الشاما"البيضاء (ثوب روماني فضفاض) بدلاً من التمويه.

وقريباً، كان "سيلاسي" مجبوراً لكي يعترف، بأن إستراتيجيته تلك لم تكن إستراتيجيته مثالية من أن تُتابع لأسباب تراثية(كوفي، 1974:311).

وفي منتصف كانون الأول، كان كلا الجانبين قد أنهيا مجابهتهما الرئيسية الأولى.

بعد أمر الجنرال "بادوغلين" بالتقدم مباشرة نحو إقليم "ماكال"، كان الجناح الأيسر من الجيش الإيطالي قد تقدم واستولى على البلدة في تشرين الثاني.

تحملت المدينة قذف القنابل بثبات من السماء، في حين هاجمت الجيوش المحتشدة التابعة ل"راس سيوم" و"راس كاسا" و"راس مولوجيتا" مما أدى إلى اللجوء إلى أضعف نقطة في الخط الإيطالي في مدينة"تيمبين" حيث عانوا العديد من الخسارات المرعبة، لكنهم اجتازوا مدينة "تاكاز" التي وقعت بها الحرب واستولوا على عدد من مفاتيح الجسور والممرات. وخلال أيام التهديد المتقدم من أجل إيقاف الجيش الإيطالي، فقد اضطر بعد عدة مواجهات قاسية من أن ينسحب متقهقراً – بخزي شديد– إلى أريتيريا.

لم يكن ذلك الموقف متوقعاً. إلاّ أن هجمات كلاً من مدينتي "راس كاسا" و"راس سيوم" المنسقة – على نحو فقير– قد أثبتت شجاعة ووحشية الجنود الأثيوبيين، الذين احتشدوا ودمروا السيارات المصفحة والدبابات الإيطالية، التي كانت غالباً مزودة بالسلاح، في الوقت الذي لم يكن بحوزة المقاتلين الإثيوبيين سوى بعض الرماح والسيوف، لكن حركتهم المحلية المدهشة وخبرتهم بالمناطق الوعرة والأدغال قد مكنتهم من القتال يداً بيد، وهو – للمفارقة– نوعاً من القتال الإيطالي الذي كانوا قد تفوقوا به، وذلك ضد الدعم الجوي الإيطالي الذي كان عديم النفع، ولكن مع حلول شهر كانون الأول بدا الموقف شرساً جداً.

كانت الأرض الخالية من أثار الجنود والمقاتلين مثالية للأثيوبيين، وانتحارية للإيطاليين. وقد كانت الطائرات وحدها هي التي تمكنت من الدخول أثناء التقدم الأثيوبي في مثل هذه البلاد.

و لكن منذ أن تعلموا كيف ينتشروا، ويؤمنوا الحماية، كان يجب على الطائرات أن تكون مسلحة بشيء ما أكثر فعالية من القنابل والرصاص.

وهكذا، وبسبب بصيرة "موسوليني" و"دوبونو"، فقد عرف "بادوغلين" بأنه يملك شيئاً ما أكثر فعالية واعتقد بأن بلده قد وقعت اتفاقية دولية لم يسبق لها أن وقعتها، حيث كان "موسوليني"قبل أيام قليلة، في السادس عشر، قد أكد على تفويض مبكر لاستعمال ما يمكن من أسلحة.

وبذلك، فقد استطاع "بادوغلين" أن يهنئ نفسه الآن على بصيرته، وذلك بنفي مراسل الأخبار إلى "أريتيريا". ولم يعد بوسع الإعلام في الواقع أن يرى ما كان على

وشك أن يفعله، وعلى الأغلب أنهم كانوا ليصدقونه، لكنه – لاحقاً– أنكر كل شيء. (كوفي، 1974:263)

كان هناك نوعاً ما من الجدل حول القرار الإيطالي في استعمال الغاز السام القاتل في المعارك.

ولذلك[1]، فإن أفضل دليل، مهما يكن، هو دعم الإدعاء أن الجنرال"بادوغلين" والجنرال "غرانزين" قادا أكثر من ستين ألف جندي من القوات الإيطالية من أرض الصومال الإيطالية، والتي لجأت إلى استخدام الهجوم بالغاز (ديل بوكا، 1969:80)على الرغم من أن الإيطاليين أنفسهم كانوا قد وقعوا على اتفاقية جنيف في السابع عشر من شهر حزيران/ يونيو من عام 1926 والتي تحظر استخدام الغاز الحارق كسلاح في الحرب إلا في حالة الدفاع عن النفس(لتعويض العجز عن مصالحه).

و لذلك، فإن استخدام الغاز الحارق يشكل انتهاكاً واضحاً لقوانين الحرب.

لكن الإيطاليين برروا – في وقت سابق– أن شحنهم للغاز الحارق (80 حاوية) إلى شرق مسرح القتال في إفريقيا بأن ذلك – من خلال الجدل – هو لأنها قد تحتاج إليها للدفاع عن النفس في حال حصول هجوم أثيوبي بالأسلحة الكيميائية (كوفي، 1974:104) وكان لهذا التبرير مكانه للتصديق على أقل تقدير.

وهكذا، فإن استخدام ذلك الغاز الحارق ضد الأثيوبيين العاجزين – والذي لوث الهواء – قد سحق بالتأكيد التهديد الأثيوبي لاتصالات "بادوغلين" واستطاع الإيطاليون بعدها تنفس الصعداء من جديد.

التفاعل الثاني: هجوم تقليدي مقابل الهمجية

لقد كان استخدام الغاز قد غير طبيعة الحرب كلها، فعلى الرغم من أن الأثيوبيين كانوا قد تجهزوا نفسياً، وإلى حد ما، للتعامل مع قصف المدفعية، الرشاشات، وحتى الدبابات، ولكنهم لم يستطيعوا التعامل مع الغاز. وهنا يصف "راس امرو" ما كان عليه الحال لتجربة الهجوم بالغاز:

1- ديل بونو كان قد رفض أن يستفيد من هذا القرار"، وهذا هو"بادوغلين" الذي أخذ زمام المبادرة في استخدامها في دفع من "غضب الروماني"ل "موسوليني"(ديل بوكار، 1969). واللجوء إلى استخدام الغاز في الجنوب ويبدو فظيعاً، لأن 60000 جندي من جنود "غرانزين" مدعمين جيداً وكانوا معارضين من قبل 7000 أثيوبي جائع تحت قيادة "راس ديستا"، ، ومع ذلك لا يزال يشعر "غرانزين" أنه بحكم الضرورة مضطر إلى اللجوء إلى تفجير مكامن العدو باسطوانات الغاز الحارقة "بعد أيام قليلة من وصول " "دوس "، وفقاً لأوامر "بادوغليو"، كانت معابر مدينة "تاكاز"

الدفاع التقليدي

"أنا نفسي نجوت من الموت بأعجوبة. في صباح اليوم الثالث والعشرين من كانون الأول، وبعد أن عبرنا مدينة " تاكاز" بفترة قصيرة، رأينا عدداً من طائرات العدو تظهر، ثم تقترب. لم نكن قلقين بشدة مثل القلق الذي كان يساورنا عندما كانت تلك الطائرات تقذفنا بالقنابل. ولكنفي هذا الصباح بالذات، مهما يكن، فقد ألقى العدو مادة غريبة بحيث أحرقت كل شيء مكشوف تقريباً فور اصطدامها بالأرض أو الماء، باعثة بركاً من السوائل الملونة.

كان الوقت ضيقاً لأسأل نفسي ما الذي كان يحدث قبل أن أدرك بأن مئة أو أكثر من رجالي قد رُشّوا بهذه المياه الغامضة، والذين راحوا يصرخون بألم شديد، وحالاً اندلعت عناقيد من الدم فوق أقدامهم العارية، وأيديهم، ووجوههم. منهم من أسرع إلى النهر، ثم راحوا يسألونني عن جرعات كبيرة من الماء لتبريد شفاهم الملتهبة، ثم انخفضوا نحو الأرض يتلوون من ألم حاد دام لعدة ساعات قبل وفاتهم. كان من بين هؤلاء الضحايا عدد قليل من الفلاحين الذين كانوا قد وصلوا للتو لسقاية مواشيهم، حيث كان بعضهم يعيش بالقرب من القرية. وقد حاصرني رؤسائي وهم يسألونني باهتياج ماذا عليهم أن يفعلوا، ولكنني كنت مصدوماً تماماً.

لم أكن أعرف ماذا أقول لهم، ولم أعرف كيف أتغلب على هذه المياه المنقوعة بالغاز الحارق، والتي أحرقت وقتلت رجالي(ديل بوكا، 78:1969–79).

في حين قال "غرانزين":

"لقد روعت سكان القرى المتناثرة حول "جيجينا" وذلك بعد إسقاط حاوية من الغازات السامة فوقهم " (ديل بوكا، 78:1969)لم يتأذ الجنود– الذين تراجع من بقي حياً منهم فقط– في هذا القصف الجوي، ولكن الجداول والبحيرات والمراعي أيضاً.

كان الجنود يعتمدون على الثروة الحيوانية للتغذية، كما كانوا يأخذونها معهم إلى موقع المعركة. كما أن ذلك الغاز الحارق لم يقتل النساء والأطفال أيضاً فقط، بل والمواشي، وبالآلاف.

من جهة ثانية، لم تكن المرافق الطبية سوى مراكز بسيطة للغاية، وقد شاع مثل هذا الموضوع يتردد لهجمات جوية من القاذفات الإيطالية.

منذ أن امتلأت العديد من المستشفيات بالمتطوعين من القرى المتحضرة بشكل كبير أما في " السودان " فقد أعطى " موسوليني " أوامره بالقصف لإخافة الشهود على استخدامه الغاز. وقد خلق هذا نوعاً من الموقف السخيف الذي ارتكب الإيطاليون فيه واحدة من جرائم الحرب (الهجوم على واحدة من مستشفيات الصليب الأحمر الواضحة العلامة) وذلك لإخفاء أخرى الإيطاليين استجابوا لتزايد الأدلة لكلا الممارسات التابعة لنمط نموذجي.

بدأت بإنكار صريح: بأن الادعاء أن دليل المصور ملفق أو أن الصحفيين كانوا في الحقيقة وكلاء شيوعيين. كما يشير الدليل وقدجادلت إيطالية على أنها كانت مجبرة لتفعل البعض من هذه الأشياء، ولكن على نطاق ضيق، وأنه كان مبرراً كانتقامات ضد فظاعة إثيوبيا(ديل موكا، 1969: 81). فإذا كانت إيطاليا صادقة أم لا، فإن النتيجة النهائية كانت كثيرة الأمل لتدخل القوات العظمى على مصلحة إثيوبيا ما كان ليحصل[1].

وبدلاً من ذلك، استمرت الحرب، مع الأثيوبيين البائسين الذين يقاتلون في معركة خاسرة ضد وابل من الموت القادم من الهواء على الرغم من استخدام غاز الخردل القاتل أو اصابات غير قاتلة كما يصاب المقاتلين، وهذه العملية التي استخدمت في الحرب ضد الجنود الإثيوبيين، وبكلمات أخرى، لقد استخدمت بالترتيب لإجبار الإثيوبيين وذلك بتحطيم قدرتهم على القتال، ليس بمعاقبة إثيوبيا بل لتحطيم اراداتها على القتال[2].

1- ديل بوكا" يتصل بقصة مخيفة حيث تدعم الجدل على بأن الكثير من الجيش الإيطالي لم يعلموا عن لجوء إيطالي اللغاز، على ما يبدو في الجيش الإيطالي بأن المخابرات العسكرية قد تتجسس على بريد أخبار لندن عندما كان يأتي بعض الصور المشبوهة: " لقد عثروا على العديد من صور الإثيوبيين الذين كانت أجسادهم مغطاة بالقروح ".

هذه الصور ضربت المشتبه بهم بشدة وبعد دقائق قليلة كانوا على مكتبي. نظرات إليهم وأخذتهم مباشرة إلى البروفيسور"كاستيلانو"، واختبرهم ما كنت أشتبه بهلا يمكن أن يكون هناك شك، وقال، إن القروح التي على جثث هؤلاء الأثيوبيين قد سببها الغاز الحارق، نظرناإلى بعضنا البعض بحرج بالغ. بعد صمت غريب، أضاف "كاستيلانو"، لا يزال، الجذام مرض ينتج تقريباً مطابقة للجروح، سلمني بعض الصور الفوتوغرافية للمرضى لكي أتمكن من مقارنتهم مع الآخرين. لكن لم أستطع أن أشير على الفروق، وفجأة قررت:" أن أبدل صور المرضى بالصور الأصلية وأدع الحزمة تذهب في طريقها " (ديل بوكا، 1969: 80) وفي وقت لاحق مكنت آلة الدعاية الغاشية من إعلان الصور، التي ظهرت في وقت لاحق مطبوعة، وكأنها "ملفقة" ويقصد بها التزوير، الخبيث لشرف الجيش الإيطالي.

2- إن حكايات الأثيوبيين الفظيعة أصبحت مقياساً خيالياً للإيطاليين المتوسطين. وتشمل الانتهاكات المزعومة لتشويه الجثث الإيطالية (و خاصة القطع (génitales) واستخدام رصاصات "دم. دم" وكما ادعى الإيطاليون أن الجنود الأثيوبيين كانوا يستخدمون مستشفيات الصليب الأحمر كملاجئ من الهجومات الهوائية.

وبهذا المفهوم، فقد وصفت إستراتيجية الايطاليين بهجومهم الكامل التقليدي بالهمجية[1].

وهكذا، وبعد أكثر من أربع معارك – بما فيها استخدام الغازات السامة– أدت إلى تراجع الجيش الإثيوبي والقوة الوحيدة الباقية بين الاريتريين في حين كانت العاصمة "أديس أبابا"هي قوة الحرس الإمبراطوري للإمبراطورية وبعد الاستشارات بين مستشاريه ونجاة القادة الذين حاولوا وضع سياسة الكر والفر، لكنهم – مرة أخرى– فشلوا في إقناع الإمبراطور "سيلاسي" الذي قرر تجهيز قوة جديدة لموجهة الايطاليين في إقليم "مي تشيو" وقد جهز تلك القوة بأفضل التدريب والمتدربين وبأفضل القوات المجهزة التي يمكن أن تحصل عليها إثيوبيا.

كانت خطة "سيلاسي" تتلخص في خداع الإيطاليين ومن ثم القيام بهجوم خاطف ضد الموقع الرسمي للايطاليين، وبعد ذلك متابعة الهجوم مع قواته الرئيسية على النقاط الضعيفة في اليسار الايطالي.

كانت تلك الخطة محكمة التنظيم، وعلى الأخص لكونها اعتمدت على عنصر المفاجأة وعلى درجة التوقيت الصعب للانجاز تحت أصعب الظروف. وفي الحدث، عرض الايطاليون على إرسال الراديو كافة التفاصيل لخطة هجوم الإمبراطور، وعدلوا الترتيبات الدفاعية لمواجهتهم[2].

وفي صباح المعركة في31 آذار من عام 1936 تحركت القوة الإثيوبية باتجاه موقع الايطاليين المنتظرين. كان الإيطاليون قد احتلوا العديد من المناطق الحساسة في المعارك السابقة لخطط الإثيوبيين، وكان الايطاليين تقريبا قد بسطوا سيطرتهم بشكل تام.

ولكن على أية حال فإن مجرى المعركة كان قد انقلب تقريباً، وأُجبر الإمبراطور بعد ذلك على التقاعد.

1- وهذا دعم من قبل حجة سباتشي بان الفاشيين اعتبروا استخدام الغاز السام "معنىً للحرب الشرعية " (سباتشي، 1985/73)

2- ديل بوكا جادل بان الايطاليين احتاجوا إلى الارتباط الحاسم كان ذلك عظيما لأنه جعل الكثير من الإحباط الذي ظهر لعدد الخسائر البشرية الايطالية في المعارك: " بينما لا توجد كلمات تستطيع أن تحقق العدالة والنجاح البطولي الذي حقق من قبل الفينيين والكياسة للمكتبيين الايطاليين الذين جعلوا من ذلك مثالاً مشعاً لرجولتهم ". " المعركة للإمبراطور " في الحقيقة ربح من قبل القوات السوداء الذين نزفت دماءهم وقدموا حياتهم بسخاء لخدمة الغاية الرئيسية. وقد حمل موسوليني راحة صغيرة والذي تمنى أن يشهد ذلك، وخلال هذه الحالة اكتسب عناصره قوة صلبة ومتينة كالاسمنت، وبالفعل فبالأشهر القادمة، كان قد سقط بإحباطه. حيث قام دينيس ميك سميث بترجمة مشاعره بشكل صحيح: " موسيليني عبر عن حزنه على الحقيقة التالية بان القتل بصفوف جيشه لم يتجاوز الألفين شخص والحرب تم ربحها بكلفة منخفضة جدا لإعلان حالة الطوارئ قومية على حساب الغاية المطلوبة (ديل بوكا 1996 ص 172)

و كما جرى في جميع الحروب السابقة للقوات الجوية الايطالية، فقد تابعت استعمال الغاز السام والمتفجرات بشكل مستمر على القوات الإثيوبية المتراجعة، والانسحاب هنا أدى إلى اندحار تلك القوات وهروب الإمبراطور إلى "أديس أبابا".

العملية الثالثة: الهمجية (سياسة الكر والفر)

لكن الحرب قد انتهت. كان يجب أن تكون كذلك، ولربما انتهت نظرياً على الأقل فقط، لكن الاستعمال المستمر للغازات السامة في البحث عن الإمبراطور– الذي بقي له جنرالات موالون – لم يتوقف على الأرض وكما لوحظ، فإن الاستعمالات الجوية للغازات السامة – وخاصة بأنهم كانوا قد علّقوا المرشّات بأجنحة الطائرات – كان بعيدا عن السلاح المتميز، وهذه استخدمت في الحرب نفسها التي استخدمت المحركات التي سببت الكثير من الاستياء والكثير من المآسي السيئة في إثيوبيا.

أما الآن، فعلى الرغم من أن الايطاليين قد ربحوا الحرب، إلاّ أنهم استمروا باستخدام "اليابرت" كأسلحة لمكافحة التمرذ في حين أصبحت الكثير من مصادر المياه الإثيوبية غير صالحة للشرب، بلوقاتلة كنتيجة لذلك، الأمر الذي أدى أيضاً لنفوق الماشية والبغال، وعلى حد سواء مع موت الرجال والنساء، والأطفال الذين كانوا يذهبون إلى الجداول ليغتسلوا أو ليغسلوا ثيابهم.

في 28 تموز من عام 1963وبعد شهرين على الأغلب من السلام النسبي، قامت جماعة من قادة المقاومة بإطلاق أربعة شعب للهجوم على العاصمة. لكنه تم صدها جميعاً. وبعد نهاية موسم الأمطار في شهر تشرين الثاني، كان "كرازياني" نائب الملك المعين حديثاً في القسم الايطالي شرق إفريقيا قد وقع في الأسر ودمار زعماء الثوار[1].

وهكذا، توسع الايطاليون إلى أطراف المدن. ومع حلول شهر كانون الأول، كان كل قادة المقاومة الباقية قد وقعوا بالأسر، ومن ثم قتلوا بأوامر من "موسوليني" ولكن دون"راس ايمرو" في حين تخلى عنهم "كرازياني" لكونه دون شخصية.

1- كان الجيش الأكاديمي (ديل بوكا 222: 1969) فيما يتعلق بنائب الإمبراطور"كرازياني"صادقاً وودوداً في روما، ولكن الأمنية كانت –على الرغم من ذلك– ظهرت بإحكام بقرار الإعدام التي يجب أن تنفذ بسرية عالية وبدون شهود حاضرين على ذلك، لكن تلك التوجيهات لم تتبع على الرغم منْ التوبيخات الصارمة التي أظهرها "كرازياني"الذي حمى نفسه بالتبرير قائلاً:

" أنا لا أنكر بأن هناك بعض الإثيوبيين كانوا يصرخون وهم يواجهون فرقة الإعدام " تحيا إثيوبيا" ولكن على أية حال، فإن أحكام الإعدام تلك ترتبت على نتائج من التجارب في حياتي بأنه دائما يجب أن نكون في مناطق معزولة حيث لايوجد احد، واكرر، لا يوجد احد يستطيع أن يشهد عليهم. (ديل بوكا، 1969: 222- 223) ولكن، وبالطبع كانوا قد شوهدوا.

كانت طريقة"كرازياني" الوحشية قد أثّرت عليه ولكن بشكل عكسي، وقد تفاقم لديه الندم لدرجة أنهم حاولوا اغتياله.

في 19 شباط من عام 1937 كان "كرازياني" قد أصبح بخطر كبير لأنه كان قد أُصيب بقذيفة خلال محاولة اغتياله، وبغضب وعصبية أمر الإيطاليون بالانتقام بأبشع طريقة ممكنة، وخلال ثلاثة أيام فقط أصبحت العاصمة مكاناً للصيد، في حين كان الجنود الإيطاليون، وذوي القمصان السود، وحتى المواطنين العاديين قد قاوموهم بغضب، رغم القتل والاغتصاب وحرق كل شيء كان يواجههم.

من جهة ثانية، لم يجد الذين حاولوا الاعتداء على"كرازياني" الفرصة لقتل كل العقول الإثيوبية، وكل عضو بمجموعة الإثيوبيين اليافعين، وكل المكتبيين، والجنود التابعين "لهوليتا".

كان الأمر الأسوأ لا يزال قائماً ففي 20 أيار من شهر 1937 كان " كرازياني"قد نظم مجموعة مؤلفة من مئتين وسبع وتسعين راهباً من "ديرا ليبانوز"ومن الإثيوبيين الأكثر شهرة في الدير، ليقتلوا.

ولكن كان لفداحة هذا العمل الوحشي تأثيرات عكسية، فبدلاً من إخضاع السكان، فقد تسبب ذلك باستعار غضبهم[1] في حين أصبحت مخافر الايطاليين الأمامية تحت النار، وتم الاستيلاء على القوافل وتدميرها.

كانت المناطق بأكملها، وبالأخص"جوجام" و"بيكمدر"قد انتفضت. بالإضافة إلى ذلك، فقد ظهر الأمر بأن"كرازياني"قد أصبح غير متزن عقلياً بسبب محاولاته طيلة حياته الفاشلة في إيجاد القتلة.

وقد قيل بأنه كان يحبس نفسه في غرفة نومه ليلاً، في حين خصصت كتيبة بكاملها لأمنه الشخصي.

في الأول من شهر تشرين الثاني، كانت تصرفاته قد أصبحت غريبة الأطوار، بل ومستحيلة وذات نتائج عكسية، فقررت السياسة في النهاية أن تتدخل لوضع حد لذلك

1- ليس فقط الغاز الذي استخدم في الحرب لإكمال تدمير المقاومة الإثيوبية مما نعرف التليغرام، ترخت بأيلول 1936 أرسلت من قبل كرازياني. أما اليوم فالقوى الجوية سوف ينفذون الانتقام وسيقذفون الغاز للذين أعلنوا استسلامهم وللذين لم يعلنوا استسلامهم. (ديل بوكا، 1969: 82).

حيث قرر "موسوليني" استبداله بدوق"أوستا" الرجل الذي زعم أن تصرفاته ذكية وأكثر إنسانية[1].

العملية الرابعة: الهجوم التقليدي (سياسة الكر والفر)

كان ذلك الدوق قد ورث وضعاً صعباً إن لم يكن مستحيلاً. وكانت نيته تتلخص في محاولة عكس الثورات بمجموعة مهام ذات طابع العمل العسكري المباشر ضد المعارضة الأقوى، لكنه – على الرغم من ذلك – فقد اتبع سياسة ذكية في إصدار عفو كبير وإيقاف أحكام الإعدام العاجلة.

لكن الإثيوبيين– الذين لم يكونوا يصدقون وعود الايطاليين– قد أصبحوا أكثر قابلية لقبول عودة الثقة. ولكن بعد سنوات من العمل الجاد والسياسة المنسقة، ومن الحظ العاثر في أن يكون "موسوليني" صبوراً في هذا الاعتبار، كان المستشار العسكري الرئيسي للدوق، الجنرال "كافاليرو" يطعن بالدوق من الخلف لروما بأن تساهل الدوق مع الإثيوبيين كانت له نتائج عسكرية.

وهكذا، وبدءاً منشهر آذار إلى شهر نيسان من عام 1938 كان الايطاليون قد بدؤوا سلسلة أخرى من الحملات العسكرية الرئيسية التي تظهر العزم على سحق التمرد في "جوجام" و"بيكهمدار" حيث قام أكثر من ستين ألف جندي باحتلال "جوجام" وقد ظهر وكأنهم سينالون كامل أهدافهم، ولكن وليس بالقريب العاجل ستكون"جوجام"قد خضعت للتهديدات الجديدة المعلنة. كان الجنرال "كافاليرو" قد قرر خوض تجربة إستراتيجية مختلقة. بالإضافة إلى انتشار قوات نظامية ذات أرقام مغمورة في "جوجام" وقد أنشأ عدة فرق خاصة كرسها من أجل أسر"ابيبي اريجا" أحد أكثر المثيرين من زعماء المقاومة، والذي كان يحاول – لعدة شهور – نقل قواته إلى ارض أكثر مناعة في "مينز"[2] والذي بقي حتى نهاية موسم الأمطار في شهر تشرين الأول من عام 1938 لكنه اثبت على أن ذلك لم يكن حاسماً.

1- لم يكن من الواضح لماذا اختار موسوليني دوق اوستا لاستبدال كرازياني (موكلر 1984: 186). الكل وافق على انه يجب استبدال كرازياني، وبان الدوق كان المرشح للموقع، لم يكن جاهزا كرازياني " البئر المسمم " بسياسات تهدئة الوحشية.

2- شرح "موكلر" النتائج لتزايد الوحشية " القتل والأعمال الوحشية، على أية حال، لن تكون كرادع، للإثيوبيين الذين كانوا يساقون إلى اليأس. والعداءات والنزاعات الداخلية، التي جعلت الكثير منهم يقبلون بان يكون غير مؤهل بهم، البديل لقوانين شاون، التي غمرت تجاه عدو واحد. وقادتهم قتلوا غدرا. ورجال الدين الذين ذبحوا غدرا. كالجنس الذي يثار بالغريزة ووجه بالإبادة. " (موكلر، 1984: 184).

ولكن في المقابل، نجح"اريجاي" في الوصول إلى "مانز"حيثشارك"ديجاز ارازيز" وكلاهما نجيا بشكل متكرر من جهود الايطاليين لتدميرهما. وبعد ذلك انسحب الإيطاليون[1].

إذا كانت سياسة "كرازياني" للتهدئة قد أثارت تمردا موحدا ضد قواعد الايطاليين، فإن ممارسة الدوق للسياسات المخففة "لاوستا" لا تملك قدرات فعالة لحل مشاكل الجيش. ومع حلول عام 1938 كان الإثيوبيون قد أصبحوا في نطاق الثورة الكاملة.

واستطاع قادة المقاومة من البقاء طلقاء في الوقت الذي كانت فيه أكثر من خمس وستين كتيبة في حصونها تحزم أمتعتها لمغادرة إثيوبيا بعد أن أُجبروا على التخلي على حصونهم.

فيشهر آذار من عام1939 أُمر الدوق بسرعة الحضور إلى روما للتشاور. وفي تلك الأثناء كان "هتلر" يغزو "تشيكوسلوفاكيا" ويهيئ نفسه لبدء الحرب على أوروبا.

العملية الخامسة: المصالحة (سياسة الكر والفر)

في عام1939 كان في إثيوبيا الكثير من الأحداث المختلفة في هذه السنة.إذ لا يوجد تبريرات لإعادة الحملات العسكرية المركزة كما كان في السنة السابقة وذلك بسبب التأثير القوي للقادة ويعود ذلك لسببين:

- السبب الأول: الكلفة الباهظة لمثل هذه العملية. فقد كلفت عمليات السنة السابقة لوحدها ما يقدر أكثر بثلاث مرات من فاتورة إدارة وتطوير المستعمرة، وهذا سيؤدي إلى نتائج كانت غير حاسمة.

- السبب الثاني: كان بؤرية جديدة على إثيوبيا في حالة اندلاع حرب بين السلطات الأوروبية. ومن جهة أخرى، لم يكن في نية "موسوليني" النيل على الدعم من إثيوبيا في دفاع إيطاليا، لكنه أوضح بأنه في حالة حرب مع إثيوبيا لوحده. ولهذا السبب، صرف الإيطاليون معظم السنة وبشكل متناسب أكثر من مصادرهم التي تنظم جيشاً للدفاع من هجوم القوات البريطانية أو الفرنسية. وكنتيجة لذلك، كانت الجهود الإيطالية ضد التمرد في إثيوبيا قد حوّلت التأكيد من الإجبار إلى الرشوة، العفو، والمفاوضات.

1- لقد كان إقليم "ميناز"في الوسط في شان كينغدام ويرتفع 10000 قدم فوق البحر، وقد احتلوا 850 أميال مربعة من بليتكس وقد حمي الحاكم من قبل شان نوبل الذي سمي ديجاز اريرس الذي كان يقاوم القادة وأراد للغاية أن يأسرهم أو قتلهم.

ومن سخرية القدر الآن، وبما أنهم تخلوا عن المحاولة للفوز، تشنُّ حرب ضد المقاومة الأثيوبية، وقد أثبتت هذه مجموعة من السياسات الأكثر فعالية من أي شيء حاوله الإيطاليون حتى الآن.

وهكذا، وبعد أن شارفت السنة على الانتهاء، كانت أوروبا في حالة حرب، ولكن، بالرغم من أن بولندا كانت قد سقطت، فالحالة في أوروبا استقرت. في حين بقيت إيطاليا محايدة. وكنتيجة لذلك، خفّت التوترات بين بريطانيا وفرنسا، وإيطالية في شرق إفريقيا.

الحرب العالمية الثانية في شرق إفريقيا

خلال عام1940 كان زعيم المقاومة الهام – والوحيد– الذي كان ما يزال صامداً هو "أبيبي أرجيا" في حين صرف الإيطاليون وقتهم في الجزء الأول للسنة يحاولون.كسب ثقته عن طريق الرشاوى، وعود بالعفو، ووعود بالاستقلال بعد الاستسلام إلى الحكم الإيطالي. غير أن هذه المفاوضات انتهت كانت قد انتهت في شهر آذار، على أية حال، وبعد أن قال الإيطاليون بأن الاستسلام المخطط "لأريجيا" كان في الحقيقة بواسطة كمين.

في شهر نيسان، غزت ألمانيا النرويج ثم أكملت طريقها نحو فرنسا في شهر أيار. وفي شهر حزيران، أعلنت إيطاليا الحرب على فرنسا المهزومة، الأمر الذي دفع برئيس وزراء بريطانيا "ونستون تشرشل" بدعوة "موسوليني" "بابن آوى أوروبا" لتحويل إعلان إيطاليا من الحرب الإستراتيجية فوراً من الشمال وشرق إفريقيا.

وفي شهر حزيران من عام 1940 كان تعداد القوات (250.000) جندياً مدعومين من(200) طائرة، بالمقارنة مع (10.000) جندياً بريطانياً و(20) طائرة (موكلر، 1984: 208) في حين كان القلق الرئيسي للبريطانيين قد حصر في حشد جيوش إيطاليا الكبيرة في ليبيا وقوات التدخل "أي أو آي" في شرق إفريقيا.

لكن الإيطاليين لم يكونوا يفكرون بشأن المخالفة في ربيع عام 1940: "لقد رأيت الدوق "أوستا" هذا الصباح في حين كتب وزير الخارجية الإيطالية "كيانو" في مفكرته في 6 نيسان: "يخبرني بأن هذا بالنسبة لهليس فقط مستحيلاً لأخذ الهجوم، لكن أيضاً

سيكون صعباً جداً عليه لحمل مواقعه الفعلية لأن القوات الإنجليزية الفرنسية مجهزة بشكل جيد الآن وجاهزة للمعركة ويعتقدون بأننا في مشكلة".

كانت "جيبوتي"قد هُيئت للانضمام إلى حلفائها البريطانيين في الدفاع في يرق افريقية. لكنهم كانوا قريباً سيطردون من الحرب، في حين أجبر قائد"جيبوتي"في أن يصبح متفرجاً سلبياً في المعركة الإنجليزية الإيطالية. بيد أن تلك المعركة لم تكن طويلة. فبالرغم من أن البريطانيين كانوا قد تمنوا إثارة التمرد في القوات بعودة"هيلا سيلاسي"– مدعومة من قبل فدائيين برئاسة بريطانيين على طول الخطوط الدفاعية لقوات"أي أو آي". (مغامرات لورانس في بلاد العرب) إلا أن المعركة نفسها قد تحوّلت لسلسلة قريبة من الضربات التقليدية والهجمات المضادة، مع أن البريطانيين أولياً كانوا يحصلون على الأسوأ في كل مواجهة.

كان الإيطاليون في شهر آب من عام 1940 قد فازوا حتى في الصومال البريطانية، لكن نجاح الإيطاليين في الصومال كان قد شجعهم لمحاولة أن يجربوا حظهم ضد مصر انطلاقاً من ليبيا حيث تقدمت هذه القوات المؤهلة تحت قيادة الجنرال "غرازياني" الحمقاء لعدة أميال نحو العمق المصري، لكنها توقفت في منطقة "سيدي براني". وفي شهر كانون الأول، هاجم الجيش البريطاني منطقة النيل، وحطموا قوات الإيطاليين:

"في ضربة واحدة – حيث كان التهديد قد وصل إلى العاصمة القاهرة– أزيل أمل ربط نصفي الإمبراطورية الإيطالية الإفريقي، وذوبت الروح المعنوية للإيطاليين بضربة واحدة" (موكلر، 1984:307). وهكذا، فإن انهيار الروح المعنوية الإيطالية لم تحصر في شمال إفريقية فقط، فقد كان ذلك التأثير موقعاً كبيراً على قوات "أي أو لآي" ولدرجة كبيرة وذلك بسبب القوات الإيطالية المهزومة التي كان لا أحد يقودها إلا الجنرال "غرازياني": لكنه كان، طبيعياً، بين الإثيوبيين أن هزيمة "غرازياني" كانت عظيمة التأثير. على الرغم من أنه كان الفاتح، وكنائب للملك، والمستبدّ كالجيش المنتصر، فقد ضغط عليه، وبدوره غزا ارض العدو لأسر "بارديا" أولاً، ثمّ بعد ذلك "توبروك" وذلك باستخدام حشود جديدة من السجناء لكن "جورج" جادل "موكلر" الأمر الذي سبب إحراجاً للبريطانيين وتعلقّوا بعودة "هيلا سيلاسي" إلى الشرق الأوسط الأفريقي بشكل مثير للانتباه. وكان قلقهم المبكر بأن حضوره يثير الهجوم على السودان من قبل إيطاليا (موكلر، 1984:2269).

ولكن، وبعد بعض التفكير، على أية حال، فإن ما حدث مع البريطانيين بعد كل هذا كان متوقعاً، فقد كانوا في الحرب، وبعد ذلك أصبحت القضية تتلخص في البحث عن أفضل طريقة من أجل استعمال"سيلاسي"لنهايتهم الخاصة؟

ولكن، حتى هذا لم يكن واضحاً أيَضاً. فقد كان لدى البريطانيين أفكاراً إصلاحية – بشكل مثير– في كل من مصر، والسودان، وكينيا، و"سوماليلند"البريطانية مع توقع أن تحدث الهجمات الإيطالية من أي مكان. ولكن مع ذلك، فقد هاجم الإيطاليون، ولكن دون أن يحصلوا على الفائدة المرجوة من ذلك. وبعد ذلك، فإن ما حدثه وأن الطريق أمام البريطانيين لإزالة الضغط، هو بأن يكبحوا التمرد بجدية ضمن أثيوبيا.

إيطاليا في إثيوبيا

أصدر "ستير"ورقة إعلان بصور الخطوط الطويلة للأسرى الإيطاليين. (موكلير، 1984:309)

وفي عام 1941، كانت بريطانية المنتعشة هي التي أخذت المبادرة، وانهارت كل مناطق المجابهة الإيطالية في شرق إفريقيا وعاد "هيلا سيلاسي" إلى إثيوبيا في العشرين من كانون الثاني من عام 1941 وبعد سلسلة من المعارك الحادة، أجبرت القوات البريطانية– بالدعم الأثيوبي– ايطاليا على الاستسلام.

وفي الخامس من شهر أيارمنعام1941 وبعد خمس سنوات إلى اليوم الذي زحف به "بادوغليو" منتصراً في "أديس أبابا" ومجدداً أخذ الإمبراطور مقعده على عرش الأسد من حيث النتيجة: هل سنربح إيطاليا، أم ستفعلها؟انتهت الحرب الإيطالية الأثيوبية عندما دخلت بريطانيا الحرب في شمال إفريقيا ضد إيطاليا عام 1940. وفي المرحلة التي أصبح فيها الإيطاليون مهووسون، وبدؤوا بمتابعة إستراتجية إنهاء الحرب بالمقاومة الأثيوبية. تعتبر الحرب الإيطالية الأثيوبية متدرجة تحت الحرب العالمية الثانية. فلو لم تدخل بريطانيا الحرب، لكانت إيطاليا ستربح في فترة قصيرة، في حين ربحت إيطاليا في التفاعل الخامس، لكن فقط بوعد الرشاوى الثقيلة حيث يمكن أن يبقي نصره، وإن اقتصاد إيطاليا ما كان ليدعم مثل هذه السياسة لأكثر من سنة وما يظهر بشكل واضح جداً في هذه الحالة هو إن إيطاليا في عام 1935 كانت ممسوسة بجيش عاجز جداً. كما إنها قيدت بحماقة لأن تأثيرها يجب أن يهبط في سجلات التاريخ العسكري كأحد أفقر الفترات في عمل الإمبراطور الأثيوبي على

إستراتيجية دفاع مثالية حيث استغلت القوى الأثيوبية بينما قللت ضعف ضربته، لكن جنوده لم يستمعوا، فقد أصروا على معارضة الهجوم الإيطالي التقليدي مع الدفاع الأثيوبي التقليدي، الدفاع الذي تضمن مشاهدة الغريب (و في هذه الحالة الضعف) عادة لإنهاء كل قتال عند غروب الشمس، فإن عجز الجيش الإيطالي، كان واضحاً خصوصاً في التفاعلات المبكرة للحرب والقرارات الإجبارية بالكامل: خسارات ونكسات من درجة عالية في قتال صعب من أجل أديس بابا، وإما أن تخدع باستعمال الغاز الحارق ضد الخصم بدون دفاع ضده وبدون قدرة للاستجابة بنفس الطريقة، وهذا ما سهل اختيار الغاز الحارق كأهداف إيطاليا العسكرية قريبة المدى – لكن خصوصاً بعد طرد"سيلاسي" من العاصمة.

وهكذا، فقد قوّضت هدفها السياسي في تأسيس مستعمرة فعالة ومكتفية ذاتيا وقد حفزت أكثر من أن تخفض المقاومة وزادت من رشوة اللاحقين الضرورية لمنع أمراء إثيوبيا من الهجمات القيادية ضد القوات.

التحليل: التفسيرات المتنافسة لنتيجة الحرب الإيطالية الأثيوبية

مصالح الممثل:

كانت مصالح إيطاليا في غزو أثيوبية ذات علاقة مع قوتها النسبية بأثيوبية، وربما كان ذلك أكثر دقة للمجادلة على أن مصالحها كانت واضحة بقوة إيطاليا بالنسبة إلى القوة الأوروبية الأخرى، حيث كان الإيطاليون عموما و"موسوليني" بالتحديد شعروا بشكل واضح بأن السلطة الأوربية الأخرى لم تعط إيطاليا الاحترام المستحق كدولة أوربية خصوصاً تلك التي كانت حليفة أثناء الحرب الكبرى حيث تحولت مصالح إيطاليا في إثيوبيا لأربعة عناصر:

- **أولاً** – الحاجة إلى معالجة الذل الماضي وذلك عن طريق النصر العسكري الحاسم على الإفريقيين الوحيدين لصد قوة المستعمرات الأوربية بنجاح.
- **ثانياً**: الحاجة لتأكيد رجولية الفاشية كعقيدة من قبل نصر عسكري شديد: أن الهزيمة أو التأخير يمكن أن يعوض شرعية نظام موسوليني الفاشي وبهذا المعنى كان بقاء ايطاليا مهدداً[1].

1- العجل المخصي كان مسؤولاً عن جهود دعاية "AOL"، بما في ذلك إعلان إمبراطوري ناجح جداً (أو أواج) الذي أعلن فيه الإمبراطور عودته الوشيكة. ودعا الأثيوبيين والإيطاليين الموالين لهجر ومقاومة الإيطاليين.

• ثالثاً: تحضير المهمة أو الواجب، والتي أرادت ايطاليا التعهد بالإثبات إلى عالم منزلته ضوء حقيقي من الحضارة.

• رابعاً: الإحساس القوي والمتزايد من الضرورة بسبب الفائض السكاني والبطالة.

وهكذا، جعلت مجموعة هذه العناصر الأربعة ايطاليا تصمم على رؤية النزاع واعلي بكثير من أن يتوقع من قبل الفجوة من المادة النسبية التابعة لايطاليا وإثيوبيا. ولذلك كانت مصالح إثيوبيا ناجية ومعروفة بالنسبة لايطاليا، فقد أرادت إثيوبيا شعوريا مساعدة الإحصائيات الأخرى بحثا عن هذه المصلحة في حين وجد المستعمر الأجنبي صعوبة في فهم السبب، والاتجاه مثل هذه القوة الساحقة، وبعد أن رفض الإمبراطور العودة أو الخضوع لأوامر ايطاليا بدون قتال الخيال الإثيوبي كما انه مثبت من قبل النصر في "أروا" كما كان الايطاليون على وشك الهزيمة هناك وقد استعد النبلاء للقول بأنه يمكنهم أن يكرروا نصرهم مرة أخرى إذا اختار الايطاليون أن يغزو من جديد في وقت مبكر، ولكن الإمبراطور كان يعتمد على أمرين اثنين في حال الهجوم الإيطالي وهما:

• أولاً: اعتماده على تدخل عصبة الأمم لمنع حرب شاملة.

• ثانياً: التأمل في قتال (سياسة الكر والفر) في الحرب التي كانت العصبة تقريباً – وبلا شك – تتظاهر بالتوقف. ولكن ولا واحدة من هذه الأماني كانت قد تحققت، لكن إثيوبيا لم تستسلم لإيطاليا على الرغم من أن أنماط نظام الحكم كانت استراتيجياً غير منيعة.

في عام 1935 كان لدى ايطاليا نمط نظام حكم رسمي. حيث كانت السياسة الإيطالية المحلية والأجنبية تحت السيطرة الكاملة من قبل "بينيتو موسوليني".

كانتتأثيرات نظام الحكم الإستراتيجي واضحة في هذه القضية لأن "موسوليني" كان قد أحكم سيطرته على الصحافة الإيطالية – وسيطر على بعض مداخل الصحافة الأجنبية إلى ساحة المعركة– حيث قدم غزو إثيوبيا خيارات إستراتيجية، والتي سوف تكون محفوفة أكثر بالمخاطر عندما تُحاكم من قبل نظام حكم استراتيجي بشكل دقيق، بالرغم من أن ايطاليا كانت قد وقعت المسودة الأصلية لمعاهدة "جينيف" التي تمنع استخدام الأسلحة الكيماوية في الحرب[1].

1- الحقيقة أن إثيوبيالم تستسلم رسميا لايطاليا على الأقل بتأثير حاسم واحد قوانين الحرب تمنع أحكام الإعدام للجنود الأسرى لكن تفرض البعض كالحماية للثوار. إثيوبيا استسلمت رسميا لايطاليا الشرعية لأحكام الإعدام لكرازياني للثوار سوف تكون قابلة للمناقشة كما كانت، كان انتهاك واضح للقوانين الحرب وقعت من قبل ايطاليا وقوى أوروبية أخرى في جنيف.

لقد كان واضحاً أن "موسوليني"قد خطط مبكراً لاستخدام مثل هذه الأسلحة في أثيوبيا، وإضافة لذلك كان واثقاً بأنه يستطيع الهروب بها، ولكن كيف لهذا أن يكون؟.

في عام 1935 وحيث أن كل القوى الأوروبية الآن تفتخر بعامة السكان المثقفين واتساع وتعقيد قطاع الصحافة عنده الهروب من همجيته يتطلب ثلاثة أنواع من الشواهد واثنين من المستمعين كأنواع من الشواهد من الذين كانوا من الإخباريين الإيطاليين، والمراسلين الصحفيين الأجانب وعمال مساعدين أجانب. حيث كان المستمعون اثنان ايطاليين ومندول أخرى. ذلك أن الفاشيين كانت لديهم إستراتيجية عمل لكل مجموعة من الرجال الإخباريين الإيطاليين ومن الذين كانوا مختارين بحذر. وخلاصة القول:قبل الذهاب إلى المسرح الأثيوبي: "قبل مغادرتنا إيطاليا" كتب برونو روج: استُقبلنا من قبل "هون دينو آلفيري" بعد ذلك وزير الدولة، الذي رحب بنا، وتمنى لنا التوفيق، وأسدى لنا نصيحةً أنه يجب أن نكون في تصريحاتنا الصحفية مباشرين ومُختصرين في تقاريرنا كإظهار أسلوبنا بالكتابة، والامتيازات الأخيرة للمشروع الإيطالي المتذبذب الحداثة، والعقلاني الهدف". كان المراسلون الصحفيون الأجانب غالباً فاشيون في بلادهم، وهؤلاء لم يكونوا خبراء "بالصعوبات التقنية" حيث حفظت تقاريرهم في ملفات. في حين كان الآخرون مرتعبون، وممنوع دخولهم إلى المناطق المغلقة أو المعارك.

وأخيراً، فقد كان العمال المساعدين الأجانب مبدئياً هدفا في طريقة التخويف. في حين خطط الإيطاليون إلى إثارة الشائعات في مجال مشافي الصليب الأحمر وقصف جوارهم بالترتيب لإخافة مدراء المشافي وإجبارهم على المغادرة.

ولكن، عندما أخفق هذا، أخذ الإيطاليون بالهجوم المباشر كتسهيلات لهجومهم المبرر كإجراءات انتقامية للانتهاكات الأثيوبية لقوانين الحرب. وعندما تسرب هذا الدليل للخارج، كان لدى الإيطاليين خططاً حربية أخرى للتعامل مع كهذه الأزمات. (انظر أيضاً سباشي، 1985:63)

وهذه كانت اتهامات الأثيوبيين "كاستخدام الغاز الحارق، ومهاجمة وحدات الصليب الأحمر، مهاجمة المدنيين".

لكن إيطاليا توقعت ذلك، ووجدت مباشرة طريقة لتشويه سمعتهم وشوشت القضية. في 26 كانون الأول، كانت الحكومة الإيطالية قد أرسلت رسالة إلى عصبة الأمم متهمة

الأثيوبيين بأنهم استخدموا رصاصات من نوع "دم. دم". وفي 16 كانون الثاني أرسل "الإيطاليون" إلى عصبة الأمم اتهامات مكررةً في استخدام ذات الرصاصات الممنوعة، ومضيفةً لها اتهاماً جديداً بأن الجنود الأثيوبيون كانوا يحمون أنفسهم من القذف بالقنابل بتخبئة أنفسهم تحت أعلام الصليب الأحمر.

ولكن: ألا يعتبر هذا تبريراً كافياً لقصف وحدات الصليب الأحمر؟

نعم، يُعتبر كذلك، ففي "جنيف"، على أية حالٍ، فللسماح للاتهامات الأثيوبية ومواجهة الاتهامات الإيطالية لتعادل نفسها كانت هناك نقطتين حاسمتين هنا لترغم الإيطاليين على الخروج بالجريمة النكراء:

أولاً: لديهم إستراتيجية محددة في أماكنهم ويستطيعون الحفاظ على التكّتم على همجيتهم وهذه الإستراتيجية تفرض مقدمة نظام حكم مؤيد للفاشية. ثانياً: استخدام الغاز الحارق على بيئة إثيوبيا في عام 1935 كانت مضمومة إلى أكثر هجوم إستراتيجي تقليدي قوي، وقد انتهت الحرب لتجنب التدخل الدولي. وكانت النتيجة أن نصر إيطاليا كان قريباً فيما يتعلق بقضية استخدام إيطاليا للغاز الحارق على الرغم من أنها لم تكن مرفوعة –بشكل رسمي– في أوروبا وذلكحتى30 من عام آذار 1936.

في ذلك الوقت، كان متفقاً عليه أن لا تُناقش تلك القضية حتى يبدأ تحقيق رسمي، لأنه– كما وضعها الملك "هاليفاكس"– سوف يكون من الخطأ أن يحكم على القضية قبل دراستها بشكل رزين جداً ومفعم بالحيوية، وقد كان ذلك بمثابة مكافأة لبلد عظيم "إيطاليا"على أتعابه[1].

- وهكذا، وبعدما أصبحت الأمور واضحة – لكل شخص – أن الإيطاليين لم يكونوا يستخدمون الغاز الحارق فقط، بل ويستخدمونه بكثافة. وهنا يبرز السؤال مرة أخرى ولكن هذه المرة في جنيف في 8 نيسان من عام 1936 وذلك عندما رفع سؤال حول استعمال إيطاليا للغاز، فقد كان على أغلب المندوبين أن يبذلوا الجهود لجمع المعلومات الموثوقة على الموضوع. لكن بيير "ايثيني فلاندين" الوزير الفرنسي الأجنبي كان معارضاً، وذلك حين سأل إذا كانت هناك أية تحقيقات حول الأعمال الوحشية التي ارتكبت من قبل الثوار، والتي تتضمن استعمال رصاص "الدمدم". وفي الاجتماع الخاص الأول بعد الجلسة

1– كانت الخطوة الأولى في الملاحظة المذكورة آنفاً، هي في الذكاء الإيطالي المتخصص في مل يتعلق بالدليل المؤيد المحرم – والذي يجب أن يكون حاصل على المراقبة وتعليقات الحكومة الإيطالية "(كوفي، 1974:317).

الصباحية، كان وزير الخارجية البريطاني "أنطوني إيدن " قد هاجم تعليقات "فلاندين". وهناك أصر "إيدن" على "التمييز بين الفظائع من القوات العسكرية غير المنضبطة، واستخدام الغازات السامة التي لا يمكن أن تكون غير حكومية". وقد وافق "فلاندين" بدوره على ذلك بقوله أن الإيطاليين كانوا " أغبياء جداً "لاستخدامهم هذا الشكل من الحرب. لكنه شكك في الحكمة من إصدار إدانة رسمية في لحظة محاولة تبذل لإنهاء القتال، وذلك قد ينهي المفاوضات. وبعد ذلك تم تشكيل ثلاث عشر لجنة قررت– في اجتماع عقد في وقت لاحق من ذلك اليوم – التحقيق حول استخدام الإيطاليين الغاز السام "كوفي، 1974: 324–325".

وهكذا ففي 8 نيسان تماما وبعد مضي أسبوع على معاناة الجيش الأثيوبي الأخيرة في هذا المجال – والذي كان قد تحطم في "ماي شيو"– كانت الحرب قد انتهت للتو.

وخلاصة القول، فإن ايطاليا ونوع نظامها الاستبدادي جعل أبسط بكثير لتجنب خطر السخط العام والتدخل الدولي وذلك عندما لجأت ايطاليا إلى إستراتيجية وحشية في حين لا تزال، حتى السلطة الايطالية غير قادرة على إخفاء الهمجية من العالم أو عن شعبها حول حقيقة عدم التدخل، ويمكن تفسير ذلك على أفضل وجه في سياق اليوم، وفي هدف الاستقرار الأوروبي الذي قد حان ليعني الكثير بالنسبة لزعماء أوروبا على أنهم كانوا على استعداد للتضحية بكل مبدأ من المبادئ الأخلاقية وعلى مذبحها.

كان تأثير نظام إيطاليا السياسي على نوع التعرض لنكسات عسكرية واضحاً على الأقل في احترام هام واحد. وكما سبقت الإشارة أعلاه، فقد كان "موسوليني" يسيطر على جميع المداخل الايطالية علناً وذلك من أجل الحصول على معلومات عن مسار الحرب وسلوكها، وعن كل رسالة، وصورة، وإرسال نشرة إخبارية مدققة للوطن. ولكن إيطاليا – من بين النخب السياسية – وأثناء الحرب والنكسات المتكررة التي عانت منها القوات الايطالية في وقت مبكر، فإنه ينبغي أن تكون وفقاً "لماك" قد أسفرت في السياسة بسبب ضعف المبادلات بين مصالح النخبة. فموسوليني الذي كان يحدد ما سيكون من الموارد التي أنفقت لقهر وتطوير إثيوبيا ولكنها قد انتهت الآن مع انتهاء الأمر.

وفي الحقيقة فإن "موسوليني" نفسه يَجْعلُ الوصلةَ المُقتَرَحةَ بين نوعِ النظامِ الاستبدادي والضعفِ السياسيِ مُوضّحة:ففي 6 تموز من عام 1935 سَمحَ لنفسه

بالمُخَاطَرَة فيما بعد بإعلان التقسيم إلى أربعة أقسام والتي كَانتْ عَلى وَشَكِ أَنْ تسبب أزمة لإفريقيا.

كان يتحدث من خلف شاحنة، وكان قد برأ تماما 1896 جنديا إيطاليا لهزيمتهم في "أدوا" والذين كانوا يلومون بدلاً من ذلك الحكومة المنحطة في روما في ذلك الوقت. ومع نظيره في السلطة الفاشية للحكومة، فقد أثنى على جهود قوات "القمصان السود" في هذا المجال مؤكداً على أنها ستحصل على دعم كامل في الداخل. "كوفي، 103:1947"

ولكن بطبيعة الحال، كانت هناك مقايضات، ولكنها اتخذت شكلا مختلفاً كتحويل العاملين، وإقالة الجنرالات أو ترقيتهم.

ولكن على الرغم من وجود مؤامرات وحجج معاكسة، فإن الهدف الأساسي من غزو واستعمار إثيوبيا لم يُشكّك: لا من قبل الشعب الإيطالي ولا من قبل النخبة السياسية الفاشية.

و باختصار، ففي حين تعتبر إيطاليا كنوع من النظام الاستبدادي، فقد تم اللجوء إلى الهمجية على الأرجح، مع التقليل من احتمال أن يضطر إلى الانسحاب من المعركة بسبب الضغوط السياسية الداخلية أو التدخل المشترك.

انتشار الأسلحة

في أي من الحالات الخمس التاريخية التي خضعت للتحليل هنا، فقد كان تفسير انتشار الأسلحة أقل من التفسيرات المعقولة للنجاح الفاعل من حيث الضعف وذلك عما كان عليه في الحرب الايطالية الأثيوبية. وكما ذكر أعلاه، فقد كان لدى الإثيوبيين عدد قليل من البنادق، لكنهم كانوا يقاتلون ببسالة رغم أنهم كانوا حفاة. وللمفارقة، فقد كانت تلك الميزة تعطيهم حرية أكبر في التنقل في المنطقة الجبلية الصعبة التي تصل إلى أرتيريا والتي تؤدي إلى الهضبة الوسطى حيث تقع العاصمة "أديس أبابا".

كان الايطاليون في المقابل – كحلفاء للأريتيريين– يميلون إلى التحرك في الرد بواسطة الأسلحة الآلية، وهذا ما منحهم – في المقابل– بعض المحاسن وذلك من ناحية استخدام المدفعية حيث أنها يمكن أن تقوم بفرض التوازن على الأرض والتي لا تتطلب

حركة كبيرة وتحافظ على طرق الاتصالات رغم أنها كانت سيئة، والحد بشكل كبير من الوقوع في الكمائن.

لكن التقنية الحاسمة كانت في استخدام سلاح الجو، والطائرات المقاتلة، فقد كان لدى الإيطاليين سلاح جو فعال وطائرات قوية أما الأثيوبيين فلم يكن لديهم أي منها وهذا ما قلب الموازين لصالح القوات الايطالية المنظمة حيث كانوا قادرين على استخدام قوتهم الجوية لرصد مواقع تمركز الجنود الأثيوبيين، وبالتالي تدهورت القدرة الأثيوبية في القبض على الإيطاليين في كمائن مفاجئة. وقد كان هذا عندما تسقط بشكل خاص، لأن الإثيوبيين كانوا يرفضون المشاركة في القتال ليلاً، في حين كانت الميزة الايطالية الجوية يمكن أن تكون لاغيه. وعلى الأخص عندما تسقط من الجو قنابل الغاز الحارق والتي أضيفت إلى وظيفة الاستطلاع للقوة الجوية، وهكذا، سرعان ما أصبح التنافس العسكري من جانب واحد.

التفاعل الاستراتيجي

توفر الحرب الايطالية الإثيوبية خمسة اختبارات مستقلة لأطروحة التفاعل الاستراتيجي.

وفي هذه الحالة تبرز هناك بعض المفاجآت في المرحلة الأولى من حرب التفاعل القوي الذي ينبغي أن يكون فاعلا، والذي أدى إلى انتصار إيطاليا على وجه السرعة، لأنه اختار إستراتيجية الهجوم التقليدي والدفاع التقليدي الإثيوبي.

ومع ذلك لم يكتف هجوم الايطاليين حتى تعثر، ولكن العدو الإثيوبي المضاد كان يهدد بدفع الجنود الإيطاليين أكثر فأكثر إلى اريتريا، وهذا ما يفسر نتيجة سوء القيادة العسكرية الايطالية، وعدم الاستعداد لمخاطر سقوط ضحايا من نفس النهج الثاني في التفاعل القوي الفاعل الذي يجب أن نفوز به لأن ايطاليا واصلت الهجوم التقليدي ضد إستراتيجية الدفاع الإثيوبية التقليدية بسبب تسرع ايطاليا للفوز ولكنه المتفز سوى بفض لاستخدام غاز الخردل في مسرح الحرب الإثيوبية، حيث ثبتت قوة وفعالية هذا الغاز الكبيرة على الرغم من مضاعفة الطابع العشوائي بعد إطلاقه من الجو مما يجعل استخدامه يعبر عن همجية سافرة من حيث التعريف لحرب ايطاليا بعد استخدامها للغاز في تدمير القدرة العسكرية لإثيوبيا، لإرادتها في مقاومة هذا التفاعل.

ثم، ومن ناحية أخرى، فإن استخدام الغاز لا يشير إلى حدوث تحول في الإستراتيجية بقدر ما زالت من أساليب التفاعل، ولذلك كانت النتيجة كما هو متوقع حيث يفوز القوي الفاعل.

وهكذا، ولأن ايطاليا كانت قد استخدمت إستراتيجية الهمجية ضد جماعات المقاتلين الأثيوبيين غير المنسقة حرب العصابات GWS (نفس النهج). فإن استخدام الغاز كان بمثابة موجز لعمليات إعدام المدنيين وغير المقاتلين. ولكن، فعلى الرغم من انتشار عمليات الاغتصاب والقتل والانتقام، والتي كانت كلها أساليب للضغط على إرادة المقاومة الإثيوبية. فإنه من الصعب تقييم نتائج هذا التفاعل بالتأكيد وذلك لأنها كانت خاطفة ووجيزة. وكما جاء في الفصل الرابع، فإن الوحشية في استخدام الإستراتيجية تميل إلى أن تخفي معالمها تحت الضغط الإيطالي، وذلك عندما بدأ الجيش يحقق المكاسب.

وهكذا، فعلى الرغم من أنا لايطاليين قد استخدموا الغاز السام والحارق بإفراط ضد القوات الأثيوبية- والتي أدت إلى قتل الكثير من المدنيين وغير المقاتلين-ولفترة من الوقت الحقيقي والشروع في وضع إستراتيجية وحشية من تاريخ الانضمام إلى موقف النصر في عام 1936 وخاصة بعد محاولة اغتيال في شباط من عام 1937. ولكن في شهر تشرين الثاني / نوفمبر تماما، كما كان البدء في انضمام دوق "آوست" لمنصب الوالي والذي أدى إلى حدوث تحول في الإستراتيجية، مرة أخرى.

كان من المفترض أن يربح الطرف الضعيف في العملية الرابعة، وذلك في المتابعة العادية لايطاليا في إستراتيجية الهجوم ضد الإثيوبيين فيما يتعلق (بسياسة الكر والفر).

وكالمتوقع، فإن الأثيوبيين- ليس فقط- نجوا من محاولات الايطاليين لتدميرهم، ولكنهم باشروا بالهجوم المعاكس على العديد من المناطق المحكومة سابقا من قبل القوات الايطالية، ولكن، ولسخرية الأقدار، فإن النفقة ذاتها من الجهد لاستخدام الوحدات الكبيرة والتقليدية لمطاردة القادة الإثيوبيين الفدائيين كانت دافعاً آخرا في تغيير الإستراتيجية. أما في العملية الخامسة، فإن الطرف القوي كان يجب أن يفوز، لان ايطاليا انتقلت من محاولات إجبار المقاومة الإثيوبية إلى محاولة رشوتها (كالمصالحة، سياسة الكر والفر). وكما كان متوقعاً، فقد فازت ايطاليا -في الحرب الإثيوبية، أو لربما تكون قد فازت، ولم تكن قد دخلت الحرب العالمية الثانية. في حين أن موافقة دوق "اوستا" كانت الدافع الرئيسي للذوبان في العلاقات البريطانية – الايطالية. فقد كان الدوق ميالاً نحو بريطانيا،

في الوقت الذي كانت فيه بريطانيا معجبة بالدوق وتكنّ له الاحترام (موكلير، 1984، : 187–188، 194). في حين لم تكن قرارات "موسوليني" التي دخلت الحرب ضد فرنسا وبريطانيا، وفورا غيرت كل ذلك. وهكذا، فقد كان منطقياً بالمجمل– وبحسب الإستراتيجية المتبعة – فقد كانَ من المتوجّب أن تفوز ايطاليا في كل الجولات بإثيوبيا، (العملية الرابعة: الهجوم التقليدي، الدفاع التقليدي) ولكن السبب في ضياعها يكمن في أنه – عندما كان يجب أن تربح – كانت قيادتها الضعيفة. وقد تم تلخيص العملية الخامسة للحرب الايطالية الإثيوبية، مع النتائج في الجدول الأول التالي:

إستراتيجية الممثل القوية	إستراتيجية الممثل الضعيفة	التفاعلات الإستراتيجية	النتيجة الفعلية
1ـ الهجوم التقليدي	الدفاع التقليدي	نفس الطريقة	ربحت إيطاليا
2ـ الهجوم التقليدي/الهمجي	الدفاع التقليدي	نفس الطريقة	ربحت ايطاليا
3ـ الهمجية	سياسة الكر والفر	نفس الطريقة	ربحت ايطاليا
4ـ الهجوم التقليدي	سياسة الكر والفر	عكس الطريقة	ربحت إثيوبيا
5ـ المصالحة	سياسة الكر والفر	نفس لطريقة	ربحت ايطاليا

تفاعلات إستراتيجية ونتائج الحرب الايطالية –الإثيوبية(1935–1940)

المشاكل في القيادة

كانت التأثيرات في إستراتيجية العمليات مغمورة في الحرب الأولى بعجز قيادة ايطاليا ذلك لأن قيادة ايطاليا بإفريقيا كانت قد أتت بنفس شهرة العجز وبنفس الوحشية. فالكثير من الإداريين الايطاليين كانوا يتحلون بالشجاعة والكثير منهم كانوا مؤهلين، ولا يوجد أي شخص من الجيش الايطالي يمكنه أن ينتقد الشجاعة أو مهارات الفرد الجندي الايطالي لكن القادة من أمثال "دي بونو، بادوغليو، غرازياني، غافاليرو، تريزاني[1]

1– سيطر تريزاني على كافاليرو في 20 نيسان /1940 وقد ميزت موكلير طريقته (كان واحدا من الضباط الايطاليين الذين خدموا في الحملة الاستعمارية، في الحقيقة في الاستعمار ككل، وكانت مهنته بروفسور في المدرسة الحربية. كان ميوله في التكتيك، نظرته الأولى للحساب المفصول. لقد كان رجل بادوغليو وكان مشبعا بالشكوك لتثبيت الإقدام في إفريقيا وإذا كانت قرارات الايطاليين المتعمدة لاختيار الجنرال الذي له الخاصية الأساسية ولو كان الايطاليون قرروا عمدا اختيار زعيم من أساسيات شخصيته القيادية تخفيض أخلاقيات الجنود لكان باستطاعته قيادة خياراتهم والتحول إلى شخص أفضل(موكلير 1984: 209).

كانوا قد ادينوا للعيش في العار العسكري. في حين كان لدى المحلل "موكلير" التفسير الفضولي التاليوقد بدا لي على أنه– بوعي وبدون أدنى شعور– فقد سيطرت ذاكرة"أدوا" وجنرالات "باراتيني" على عقول الجنرالات الايطاليين في إفريقيا، وهذا فقط يستطيع تفسير عدم قدرتهم على التقدم حتى يكونوا ذوي قدرة وان تكون خطوط الاتصالات بأمان، ما يفسر عذرهم في عدم قدرتهم وكان ذلك أيضا بتقدمهم البطيء، ولذلك، فقد أضاعوا الكثير من الفرص الحقيقية، وكانت النتيجة المؤكدة أنهم كانوا من الفاشلين (موكلر 1984: 254).

إن الفحص الحقيقي لا طروحة مساعدة الجيش الايطالي سوف تكون بقيادة الجيش في مسرح الحرب – وهذا ما قالته كل من اليونان وروسيا – حيث كان القادة الايطاليين بعض الشيء شديدين أو مؤهلين.

وعلى الرغم من وجود أشخاص أرادوا مجادلة القادة من ذوي الرفعة في ايطاليا بأن أفكارهم إنما كانت نسخة طبق الأصل عن أفكار موسوليني، وعدم الشجاعة كانت نتيجة الأحداث القادمة بأنهم سيقيمون علاقات ودية مع ذلك النظام.

ولكن ذلك كان في الحقيقة غير مقبول. ونتيجة لضعف الجيش الفرنسي، فقد انتشرت الديمقراطية، ونتيجة لما حدث فقد أيضاً فقد تأسس الجيش الألماني الذي كان له اثر في العالم لم يشهد له العالم مثيلاً من قبل.

وفي النهاية

كانت الحرب الايطالية الأثيوبية ذات تعقيدات متناظرة والتيكانت قد دارتبين ايطاليا وإثيوبيا وحيث ربحت ايطاليا الحرب. ولذلك، وبسبب مصالح الايطاليين، فقد أرادوا الانتقام لخسارتهم في "ادوا" في عام 1896، وكانت الحاجة إلى التنظيم مجرد أفكار، الأفكار المسؤولة عن" المواطنين "والرجال السود الإفريقيين الأقوياء الذين مكثوا في قرن إفريقيا، وأحزاب حاولت تحسين أوضاع الشعب من حيث الفقر، في حين كانت مصالح الإثيوبيين قد تمثلت في مجرد البقاء على قيد الحياة والحفاظ على شرفهم، ولكن الطاقة المادية لم تفسر مصالح العلاقات، ومالت الكفة الراجحة في مثل هذه الحالة للطرف

الأقوى، ايطاليا حيث يمكن للقوى المادية أن تفسر الإستراتيجية المتبعة أو السياسة المؤكدة للطرف الأقوى.

تشرح الفرضيات في قوة العلاقات المادية مصالح العلاقات بالإنتاج غير المتناظر –غير مدعمة بالحرب الايطالية الإثيوبية– كما نستطيع أن نرى مما سبق أن إستراتيجية ايطاليا قد اختارت أن تتأثر بنوع النظام فموسوليني كان دائماً يهتم باحتمالية تدخل الأجانب بشؤونه من حيث – الاقتصاد والجيش– وقد اعتمد على القدرة على إدارة المعلومات عما يستطيع القيام به دون النظر لما تمليه عليه أخلاقه الحربية، وذلك من أجل أن يبطيء من التدخل لأنه كان متفهم تماماً لأخطار التدخل.

ولذلك، فقد كان من قراراته صنع غاز الخردل– وهو من الأسلحة الممنوعة في الحرب –والذي كان متوفر بين يدي قادته في إثيوبيا حيث لجأت ايطاليا إلى الهمجية في الحقيقة المفترضة للإدارة الكاملة والتحكم في المعلومات خلال إدارة الحملة.

في حالة الضعف السياسي، كان الايطاليون – بغض النظر عن انتساب السياسة أو صنفها– قد تشاركوا كلهم في الحلم بمستعمرة مزدهرة في إفريقيا وكان قد طالبها "موسوليني" كحق من حقوق ايطاليا.

لكن القوة المادية الغالبة في ايطاليا كان يجب أن تجعلها سياسياً ضعيفة بالنسبة للنكسات العسكرية إن لم يكن بوزن الرأي العام[1]، ثم على الأقل كنتيجة للمبادلات بين النخب السياسية الفاشية ولكن وعلى الرغم من انه قد اختبر الايطاليون من الهجمات القوية خلال حملة الإثيوبيين، وبالرغم من وجود الأدلة على استخدام ايطاليا للغازات السامة وتسريبها، فإن هذا لم يحدث، في حين تسبب هذا النوع من النظام بتعقيد الأمور أكثر من المسموح وذلك بحجة اللاتناظر. ولكن إذا كانت طبيعة الطرف بحجة الاهتمام اللاتناظرية، فهل يستطيع الجيش الانتشار أو تطبيق العملية الإستراتيجية؟

لا يمكن انتشار الأسلحة، وبشكل صريح، فإن الأثيوبيين لم يستلموا أية كمية من الأسلحة أو التطور حتى دخول البريطانيين الحرب في عام1940 ولهذا السبب فسيؤدي

1- ثمة وجهة نظر مضادة، حيث يرى سباتشي 1997 الذي يعيد إقناع المعارضة الإيطالية الواسعة إلى خطط موسوليني "المغامرة" في إثيوبيا، لكنه أخفق في تزويد إحساس كيف يتسع الانتشار فيمثل هذه المعارضة وفي الحقيقة كيف كانت، بالإضافة لكونه يقترح حساب بأنه عندما أصبح الإيطاليون مقتنعين من النجاح العسكري في الشهور الأولى من الحرب، انتقل رأي الشعب الإيطالي لدعم الاحتلال بدون شروط.

التسليح الأفضل للطرف الضعيف على الأرجح في ربح المعركة والطرف القوي سوف يخسر. ولكن لم تختبر هنا فقبل الحرب كان إمبراطور إثيوبيا يحسب الحصول على الدعم الدبلوماسي والتدخل العسكري من الأعضاء الزملاء الاتحاديين في أوروبا، وقد كانت إثيوبيا فقيرة جدا وفخورة جدا باستيراد الأسلحة كما فعل "البويريون" سابقا في معركتهم مع بريطانيا. يعتبر التفاعل الاستراتيجي أفضل توضيح لنتيجة الحرب، ومع ذلك لم يكن

التفاعل الاستراتيجي عازلاً لضعف القيادة الايطالية. باستثناء واحد، وهو أن كل تفاعل استراتيجي للحرب سيكون قد احتوى على التفاعل الذي فضل النصر الايطالي العسكري، حيث كان التفاعل الأول قد وصف بالهجوم التقليدي، والدفاع التقليدي، حيث ظهر بان إيطاليا مستعدة لتخسر هذه المعركة بسبب القيادة السيئة.

وكوقف التقدم الايطالي المشترك مع الهجمات المضادة المؤثرة، فقد تحول التفاعل الثاني للحرب لينتقل إلى استراتيييجية جديدة، حيث عطلت ايطاليا الإستراتيجية التقليدية للمساعدة من قبل استخدام أسلحة ممتازة ضد الدفاع الإثيوبي التقليدي.

لقد أثبتت الإستراتيجية الفعالية العسكرية العالية، والتي أدت إلى انهيار مقاومة إثيوبيا المنظمة خلال بضعة شهور، وربح الإيطاليون، لكن الطرق ذاتها كانت قد استعملت في غزو إثيوبيا وخصوصاً فيما يتعلق بسياسة ما بعد الحرب من أحكام الإعدام العاجلة والاستعمال المستمر لغاز الخردل على الثوار – والذي أثار المقاومة مجدداً– ولربما ربح الإيطاليون التفاعل الثالث للنزاع، ولكن قبل أن يسجل التأثير العسكري، كان "موسوليني" قد ألغاه.

من جهة أخرى، فقد عاد التفاعل الرابع للحرب إلى الهجوم التقليدي ضد أي مقاومة منظمة، فقط حيث أرادت القوات الأثيوبية أن تشغل الإيطاليين مباشرة، كما حدث في "كوجام" حيث خسر الإيطاليون.

كانت تكاليف كل عملية – فيما يتعلق بسياسة الكر والفر– فاحشة جداً، في حين أن الهجمات التقليدية الإيطالية في بقية الأقاليم قد وُوجهت من قبل مجموعة تلك التكاليف والحاجة المحسوسة لأن تصبح القوات آمنة ومكتفية ذاتياً في حالة الحرب في أوربا، وقد أدى ذلك إلى تغيير نهائي في إستراتيجية ايطاليا.

أما التفاعل الخامس للحرب فقد قدم إستراتيجية مصالحة لايطاليا، لكنه أعورضت من قبل سياسة الكر والفر الأثيوبية.

لقد أثبتت المصالحة الأكثر فاعلية لكل إستراتيجيات الإيطاليين أنها قد حاولت منذ الزحف إلى أديس أبابا في شهر أيار من عام 1936 حيث كان زعيم الثوار الأوحد فقط صمد، وقد بدت احتمالية استمرار صمود قواته كذلك، ولكن مع اندلاع الحرب العالمية الثانية فحتى "أبيبي أرياجي" والقوات الموالية كانوا قد أُجبروا على الهروب من إثيوبيا أو صعوبة التقدم، وهذا ما جعل الإيطاليين يتقدمون ليربحوا الحرب في مدة قصيرة، لكن الحرب العالمية الثانية غيرت كل ذلك فالمسابقة في إثيوبيا توقفت عن أن تكون بين احتلال الإيطاليين والمقاومة الأثيوبية وتحولت إلى صراع بين الإنكليز والإيطاليين الذين قاتلوا في إثيوبيا، والسودان، والصومال الإنكليزي، وكينيا.

كان الإيطاليون في بادئ الأمر قد أطلقوا هجمات تقليدية ضد الدفاعات البريطانية، ونجحوا تقريباً في كل مكان. لكنهم – على أية حال– أخفقوا في استغلال انتصاراتهم، وبعد انهيار جيوش إيطاليا في ليبيا ومصر، كان الإنكليز قد أعادوا الكرّة وأطلقوا سلسلة هجمات تقليدية ضد الدفاعات الايطالية، وقد كان الإنكليزي تمنون تنسيق هذه الهجمات مع انتفاضة بريطانية "عامة الضمان" في إثيوبيا.

ولكن على الرغم من ذلك وبالرغم من أنهم كانوا قد كرّسوا مصادر هائلة لإيجاد وتمويل "لورانس" قادة إثيوبيا" أورد وينكايت– وينكايت" و"هيلا سيلاسي" المنتصرين وإعادة دخولهم إلى إثيوبيا كانت زائدة عن الحاجة من حيث النتيجة. لكن الإيطاليين قاتلوا بشدة في الشمال، ومرة أخرى كانوا يعانون من القيادة السيئة للحرب.

بينما في الجنوب، فقد كان المسار البريطاني نحو ميناء مدينة "كاسالا "في أرض الصومال الإيطالي قد أدى إلى أن يكمل اندحار القوات الإيطالية المتفوقة جداً خلال شهر واحد، ولذلك بدأت القوات البريطانية تغزو من الجنوب –لتحويل أنظار الإيطاليين– ودخلت أديس أبابا.

لقد أدى ذلك إلى تغيير التوازن في أربع من خمسة تفاعلات فرضية قوامها أنه على الأرجح أن يفوز نفس النهج، في حين أن التفاعل يفقد عكس النهج في التفاعلات المؤيدة.

وباختصار، فإذا أردنا أن نشرح لماذا خسرت ايطاليا الحرب في إثيوبيا، لا يمكننا الاعتماد على القوة النسبية، ونوع النظام والفوائد وعدم التماثل، أو نشر الأسلحة.

ولكن فيما عدا انتشار الأسلحة، فمن الواضح – ضمن هذه العوامل – أن ما يهم أكثر هو التفاعل الاستراتيجي الإيطالي والقيادة العسكرية.

عندما أصبح واضحا أن "اعتقال" أديس أبابا لن يجبر الأثيوبيين على الاستسلام، فقد كان أمام ايطاليا ثلاثة خيارات إستراتيجية:

- أولاً: مع الاستمرار في الإستراتيجية الحالية، وربما إرسال المزيد من القوات والمعدات إلى المسرح.
- ثانياً: من حيث عرض الأثيوبيين: ما الذي يمكن حفظ ماء الوجه بعد نهاية الحرب.
- ثالثاً: التحول إلى إستراتيجية الهمجية: اتخاذ سياسة القفازات وملاحقة الوطنيين الإثيوبيين وأسرهم واتخاذهم إما رهائن أو قتلهم على الفور في حركة انتقام لصد مواصلة المقاومة.

وهكذا، ففي حال اختار الايطاليون الخيار الثالث فيذلك الحين، فقد حافظ الإثيوبيون على إتباع سياسة الكر والفر، لكن الايطاليين تحولوا، وابتكروا عدة مغامرات مضنية لتحسين ميزتهم حتى امتداد الحرب العالمية الثانية إلى إفريقيا، واجتياحها للتخلص منها.

اعرف عدوك:

إنا لاعتقاد بأنه يمكننا أن نشكل ظروفنا الإستراتيجية حسب الوقائع، يدل على فهم متطور للبيئة التي نعمل بها.

و لذلك، فإن الأمر الأساسي لأي فهم يكمن في معرفة أنفسنا، وأعدائنا وأصدقائنا، وعندما يمتلك الجيش هذه الحكمة فإن الوقت الذي سيقضى في الاستطلاع وجمع المعلومات لا يعتبر وقتاً ضائعاً.

و لهذا السبب بالتحديد، يدعى التجسس غالباً ثانياً قدم مهنة في التاريخ.

لقد تم دعم هذا الوصف من قبل "التوراة العبرية" قبل معركة "أريحا" قبل حوالي 3200 سنة. وذلك حين بعث القائد الإسرائيلي "يوشع" بجاسو سينل جلب معلومات ولاستكشاف ما يستطيعون عن الأرض ولاسيما "أريحا". وفي ملتق نظري فمن الأحداث التاريخية، فقد أمضى عملاء"يوشع"ليلة مهمتهم الأولى في حانة تملكها عاهرة تدعى "راحاب". (راح ابكانت امرأة زانية تسكن في أريحا في أرض الميعاد، حسب سفر يشوع)

لقد كانت الدعارة بالطبع تعتبر هي المهنة الأقدم في التاريخ، وهكذا، ومن اجل إنصاف سمعة الجاسوسين، فقد كانت الحانة مكاناً جيداً للاستماع وطرح الأسئلة وجلب المعلومات في ذلك الوقت. وغالباً ما كانت المعلومات تجمع من اللقاءات الأولى.

لقد كان هدف "يوشع" الأساسي من ذلك بعبارة موجزة: الحصول على استخبارات جيدة ووافية تحقق له الأفضلية وسبق النصر في معركته الوشيكة.

ولذلك فقد كان يبني الكثير من إستراتيجيته على المعلومات الوافدة والتي تتعلق بأعداد القوات، وترتيبها، وتوضعاتها، والتجهيزات الدفاعية، والاحتياطات، والمؤن، والروح المعنوية وتفاصيل أخرى مماثلة التي تكشف قدرات الخصم القتالية الحالية، والتي تعتبر الاهتمام الرئيسي في هكذا مواقف.

وهكذا، فإذا ما سمح الوقت المناسب، فإن هذا النوع من القدرات المشتقة من معلومات الاستخبارات، بالإضافة إلى نوايا العدو المفترضة والمحتملة، ستجعله يتخذ القرارات المناسبة وليفكر بمناورات طويلة الأمد، وربما تكون الحملة بكاملها مقابل أهداف معركة وحيدة.

وعلى سبيل المثال، فبالاعتماد على ما يرد من معلومات عن العدو، فإنه من الممكن أن يكون مازال لدينا وقت لتغيير خطط الهجوم أو إعادة نشر قواتنا وإعادة ترتيبها أو حتى لتجنب التضارب في الوقت الحاضر.

و هكذا كان في العصور اللاحقة، فعلى المستوى الاستراتيجي، كانت الاستخبارات- في الحرب العالمية الثانية – تعتبر ذا تنوعيه استئنافية بحيث يمكن أن تستغل لإعادة تشكيل وتوجيه الحملة بكاملها. في حين كان نجاح قوات الحلفاء يكمن في ترجمة آلة التشفير (الإنيجما) الألمانية السرية خلال الحرب العالمية الثانية وهو ما يعتبر مثالاً

استئنافياً حيث كانت المعلومات التي تم الحصول عليها قيمة للغاية وحتى أنها شكّلت سلاحاً استراتيجياً بحد ذاتها.

كانت المواجهة بين الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة خلال الحرب الباردة قد خدمت أحد أكثر التوضيحات دراماتيكية فيما يتعلق بالتواصل بين الاستخبارات، والتشكيل، واستراتيجيا الخطر الكبير في ذلك التفاعل بين التنافس الاستراتيجي، ولذلك، فإن تجاهل كل طرف لقدرات الآخر على تنفيذ ضربة نووية استباقية كان بسب بعد موجود الخوف من عواقب هذا العمل.

ظهرت ثمة لمحة عن سلسلة ردود الأفعال في ذلك الوضع الحساس في أواخر الخمسينات وأوائل الستينات وذلك عندما قدم كل من سلاح الجو ولجنة خاصة تقريرا منفصلاً إلى الرئيس آيزنهاور، يعبر عن تفوق عددي للاتحاد السوفيتي فيعدد القذائف البالستية والعابرة للقارات وتلك الحاملة للرؤوس النووية. أو ما دعي حين ذاك(بفجوة القذائف)' وهذا ما سبب قلقا شديدا في الولايات المتحدة وتصاعّد القلق بين القوتين العظيميين، ولكن في الحقيقة لم يكن هنا كفجوة، بل على العكس، فقد كانت الولايات المتحدة متفوقة على منافسيها بعدد الصواريخ البالستئية.

وهكذا، وبفضل الإدراك المتأخر، يجب أن نعلم بأن قادة الولايات المتحدة كانوا على وشك أن يتخذوا قرارات متعلقة بنزاع نووي لكنها مبنية على أساس معلومات خطرة وخاطئة.

ولذلك، تعتبر الاستخبارات عالية النوعية هي المفتاح لمنع صانعي القرار من اتخاذ أي قرار نهائي تحت أي ظرف في حين أن الخصوم ليسوا دائما مدركين لنوايا بعضهما لبعض وهذا ما قد يؤدي – على الأقل– لكي يعلم أحدهم قدرات الطرف الآخر.

وفي هذه الحالة تحديدا، فإن هذه القدرات كانت عبارة عن صواريخ بالستية وقاذفات نووية التي تحسب وتُقيَّم بشكل نوعي، وإذا كان كل من الطرف ينقد أدرك نقاط قوة ونقاط ضعف الطرف الآخر، وإذا قبل كل منهما حالة توازن القوى الموجودة، فعندها فقط يمكن أن يتم تأسيس درجة مرضية من الاطمئنان المفترض بين الطرفين في هذا الحدث (فالاطمئنان) كان نتيجة تأثير المهدئ الذي صنعته المعرفة وتطور المفهوم إلى أحد أسس توازن الرعب النووي بين الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة.

التكنولوجيا بشكل مستشعرات

لقد لعب الجو والفضاء دوراً أساسياً في رفع ضباب الحيرة وبناء الاطمئنان ففي بداية الأربعينيات كانت الولايات المتحدة قد وظفت أعداداً متزايدة من طائرات التجسس على قدرات الاتحاد السوفيتي النووية الحربية، ولكن، وبما أن آلات التصوير كانت هي المستشعرات الأساسية، فقد كان يتوجب على الطائرات أن تحلق فوق الهدف مباشرة، وعلى الرغم من الارتفاع الشاهق التي كانت تعمل بها لطائرات، فقد كان خطر إسقاطها يعتبرها جسراً دائماً.

وهكذا، فإن حوالي أربعين طائرة تجسس أمريكية كان قد تم إسقاطها فوق الدول الشيوعية وذلك في فترة مابين الحرب العالمية الثانية وعام1980 وحيث كان حوالي مئة وثمانين عنصراً استخباراتياً من أطقم تلك الطائرات قد قضوا نحبهم.

ولذلك، فقد كانت صور أقمار التجسس الاصطناعية– التي وفرت الأمان المطلق وعملت على ارتفاعات شاهقة وغطت مساحات أكبر بكثير كانت – هي الحل، وهكذا، فقد سارع كلاً من الطرفين إلى خوض غمار سباق جديدي تعلق بتطوير برامج شاملة لأقمار التجسس الاصطناعية والتي حققت نتائج باهرة.

كان مشروع "الهالة" الأمريكي على سبيل المثال، والذي عمل منذ عام 1960 وحتى عام 1972 قد التقط حوالي"800 " ألف صورة لأهداف محددة في الاتحاد السوفيتي، وثم استناداً لمصادر غير رَسمية تضمن كل قواعد إطلاق الصواريخ البالستية وكل قواعد الغواصات وقواعد القاذفات.

وكنتيجة لذلك، فإن مخاوف المسؤولين الأمريكيين قد تضاءلت كثيرا بعد المعلومات التي تم الحصول عليها فقد أعطت المعلومات الاستخبارية المأخوذة من الأقمار الاصطناعية اطمئن إنا مماثلاً في الاتحاد السوفيتي.

عندما انتهت مفاوضات أزمة الصواريخ الكوبية في عام 1962 بسلام، كانت الحرب الباردة قد بدأت بالذوبان وإن ببطء. فالمعرفة– عوضاً عن الخوف– هيمن شكل المحيط والبيئة الإستراتيجية تعتبر من مهمات التجسس الإستراتيجية التي زعم– على الدوام– من أنها مهما تم كروهة إلاّ أنها كانت في الحقيقة حيوية في جعل المواجهة النووية أكثر شفافية، وفي بناء ثقة واطمئنان تجاههما كان في حالة أخرى منافسة خطرة. وبشكل

استثنائي، كان هنا كهامشاً إضافيا لعملية التجسس، حيث يجب إضافة التشكيل المناسب بالإضافة إلى المعرفة عن الطرف الآخر أصدقاء وحلفاء وما الواجب فعله في الأزمة، وكيف نتصر فعندما يعتمد أيضاً على نوايا وقدرات حلفائنا كما الحال للأعداء.

فهل يمكن لحلفائنا أن يدعمونا بكل حالات الطوارئ؟.

وهل لهم حقاً التأثير والقوة النارية التي يدعون أن هم يمتلكونها؟

وهل- إن منعتهم الظروف من المشاركة في القوات المقاتلة- أن يوفروا الدعم اللوجستي والاستخباراتي؟.

هذه ليست مجرد أسئلة افتراضية، فخل الحرب "جزر الفوكلاند" في عام 1982 فقد كان لدى كل من المملكة المتحدة البريطانية، والأرجنتين، علاقات أمنية رسمية مع الولايات المتحدة، وكلاهما كان يحتاج إلى المساعدة الأمريكية لشن حملة فعالة على الطرف الآخر.

ولكن في هذا الحدث بالذات، فقد اختارت الولايات المتحدة أن تدعم بريطانيا بالمساعدات الحيوية، وأن لا تدعم الأرجنتين بأي شيء. ولكن، وبينما حارب الأرجنتينيون بشجاعة، إلاّ أنهم عجزوا بشكل عام، وقد تجلّى عجزهم في أنقادتهم لم يحسنوا تقدير وضع حلفائهم قبل أن يعجّلوا بإعلان الحرب.

ليس تجميع الأنظمة بحماقة الجنرالات الأرجنتينيين، ويجب ألا نتفاجئ أيضاً بأن تاريخ التجسس على الأصدقاء يوازي التجسس على الأعداء.

وهنا يمكن ذكر الإسرائيليين كنموذج مثالي وواضح عنا لجاسوسية المزدوجة، حيث حصلوا على ولوج غير شرعي إلى أكثر المعلومات السياسية والتقنية حساسية في الوجود لدى أهم داعميهم أو أكثره موقوفا إلى جانبهم، وهذا يتضمن الأمريكيين والبريطانيين والفرنسيين، ومهما كان اعتقادنا حول نسبية أخلاقية هذا العمل.

وهكذا، نلاحظ أن كلا لدولت تجسس على بعضها البعض، وإن إسرائيل ببساطة كانت أفضل من معظم تلك الدول في هذا المجال.

ويجب أن ننوه هنا إلى أننا لا يمكن أن نشكل محيطاً استراتيجياً إن لمنفهم بشكل كامل جميعا لمتغيرات الحرجة بما فيها نوايا وقدرات أصدقائنا.

الأفكار والحقيقة: تركيبة القوة

كان "كارلماركس" قد لاحظ (بأن الفلاسفة قد فسروا العالم حس بمنظورهم فقط، وبطرق مختلفة وكان المهم لديهم – بأي حال– يكمن في أساليب تغييره).

ولكن يمكن لتعليق "كارل ماركس" أن يطبق على نظرية وممارسة الإستراتيجية في مرحلة ما من مراحل العمليات الإستراتيجية، وعلى التفكير الاستراتيجي البحت ليس إلاّ.

و من جهة ثانية، فإن هيج بأن يترجم إلى تركيبة محسوسة من القوة، أي بالوسائل التي نحتاجها إلى تحويلا لأفكار إلى أفعال حيث إن تركيبة القوة يتضمن البشر، العتاد، أنظمة القيادة والسيطرة، العقيدة، وفي الوقت الحالي كذلك البرامج التي تشكل جوهر أي منظمة عسكرية أو شبه عسكرية.

تركيبة القوة تشير إلى عدد من النقاط الجوهرية.

كيف يمكن لأمة أن تدافع عن نفسها؟.

بالطبع، فإن الأهمية والأولوية التي توليها الأمة، يجب أن تكون في تنمية القدرات العسكرية كأداة القوة للأمة وكذلك وجهة النظر الإستراتيجية، والخيارات المفضلة، وخاصة في مجال بنية الردع ونوعية القدرة الدفاعية.

ولذلك، فإن تركيبة قوة معينة يمكن أن تعطي هيئة إستراتيجية، أو حتى تحدد البنية والمحيط الاستراتيجي الموجود.

كانت السياسة العالمية– لفترات طويلة– عبارة عن رهينة معتبرة بيد الجيش الروماني من العام 500 قبل الميلاد إلى العام 500 للميلاد، ثم انتقلت لتصبح بيد البحرية الملكية منذ القرن الثامن عشر وحتى القرن العشرين، وللأسلحة النووية في النصف الثاني من القرن العشرين، كاستجابة للتجارب السابقة من أن حالة عسكرية إستراتيجية يمكنها أن تحدد شكل الأحداث فيما بعد حيث قامت عدة دول ومنظمات في بداية القرن الحادي والعشرين بتجاهل معاهدة الأمم المتحدة الخاصة بحد انتشار الأسلحة النووية، وسعت في المقابل إلى الحصول على "القنبلة النووية" معتقدة بأنها وسيلة للوصول إلى معيار حاسم وفاصل للتأثير الدولي، ولكن تلك الدول لم تعِ في الحقيقة من أنها سوف تفقد ذلك المعيار في

مجالات أخرى، أو تقوية وسائل رجعها وقدراتها الدفاعية في حال اشتعال الحرب، وحيث تحدد تركيبة القوة بشكل واسع، وعلى كيف ستحارب الدولة.

و عند اندلاع المعارك بين الدول، فإن القوة الدفاعية دون وجود لسلاح بحرية لن تجعل تلك الدول تحارب في البحر، بينما- في حال وجود جيش قوي- فإنها غالباً ستفضل الحرب على البر، ولكن ذلك كان قبل الحرب العالمية الثانية، وعلى الأخص في الحرب التيدارتبين ألمانيا والاتحاد السوفيتي، وحيث تقرر وضع أسس تطوير منطقي لجيوش قوية. وكان كلاهما قد تم اجتياحهما سابقا على البر وكلاهما حقق انتصارا على البر أيضاً.

وعلى العكس من ذلك، فلم تكن صدفة في السنوات التي قادت إلى الحرب العالمية الثانية أن تبدي الولايات المتحدة وبريطانيا اهتماما أوسع للقصف الجوي الاستراتيجي كمفهوم قتال، ولكونهما محميتين مرة بالمحيطات ومرة أخرى بالمحيطات والمسافة.

وهكذا، فإن الأمثلة عن الجيش الروماني والبحرية البريطانية وأسلحة القوى العظمى النووية تمثل تركيبة القوة المناسبة تبعاً للعصر والظروف.

من ناحية ثانية، فإنه لا يوجد عوز في الأمثلة عن تراكيب القوة التي كانت غير مناسبة عن المتطلبات المزدوجة لتشكيل المحيط الاستراتيجي وخوض الحروب التي واجهوها.

استراليا واندونيسيا مثلا: قضايا للدراسة.

بعد الهجوم على ميناء "بيرلهاربر" الأمريكي في شهر كانون الأول من عام 1941 وسقوط سنغافورة في شهر شباط من عام 1942 كان الاستراليون يواجهون احتمال الغزو الياباني، والذي كان من المرجح أن يتم من البحر حصراً.

و لكن على الرغم من أن ذلك التهديد لم يكن جديداً- حيث كان معروفا بالنسبة للمخططين الدفاعيين الاستراليين منذ بدايات القرن العشرين- وهنا يمكننا أن نسأل: لماذا- في الفترة ما بين الحرب العالمية الأولى والثانية- أنفقت استراليا حوالي 60% من ميزانية دفاعها على تأسيس قوة بحرية صغيرة باهظة الكلفة وغير فعالة، بينما كان يمكنها بهذا المال أن تؤسس قوة ضاربة جوية مهيمنة وبحجم مناسب وقوة مناسبة لهزم أي غزو محتمل؟.

ومن جهة أخرى، يمكن توجيه الانتقاد العام ذاته إلى التخطيط الأمني الأندونيسي في الخمسينيات والستينيات من القرن العشرين. ولكن التهديد الأساسي للأمن القومي الأندونيسي أتى من حركات عديدة داخلية انفصالية.

وهكذا، فإن الاستثمار الأساسي في شراء قاذفات بعيدة المدى وقوة جوية وغواصات كان يبدو في بعض الأحيان غير منطقي. بل أكثر من ذلك، فقد كانت غير قادرة على إدارة هذه الأنظمة بفعالية. وفي كلا الحالتين، فإن تركيبة القوة كانت قد افتقدت للمنطق الاستراتيجي.

وبالنتيجة، فإن امتلاك وسائل الحرب الإستراتيجية لمتحقق أيما تأثير على شكل البيئة الإستراتيجية المحيطة.

ومن هنا نستنتج أيضاً بأن الطريقة العقلانية لتأسيس وتركيب القوة لابد وإنه سيتبع أحد الأسلوبين.

الفصل السادس

الولايات المتحدة الأمريكية

في فيتنام (1965-1973)

"كل شيء تخرّب وتلف بسرعة، أجسامهم، خيامهم، أخلاقهم، كلها أتلفتها الشمس والرياح والأمطار الموسمية والقتال في المستنقعات والغابات قد رفعت من إنسان يتناول ذلك عندما رفعنا صمّام أمان أسلحتنا فقد كنا نحارب في أكثر النزاعات وحشية"....

كانت عبارة "حرب البشر" جملة غير منتظمة كما في أوروبا، ولكنها كانت حرب في البرية من أجل البقاء دون أحكام وقواعد، حرباً حارب فيها كل جندي من أجل حياته وحياة من معه دون أن يهتم من يقتل من أجل ذلك السبب أو كم سيكون عدد الذين سيقتلهم دون وازع لأنه لم يعد يمتلك أيما دافع أو شعور سوى مشاعر احتقار هؤلاء الذين أرادوا فرض الكفاح الوحشي من أجل الامتيازات المتكلفة للحرب المتحضرة. ذلك رمز الأخلاق، ساحة المعركة، الذي حاول تأسيس الحرب الإنسانية.

بدأ التدخل الأمريكي في فيتنام مباشرة بعد الهزيمة الفرنسية في إقليم "بابيان فو" عام 1954 ولم يتحقق الالتزام الكامل بالقوات المقاتلة الأمريكية إلى بعد أحد عشر عاماً وذلك عندما جاء جنود البحرية الأمريكية وهبطوا على اليابسة في "دانة" عام 1965 كما كان عدد سكان الأمريكيين في ذلك الحين "149"مليوناً بينما كان عدد سكان فيتنام الشمالية "19" مليون نسمة[1]. وهكذا، فقد جمعت القوات المسلحة الأمريكية وشمال فيتنام ما مجموعه "2525600" على التوالي مضافاً إليها الحلفاء الذين ساهموا في القوات

1- المنطق في التخمين النسبي لا يتطلب الحساب في حين أعطيت مصادر القوة التي قدمت للمعركة القضية في المصادر الممثلة التي يمكن أن تحرز تقدما للفوز بالحرب وعلى هذه النقطة أنظر المرجع سكلينغ (142: 1966-143-172)

المقاتلة. كما أن مضاعفة السكان والقوات المسلحة يقسم مجموع القوات إلى نصفين لتصبح نسبة القوة هنا 1:53 لمصلحة الولايات المتحدة[1].

والجدير بالذكر، فإن الولايات المتحدة لم تكرس نصف قوتها في الحقيقة في هذا النزاع وكان هذا النزاع غير متناظر، فكانت الولايات المتحدة وحلفائها هي الممثل القوي.

المسرح الفيتنامي

وهو المكان الذي ندعوه الآن فيتنام، والذي كان قد عرف بالعديد من الأسماء: "كوتشينشينا أننام"و كانت الهند الصينية هي الأبرز من بعض الأسماء للأماكن هذه ذات الحدود الملاصقة لفيتنام المعاصرة، والتي هي الآن: الصين، لاوس، وكمبوديا.

لقد تجلى التاريخ الغني لهذه الأرض وناسها، وبشكل خاص الصلة القوية المتجلية في تاريخ الأحداث التي تجلت في الهند-الصينية بعد نهاية الحرب العالمية الثانية[2].

ولكن لا يمكن أن يستحوذ عليها بشكل كاف هنا، في حين يمكن أن نؤكد في هذا السياق على ثلاث سمات أساسية في هذه المقدمة:

- أولاً: التضاريس ومناخ فيتنام جعلته دائماً مكانا مقصودا في أي نوع من الحروب التي تجري في العالم، وعلى وجه الخصوص الحرب التقليدية واسعة النطاق ولهذا كانت الحرب- المهيأ لها من قبل الولايات المتحدة الأمريكية- هي الأفضل في عام 1965.

ففيتنام كانت صغيرة ومفتوحة الحدود بشكل لا يطاق، فهي مفتوحة الحدود إلى الغرب طويلا وكانت مستحيلة الإغلاق مع كل من "لاوس" و"كمبوديا" في حين أن الحدود إلى الشرق مفتوحة حتى خليج "توكين" في بحر الصين الجنوبي، والتي سيطرت دلتاها النهريتين على حياة فيتنام الاقتصادية والثقافية إلى الجنوب، وحيث جغرافية فيتنام قد سُيطر عليها بواسطة دلتاها النهرية في إقليم "ميكونغ".

1- إذا افترضنا لتبسيط نسبة المنافسة التي كانت فقط بين الولايات المتحدة وفيتنام الشمالية تنتقل إلى 49/1 لمصلحة الولايات المتحدة.

2- قومية الفيتناميين لم تكن قوية بالشكل الكافي لإبقائها بأمان خلال فترة الاعتداءات الأجنبية أثناء حرب فيتنام. الشيوعيون الفيتناميون الجنوبيون كان عندهم هوية وطنية منفصلة عن هوية الشماليين، والأمر الذي وحدهم بقوة أثناء الحرب كان وجود الأجانب الذين أثروا في تربتهم.

تحتوي فيتنام على مستنقعات واسعة، وغابات منيعة وأنهار غير معدودة وغالبا ما تكون درجة الحرارة مرتفعة والرطوبة عالية، وفي الحقيقة لا يمكن أن تتخيلها دون تجربتها في المرتفعات الوسطى حيث توجد التلال والوديان ذات الأمطار الغزيرة، وإلى الشمال هناك جبال أكثر وكلها مغطاة بغابات ذات رياح موسمية ماطرة، تقطعها وديان عميقة حيث تصب أنهار تلك الوديان في كلتا الدلتيين للنهرين الرئيسيين (الدلتا النهرية الحمراء).

- ثانياً: مؤسسات فيتنام الاجتماعية والعسكرية والسياسية التي شكلت بواسطة مناخها وتضاريسها، وكذلك من قبل الشكل السائد للزراعة وعلى الأخص: زراعة الرز الرطبة التي يعتبرها الفيتناميون كعمل تعارفي، وكنتيجة لذلك فقد طور الفيتناميون روح العمل الجماعي بشكل قوي حيث شكلت مقاومة شعبية تقليدية دفاعا عن الأرض ضد الاحتلال كما في (كارنو: 98–99–1983)

- ثالثاً: كانت فيتنام قد تعرضت – على مر القرون– لغزوات متكررة في أغلب الأحيان، وبالإضافة إلى ذلك، فإن الانقسامات العرقية الهامة التي جرت بين شمال وجنوب فيتنام كانت قد وضعت على الرفّ في أغلب الأحيان خلال الغزوات الأجنبية، ولذلك، فقد كان الشعب الفيتنامي وطنياً لمئات إذا لم يكن لآلاف السنين وذلك قبل تزايد القومية في أوروبا[1] قد أدت إلى غزوات متكررة بسبب الكراهية لكل من الفاتحين الأجانب والتقاليد العسكرية القوية وحيث كان ذلك التقليد العسكري غالباً ما يفضل الدفاع غير المباشر واستغلال فوائد التضاريس والمناخ لإضعاف المحتلين الأقوياء أكثر من مقابلتهم وجها لوجه في المعارك الحامية. هنا تعيد "ستانلي كارنو" دراسة إستراتيجية القرن الثالث عشر عن دفاع الفيتناميين العام ضد الاحتلال المغولي حين تم أمر الفيتناميين من قبل "تران هنغ داو" الشهير ليردوا على كل هجوم مثلا: حيث اعتمد الضباط الفيتناميين كثيري العدد قبل ذلك وبعده على الطرق النقالة في الحرب البعيدة وترك المدن وتفادى الهجمات الأمامية والتضييق على الأعداء وتشويشهم واستنزاف قواتهم وكانوا مستعدين للهجوم النهائي (كارنو، 1983، 101) مستفيدين في تلك الإستراتيجية من المناخ والتضاريس، ولكن من غير الممكن بالمقابل أن نطلب تبني ذات الإستراتيجية في القرن التاسع عشر أثناء كفاح الفيتناميين ضد فرنسا حيث كان الأباطرة الفيتناميين وجنرالاتهم في أغلب الأحيان

1– قومية الفيتناميين لم تكن قوية بالشكل الكافي لإبقائها بأمان خلال فترة الاعتداءات الأجنبية أثناء حرب فيتنام. الشيوعيون الفيتناميون الجنوبيون كان عندهم هوية وطنية منفصلة عن هوية الشماليين، والأمر الذي وحدهم بقوة أثناء الحرب كان وجود الأجانب الذين أثروا في تربتهم.

أكثر تحضرا فيما يتعلق بالعلاقات المباشرة مع مهاجميهم الفرنسيين، وهذا القتال كان -بشكل دائم- يعتبر خاسراً[1].

لكن هزيمة الفيتناميين في المعركة لم تثبت بشكل حاسم في المعركة فقد كانت جزئية لأنه كان لدى الأوروبيين تكنولوجيا عسكرية تخصصت بالمعارك الرئيسية الفائزة وذلك لإبقاء تحكم السكان العاديين في التضاريس الوعرة والمناخ القاسي.

في عام 1893 كان الفرنسيون – وبعد الصعوبات التي واجهوها من حيث اللغة والكلفة الكبيرة- قد دعموا سيطرتهم لما يدعوه الهند الصينية الفرنسية: "تونكين" (فيتنام الشمالية) و"آنام" (جنوب فيتنام) و"كمبوديا" و"لاوس"، "كوشين شينا" ثم تلا ذلك الحرب العالمية الأولى.

وهذا ما حدث لاحقاً حين وافق مثقفون آسيويون بمن فيهم (هوشي منه) رغبة الرئيس الأمريكي واللورد "ويلسون" بالدفاع في "فيرساي" عن حق تقرير المصير كدواء للحروب المستقبلية.

كان "هاو" وآخرين في آسيا قد انتظروا النهاية الاستعمارية بلهفة، ولكن عندما رفض المنتصرون (بريطانيا – فرنسا) تفكيك إمبراطوريتهم الآسيوية بدأت جمعيات سرية ومجموعات ثورية بالتشكل من جديد.

ولكنفي عام 1930 قامت فرنسا بقمعها بقسوة مما أدى إلى انتفاضة قومية في خليج "ألين" شمال العاصمة "سايغون".

من جهة ثانية، وعلى خلاف ذلك، وبمكان آخر في آسيا، فإن القمع الفرنسي في فيتنام قد نجح في توحيد صفوف خصومهم، وهذا القمع الوحشي في بعض الأحيان قد منح حوافز أقوى لمقاومة الحكم الفرنسي.

1- حدث هذا في الإجراء الكبير لأنه في القتال السابق بين شمال "ترين" وجنوب "نجين" باعت فرنسا أسلحة حديثة لكلا الطرفين ومن الأسلحة الحديثة (بناء حد لتحميل الرصاص)و أكسب ذلك وسائل واستراتيجيات مواجهة خصومهم مباشرة.

وهذا ما أثبت خطورة الأمر حيث أصبحت تستطيع هزيمة القوات الفرنسية الصغيرة كما تستطيع هزيمة قوات مشابهة مسلحة ومتدربة بنفس الطريقة شحذت هذه المجموعات مهارات تمردهم ضد الاحتلال الياباني وأثناء هذا الوقت كان وضع الولايات المتحدة كحليف أساسي بنهاية 1944 وكانت مقاومة الفيتناميين تحت قيادة" هاو" وحلفاءه الذين أصبحوا مزعجين بما فيه الكفاية فقررت اليابان منح استقلال الفيتنام تحت حكم شكلي.

وكان ذلك مثيلاً لما حدث في الصين حين ميز"هاو"الفرصة المعطاة من قبل الغزو الياباني للهند الصينية وأعاد تنظيم الحزب الشيوعي الهندي الصيني لكي يستفيد من القوة الفيتنامية وليصيغ تحالفاً واسعاً وقادراً على إيذاء اليابانيين بشكل خطير في فيتنام.

وكنتيجة لذلك، فقد أصبح العديد من هذه المجموعات خفية منتسبين أو متحدين مع الحزب الشيوعي الصيني.

كان "هاو" وآخرين في آسيا قد انتظروا النهاية الاستعمارية بلهفة، ولكن عندما رفض المنتصر ونذلك، أعلن الإمبراطور الفيتنامي "باو داي" في شهر آذار من عام 1945 استقلال فيتنام، لكن هذا الحكم لم يستمر طويلا. ففي شهر آب – على افتراض أن ادعاءات "هاو" كانت قد لاقت أحلافاً لتدعمه لقيادة فيتنام، فقد تنازل الإمبراطور "باو داي " وسلم زمام السيطرة في فيتنام إلى "هوشي منه" الذي أعلن الجمهورية الديمقراطية لفيتنام في شهر أيلول من عام 1945.

وهكذا، بدأت حرب الهند الصينية الأولى في عام 1946 بعد عودة الفرنسيين إلى فيتنام، ولاوس، وكمبوديا، وكانت تلك محاولة فرنسا الفاشلة لإعادة غزو فيتنام وتهدئتها، وبث الدسائس لها في مؤتمر جنيف عام1954 الذي عقد من أجل تقرير مصير الهند الصينية، حيث اعتبر هذا من الحماقات الاقتصادية والسياسية (على كلا الجانبين) التي تلت مؤتمر جنيف حيث أثار اهتمام العامة، ولكن لا يوجد هنا مكان.لعودة الاحتلال الفرنسي لفيتنام.

ولكن، فعلى أية حال، يمكن هنا الاستفادة من بعض النقاط المهمة لكل تجربة:

• أولاً: بحلول عام 1945 كانت المقاومة الفيتنامية في ظل الحكم الفرنسي قد أصبحت حقاً قومياً واسع الانتشار بحيث لم يستطع الفرنسيون أن يعترفوا بأنهم كانوا متأخرين جدا في الفوز بالقلوب والعقول وبشكل كاف لإعادة احتلال الهند الصينية بما فيها العقول المفكرة.

ومن جهة أخرى، فإن احتلال اليابان كان قد صاغ مقاومة وطنية، ولا يمكن لتلك المقاومة أن تنحل بسهولة كما انحلت قبل الحرب وهذا كان على نقيض ما كانت قد قدرته أمريكا في ذلك الوقت، فالقوات العسكرية الفرنسية كانت إجمالاً مدربة ومجهزة جيدا ومقادة بشكل ماهر لكن لم تكن أعدادها كافية أبدا لتقمع مقاومة الفيتناميين للحكم الفرنسي فقد كان كفاح الفرنسيين وجهودهم دون جدوى لهزيمة "فيث مينه".

وهنا كان على الولايات المتحدة أن تتنبّأ – بشكل مخيف– وأن تكافح لإنجاز الهدف المحدود لدرجة تضمن فيها جنوب فيتنام.

• ثانياً: غدت الجمهورية الديموقراطية الفيتنامية معتدة بنفسها وبشكل كبير من قبل"زهو إينليا" وعلى طاولة المفاوضات في جنيف– بعيدا عن فيتنام الموحدة – شعرت الجمهورية الديموقراطية الفيتنامية بأن الكسب على ساحة المعركة سيتلو نصرها على الفرنسيين في "ديان بيان فو" حيث كانت المفاوضات بين الصين وفرنسا سرية لإجبار الجمهورية الديموقراطية الفيتنامية على قبول كلاً من التقسيم وتأخير الانتخابات لتقرير مصير فيتنام النهائي أما المفاوضات الأخرى فتكمن في تدخل "مولوثون" من الاتحاد السوفيتي والتي أجبرت على تقسيم متواز، وتم تحديد تاريخ للانتخابات في صيف عام 1956.

عشية الحرب: المصالح الفيتنامية الشمالية من عام 1945 حتى نهاية حرب الهند الصينية الثانية (فيتنام)

في عام 1975 بقيت مصالح الجمهورية الديموقراطية الفيتنامية بدون تغير وهذا ما ساق كل الأجانب من فيتنام ووحد البلاد تحت الحكم الفيتنامي منذ اعتبار الجمهورية الديموقراطية الفيتنامية أولئك الذين يعملون مع الولايات المتحدة الأجانب كخونة وهذا يعني التصفية لمعظم حكومة جنوب فيتنام وجيشها.

مع حلول عام 1959 كانت الجمهورية الديموقراطية الفيتنامية قد غيرت اهتمامها من التهييج السياسي إلى التحضير للحرب حيث أرسلت أكثر من "4000" جندي إلى الجنوب وبدأت بتشكيلات رسمية وسميت لاحقا أسلوب "هوشيمنه" ولم يكن الطريق المزود بالإمدادات سهلا وعلى الأخص الذي يصل بين الشمال والجنوب عبر لاوس وكمبوديا وبدأ تهريب الأسلحة أيضا إلى الجنوب عن طريق البحر.

و بحلول عام 1961 بدأت قوات الجبهة الوطنية التحريرية الفيتنامية بتصعيد الهجمات ضد حكومة "ديم" في الجنوب وارتفعت مع ذلك اغتيالات زعماء القرى والمسؤولين الإقليميين وقد وصل العدد إلى 1200 قتيل في السنة وكان قد وصل في عام 1959 إلى 4000 قتيل.

وفي المقابل، فقد أثارهم استبدال "ديم" بالرجال العسكريين الأفياء له، ولكن الجاهلين في المجتمعات المحلية لمهام هؤلاء الجنود هم الذين يجب عليهم خدمة البلد وحمايته، وفي عام 1963 كانت الجمهورية الديمقراطية الفيتنامية وقوات الجبهة الوطنية التحررية الفيتنامية قد بدأت بأعمال عدوانية واسعة النطاق ضد فيتنام – التي أصبحت منذ الآن حكومة فيتنام– وفي شهر كانون الثاني كانت خطط الهجوم على قوات الجبهة الوطنية التحررية الفيتنامية قد نشرت في وكالة الأنباء الأميركية على أساس أنها خط ناجحة وجيدة النتائج، ولكن هذه الخطة كانت قد خرجت – بشكل منحرف تماما– عن منهجها. بينما رفض جنود الجمهورية الديمقراطية الفيتنامية عملياً ان يحاربوا، وضربوا بشدة من قبل قوات الجبهة الوطنية التحررية الفيتنامية.

وهكذا، فقد ظلت الجمهورية الوطنية التحررية الفيتنامية عشية حرب الهند الصينية الثانية منفعلة بتوحيد فيتنام تحت الحكم الفيتنامي.

ومن اجل تحقيق هذا الهدف، فقد امتلكت الجمهورية الديمقراطية الفيتنامية قوتان مسلحتان متميزتان وهما الجيش التقليدي الشمالي وجيش حروب العصابات الوطني.

بقيت طبيعة الزعيم "ديم" القتالية موضوعاً للجدل إلى يومنا هذا ويدعي بعض علماء تلك الفترة بأن "ديم" كان مستبداً أو غريب الأطوار، ولكن تقييم شخصية "ديم" كان غير عادل كما أُذيع عنه من قبل الصحفين الأمريكيين، بينما كان أكثرهم يميزونه على أنه فيتنامي قومي حقيقي.

عشية الحرب: مصالح حكومة الفيتنام الجنوبية

كانت حكومة فيتنام منذ بداية عام 1955 على الطريق لتصبح مرادفة لتطلعات "إنغو دين ديم" ولكون هذه الحكومة كانت محكومة بقبضة حديدية لرجل واحد هو "هو شي منه" وهو ما أوخذت عليه واعتبرت كانتقاد، ولكن هذا النقد إن تم، فإنه لا يمكن أن يكون بمنأى عن حكومة فيتنام تحت قيادة "ديم".

إن المدى الذي جعل من ذلك حقيقة، يجعله أبسط لتوضيح لماذا فيتنام توحدت بأقصى الدرجات تحت جمهورية فيتنام الديمقراطية، وليس تحت قيادة حكومة فيتنام؛ ولذلك، فإن "ديم" وطبيعة قيادته تبقى مواضيع مثيرة للجدل حتى يومنا هذا.

ثمة قلة من الباحثين في فترة الادعاءات زعموا بأن صورة "ديم" كشخص ارستقراطي مستبد كانت صورة كاريكاتوية غير عادلة، والتي صدرت من قبل الصحفيين الأميركيين، بينما أكثر ما يمكن وصفه ضمن مواطنيه هو كوطني فيتنامي؛ وكرجل مقتنع بشكل كبير باستقلالياته وتأمينه لمستقبل غير شيوعي لفيتنام.

ونتيجة لذلك، فقد كانت أولويات "ديم" في عشية الحرب تكمن في استمرارية دور الحكم الفيتنامي ولكن ليس كما كان حلفاؤه في الولايات المتحدة يأملون في استمرارية فيتنام الجنوبية والحفاظ على قيمتها وأمنها واستقلاليتها من الحكم الشيوعي(غالباً ما كان الهدفان مختلفان، لكن "ديم" لم يستطع إدراك الفرق).

كان اهتمام"ديم" بتأمين تحكمه الشخصي بفيتنام (الجنوبية أولاً وبعدها فيتنام الشمالية) قد قاده لإعادة بناء مستقرة وثابتة لحكومة فيتنام وجيشها في الوقت الذي كان فيه الوزراء والضباط يتقدمون بشكل كبير اعتمادا على ولائهم له أو على حقد مكنون ضد العدو أكثر من درجتهم أو خبرتهم العسكرية أو القتالية.

وفي العقد الذي يمتد من اتفاقية جنيف حتى عشية الحرب الهندية الصينية الثانية، فقد كان له التأثير المناسب للتقليل من مقدرات جيش حكومة فيتنام إلى النقطة التي كانت فيه قادرة فقط على الضغط ضد المواجهات المحلية وتأمين "ديم" ضد مكائد خصومه في الجنوب. وقد كان ذلك جلياً للولايات المتحدة في الكارثة التي حصلت في مقاطعة (أب باك) في عام 1963.

ولاحقاً، كان نجاح "ديم" واضحاً في تأمين موارد حكمه واعتبارها كأولى تهديداته.

وتحت تهديد الهجومات الحقيقية والمتصاعدة من قبل جمهورية فيتنام الديمقراطية، فقد كان "ديم"غالباً ما يرد بالقمع الوحشي – على الملأ – للمعارضة وذلك ما أضعف من دفاعات جنوب فيتنام.

وبحلول عام 1963 فحتى بعض الضباط الموالين كانوا من ذوي الاهتمامات القليلة في المخاطرة بحياتهم في (المغامرة)ضد الجبهة التحريرية الوطنية الفيتنامية في دلتا نهر "ميكونغ"وكان هؤلاء مدركين أن السماح"الديم"بالاستمرار في غيّه قد يعني تدمير فيتنام الجنوبية، وقد يؤدي إلى تدميرهم أيضا على يد جمهوريه فيتنام الديمقراطية.

كان إعادة هيكلة "ديم" للحكومة الفيتنامية قد اتخذ أفضل جزء من العقد، وبحلول أوائل عام 1960 كان الدبلوماسيون الأميركيون والمستشارون العسكريون قد أدركوا بأن الأمر قد يستغرق أكثر من عشر سنوات من العمل الشاق لإعادة بناء حكومة فيتنامية قادرة على الحصول على دعم جماهيري واسع وهو شرط ضروري ومسبق لخوض وكسب الحرب ضد عدو متفان، وذو موارد رئيسيه متجددة، وما سيتطلبه – على نحو متزايد – من المهارة، ولذلك، فقد كان قرار طرد "ديم" مثيرا للجدل في ذلك الوقت.

وفي المقابل، فقد انتقد البعض في إدارة "جون كندي" القائد "ديم"وعلى الأخص فيما يتعلق بإجراءات"ديم" القمعية التي كانت قد أصبحت بؤرة لغضب الشعب الفيتنامي المكبوت للغاية، ولكن بمن سيتم استبداله؟ وما هو التغيير الايجابي الذي سيجريه بديله؟

قتل"ديم" في الأول من شهر تشرين الثاني /نوفمبر من عام 1963 واستبدل "بـ ناين خانا" الذي سرعان ما بدأ بالعمل الصعب وهو استبدال الحكومة الفيتنامية وإنشاء تحالف من قوات اجتماعية واقتصادية قادرة على الدفاع بشكل فعال ضد الجبهة التحررية الوطنية الفيتنامية، ولكن على كل حال، فقد كان من أهم أولويات "ناين خانا" هي حماية حكمه، ولذلك، فقد استمر الفساد وعدم الكفاءة مما دفع الولايات المتحدة – تحت قياده الرئيس لندون جونسون – لفرض المزيد من التصعيد والدعم الذي من شأنه أن يبدأ مع موافقة الرئيس على العمليات السرية والتجسس والتخريب ضد جمهورية فيتنام الديمقراطية وفي النهاية على التزامات القوات الامريكيه القتالية في شهر آذار/ مارس من عام 1965.

عشية الحرب ومصالح الولايات المتحدة:

لا تزال مصالح الولايات المتحدة في نتيجة الحرب بين جمهورية فيتنام الديمقراطية والحكومة الفيتنامية تبقى مصدر خلاف حتى اليوم وتحت أبسط الشروط، وعلى كل، فإن هناك ثمة اتفاق واسع حول ثلاثة جوانب رئيسية:

- أولاً: مصالح الولايات المتحدة في فيتنام كانت متمثله في مصالح سياسيه شخصيه لرجل واحد وهو الرئيس الأمريكي "لندن جونسون" فقد كان طموح جونسون الحقيقي كرئيس هوتمرير مجموعة من برامج اجتماعية، وكان قد لقبها (بالمجتمع العظيم).

أصبح "جونسون" رئيساً للولايات المتحدة في عام 1963 بعد اغتيال الرئيس "جون كينيدي" في ولاية "دالاس" والذي شرع على الفور بالعمل على انتخابه كرئيس في شهر تشرين الثاني /نوفمبر من عام 1964 على الرغم من أن "جونسون" كان على علم مسبق من إن اغتيال الرئيس "كندي" كان قد خطط له لسحب "16000" مستشار عسكري بريطاني، وكان اغتيال"ديم"قد وضع هذه الخطط في الانتظار في حين قام فريق الأمن القومي الرئاسي بإعادة تقييم التكاليف والفوائد المترتبة على الانسحاب من فيتنام.

وعلاوة على ذلك، فقد كان الرئيس "جونسون" يدرك جيدا أن منافسها لرئيسي، المرشح الجمهوري- السناتور "باريكولدووتر" سيهاجمك "الليبرالي" الذي كان ليناً للدفاع.

ولهذا السبب وحده، فقد تابع "جونسون" دعم عمل عسكري ضد جمهورية فيتنام الديمقراطية بسرية، بما فيها السرية العسكرية وعمليات التجسس والتخريب ضد المنشآت العسكرية لجمهورية فيتنام الديمقراطية[1]. وكان هدفه السياسي الحالي تقديم الدعم الكافي لتحقيق الاستقرار في فيتنام والدفاع عنها ضد اتهامات كولدووتر بأنه كان لينا على الشيوعية. وانتخب مرة واحدة، وانه يعتزم إعادة تقييم فيتنام: ربما تصعيد التزام الولايات المتحدة أو ربما هندسة الانسحاب.

- ثانياً: لم تكن الولايات المتحدة مهتمة أبداً في السعي المباشر للإطاحة بجمهورية فيتنام الديمقراطية. في حين يظل المحتوى مع فيتنام مقسماً عبر المنطقة منزوعة السلاح تماما كما تم تقسيم كوريا وذلك لنفس السبب وهو أنها تخشى من دخول الصين إلى الحرب، وإلى تصعيد محتمل، كما وصفها "جونسون": "بالحرب العالمية الثالثة".

كانت مصالح الولايات المتحدة الأمريكية بهذا المعنى وفقط بذا المعنى موصوفة بشكل دقيق كمصالح (محدودة). ولكن في عام 1965 رأت

1- كانت تلك العمليات صدفة كعملية التخريب ضد جمهورية فيتنام الديمقراطية، بما فيها تجسس الكتروني فائق السرية تم إسنادها إلى السفينة مادوكس وهذا قد كان أول حادث في خليج تونكين في 2 أب 1964 حيث حاولت ثلاثة قوارب دورية فيتنامية مهاجمة السفينة مادوكس بالطور بيدات ولكنهم أبعدوا وبأضرار ثانوية. هجوم ثان تم شنه حيث خطط له في 4 أب ولكن بعد تحاليل ومعلومات أجل إلى 7 أب.

الولايات المتحدة أن نجاة حكومة فيتنام يستحق القتال والموت في سبيله، وتحت الظروف التي كانت مقتنعة بها على أنها:

1. لن تكون تلك الحرب باهظة الكلفة.
2. في دعم النظرية القائلة أن سقوط حكومة فيتنام كان من المرجح أن يقود إلى انهيار منظمات غير شيوعية أخرى في أسيا الجنوبية، ولربما شملت الصين والهند وهددت مصالح حيوية للولايات المتحدة في أوروبا ونصف الكرة الغربي[1].

• ثالثاً: نشر القوات الأمريكية القتالية إلى "دا نانغ" في عام 1965 وكان من رأي الرئيس حيث عبور العتبة، ولكن ليس إلى درجة فوات الأوان ويبدو واضحا جداً حتى اليوم. كما يمكن أن يحدث عدة مرات لاحقاً، في الوقت الذي كان فيه الرئيس "جونسون" ومستشاريه يحاولون استخدام القوات العسكرية الأمريكية لإرسال رسائل واضحة ودقيقة إلى كوريا الشمالية مفادها: "نحن لا نسعى لإسقاطكم ولكن نرفض السماح بدعمكم للعدوان ضد حكومة فيتنام "في حين لم يفهم بالكامل مدى السوء الذي ستترجم به هذه الرسالة. على الرغم من القناعة الأمريكية بأن رسائل القوة هذه كانت دائماً ضرورية ومحدودة للتصعيد الذي من المرجح أن يسفر عنها ولكونها سريعة النتائج السياسية الإيجابية. ولكن، وعندما لم يستجيبوا لتلك الرسالة، قام الرئيس وفريقه باعتماد ذلك كإجابة —وليس عن طريق التشكيك في عملية التواصل— بلعن طريق استخدام الضربات العسكرية كوسيلة إرسال بطريقة أخرى "لتوضيح" الرسالة. وعموماً، فقد ذهبت الولايات المتحدة إلى الحرب في فيتنام لتحقيق الاستقرار ومنع تشكل حلف ما، وما تعتقد— بعد ذلك— أنه الخطوة الأولى في الاستلهام السوفيتي، والصين التي تدعمها، والاستيلاء على الحكم الشيوعي في جنوب شرق آسيا.

1- بعد عام 1968 ظهر بشكل متزايد أن بقاء حكومة فيتنام لم يستحق كلفة حمايتها ولكن عند الولايات المتحدة وجهة نظر عقلانية أخرى للبقاء. قالت الولايات المتحدة بأن حكومة فيتنام ستصمد وحتى هؤلاء في الإدارة أدركوا عقم فائدة الجدال ووافقوا على أن فشل الولايات المتحدة في فيتنام الجنوبية سيهدد مصالحها الحيوية بشكل أخر في مناطق أخرى من العالم.

في عام 1965، كان الرئيس "جونسون"يعتقد بأن القوة العسكرية الأمريكية والتكنولوجيا يمكن أن تجعل من الممكن تأمين حكومة فيتنام بدون تصعيد كبير أو الحاجة لإعلان حرب. فلديها سلطة معاقبة حكومة فيتنام من الجو وتدمير الاستثمار الرأسمالي على الأرض، في الوقت الذي كان فيه معظم العاملين البارزين في الإدارة الأميركية يعتبرون إنها المسألة الوحيدة التي لم تحل بعد، ولذلك، سرعان ما نزلت قوات المارينز في ميناء "دانانغ" وهنا يبرز السؤال: ترى، كم من أساليب العقاب سوف تتخذ وتنفذ قبل الدعوة للانسحاب في الجنوب؟ " (مولر، 500: 1980).

حرب فيتنام

تعتبر الحرب الفيتنامية واحدة من أكثر الارتباطات السياسية العسكرية تعقيدا في القرن الأخير. فالتدخل العسكري للولايات المتحدة، على سبيل المثال، قد تضمّن أربع استراتيجيات متفاعلة ومرتبطة ببعضها:

1) البربرية (الرعد القاصف) ضد الدفاع التقليدي.
2) الهجوم التقليدي ضد الدفاع التقليدي (حرب وحدات القوة الأساسية).
3) الهجوم التقليدي ضد إستراتيجية حرب العصابات(حرب العصابات الأولى في الجنوب).
4) البربرية ضد إستراتيجية حرب العصابات (حرب العصابات الثانية في الجنوب).

التفاعل الأول: الرعد القاصف(1965-1967)

بدأ التفاعل الاستراتيجي الأول للحرب في شهر آذار من عام1965 مع إستراتيجية الولايات المتحدة بحملة التفجير القاسية والتي سميت لاحقاً "الرعد القاصف"[1] والتي كان هدفها الأساسي هو تدمير الإرادة في فيتنام الشمالية لدعم حرب العصابات في جنوب فيتنام وكما كان متوقعاً فقد استغرقت الحملة وقتاً.

1- كانت حجة "بيب" عموماً تتلخص بأنه متى تُستعمل قوة سلاح جوي لاستهداف قوات خصم مسلحة، فإنها عموماً تربح، وعندما تستعمل لاستهداف قيم الخصم (تتضمن البنية الداخلية) فإنها عموماً تفشل إلى حد أنها تبدو كعقاب ونكران يمثل نظرات إستراتيجية مباشرة وغير مباشرة، على التوالي، نزاع بيب، وميرشيمير(1983) قبل وبعد إزالة الألغام، حجة للتأثير السببي المستقل الاستراتيجي على نتائج النزاع (انظر أيضاً مايو 2000) حيث يشرح مايو هزيمة فرنسا في عام 1940 كوظيفة التفاعل الاستراتيجي: حيث أن الألمان كان لديهم ببساطة إستراتيجية أفضل.

ولكن، بدلاً من القيام بالحملة الجوية المنسقة – والتي من شأنها تدمير قدرة العدو على شن الحرب وكسر إرادته في مقاومة العمليات الجوية التي ستشن على الشمال– فقد صممت لتكون كأداة إشارة دبلوماسية يعتمد على"الضغط البطيء" وحسب وزير الدفاع آنذاك "روبرت ماكنمارا" في الثالث من شهر شباط /فبراير من عام 1966 الذي قال: "أهداف الولايات المتحدة لم تكن لتدمير أو لإسقاط الحكومة الشيوعية في شمال فيتنام، ولكنها تقتصر على تدمير التمرد والعدوان الموجه من قبل المؤسسات السياسية لفيتنام الجنوبية. " سامرز (1995: 96).

أرادت الولايات المتحدة ممارسة ما يكفي من الألم على فيتنام الشمالية لحملها على وقف دعم الجبهة التحررية الوطنية الفيتنامية "الفيتكونغ" (Viet Cong) في الجنوب. في المقابل، فقد كان دفاع شمال فيتنام ضد "الرعد القاصف" دفاعاً تقليدياً: فهو يسعى لإحباط الهجمات العسكرية الأمريكية على البنية التحتية والقوات وذلك بواسطة الطائرات المقاتلة، والرادار وشبكة صواريخ أرض– جو الدفاعية التي زودت بها من قبل السوفييت. كان جنرالات سلاح الجو الأميركي والقادة المدنيون قد اشتركوا بنظرية واحدة حول الفعالية العامة لإستراتيجية القصف كإستراتيجية. فالقصف الاستراتيجي ينبغي أن يكون قد عرقل كل من الجهود الحربية لفيتنام الشمالية (الاعتراض) وإكراه قيادتها على الاستسلام (الألم) وتوقع – في حالة عدم الحصول على أي من التوقعين– استقباله، في الوقت الذي تواجه فيه النخبة العسكرية والمدنية خياراً قاسياً: إما رفض النظرية، أو عدم إلقاء اللوم على بعض العيوب في تطبيقها.

وهكذا، فقد اختارت القوات الجوية التأكيد على العيوب، في حين كانت إدارة الرئيس "جونسون"قد أصبحت منقسمة وإن بشكل متراجع حيث وافق البعض على أن الولايات المتحدة كانت تضرب الأهداف الخطأ، أو عدم ضرب الهدف الصحيح بقوة كافية، في حين أن القادة الآخرين– بمن فيهم وزير الدفاع ماكنمارا في النهاية –قد استنتجوا أن القصف الاستراتيجي ضد مليشيات(DRV جمهورية فيتنام الديمقراطية) وفي جمهورية أفغانستان الديمقراطية لم يتمكن من العمل.

كانت تقارير"مكنمارا" تشير إلى أن القيمة العسكرية للأهداف المدمرة لعملية "الرعد القاصف" كانت صفراً[1] في حين كانت الأضرار الجانبية المقبولة اللاحقة لهذا

1– الفائدة السياسية تقدر بأقل من الصفر: فقد زادت المعارضة الداخلية والخارجية للمجهود الحربي الأميركي، وعلى الرغم من أن شمال فيتنام خشي وكره القصف، لكنه لم يفكر أبدا في تغيير أهدافه الحربية نتيجة للمعاناة غير المحتملة التي سببتها.

الاعتراف تكمن في أن هناك ثمة مكان للصدارة للتصرف الهمجي في مقتل وإصابة الأفراد المدنيين وغير المحاربين وممتلكاتهم وعلى الرغم من أنها لم تكن مقصودة على وجه التحديد، إلا أنها كانت منفذة بشكل جماعي متعمدة وممنهجة.

كانت عملية "الرعد القاصف" قد استمرت حتى قبل أسبوع واحد من انتخابات الرئاسة الأمريكية في شهر تشرين الثاني / نوفمبر من عام 1968. وقد كان التفاعل يتلخص بكونه قد وظف الطرف القوي (الولايات المتحدة) كإستراتيجية غير مباشرة ضد الطرف الضعيف (فيتنام الشمالية) التي كانت تستخدم إستراتيجية مباشرة، ولكنها خاسرة[1].

التفاعل الثاني: حرب قوة الوحدة الرئيسية (1965-1969)

كانت حرب وحدات القوة الرئيسية قد عرضت سلسلة من معارك ضارية بين وحدات نظامية من فيتنام الشمالية ومن الولايات المتحدة الأمريكية والجيش الجنوبي للفيتنام (ARVN). ففي سلسلة من الاشتباكات التي استمرت طوال فترة الحرب، كانت القوات الأمريكية قد أثبتت نجاحا ساحقاً في تدمير الوحدات الرئيسية للثوار(VC) وللجبهة الوطنية التحررية الفيتنامية(NVA جيش فيتنام الشمالي) ولجيش فيتنام الشمالي على حد سواء. ويعتبر ذلك المثال من الأمثلة الجلية على هذا التفاعل الذي عارض إستراتيجية الطرف القوي التقليدية مع إستراتيجية الطرف الضعيف التقليدية، والتي شملت عملية "ستيرلينغ" في شهر آب / أغسطس من عام 1965، ومعركة "لا درانغ" في شهري تشرين الأول / أكتوبر وتشرين الثاني / نوفمبر من عام 1965، ومعركة "هراسة الجناح الأبيض في شهر ي كانون الثاني /يناير وآذار / مارس من عام 1966، والمرحلة الثانية من عملية "آتليبورو"ي شهري تشرين الأول / أكتوبر وتشرين الثاني / نوفمبر من عام 1966.

لمكافحة التمرد. كما استمرت الحرب البرية لعام 1968، ثم تضاءلت وتيرة هذه التفاعلات، في حين ركزت القوات الأمريكية في الجنوب وبشكل متزايد على معالجة مشكلة جزء من انخفاض وتيرة هذا التفاعل التي عكست عملية تعلم الطرف:

1- لا أحد من المشاركين في الحملة على الجانب الامريكي قد اعتبر عملية "الرعد القاصف" ناجحة، على الرغم من أنه من الإنصاف القول إن الأسباب المقترحة لتفسير فشل الحملة كانت عديدة ومثيرة للجدل. من وجهة النظر العسكرية، لكن الإجماع كان إن الحملة فشلت لأنها أخطأت في الوسائل العسكرية والسياسية لهذه الغاية. وللإطلاع على مزيد من المناقشة والتحليل الدقيق لعملية الرعد القاصف الهدف والأثر، انظر على سبيل المثال، طومسون (1980)؛ هيرينغ (1986: 147)؛ كولد فيلتر؛ وبيب (11)–هذه الأمثلة جيء بها من سامرز (1995) ومارك ليبسون (1999).

حللت قيادة فيتنام الشمالية ارتباطات وحدة القوى الرئيسية باعتناء، وخلصت إلى أن القوات الأمريكية كانت بارعة في الجمع بين المناورة وقوة النيران التي، ما لم تحصل المواجهة بين القوات المزروعة بشكل كبير (في منطقة الهبوط الثاني في تشرين الثاني / نوفمبر 1965) حيث كانت وحدات القوة الرئيسية للجبهة التحريرية الوطنية الفيتنامية (VC) وجيش فيتنام الشمالية (NVAجيش فيتنام الشمالي) يتم تدميرها بشكل دائم.

وفي سياق تحذيرات "مايو" أعلاه، فإن القوى المحلية الوطنية كانت تقاتل بأسلحة قديمة وغير فعالة، وهكذا، ومثل ما كان متوقعاً، فقد خسروا.

استناداًعلى أسس عملية "الرعد القاصف"والتي حققت هدفها في إلحاق ضرر إضافي بالمدنيين وبالأشخاص غير المحاربين، في الوقت الذي يرى فيه "كارنو "(1983: 397-458) بأن ذلك لم ينظر إليه كمانع أخلاقي نسبي للأمريكيين أثناء عملية "الرعد القاصف" "كارنو" (1983-653) ولتكريس تحليل عملية "الرعد القاصف"وفشلها، يرى "ثومبسون" (1980) الموضوع من نفس الزاوية وهو أن الأمريكيين لم يكترثوا كثيراً لما يدعى بالنوازع الأخلاقية في الحرب أو يفرقون بين المدنيين العزل وبين المحاربين، وذلك لمعالجة النظرية التي تتوقع فرضية التفاعل الإستراتيجية.

في حين يرى"بيب" أن تلك العملية كانت خاسرة في هذا التفاعل، ومن ناحية أخرى، فقد كانت كوريا الشمالية قد بدأت بمشاريع الابتكار التكتيكي وما يتعلق بالاستراتيجيا:

فعلى المستوى التكتيكي، حاولت وحدات من جيش فيتنام الشمالي "التمسك بحزام" الولايات المتحدة أو بقوات ARVN "كارنو "463-1984والتقرب منها بسرعة بحيث أن قوات التحالف لا تستطيع الاستفادة من وثيقة الدعم الجوي أو المدفعية. ومن الناحية الإستراتيجية، فقد كان للتنقل نحو الشمال ميزات أفضل لموارده في حرب عصابات في الجنوب.

التفاعل الثالث:حرب العصابات في الجنوب 1965-1973 شن الفدائيون في الجنوب حملتهم بمهارة كبيرة وقاوموا بمزيج من المهارات والسادية والعجز. ومن هنا، فإننا نجد في هذا البعد للصراع أن الجهود الأمريكية قد بذلت بشدة أكثر من أي حملة

أخرى ولكنها كانت قد كُبحت من خلال الحكومة الفيتنامية[1] ولكن في المناطق التي كان الجيش الأمريكي مسؤولاً عنها، كانت المحاولات الأولى لهزيمة التمرد في الحكومة الفيتنامية تتضمن تحطيم المهمات.

وفي أسلوب التمرد كانت وحدات الجيش المنظمة، تتصرف وفق الاستخبارات المحلية التي كانت تحدد مكان تجمعات وحدة العدو بحيث تصل لهذه التجمعات وتحطمها فتضمن بذلك مناطق آمنة واسعة النطاق، وكانت من ضمن عمليات هذه المرحلة عملية "اتليبور" في شهري أيلول وتشرين الأول من عام 1965 وسقوط عملية "سيدر" في شهر كانون الثاني من عام 1967وعملية مدينة "جمكش" في شهري شباط وأيار من عام 1967 وبذلك تكون المواجهة قد حررت نفسها على مقياس أصغر في كافة أنحاء الحرب.

كانت القوات تقتل من كلا الجانبين، ولذلك، فقد انتقل ميزان الحرب الاستراتيجي ببطء لصالح الحكومة الفيتنامية بسبب أن القوات الأمريكية كانت قد اعتمدت بشدة على القوة النارية غير المباشرة وعلى التكتيك الجوي ودعم المدفعية، ونتيجة لذلك، فقد كان عدد الجرحى والقتلى من المدنيين ومن غير المقاتلين كبير جداً(اسبرى 1994:881) كما لم تكن جهود التجهيزات الحربية الأميركية فاشلة كلياً أو ناجحة بسبب تلك الهمجية، فعلى سبيل المثال: كان سلاح البحرية الأمريكية– في أقصى شمال منطقة جنوب فيتنام– قد أجبر على متابعة إستراتيجية الحملة العسكرية التي تضم قوى محلية مندفعة من مقر "ديون" مع دعم مباشر من الفصائل المقاتلة للبحرية الأمريكية– على الرغم من أنهم كانوا ضعيفي التدريب والتجهيز– فإن هذه الفصائل كانت قد اشتغلت على مبدأ حرب الغابات أو "القرية الآمنة"ثم يقيمون بدورهم خارجياً بشكل دائري حتى تتقاطع هذه الدوائر مع المناطق الآمنة الأخرى، ولكن كان لهذه الإستراتيجية خطران رئيسيان:

1– كان التأثير العشوائي للجيش الأميركي شديد على المدفعية والدعم الجوي بشكل مستمر وبتقدم تدريجي مع إمكانية عزل الحلفاء بين الناس الموجودين جنوب فيتنام على أي حال فإن القوات الأمريكية الخاسرة لم تكن بطيئة لابتداع رد الإستراتيجية. وقد سجل الأداء لوحدة ((ARUNمختلف بعض ضباطها كانوا يمتدحون شجاعتهم ومهارتهم وولائهم بينما كثيرا منهم فقط عبروا عن عجزهم وجبنهم وتقاضيهم للرشى أنظر مثلا كارنو-1983-441 فصول صيف 1995:80).

ثانياً– على الرغم من الفعالية العسكرية، نجحت كاب (CAP)فقط بإلقاء الضوء على عجز حكومة جنوب فيتنام بحماية مواطنيها. ولذلك، خسرت الولايات المتحدة الأمريكية هذا التفاعل وقوى المحاربة دربت وجهزت لمحاربة خصمها المنظم ذو البدلة الموحدة مستخدما الأسلحة النارية الهائلة ليس كعدو خفي والرافض بان يقابلها بالمعركة الصدمة غير المتوقعة للجيش الأمريكي والجيش الفيتنامي هي الثقة الواسعة بالمدفعية والدعم الجوي تدريجيا حول الحلف الكامن مع سكان فيتنام الجنوبيين ومع ذلك القوات الأميركية سوف تبتكر إستراتيجية الرد.

- أولاً:بالرغم من إنها كانت تحمي الفيتناميين الجنوبيين من الخطر المحدق من الهجمات الإرهابية من قبل الحكومة الفيتنامية، لكنها كان يمكنها أن تنجز نجاحاً فقط على المدى البعيد (سبري:1994: 848)

- ثانياً: ولكن بالرغم من أنها كانت فعالة من الناحية العسكرية، إلاّ أنها أبرزت عدم قدرة قوات الحكومة الفيتنامية الجنوبية في حماية مواطنيها ولذلك فقد خسرت الولايات المتحدة هذه المواجهة على الرغم من أنها كانت مجهزة لمواجهة عدو منظم يستخدم قوة نارية هائلة وليس عدواً مخيفاً لم تواجهه خلال المعركة.

التفاعل الرابع حرب الفيتنامية في الجنوب من 1965–1973

استهدفت الإستراتيجية الأمريكية تحطيم مخيمات الفدائيين في الجبهة التحريرية في الجنوب واتخذت لتحقيق ذلك برنامجين:

- الأول: كان برنامج "هامليت" الاستراتيجي.
- الثاني: كان برنامج "فينكس".

وفي المقابل، فقد أعاد برنامج"هامليت" الاستراتيجي الأمريكي تفعيل برنامج "أغروفيل"وفي هذه العملية تم ترحيل القرويين في جنوب فيتنام عن بيوتهم يالقوة ووضعهم بقرى محصنة وقد اتخذت القرارات لتطبيق ذلك عملياً.

كان لهذا البرنامج فائدة عسكرية كبيرة لتحطيم شبكات التجسس والاستخبارات التابعة لجبهة التحرير وكلف ذلك قلب الرأي العام الأمريكي ضد الحرب وعلى الأخص حين بثت الأخبار الليلية بكاء الفلاحين الذين أجبروا على ترك قراهم، ولكن هذا البرنامج لم يطبق (وفي معظم الحالات فشل المسؤولون الفاسدون بتوصيل الأسلحة، وقاموا باختلاس المعونات النقدية وغيرها من التي كانت موجهة للقرى المحصنة والمجتمعات الآمنة) "كارنو"(صفحة 257).

عزل البرنامج الناس ذوي النية الحسنة بأن الولايات المتحدة الأمريكية وفيتنام يريدون كسب الحرب والذين أجبروا على هجر منازلهم والرحيل، فانقلب العديد من سكان فيتنام الجنوبية على الحكومة وأصبحوا أعضاء نشيطين في جبهة التحرير عن طريق إنقاص برنامج مكافحة التمرد وزيادة كلفته السياسية، الأمر الذي أدى إلى انتشار

الفساد والعجز الحكومي الفيتنامي وكانت النتيجة كارثية على برنامج "هامليت" الاستراتيجي.

كان الإبتكار الأميركي الثاني هو برنامج "فينيكس" والتي استمرت أهدافه وتشريعاته بخلق مناقشة حادة (أسبري، 1994: 910-911)

كانت نظرة الجيش العام تتلخص في أن عملية "فينيكس" كانت عملية عسكرية شرعية، وقد امتدت لتطال مجموعة من الاستخبارات لاستهداف وتدمير قيادة جبهة فييتنام الوطنية التحررية.

وقد أثبتت أنها المبادرة الإستراتيجية الوحيدة الناجحة في حينه، ولذلك تمت متابعتها من قبل القوات الأمريكية أثناء الحرب. بالنسبة لمعظم المراقبين، المؤرخين والمشاركين، فإن الجهود المتواصلة لقتل المدنيين قد طرحت أسئلة مربكة حول شرعيتها ولكونها امتداد لسياسة الولايات المتحدة، أو كسياسة لمكافحة التمرد بغضّ النظر عن فاعليتها. وعلى كل حال، فإن الولايات المتحدة كانت قد ربحت في الاشتباكات، في الوقت الذي لم يطبق فيه برنامج القرى الصغيرة الاستراتيجي بطريقة مناسبة أبداً. لذا فإن اشتراكها في نجاح الولايات المتحدة كان معدوماً. وبالمقابل فإن سياسة برنامج "فينيكس" التي هدمت البنية التحتية لقيادة جبهة فيتنام الوطنية التقدمية في الجنوب، قد تكون استفزت الجيش لمواجهة مباشرة سابقة لأوانها وكارثية مع القوات الأمريكية النظامية خلال معركة "تيت" عام 1968 لأن كلا الإستراتجيتين استهدفتا المدنيين بشكل منتظم ومتعمد، وكلا الإستراتيجيتين تعتبران على أنهما إستراتيجية وحشية- وان كانت الوحشية هي النهاية المعتدلة لسلسلة الانتهاكات.

النتيجة: خسارات شمال فيتنام ثم فوزها.

كان جيش فيتنام الشمالي – بدءاً من شهر آذار وحتى شهر نيسان من عام -1975 قد سحق الجيش الفيتنامي في ساحة المعركة[1]. وهكذا، فإن تسلم قيادة القوات الأمريكية من قبل الجنرال "كريتون ابرامز" في شهر تموز من عام 1968 وإصلاحاته اللاحقة، وابتكاراته -المؤدية إلى انهيار افتراضي لتهديدات جنوب فيتنام العسكرية للفييت كونغ والجيش

1- "فينكس": كانت أسما مرمزا لبرنامج الاغتيال الأمريكي الذي يهدف قتل قادة الجبهة التحريرية الفيتنامية

الفيتنامي الشمالي – قد أثبتت أنه لا علاقة لها بالنتيجة، لدرجة استمرارها بإعادة البناء(انظر، سورلي. 1999) وإعادة تأهيل الجيش الأمريكي[1].

تحليل: التفسيرات التنافسية لنتائج حرب فيتنام

تعتبر نتيجة حرب فيتنام أحجية في نظرية العلاقات الدولية لسببين:

• السبب الأول: بالنسبة لكل النتائج غير المتوقعة المكتشفة في هذا الكتاب، فإن انتصار جمهورية فيتنام الديمقراطية لا يزال أحجية في نظر العالم لأن الولايات المتحدة التي تعتبر الطرف الأقوى هنا قد خسرت الحرب أمام الطرف الأضعف الذي هو جمهورية فيتنام الديمقراطية.

• السبب الثاني: إن جمهورية فيتنام الديمقراطية قد ربحت الحرب على الرغم من خسارتها في ارض المعركة وهذا على خلاف جميع الأطراف الضعيفة كحالات تم دراستها في هذا الكتاب. ولكن كيف يمكن تفسير هذه الأحاجي؟

مصالح الأطراف:

• التفسير الأول: إن انتصار جمهورية فيتنام الديمقراطية – كما عرف من قبل كل المراقبين في جمهورية فيتنام الديمقراطية– كان بسبب الاستماتة في سبيل تحقيق النتائج.

وهكذا، وانطلاقاً من فكرة الإيمان بالوطن، فقد شقت فيتنام طريقها في سبيل التجسيد الحي لفكرة (أسد ميت خير من ابن آوى على قيد الحياة) أو (شعب مُباد خير من شعب يعيش تحت نيرا لحكم الأجنبي)[2].

ولكن، على الرغم من أنه كانت تتجلى – خلال الحرب – مشاعر بالكفر بتلك الأفكار (ومن الممكن وجود هذا الشعور في جمهورية فيتنام الديمقراطية بالتحديد) وبالإضافة لهذا الشعور، فقد كان هناك دائماً قلق منطقي بأن تلك الأفكار كانت تمثل

1- عني برنامج هاملت الاستراتيجي بفيتنام باعتماد منطق:النجاح أو الفشل. نظرية كرونو (1983:255—257) هيرنغ(85:1986–86، 88–90) .

2- إذا اعتبرت القدرة على امتصاص كل من الصدفة والمتطلبات السياسية الطموحة والضاغطة باستمرار كمؤثر فإن جمهورية فيتنام الديمقراطية هي جماعه لامثيلها. كما عبر عنها موليير (الشيوعيين خسروا ما يقارب اثنين ونصف لثلاثة ونصف في المئة من شعبيتهم ما قبل الحرب وأثنائها بما فيها ضحايا المعركة)

الدعاية السياسية لنظام الحكم المنفصل أكثر من تمثيلها لطموح الشعب الحقيقي، ولذلك، كان الشعب غالباً ما ينقسم تاريخياً. بيد أن التوازن في الأدلة دعم الرأي القائل بأن إصرار حكومة فيتنام الديمقراطية وحلفائها ال72 في الجنوب لم يسبق له مثيل تاريخياً. ولكن كيف يمكن مقارنة هذه الحرب مع غيرها من الحروب؟

فمن ناحية، تعتبر الحرب الأمريكية– الفيتنامية تقريبا غير مسبوقة، ونادراً ما تحدث هكذا حروب في المئة حرب دولية خلال فترة الستين عاماً الأخيرة.

ومن ناحية ثانية، فإن هناك حالات قليلة تجاوزت فيها نسبة فقدان الشعبية لمستوى 2% من معظم هذه الحالات التي حدثت في الحربين العالميتين الأولى والثانية، حيث كافحت الدول الصناعية من أجل وجودها مستخدمةً أسلحة مدمرة ومعقدة.

في الحرب العالمية الثانية كانت ألمانيا – في حربها على الاتحاد السوفيتي– قد خسرت ما يقارب نسبته 4.4 % من شعبيتها قياساً مع فترة ما قبل الحرب وذلك بعد وقوع الضحايا الكبيرة في المعارك.

وخسرت في حرب النمسا– هنغاريا نسبة 2.3 % وعلى فرنسا 3.3 % ورومانيا4.6 % وانكلترا2 % (مويلير، 1980، 507، 508)

ربما يكون الجنرال "أبرامز" قد دمر قدرة جمهورية فيتنام الديمقراطية وجبهة التحرير الوطنية الفيتنامية على إعادة توحيد فيتنام وأعادهم عشرين عاماً إلى الوراء.

ولكن حتى في ظل هذه الظروف، فإن جمهورية فيتنام الديمقراطية لم تظهر أي إشارة تدل على ضعف إرادتها لتوحيد فيتنام، وإنا ستغرق ذلك عشرين أو خمسين أو حتى مئة سنة إضافية.

وباختصار، فقد كان عزم جمهورية فيتنام الديمقراطية لا يقبل أن يتم تأطير بقائها ضمن نظرية العلاقات الدولية (على سبيل المثال لا تقبل اعتبارها الطرف الأضعف) ومن ناحية أخرى، فقد كانت رافضة لمعارضة القومية للحكم الأجنبي بحسب موازيين القوى. وبالمقارنة مع هذا، فإن الولايات المتحدة لابد من أن تبدو قليلة الشأن.

كانت الولايات المتحدة تسعى فقط للإبقاء على الحكومة الفيتنامية، ولكن بحلول عام 1965 أصبحت الولايات المتحدة ترى في الإبقاء على الحكومة الديمقراطية كجزء هام لإستراتيجيتها الشاملة لاحتواء الشيوعية، وبدورها كانت

مصلحة أمنية وطنية محورية للولايات المتحدة، لأنه في حال عدم احتوائها في حال انتشارها ربما ستهدد بشكل مباشر مصالح الولايات المتحدة في حرب فيتنام الأهلية، لكنها كانت بعيدة المنال بشكل أكبر مما اقترحته أطروحة المصلحة غير المتوازنة (كانون 1983، 377–378) ولكن ليس أكثر بعداً من مصالح جمهورية فيتنام الديمقراطية وجبهة التحرير الوطنية الفيتنامية.

كان السبب الأساسي لخوض الولايات المتحدة الحرب فيتنام هو وجود العديد من العاملين في أدارة كل من الرئيسين "جون كنيدي، و"جونسون" الذين يؤمنون بأنهم في حال لم يقاتلوا الشيوعيين في فيتنام عاجلاً، فإنهم سيجبرون على مقاتلتهم في أوروبا أو في نصف الكرة الأرضية الغربي آجلاً.

ولذلك، فقد كانت حرب فيتنام بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية حرباً "محددة" وليس لأن قدر جنوب فيتنام كان اهتماماً سطحياً للولايات المتحدة، بل لأن النخب السياسة في الولايات المتحدة كانت تعتقد بأن استخدام القوة في توازن المصالح الأميركية ربما يحفز التدخل العسكري والذي قد يؤدي إلى حرب عالمية ثالثة.

وبالمقارنة، توضح النظرية الثامنة – التي سبق ذكرها في فصول الكتاب– النتائج النسبية للقوة المادية النسبية لأي صراع غير متكافئ، ولذلك، فهي غير مدعومة في الوضع الفيتنامي لكون المشكلة تكمن في عدم تماثل مصالح الفيتناميين في حرب فيتنام، ولكونها قد حدثت على أية حال غير أنها فسرت القوة النسبية بشكل سيء، ولكن بدلاً من ذلك فهي لم تستطع تفسير تباين النتائج المحتملة. في عام 1968 كانت الولايات المتحدة الأميركية لا تزال ملتزمة بأفكار أن نجاة حكومة فيتنام كانت مصلحة وطنية لأمن أميركا، وتحت نظرية حماية مصداقية أمريكا (عوضا عن نظرية الدومنة المبكرة).

وفي عبارة أخرى، فإن كلا الطرفين كانا على نفس القدر من الالتزام، وبشكل مستقل عن التوازن المذكور للقوات القسرية، ولكن تلك الالتزامات قادت الولايات المتحدة لأن تكون الطرف الذي ربح الصراع العسكري على أرض الواقع. وهكذا، ونظراً لارتفاع المصالح المادية والقدرة على الاستمرار في تصعيد استخدام القوة ضد ضعف الخصم، فإن الولايات المتحدة لا يجب أن تكون مستضعفة سياسياً، ولكنها كانت مستضعفة سياسياً، وذلك الضعف السياسي للولايات المتحدة كان كما توقع في نظرية "مارك": لقد أجبرت الولايات المتحدة لكي تكون كذلك في الحرب.

وهكذا، فإن المصالح اللا متناظرة هي تفسير فقير للغز انتصار جمهورية فيتنام الديمقراطية، وربما كان نوع النظام هو أفضل نوع، وربما ربحت جمهورية فيتنام الديمقراطية لأن بنيتها الاستبدادية قدم كنتها من التحكم التام بالمعلومات عن ساحة المعركة. كما مكنّها أمن الاشتراك بأكثر التكتيكات وحشية – وعلى ذلك الأكثر فاعلية– أكثر من خصمها.

وفي الحقيقة، فقد أبقت جمهورية فيتنام المعلومات حول نتائج الحرب على درجة فائقة من التحكم وحول الدرجة التي دفعت عدوها للتصرف بشكل وحشي.

وبشكل عام فإن الجمهورية الفيتنامية قد كذبت على شعبها، وكذبت تقريباً بشأن كل جانب من جوانب الحرب من حيث تصرف قوات الولايات المتحدة والجيش الفيتنامي وحتى الخسائر التي تكبدوها وخسائر العدو على حد سواء.

وفي المقابل، فإن جهود الجمهورية الديمقراطية الفيتنامية للتحكم بالمعلومات من ساحة المعركة قد كلفتها ثمنا باهظا من الموارد. وقد تم إعانتها من واقع أن معظم الجنود من الجيش الفيتنامي الشمالي وقوات "الفيت كونغ" لم يكونوا من المثقفين، لذا لم يكونوا قادرين على كتابة الرسائل بحيث استطاعت نسخ الأحداث البديلة أن تتنافس مع جمهورية فيتنام الديمقراطية، وقد كان ذلك حقيقيا – وعلى حد سواء – من الجيش الفيتنامي ولكن ليس من القوات الأمريكية التي عجلت رسائلها للديار بإحداث فجوة من المصداقية التي اتسعت من قبل الصحافيين من مسرح الأحداث.

هنالك أيضاً ثمة دليل كاف من أن حلفاء جمهورية فيتنام الديمقراطية وقوات "الفيت كونغ" لم يلاحظوا أن اتفاقية "جينيف" التي نظرت بعين الاعتبار لحسن معاملة المدنيين في الحرب–الذي يطال الجنود المستسلمين لسجناء الحرب وجنود العدو الذين جرحوا في الاشتباك (العديد منهم تم تعذيبهم ثم قتلهم أو قتلهم في أماكن تواجدهم).

كان النقاش في فيتنام على وجه الخصوص حول الاستعداد للتصرف بوحشية متعمدة على أنه كان ضروريا جداً للفوز والأسر في أي مكان، ' ومن أفضل ما يمكن وصفه حول ذلك قيل عن لسان الكولونيل"أي. كورتز" في فيلم"فرانسيس فورد"الذي صدر عام 1979 والذي حمل عنوان "القيامة الآن":

"من المستحيل أن نترجم بالكلمات ما يعنيه الرعب لأولئك الذين لا يعرفونه، أذكر حين كنت مع القوات خاصة، وحين ذهبنا لمخيم لتلقيح الأطفال، وغادرنا المخيم

حال انتهائنا من تلقيحهم ضد مرض شلل الأطفال، ثم ما لبث أن ركض رجل مسن ورائنا وهو يبكي، لم يتمكن من الكلام فعدنا أدراجنا إلى المخيم، ولكن المحاربين كانوا قد تسللوا وجاءوا خلفنا وقطعوا كل ذراع تم تلقيحها ثم جمعت في كومة كبيرة من الأذرع الصغيرة المقطوعة، أتذكر حينها أني بكيت كما تبكي الجدة، ثم أدركت أنهم أقوياء بل أقوى منا لأن بإمكانهم تحمل ذلك. لم يكن أولئك وحوشاً... لقد كانوا رجالاً – كادراً مدرباً–هؤلاء الرجال الذين قاتلوا من قلوبهم لديهم أسر وأطفال أيضاً، وكانوا ممتلئين بالحب، ولكن كانت لديهم القوة، القوة لفعل ذلك، ولو كان لدي عشر مجموعات من هؤلاء الرجال لكانت مشاكلنا هنا قد انتهت بسرعة كبيرة. يجب أن يكون لديك رجال خلوقين، وبنفس الوقت قادرين على استخدام غرائزهم الأساسية للقتل من دون مشاعر ومن دون شغف ومن دون حكم، لأن الحكم هو ما يهزمنا".

إن ضعف حجة حكومة فيتنام كانت أيضا مستبدة وذات رغبة كاملة للانتصار "وفعل ما هو ضروري للنصر"، ولكن جيش فيتنام كان دائماً يقول بأن الفعالية العسكرية كانت أكثر من أن تكون إعانة للجيش. وفي حسابات قوة الولايات المتحدة والدبلوماسيين في المسرح، فإن جيش فيتنام كان في الحقيقة أكثر وحشية ولكن أقل فاعلية، في حين انشغلت القوات التي كانت ضد جمهورية فيتنام الديمقراطية والجبهة التحريرية الوطنية الفيتنامية بالحرب.

وفي المقابل، فقد أثبتت قوات الولايات المتحدة وحشيتها بمناسبات متعددة (إن مذبحة "ميلاي" أصبحت من أكثر الحوادث الشعبية والمشهورة) وكان قد لوحظ فوق كل هذا أن الضرر الإضافي الكبير بالهجمات بالقنابل الإستراتيجية قد صممت على إجبار وإخضاع جمهورية فيتنام الديمقراطية وذلك من خلال إصابة قواتها بالألم. وكانت فعالية الجيش بالهجوم لا تذكر في حين تصاعدت نقاط التدمير في مقاطعة سد ما يسمى "النهر الأحمر" (حيث ارتفع معدل قتل جمهورية فيتنام الديمقراطية إلى مليون مدني) وبعد ذلك جادل كولونيل جيش فيتنام الشمالي بأن النتائج ستكون كارثية على الولايات المتحدة:

"ومثل هذه المأساة، فسوف يكون الوضع شبيهاً بما حدث في مذابح مدينة "هانوي" ومناسبة لتأجيج مناهضة الأمريكيين في جميع أنحاء العالم وكذلك الاحتجاج –وعلى نطاق واسع– ودعم المساعدات الدولية، ولحشد كامل الكتلة الاشتراكية.

وشعوري هو عندما تنال من النظرة الاجتماعية والجنون الثقافي الذي إلفه الفيتناميون، بما فيها تحطيم السدود، فإن ذلك يمكن أن يعمل لصالح مدينة ونظام "هانوي".

وبالتأكيد، فإن الحكومة سوف تواجه العديد من الصعوبات وسيعاني السكان من مصاعب لا حصر لها، ولكن جهودهم للحرب قد تضاءلت....... (تين –2002 34)"

لكن الخلاف القوي للمصالح وتأثيرات نوع النظام الهيكلي وشكل الخلاف يكمن في تركيبة وهيكلية نظام جمهورية فيتنام الديمقراطية وحكومة فيتنام– كلاهما أنظمة استبدادية– ولم يصرحوا بالسخط العام للحرب، أو كيف يتم القتال، أو التأثير على السياسة. ولكن هيكلية حكومة الولايات المتحدة – نظام الديمقراطية– والسماح للتأثير على الرأي العام لسياسة الولايات المتحدة، وآخرون يميزون، وبشكل صحيح الضعف السياسي، وتحديد كيف تعمل قوة الولايات المتحدة بالرغم من تحقيق انتصار عسكري في مسرح الحرب، ولكن الرؤيا الأهم هنا، على أية حال، هو التساؤل حول هل سقطت الولايات المتحدة رغم أنها كانت دولة ديمقراطية؟

الجواب هو لا، لأنأهم اعتبار هنا، على كل حال، هو ما إذا كانت الولايات المتحدة قد فشلت بسبب ديمقراطيتها. وهنا، فالجواب هو أيضاً لا وذلك بسبب اعتبارين:

• أولاً– إذا كانت الديمقراطيات مرتبطة بتصرفين معيقين على أرض المعركة (تاريخيا ليست ارتباطا معقولاً) وعندها كانت الولايات المتحدة–كما قدر "ميروم"– قد تكون خسرت لأنها لم تستطع " تصعيد درجة العنف والوحشية إلى الحد الذي يضمن النصر" (ميروم، 2003: 15). وهكذا، فمن الصعب المجادلة في أن الولايات المتحدة وجيش فيتنام (ARVN) لم يكونا قاسيين بما فيه الكفاية باعتبار أن DRV جمهورية فيتنام الديمقراطية جمهورية فيتنام الديمقراطية خسرت ما نسبته 2.5 % إلى 3% وبشكل أكبر حتى من تلك التي عانت منها اليابان في الحرب العالمية الثانية (اليابان خسرت ما يقدر ب 1.4% في هذه الحرب).

• ثانياً – من الصعب المجادلة بأن الولايات المتجدة في حرب الفيتنام كانت أكثر ضعفاً سياسيا– إذا أخذنا مصالحها العليا في النتائج بعين الاعتبار– مما كانت في حرب الخليج الأولى في عام 1990 حيث أن السبب الجوهري لتدخل الولايات المتحدة كان فقط لحفظ "نظام العالم الجديد" (ولم يذكر شيء عن الدوم ينو).

ورغم ذلك، فالولايات المتحدة وحلفائها – قد تسببوا في سقوط عشرات الآلاف من قتلى الحرب في صفوف خصمهم المشؤوم، العراق – بينما لم يتكبدوا بدورهم سوى عدد قليل من القتلى من طرفهم، والذي لم يتجاوز المئات.

وهكذا، فقد ربحت الولايات المتحدة وحلفائها وبشكل حاسم وبسرعة، وأجبرت العراق على الموافقة على شروط مهينة للاستسلام، ومن هنا، فإن الضعف السياسي يقود الديمقراطيات من الحرب حينما لا تؤثر على الأنظمة المستبدة، ولكن فقط عندما يكون هناك فجوة في الوقت بين التزام القوى المسلحة وإجازات الأهداف السياسية، وهذا ما حصل في فيتنام.

وفي المقابل، فعلى الرغم من أن نوع النظام يعتبر مهماً ولكن ليس كفوءاً ليشرح نصر جمهورية فيتنام الديمقراطية شرحاً كاملاً لأن ذلك يتطلب حساب لماذا تنتهي بعض النزاعات غير المتكافئة بسرعة بينما تطول أخرى؟.

انتشار الأسلحة

لا يمكن التعويل على انتشار الأسلحة كتفسير جيد لهزيمة أمريكا في الحرب الفيتنامية ويعود ذلك لسببين اثنين:

- السبب الأول: أن اتهام قوات"DRV جمهورية فيتنام الديمقراطية " بالتسلح من الإتحاد السوفيتي والصين قد أثرت بشكل أو بآخر (خصوصاً لسلاح الدفاع الجوي في المنشآت الأساسية في فيتنام الشمالية) ولكن فقط بشكل هامشي ليس إلاّ.

- السبب الثاني: كان التأثير الحربي للوصول إلى تسلح أفضل عادة سلبياً (جونسون– 1986: 442، 443). فاتهامات قوات " DRV جمهورية فيتنام الديمقراطية " بالحصول على أسلحة جديدة تميل إلى تشجيع التصعيد السابق لأوانه للمواجهات المباشرة مع الولايات المتحدة أو التي تدعمها وحدات جيش فيتنام، وهذا يثبت دائماً بأنه يجلب الكوارث.

وعلاوة على ذلك، فإن عدم الاتكال على السكان المحليين من أجل الدعم اللوجستي قدمكّن الكوادر المقاتلة من ترويع الفلاحين من التردد على فيتنام الجنوبية

(كإعدام "المخبرين"، وما إلى ذلك) بشكل مباشر على المعارضة الماوية الصادرة بشأن ضرورة معالجة ما يتعلق باحترامالفلاحين.

في حين أن تركة هذه الإساءة ظلت تطارد جبهة التحرير الوطنية الفيتنامية بعد فقدان العديد من كوادرها في الهجوم المشؤوم على مدينة "تيت" عام 1968. ولذلك، فقد اضطرت جمهورية فيتنام الديمقراطية لإرسال بدائل من الشمال، ولكنها بهؤلاء الرجال لا يمكنها إعادة بناء شبكة من العلاقات الحميمة مع الفلاحين كما كانت مع أسلافهم.

وبالإضافة إلى ذلك، فإن الكوادر الجديدة كانت متغطرسة وعلى نحو عرقي متميز عن"الجنوبيين" وذلك جنباً إلى جنب مع الاستياء الناجم عن السنوات السابقة من خلال الترهيب، وجعل من المستحيل إعادة إقامة تمرد في الجنوب بعد عام 1968. وبعد الاستقرار، كان هنالك زيادة مطلقة في مجال التسلح وقد أصاب أكثر من ساعد في المجهود الحربي لجمهورية فيتنام الديمقراطية.

و هنا تبرز قيمة النظرية السادسة: كلما كان الطرف الأضعف أكثر تسليحا كلما زادت احتمالية خسارة الطرف القوي في النزاع غير متكافئ، ولهذا فهو غير مدعم في حالة فيتنام.

التفاعل الإستراتيجيإذا كان من الصحيح أن اهتمامات الممثل، ونوع نظامه هي في حد ذاتها عملية غير كافية لحساب انتصار جمهورية فيتنام الديمقراطية في فيتنام، فإنه من الواضح أنها كانت ضرورية. ولكن أفضل تفسير لنتائج الحرب هو "التفاعل الاستراتيجي".

يفسر التفاعل الاستراتيجي كيفية الحل الأمثل، جنبا إلى جنب مع النظام السياسي الذي يعاني من ضعف الولايات المتحدة، بالإضافة إلى قوة الولايات المتحدة من الحرب.

إلا أنه من الصعب تقييم التأثير التراكمي للتفاعلات الإستراتيجية الأربع التي تشكل الحرب.

و هذه التفاعلات ومساهمتها في نتائج الحرب ملخصة في الجدول التالي حيث انتصرت الولايات المتحدة مرتين وخسرت مرتين في حين يبدو تأثير التفاعلات على مدة الحرب مريباً.

العملية	التفاعل الاستراتيجي	تأثير الإبداع	مدة التأثير
الرعدالقاصف	مباشر – غير مباشر	الولايات المتحدة فقد إستراتيجيتها	إطالة الحرب
القوة الرئيسية في الحرب	مباشر – مباشر	خسر الشمال – انسحابات – تصعيد	تقصير الحرب
حرب العصابات الأولى	مباشر – غير مباشر	خسرت الولايات المتحدة لصالح البربريين	إطالة الحرب

ولكن، ألا يجب أن يوحي هذا بربط ما؟.

ربما. ولكن اعتبار الرأي العام الأمريكي وتوقعات النخبة قبل المعركة، فحتى التعادل يجب أن يعد كخسارة من حيث منظور الولايات المتحدة، لأن أي شيء غير الفوز السريع كان ليصبح غير مقبول سياسياً، وهنا لا بد أن نضع في اعتبارنا أن الإستراتيجية الأمريكية كانت مستهدفة، مستهدفة علنا، وذلك عبر التهديد، ومن خلال إجبار جمهورية فيتنام الديمقراطية بالقوة وبالتهديد بمزيد من القوة لوقف دعم الحرب ضد حكومة فيتنام في الجنوب.

كانت الولايات المتحدة في الحرب العالمية الثانية قد خاضت حرباً ظن العديد من الأمريكيين أنها كانت حربا حقيقية: حرباً للبقاء ضد عدو قوي، متطور، مخيف وشرير بشكل واضح.

أما بالنسبة للولايات المتحدة، فقد كانت تلك الحرب التي استمرت ثلاث سنوات طويلة جداً (1942–1945) ولكن، إذا كانت السنوات الثلاث فترة طويلة للحرب الحقيقية، فإلى أي مدى بدا طولها في حرب فيتنام؟ في مكان بعيد مع خلفية فقيرة، ضعيفة، وبالتالي مع عدو متعاطف؟ ثلاث سنوات في حرب من التخويف ضد جمهورية فيتنام الديمقراطية، ثلاث سنوات تعرضت فيها الولايات المتحدة وحكومة فيتنام للهجوم بجرأة وعلى كل الجبهات من قبل جمهورية فيتنام الديمقراطية وجبهة التحرير الوطنية الفيتنامية.

من الواضح أن أي شيء آخر كان يعمل في فيتنام، وبغض النظر عن النتائج العسكرية (هزيمة جيش فيتنام الشمالي والجبهة التحررية الوطنية الفيتنامية) فإن آمال الولايات المتحدة لإخافة جمهورية فيتنام الديمقراطية قد فشلت، والشعب الأمريكي عرف ذلك.

ومن ناحية أخرى، فإن التفاعل الإستراتيجي يشرح أمرين لا تستطيع حتى فرضيات"ماك وميروم" شرحها:

- أولاً: التظاهر في قضية فيتنام، والقوة الماثلة في صراع غير متكافئ يشير إلى ضعف المصالح (الحل إذا صح التعبير) في نتيجة لمسابقة غير متناظرة. وحتى عند مواجهة أطراف ضعيفة، وقوية – على الرغم من القوى العظمى أو القوى المتوسطة، أكانت استبدادية أو ديمقراطية– تبرر الهجوم ضد الأطراف الضعيفة من حيث البقاء من نوع ما. في حين يمكن لهذا أن يكون عن طريق منطق الدومين و(السلطة المضافة خلاف الهزائم الصغيرة يمكن أن يشكل تهديد بقاء مباشر) وسوابق تعقد في كل مكان وكنتيجة لذلك، فستتعرض المصالح الحيوية للخطر، أو بالإشارة إلى بعض الاعتزاز بالهوية – وهذا ما يعتقد– وكمثال على ذلك تبرير رئيسة الوزراء البريطانية "مارغريت تاتشر" هجوم الأرجنتينن على جزيرتي "الفوكلاند والمالديف" عام 1982 أو قرار الرئيس الأمريكي "جورج بوش" بضرورة الحفاظ على النظام العالمي الجديد وذلك من خلال الضغط على العراق من الكويت عام 1990.

و من جهة ثانية، فإن النظر لهذه الأسباب لا يحتاج لأن يكون موجوداً بشكل موضوعي، ويكفي لأن يكونوا موجودين مجازياً على الأقل في المراحل الاستهلالية للصراع، وذلك في حال انتهت الحرب بسرعة.

خلاصه التفاعلات والتأثيرات ألاستراتيجيه للتدخل الأمريكي في فيتنام(1965–1973) من الممكن أن يعمل نظام التبرير المجازي إذا كان مطولاً، ومع ذلك، فإن تشتيت محاولات حدي هذا النزاع وإسقاطه، والحاصل هنا بين اللاعبين الأقوياء، سوف لن يتم ضلوعهم بحروب صغيره لأن تلك الحروب اقل من أن تكون فعالة. فهم ضعفاء لأنهم:

- أولاً: بسبب الوقت الذي سيستغرونه لهزيمة الخصم الضعيف للمسائلة عن شرعيه المصالح وذلك بغض النظر ما أن كانت واقعيه أو مجازة.

- ثانياً: والأهم من كل ذلك، تبين أطروحة التفاعل الإستراتيجي لماذا لم تنته حرب فيتنام بسرعة، لأنها دامت حوالي تسع سنوات، وحيث أن معظم نقّاد الحرب الأميركية في فيتنام قد لاحظوا أن التدخل الإستراتيجي الأولي كان مسيطراً عليه من قبل الهجوم التقليدي

بين القوات الأمريكية والقوات الفيتنامية الديمقراطية ضد مليشيات الثوار المسلحة التي تستخدم إستراتيجية حرب العصابات... إستراتيجية حرب العصابات (أطروحة).

يميز هذا، التفاعل الإستراتيجي الكلي من الحرب وحسب ما تنبأت به الأطروحة، ولذلك، فإن أي حدث في الاتجاه المعاكس سيجعل الحروب تدوم لفترة أطول، وذلك ما قاد إلى الفشل في تحقيق نتائج سريعة لمهمات البحث–التدمير، ثم قاد ذلك الولايات المتحدة إلى ابتكار برنامج "كاب "و إستراتيجية "هاملت" مجدداً، ومن بعدها عملية "فينيكس".

كانت هذه الابتكارات قد أثرت بشكل سيء على جمهورية فيتنام الديمقراطية والحركة التحريرية الوطنية الفيتنامية "الفيتكونغ VC" وبين قوات جيش فيتنام الديمقراطية DRV جمهورية فيتنام الديمقراطية.

ولكن الولايات المتحدة لم تكن لتتقدم شمالاً في القطاع السابع عشر جنبا إلى جنب مع القوات البرية، هذا إذا كانت جمهورية فيتنام الديمقراطية تحتمل الانتظار.

وهكذا، فإذا كانت نظرية "ماركس" كافية لشرح (لماذا خسرت الأمم الكبيرة الحروب الصغيرة) فالضعف السياسي كان ليؤثر بشكل عام على قدرة الأطراف القوية لهزم الأطراف الضعيفة. لكنها لا تفعل. فالضعف السياسي يعمل فقط حين يكون هناك تأخيراً غير متوقع بين التزام القوى المسلحة والنصر.

إذا كانت فرضيات "ميروم" كافية لتفسير كيفية خسارة الديمقراطيات للحروب الصغيرة، فسيكون عليه أن يدعم ادعاءه التجريبي في أن التفاعلات الإستراتيجية مستمرة في الحروب الصغيرة، ولا تتغير. وبعبارة أخرى، عليه أن يظهر – كما توحي به قضية اختياره – أن كل الممثلين الديمقراطيين الأقوياء سوف يهاجمون بإستراتيجية هجوم تقليدي، في حين يدافع كل الممثلين الضعفاء بإرهاب إستراتيجية حرب العصابات، أو المقاومة غير العنيفة (أي دفاع غير مباشر)لكننا نلاحظ اختلافاً في التفاعلات الإستراتيجية في الحروب الصغيرة طوال الوقت:

ولكن خلافاً لكل التوقعات، فإن قوات "الطالبان" في أفغانستان لم تستخدم إستراتيجية حرب العصابات ضد التحالف الشمالي للولايات المتحدة عام 2002فقد قاموا بمحاولة الدفاع التقليدي، وبدت عليهم الهزيمة بوضوح. وهذا ما حدث بالمثل مع العراق

في السنة التالية، وفضلاً عن ذلك فإن الفيدرالية الروسية– وهي ديمقراطية شكلية–تحاكم حملة مكافحة تمرد وحشية للغاية ولكن بنفس الوقت كانت عكسية النتائج في "الشيشان". وهكذا، فحتى لو قبلنا– من أجل مصلحة النقاش– أن الفدرالية الروسية ليست ديمقراطية حقيقية فمن الواضح أن الوحشية الشديدة (اغتصاب، ابتزاز، نهب، قتل، تعذيب، قصف عشوائي) أثناء حملة الروس لن تؤدي إلى ربح حرب روسيا الصغيرة في "القوقاز".

الخلاصة في فيتنام (جمهورية فيتنام الديمقراطية) كان لدى الطرف الأضعف قوتان عسكريتان مختلفتان وجاهزتان لمواجهة القوات الأمريكية: 1) كانت القوة الأولى مدربة ومجهزة لخوض حرب غير مباشرة وهي ثوار "الفيتكونغ" المنضوية تحت لواء جبهة التحرير الوطنية الفيتنامية. 2) كانت القوة الثانية مدربة ومجهزة لخوض حرب مباشرة (جيش فيتنام الشمالي) وهذا يعني أن جمهورية فيتنام الديمقراطية يمكن أن تكون أكثر سرعة من الولايات المتحدة في تحقيق الأهداف الإستراتيجية كما ذكر "اليوت كوهين" و"أندرو كريبيفيتش و"رونالد هاميلتون" وآخرون من أن احتمال استثناء وحدات مشاة البحرية التي لديها تجربة عملية معتبرة في مكافحة التمرد – لا يمكن للولايات المتحدة أبدا أن تلبي متطلبات حرب مكافحة التمرد (كوهين 1984: 165. كريبيفيتش 1986. هاميلتون 1998: 100.

على الرغم من أن هذه المتطلبات لا تضمن إنشاء قوة قادرة على التصرف ببربرية كما بينت في برنامج "كاب CAP" لكن كان من الممكن خوض القتال بطريقة حرب العصابات في الجنوب ضمن إطار قوانين الحرب الذي كان بشكل رئيسي غير محتمل وهو أن تهزم شعباً تحت السلاح وبسرعة بعقائد مماثلة، وهكذا فإن مثال "الكاب" يؤكد فقط الأهمية الميكانيكية الأساسية الرسمية في فرضية التأثير الإستراتيجي وذلك عندما تقتضي القوة فوزا سريعا، في حين أن التأثير بسبب التأخر يجعل الطريق ممهداً لعملية ضعف سياسي حتى إستراتيجية مكافحة تمرد مثالية تلك التي تدمر قوات العدو وبدون تدمير قيم العدد التي تحتاج إلى وقت وعلى الأخص إذا كانت تلك الإستراتيجيات ستصبح نموذجاً في المستقبل لأي عملية مكافحة تمرد، وهذا يتضمن سياسة غير متوقعة حيث يقوم الطرف الأضعف بتطبيق سياسة دفاع غير مباشر، وعندها يجب على نخب الطرف الأقوى السياسية والعسكرية أن تجهز الرأي العام لانتصارات متأخرة جداً في فيتنام في الوقت الذي ساعد فيه تباين الاحتمالات والأهداف وطبيعة النظام

جمهورية فيتنام الديمقراطية على إلحاق خسائر كبيرة وكلف عالية في الولايات المتحدة وبجيش فيتنام، ولذلك، وبسبب التحالف المفتوح مع جمهورية الصين الشعبية والإتحاد السوفيتي، فقد كان من المستحيل على الولايات المتحدة القيام بغزو من الشمال ضمن هذه العوامل التيمن الممكن أنها لم تهم جمهورية فيتنام الديمقراطية لتوسيع الهجوم على الجنوب في عام 1965 (الإستراتيجية التي جهز لها جيش فيتنام الولايات المتحدة). ومن ناحية أخرى، فهم لم يأخذوا بعين الاعتبار أن الولايات المتحدة قد أخذت بنصيحة البريطانيين والفرنسيين الذين اختاروا إستراتيجية صعبة وطويلة من الدعم القانوني عوضاً عن إستراتيجية مكافحة التمرد العسكري، ولفعل ذلك، يتطلب الأمر وجود ثلاثة أسباب:

- **السبب الأول:** إعادة تشكيل وبناء الحكومة الفيتنامية (المثال الوثيق الصلة عن النجاح هو إعادة تشكيل الحكومة "الفلبينية" ماكسايسي خلال تمرد "هوكيا لاهاب" في عام 1952)

- **السبب الثاني:** الصعوبة السياسية (بالمحتوى القانوني المحلي الأمريكي) وهي خطوة إقناع الرأي العام الأميركي بالحاجة لهذا الصراع الطويل.

- **السبب الثالث:** وهو المهمة الأكثر صعوبة بإقناع العسكريين الأمريكيين لبناء ونشر وحدات قوات خاصة محددة للعمل في عملية المواجهة القريبة مع قوات الحكومة الفيتنامية على أن تكون جيدة التدريب والمدعومة بالقانون. ولكن كان يمكن التصرف وفق طريقة أخرى (بدون الحاجة إلى تصرفات بربرية) في أن تؤمن أهداف الولايات المتحدة السياسية في جنوب شرق آسيا. ولكن على الرغم من أن هذه الإستراتيجية ستستغرق الكثير من الوقت لإظهار النتائج، فإن (هذه الكلفة ستعدل من قبل):

- أولاً: جهد سياسي ثابت بإبقاء استثناءات النصر السريع قليلة، وبشكل أهم إنقاص الضحايا في صفوف القوات الصديقة ومنع وسائل إعلام جمهورية فيتنام الديمقراطية من الحصول على ميزة نشر أعداد الضحايا. ولكن في هذا الحدث، فقد أظهرت الولايات المتحدة أن القتال للحفاظ على حكومة فيتنام كان أمراً عسكرياً، ومن الممكن الفوز به بسهولة. ولذلك حاولتِ الولايات المتحدة إخضاع حكومة فيتنام الديمقراطية بالقوة النارية(هيرينك226/1986) في حين دافع كلاً من الحكومة الفيتنامية وثوار"الفيتكونغ" (الجبهة التحريرية الوطنية الفيتنامية) عن مصالحهم عن طريق إتباع إستراتيجية غير مباشرة

ويكلفة خيالية من الخسائر في الأرواح[1] كانت القوات الأمريكية قد ابتكرت استراتيجيات جديدة من أجل هزيمة جمهورية فيتنام الديمقراطية وثوار "الفيتكونغ (الجبهة التحريرية الوطنية الفيتنامية) ولكن التراجعات التي حققوها أخـذت وقتا طويلا جـداً (كارنو 1983/464-480) (هيرينك 1986/200) وبحلول عام 1968 كان الرأي العام الأمريكي قد بدأ يدرك ما لم تدركه إدارات الرئيسين "جونسون" و" نكسون" والقيادات العسكرية. وفي الوقت الذي هبطت فيه مشاة البحرية الأمريكية في "داثانغ" كان الوقت متأخراً جداً.

كانت الحرب في فيتنام قد أصبحت موافقة لما دعاها لاحقا "مايكل ويلزر"الحرب ضد الإشتراكية " فتلك الحرب لا يمكن أن تربح ولا يجب أن تربح. لا يمكن أن تربح لأن الإستراتيجية الوحيدة المتوفرة تتضمن الحرب ضد المدنيين، ولا يمكن أن تربح لأن درجة الدعم المدني الذي يحكم الاستراتيجيات البديلة يجعل العصابات الحاكم الشرعي في البلد. فالصراع ضدهم هو صراع ظالم ولا يمكن إلا أن يحسب على ظلم القتلة الأجانب حيث سينظر إلى تلك الحرب كعدوان مباشر وآثم ويجب الاستماتة في مواجهته وهذا وضع القوات المحاربة في إستراتيجية حرب العصابات على الرغم من أنها قد أصبحت ضعيفة بشكل كبير "(ويلز 2000/ 195-196).

وهذا ما حدث للرأي العام الفرنسي بعد هزيمة الجنرال "ماسو" على يد جبهة التحرير الوطنية في الجزائر حيث أصبح الاعتقاد بربح هكذا حرب أمراً لا يحتمل النقاش فيه.

وبالمقابل، فإن تلك المغامرات كانت ناجمة عن القلق من هيمنة الشيوعية على جنوب شرق آسيا، ولكنها عوضاً عن احتواء الشيوعية، فقد آثرت إتباع إستراتيجية ربح الحرب ضد الاشتراكية.

1- شاو 2001 اعتماد هذه الإستراتيجية سيعد كتحول من إستراتيجية فوز بالحرب إلى إستراتيجية إلغاء الحرب. وهذا الحماس ظهر في خطاب غير مشهور للقائد الأمريكي وليم ويستمورلاند أن (آمال العدو قد أفلت) (كانو 1983/539) تصريح ويستمورلاند يماثل ما قاله الجنرال الفرنسي هينري نافر في ليلة معركة دين بين فو (الآن نستطيع أن نراه بوضوح، النور في نهاية النفق) (كانو 1983).

الفصل السابع

إتحاد الجمهوريات الاشتراكية في أفغانستان

الحرب الأهلية الأفغانية (1979 – 1989)

"قد يعتبر المجتمع الأفغاني في الوقت الحالي بأنه مجتمع ذو نزعة تواقة إلى القتل... فنحن الآن قد غدونا بلا روح، لم نعد مخلوقات قادرة على منح الحب والرعاية، بل مجرد حيوانات وحشية ومفترسة.

إنه ليس من الجائز أن يطلق على مجتمع بأسره كلمة قاتل، ولكن في حالة المجتمع الأفغاني فإن الحالة مختلفة، فهذه الدولة هي دولة قتل حيث أن هذا الأمر لا يقتصر فقط على أرض المعركة بل يطاله ليشمل شوراع وأزقة المدن التي لا تعيش حالة حرب. في أفغانستان لا يشعر أحد بالأمان الأمر الذي دعا العديد من الأسر إلى الهروب خارج البلاد".

(حسان كاكار، 1995)

لقد عشت في أفغانستان بمدينة غزني... كانت الحياة ضمن الوحدات هادئة نسبيا ما لم نشارك في العمليات الحربية حيث يصبح كل شيء مختلفا فلم نصادف أي أفغاني ودود في أي مكان فجميعهم كانوا أعداء!! حتى الجيش الأفغاني لم يكن ودودا أبداً. الجميع من حولنا كانوا أعداء. العديد من رجالنا لقوا مصرعهم مما جعلني أشعر بغضب عارم اتجاه المتمردين. لقد أردت أن أثأر.

ثم بدأت أشك في أهداف وأساليب المساعدات الدولية. لقد واجهت وقتا عصيبا في تحديد ما أؤمن به فعلاً. لقد علمت عندها ما يتوجب علي قوله خلال اجتماع التوجيهات السياسي: وذلك بأننا نقاتل " العدوان الأمريكي" و"باكستان".

سألت نفسي، لماذا كان يتوجب علينا مراعاة جميع أساليب الوصول إلى النظام؟ لماذا كانت تستهدف أسلحتنا جميع الأفغان؟ لماذا كنا نقتل الأشخاص الذين أتينا لمساعدتهم؟.

لم يقم أحد بإسعاف أي فلاح فتكت به الألغام. كان الجميع واقفا مكانه مستمتعاً بالموت.

"هذا هو العدو، دعوه يتعذب"

هكذا قال الضابط "ميكولا موفتشان (جندي روسي هارب من أفغانستان)".

بدأت الحرب بين الإتحاد السوفيتي وقوى المقاومة في أفغانستان في 27 كانون الأول من عام 1979 وانتهت بانسحاب القوات السوفيتية المسلحة عام 1989 [1].

المسرح الأفغاني

تشمل الأراضي الأفغانية منطقة جبلية تبلغ مساحتها 245.000 ميل مربع – أو بما يقارب مساحة ولايتي "نيو مكسيكو" و"أريزونا"معاً– وتعتبر في الواقع محور العجلة بحيث تحدّ الاتحاد السوفيتي السابق جهة الشمال، وإيران إلى الغرب، وباكستان إلى الشمال، والشرق والصين من جهة الشرق. وعلى هذا النحو، فإنها تقع على محاذاة عدد من الطرق التجارية القديمة والتي تصل الشرق بالغرب، كما أن موقعها الجغرافي كان ولقرون المحدد الأساسي لسياستها الخارجية. أما من حيث الأصل العرقي، كالدين، واللغة، فإن الغالبية من الأفغان هم مسلمون سُنّة من "البشتون " (غالباً ما كان يطلق عليهم اسم "باثانس" في كتابات القرن التاسع عشر البريطانية).

يشكل"البشتون " نحو 40 % من مجموع السكان، ثم يتبعهم "الطاجيك" الذين تبلغ نسبتهم 20%أما المجموعات الثلاث الأكبر الأخرى– والتي تتساوى تقريباً بالحجم– فهي"الهازاراس" (وهم مسلمون شيعة مع ظهور عرقي متميز) و"أوزبيكس" و"الإيماك"

1– لم ينته القتال ولكن انتهى النزاع بين اتحاد الجمهوريات السوفيتية الإشتراكية وجماعات المقاومة الأفغانية عندما جلت القوات السوفيتيه عن الأراضي الأفغانية.

(ماجنوس ونابي، 1998: 10). كما وتختلف اللغات الأساسيّة لكل جماعة عن غيرها من الجماعات المذكورة (على سبيل المثال، لغة "الباثوو" للبشتون)، ولكن لغة "الداري" بين الأعراق هي موجودة أيضا (ماجنوس ونابي، 1998: 15). وفينهايةالأمرفإن90 % من الأفغان هم من المسلمون السّنة، بينما تشكل أغلبية الفئة المتبقية من الشيعة.

وهكذا، فعندما تكون الهوية الدينية هي الأبرز، فإن هذا الأمر يجعل معظم الأفغان حلفاء مع باكستان والسعودية، مما يخلق خلافاً مع إيران، والتي تعتبر ذات غالبية شيعية.

تعتبر الهوية"البشتونية " مهمة لسببين:

- **السبب الأول:** وهو إن هذه الجماعة قد سيطرت على السياسة والمجتمع الأفغاني لمئات من السنين (بحيث نصبت حكامها إضافة إلى العديد من الحكام في الهند وإيران).

- **السبب الثاني:** يكمن في الهوية "البشتونية" من حيث أنها ذات أهمية بالغة وذلك بسبب أن الأفغان – الحدود الباكستانية – تم تأسيسها على أنها – أو كما يطلق عليها– اسم خط "دوراند" عام 1893، والتي تقسم العرق "البشتوني" إلى نصفين (ماجنوس ونابي، 1998) وفي الواقع، فإن ما يطلق عليه الباكستانيون اسم المقاطعة الحدودية الشمالية الغربية، حيث يشير إليها الأفغان "ببوشتانستان".

إن الصراع السياسي الذي قاد إلى قرار السوفيت بالتدخل عسكريا في أفغانستان هو أكثر تعقيدا ودقة من أن يتم عرضه هنا. ولكن ملامحه الأساسية هي كالآتي:

بعد الحرب العالمية الثانية، منحت بريطانيا الهند استقلالها في عام 1947، وبعدما انفصل الباكستانيون المسلمون عن الهند الهندوسية، حسبت إدارة الرئيس الأمريكي "ايزنهاور" أفغانستان خارج حدود مصالحها الإستراتيجية (كاكار، 1995: ماجنوس ونابي، 1998: 59).

وعلى هذا النحو، تم إجبار الرئيس "ساردار محمد داوود خان" على البحث في مكان أخر عن مساعدات للتنمية، والتي كانت غاية في الأهمية وذلك لبناء الطرق، ومرافق الري والطاقة إضافة إلى القوة العسكرية الحديثة. وهنا أدخلت اتحاد الجمهوريات الإشتراكية الفيدرالية إلى الفراغ مقدماً ملايين الروبلات إلى نظام الرئيس "داوود خان" وذلك من خلال عرض مساعداته على إنها مساعدات "ودية من دون أي قيود".

ولكن في عام 1963 قام ملك أفغانستان"زاهر شاه" بعزل "داوود خان" من منصب رئيس الوزراء. وفي خلال الخمسة عشر سنة التالية قام إتباع داوود خان بتحرير السياسات الأفغانية المحلية بالإضافة إلى تطوير البنية التحتية في أفغانستان.

وفي عام 1965 أدى هذا التحرير السياسي إلى تشكيل "الحزب الديمقراطي في أفغانستان PDPA" تحت قيادة "محمد تاراكي" و"بابراك كارمال" والأكثر تطرفاً"خلق"، والذي ترأسه "تاراكي". وهكذا، فإن تحرير السياسات الأفغانية قد أسفر عن تسريع عملية تشكيل الفصائل إضافة إلى المعارضة المتزايدة ضد الدستور الملكي.

في عام 1973 قام "داوود خان" بدعم سوفيتي و"بارشامي" بتنظيم انقلاب غير دموي ومن ثم إعلان الجمهورية الباكستانية. ولكن مباشرة بدأ"داوود" بتبطيئ وتيرة الإصلاح السياسي حيث اعتقل عدد من الإسلاميين والماركسين، كما بدأ بتنظيف الوظائف الحكومية من "البارشاميين "وفي نفس الوقت تخفيف اعتمادأفغانستان التقني والاقتصادي على إتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية (لقد قام بتوقيع مواثيق تنموية مع كل من إيران والسعودية بحيث بإمكانهم معا تخفيف برنامج المساعدات السوفيتي للعقدين التاليين).

وهنا قام السوفييت- بجزع – بتقديم طلب مقابلة مع "داوود خان" في موسكو في شهر نيسان / إبريلمن عام 1977، وعندها أمر "بريجينيف"بكل جرأة وصراحة أن يتوقف عن توظيف الأخصائيين التقنيين على أساس كونهم جميعا جواسيس "للناتو".

رد"داوود خان" بغضب على موسكو، وذلك بكونها لا دخل لها في سياسات أفغانستان الداخلية، وهنا قرر السوفيت استبداله (ماجنوس ونابي، 1998: 118 – 119 و121).

وفي شهر تموز / يوليو أجبر السوفيت على إعادة توحيد الجماعتين المتنافستين من الحزب الديمقراطي الأفغاني، وبعد عام (نيسان / أبريل 1978) قام الحزب الديمقراطي الأفغاني بتنظيم انقلاب سوفيتي حيث قتل "داوود خان"مع عائلته[1].

بعد ذلك تولى"تاراكي" و"حفيظ الله أمين" الحكم، ومن ثم بدؤوا بتطهير حكومة "بارشاميز"

الجديدة (حيثفر"كارمال"إلى موسكو) ثم تبع ذلك فوضى كبيرة نتجت عن محاولة الماركسيين – عديمي الخبرة– إعادة هندسة المجتمع الأفغاني بينليلة وضحاها. وسرعان

1- يجادل ليود رودولف بإن انقلاب أبريل 1978 فاجئ السوفيت (رودولف، 1985: 4).

ما اندلعت الانتفاضات في معظم المدن الأفغانية مثل مدينة "هيرات" التي تم قمعها بشكل وحشي.

حزب الشعب الديمقراطي

في نهاية المطاف قام "أمين" بخلع "تاراكي" من منصبه والذي سرعان ما فرّ من البلاد. بينما استمرت الانتفاضات، وبعد فرار حزب الشعب الديمقراطي، هُدد نظام "أمين"بالانقسام.

وهنا قررت موسكو أن الحل الوحيد لحل المشكلة هي من خلال استبدال "أمين" "بتاراكي" الأكثر اعتدالاً[1].

ولكنفي المقابل، استطاع"أمين" اكتشاف هذه الخطة حيث اعتقل "تاراكي" وقتله، وعاد بعد ذلك إلى " كابول". وفي شهر أيلول / سبتمبر من عام 1979 بدأ السوفيت الشديدي الغضب بوضع خطة مدروسة لغزو أفغانستان وتنصيب "بابراك كارمال" قائداً.

عشية الحرب: المصالح السوفيتيه

هنالك ثمة جدل كبير حول المصالح السوفيتية في أفغانستان، ولكن الأسباب الأساسية وراء التدخل السوفيتي في أفغانستان يمكن تلخيصها بثلاثة أمور رئيسية:

1. الدفاع عن نظام ماركسي صديق في أرض تحاذي اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية (عقيدة بريجينيف)[2].
2. فرصة تشكيل جسر جغرافي رئيسي في الخليج.

1- يقترح رودولف بأن أمين كان ذو هوية بشتونية قوية بالنسبة للسوفيت الأمر الذي دفعهم لاستبداله إضافة إلى أمور أخرى كما أن هويته الغير معهودة كانت تهدد كل من زيا في باكستان والخميني في إيران (رودولف، 1985: 39). اقترح اورىان منطق أخر خلف خلع السوفيت لأمين: حيث كانت تربطه علاقات مع وكالة الاستخبارات الأميركية كما كان حليفا سريا للغرب (اورىان، 1988: 40)

2- أما بالنسبة للولايات المتحدة الاميريكية في فيتنام وبريطانيا في شمال إفريقيا، فإن جزء من عقيدة بريجينيف كان مبدأ بسيط جدا (مكونات اجتماعية، تجنب الإذلال) بالإضافة إلى منطق الدومينو (مكونات جغرافية، الحصول على السلطة أو الأمن). في هذه الحالة، المنطق هو على هذا النحو " إذا هُزم النظام الماركسي هنا سيضع النظام الماركسي في كل مكان" (ماجنوس ونابي، 1998: 63).

3. تكاليف الإهلاك[1].

وهذه الأسباب الثلاثة للتدخل بالكاد تستنفذ الإمكانيات. ولكن يمكننا التخمين بأن المصالح السوفيتيه المعتمدة على المهمة، النوع، والكم هي المحرك الرئيسي لهذه المهمة[2]. وهكذا، فمهما كانت الاختلافات حول أهداف الاتحاد السوفيتي الطويلة الأمد في أفغانستان، فإن أهدافهم الفورية كانت واضحة منذ البداية وذلك في:

(1) استبدال "أمين بكارمال".

(2) احتلال واستقرار المدن الأفغانية الكبرى (كابول. هيرات، قندهار، جلال آباد) أيضاً.

(3) تأمين خطوط الاتصال بين المدن(خصيصاً طريق ممر"سالانغ" الذي يربط"كابول""بتيرميز"إلى الشمال و"جلال أباد"إلى الشرق).

وباختصار، فقد كانت مهمة السوفيت محددة. كان هدفهم في أفغانستان هو استقرار النظام الجديد تحت قيادة "كارمال" مما يمكنه من أن يبدأ المهمة السياسية التي من شأنها أن تقوي أفغانستان مجدداً (ليتواك، 1992: 79). ولكن المهمة المحدودة ذات النوعية الرديئة والكم القليل من القوات المسلحة التي كانت تدعم عقيدة "بريجينيف" وحجة تكاليف الإهـلاك كانت بشكل أفضل من حجة رأس الجسر الجغرافية (ليتواك، 1992: 80). ذلك لأن حجة رأس الجسر قد زاد ضعفها من خلال حقيقة المزايا المزعومة للاستيلاء التام (من خلال القواعد الجوية وغير ذلك) والتيكانت ستكون للسوفيت بموجب معاهدة على أي حال.

1- يجادل "ماجنوس ونابي"على انه في واقع الأمر كان السوفيت على الأغلب متأثرين بمبدأ تكلفة الإهلاك كما أنهم كانوا متأثرين بإمكانية تهديد المصالح الأمريكية في الخليج الباكستاني: " في الواقع الفعلي لم يهتم السوفيت بالتحول الثوري لأفغانستان، ولكنهم اهتموا بشكل كبير بالسيطرة على أفغانستان، الأمر الذي قد يوفر لهم قاعدة ثابتة (وحلفاء مسلحين بشكل جيد) من أجل الحصول على المزيد من التقدم في مناطق الشرق الأوسط وجنوب أسيا الواعدة. حيث كانت أمالهم فوق كل شيء هي بالمحافظة على المناطق التي حصلوا عليها خلال عقود من الصبر والمحاولة والتي انفقوا عليها الكثير" (ماجنوس ونابي، 1998: 122). وكما سنرى أدناه، فإن عقيدة بريجينيف وحجة تكلفة الإهلاك هم على الأغلب الأقوى. لقد واجهنا مواقف مختلفة من حجة " تكاليف الإهلاك" عندما قام موسوليني بإثارتها من أجل تبرير" الحل الذي وضعه للمشكلة" الأثيوبية وذلك بعد فشل إستراتيجيته الواقعية.

2- إن تحليل المصالح التي تقوم على القوى السوفيتيه وحدها قد يكون خطر وذلك لأن هذه القوى قد تمثل أكثر بقليل من استخفاف السوفيت بالمقاومة الأفغانية (انظر إلى تحليل مشابه للمصالح البريطانية في شمال إفريقيا بالفصل الرابع)

ولكن لما كان التدخل السوفيتي في أفغانستان من خلال قوات مسلحة في بادئ الأمر؟

وتكمن الإجابة في أن"أمين"كان قد نجح – بشكل كبير – في تطهير المعارضة، وتأمين السيطرة على القوى المسلحة والبوليس السري. وفي جوهر الأمر، فإن وحشية "أمين" وكفاءته قد أحبطت إمكانية أن يتم استبداله بطريقة قديمة الطراز، من خلال انقلاب منظم (اكتشافه للمؤامرة عن طريق السوفيت وتاراكي للإطاحة به هي دليل على ذلك). ولكن الطريقة الوحيدة المتبقية بالنسبة للسوفييت كانت من خلال التدخل العسكري المباشر وبواسطة قواته المسلحة.

وفي المختصر، كانت المصالح السوفيتيه في أفغانستان ذات طبيعة دفاعية منذ البداية. وكانت أهدافهم المحددة هي حماية النظام، والمناطق المدنية الرئيسية وروابط الاتصالات مما يجعل القيادة الأفغانية الحديثة تعزز الثورة وتهدئ الوضع في البلاد من خلال السياسة وليس الوسائل العسكرية.

عشية الحرب: مصالح المجاهدين

بالنسبة لما يحاول المؤرخون الأفغان أن يقنعوا– والذين شهدوا هذه الأحداث– فإن الدولة الأفغانية قد توقفت عن الوجود بعد انقلاب نيسان /أبريل من عام 1978 والذي عزل نظام "داوود" (كاكار، 1995: 125). وهكذا، لم يتبق في أفغانستان سوى مخيمان شديدا الانفصال ومتمحورين حول قطبين متعاكسين[1]. من طرف واحد كانت الفصائل المختلفة للحزب الديمقراطي الشعبي في أفغانستان والذي كان يسعى "لإصلاح" المجتمع الأفغاني بينما كانوا في الحقيقة يسعون لإثراء أنفسهم والتخلص من منافسيهم.

وهنا، يجادل"كاكار" بأنه كانت هناك مشكلتان بهاتين المحاولتين للإصلاح:

1– لقد دعم هذا التفسير أيضا ليتواك مضيفا بأن السوفيت كانوا قلقين بخصوص الآثار السابقة (دفي توف، 2003) في حال وصول النظام الإسلامي للسلطة في أفغانستان وذلك لان أفغانستان تحد الجمهوريات السوفيتية الواقعة في أسيا الوسطى (تركمستان، اوزبكستان، طاجيكستان) والتي كانت دولا إسلامية في السابق. وبعبارة أخرى، كان القلق الأساسي هو أن تقوم أفغانستان الإسلامية بتهديد أسيا الوسطى السوفيتية (اوربان، 1988: 206، ليتواك، 1992: 78). وفي وقت متأخر، أثبتت هذه المخاوف بأنها صحيحة (في حال أنها سببت التدخل السوفيتي أم لا) (ماجنوس ونابي، 1988: 68).

• **المشكلة الأولى:** وهي إن قيادة الحزب الديمقراطي الشعبي الأفغاني لم يكن لديها كادراً من الوزراء ذوي الخبرة والذين كان يتعين عليهم أن يروا مسبقاً تنفيذ مراسمهم الراديكالية.

• **المشكلة الثانية:** وهي باعتمادهم على التفسير السوفيتي أو الماركسي للتاريخ من أجل فهم المشاكل الأفغانية ووضع الحلول المناسبة:

• كل من الأشخاص – الذين استبدلوا داوود– كانوا مقتنعين بأن مخطط الحزب الديمقراطي الشعبي الأفغاني كان موجهاً لإعادة تنظيم كل من الدولة والمجتمع. ولكنهم – مع ذلك– اعتمدوا على السوفييت وليس على التجربة الأفغانية، وبذلك أيضاً كانوا قد انشقوا عن الماضي الأفغاني.

ومن ناحية أخرى، فإن هذا الأمر قد يفسر أيضاً سبب ابتعادهم عن شعبهم بعد وصولهم للسلطة وأيضاً كانوا لا يزالون غير موحدين ضمن أنفسهم (كاكار، 1995: 15)

وفي المقابل، كان هنالك عدد من الجماعات المتمركزة في المناطق الريفية ذات عقائد وأعراق وجداول أعمال مختلفة. وكان منهم مسلمون سُنَّة وشيعة أيضاً. أما بالنسبة للشّيعة، فمنهم من كان من "الإحدى عشرية " ومنهم من كانوا من "السبعة" (يطلق وصف السبعية على عموم الإسماعيلية بفرقها لأنهما ختلفوا مع باقي الشيعة حول الإمام السابع بعد موت الإمام السادس جعفر الصادق)[1].

وهكذا، فقد كان ضمن السُّنة أيضاً البعض من "البشتون" والبعض الآخر كانوا "طاجيك، أوتركمان، أو أوزبكيين" وكان "كوردسمان واجنر" قد حدد أحد عشرة فصيلة مقاومة حيث حافظت جميع فصائل المقاومة الأساسية على تنظيم مشابه:كان مقر القيادة السياسية في "بيشاور" على الحدود الشمالية الغربية لإقليم "باكستان" بينما كانت معظم أوامر القيادة موجودة في محافظات أفغانية[2]. ولكن على الرغم من وجود العديد من جداول الأعمال والتخطيط الخاص بكل فصيلة، كانت هنالك سمة رئيسية للنزاع الذي دام لعقود في الحرب الأفغانية وهو: لطالما كانت القوات السوفيتية منخرطة في العمليات كان هنالك – في المقابل– المزيد من الوحدة بين الفصائل الأفغانية:

1– السبيعين والإحدى عشرية يشكلون عدد من الشيعة المسلمين. وللحصول على شرح مفصل انظر ماجنوس ونابي و(1998، صفحة84).

2– يجادل كاكار إن خوف الباكستانين بان يغدو مثل الفلسطينيين في مقاطعة الحدود الشمالية الغربية. بشكل أساسي عززت ظهور فصائل المقاومة (كاكار، 1995: 93).

إن الاجتياح السوفيتي حول الحرب الأهلية إلى حرب تحرير. لقد أعطى هذه الحرب معنى جديد، والذي يمكن اختصاره بكلمة جهاد، وهو تعبير يعود للمسلمين الأفغان في أوقات خاصة كهذه.

كان الروس شيوعيين مُلحدين، وكان قمعهم الوحشي للمسلمين في آسيا الوسطى ذو صلة بالأفغان من خلال آلاف المسلمين "البخاريين" الذين أُخذوا كرهائن في أفغانستان(كاكار، 1995: 111) إضافة إلى ذلك، ولكن "كارمال" –الذي كان قد وصل على ظهر المدرعات السوفيتية – حيث لم يستطع المقاومون التفريق بين القوات السوفيتية وبين الأفغان.

أما بالنسبة للمجاهدين، فقد كان الجميع من" الروس"(ماجنوس ونابي، 1998: 139).

وفي المختصر بين المصالح والهوية التي شكلت المقاومة الأفغانية، فقد كان هدفها الأوحد يكمن في عبارة واحدة: "أخرجوا الروس" (اوربان، 1988: 53و72). ولكن، وبعد إعلان هذا الهدف الواضح البسيط، لم يكن هناك توافق بين الفر قاء، بل إن عدم وجود ذاك التوافق على الحدود جعل مهمة إخراج الروس أصعب بكثير.

الحرب الأهلية الأفغانية

تشمل الحرب الأفغانية تفاعلين استراتيجيين:

- **في التفاعل الأول:** حدد السوفيت أنفسهم من أجل بناء مناطق حماية استراتيجيه، بما يتضمن مناطق لوجستية مدنية وصناعية وبناء طرق تصل بين هذه المناطق. ولكن هذا الأمر كان صعباً لذا، ومناجل حماية المناطق الرئيسية، قام السوفيت بعمليات هجومية ضد أماكن المجاهدين المشتبه بهم في أفغانستان.

دامت إستراتيجية الهجوم هذه من عام 1980 حتى عام 1982 حيث اتبع المجاهدون إستراتيجية حرب العصابات خلال هذا الوقت وطوال فترة الحرب. ففي عام 1982 تحول السوفيت إلى إستراتيجية " الأرض المحروقة " ولكن هذه الإستراتيجية البربرية صّعدت من معدلات الموت عند المدنيين وزادت من الهجرة إلى كل من باكستان

وإيران. والاهم من ذلك بدأت بشدة تدمير البنية التحتية للمجاهدين كما كان لها اثر كبير على قدرتهم القتالية.

التفاعل الأول: الهجوم التقليدي ضد إستراتيجية حرب العصابات

بدأت الحرب الأفغانية من خلال هجوم القوات السوفيتية في 27 كانون الأول/ ديسمبر 1979. وكانت القوات السوفيتية الأولية، أو ما سمي بجيش"الأربعين ألفاً" تتألف من خمس كتائب وهي:

1. الكتيبة العسكرية الرابعة (MRD).
2. كتيبة جوية واحدة (مدعمة بقوتين جويتين إضافيتين (الكتيبة 103 و104).

كانت الخطة الموضوعة هي من أجل تقدم الكتيبتين (66) و(357) من إقليم "كوشكا" في "تركمانستان" السوفيتية إلى مديني "هيرات" و"فرح" ومن بعدها مدينة "قندهار"، بينما تتحرك الكتيبتين (360) و(201) إلى الجنوب من "تيرميز" في "أوزباكستان" السوفيتية عن طريق "مزار الشريف" إلى "كابول" بينما كانت الكتيبة الجوية(105) مع القوتين المصاحبتين لها جاهزة في "باغرام" وعلى محاذاة "سالانج" حيث بدأت العمليات لاحتلال العاصمة "كابول" في الساعة السابعة والربع مساءً، وعند الساعة التاسعة إلا ربعاً أعلن السوفيت –من خلال الإذاعة في "تيرميز" مدعين إنها إذاعة "كابول"– بأن القائد "كارمال" قد استولى على الحكومة وانه يطلب المساعدة السوفيتية. وهنا بدأت القوات الأرضية عبور نهر "امو داريا" عن طريق جسور عائمة.

وفي المقابل، فإن القتال الحقيقي الذي حصل كان بين القوات الجوية السوفيتية والقوات الخاصة وبين حراس "أمين" الشخصيين في قصر "درلومان" في ضواحي "كابول".

لقد بذل السوفييت جهودهم –قدر المستطاع– لتسهيل عملية الاستيلاء السريع، بما يتضمن تسميم "أمين" وإفراغ مدرعات كتيبتي "أمين" من الوقود إضافة إلى تبادل الطلقات الحية (من أجل التدريب) من أسلحة هاتين الكتيبتين (كاكار، 1995: 23). وجميعها وقفت بوجهه، وقد كانت حصيلة القتلى أكثر من 1800 من الحراس الشخصيين الذين احتلوا مناصب دفاعية في القصر. عندما بدأ الهجوم من قبل القوات السوفيتية

الخاصة، جاء "جاهنداد" قائد الحرس إلى "أمين" من أجل وضع التعليمات. ووفقاً لظروف "أمين" (ادعى كاكار بأنه تم تعين موقعه من قبل السوفيت) فقد أُضطر "جاهنداد" لأن يتخذ القرار بنفسه ومن ثم اختار قرار المقاومة، بحيث تمت مواجهة المهاجمين عدة مرات:

كانت المواجهة عنيفة وطويلة، وكان كلا الطرفين قد منيا بخسارات فادحة حتى تم التغلب على الأفغان في نهاية المطاف من خلال استخدام غاز الأعصاب[1].

لقد كانت مخاوف المهاجمين تتمحور حول إمكانية أن تقوم القوات المحاذية في "ريشكور" و"قاركا"[2](11) من اللحاق بالأفغان في حال لم يتم التغلب عليهم ولكن هذه الفقرة لا تشير فقط إلى اختراق قوانين الحرب ولكن تعبر عن منطق الحرب الأكثر شيوعاً: إنه كان " ضرورياً " من أجل زيادة الفعالية العسكرية.

وفي شهر كانون الثاني / يناير من عام 1980، أعلن"كارمال" عن حزمة من الإصلاحات والتنازلات المعدة لإعادة تشكيل الحكومة وإنهاء المقاومة بالعنف. ولكن معظم الأفغان تجاهلوه:

على الرغم من أن حزمة"كارمال" كانت شاملة إلاّ أنه تم تجاهلها من خلال عدد كبير من الأفغان.

فبالنسبة لهم:كانت وعود الحرية، وإطلاق سراح المعتقلين، والنقابات العمالية غير مترابطة.

ولأن " كارمال" كان قد اعتمد بشكل واضح على قوات أجنبية. قوى أجنبية يراها الجميع على أنها ملحدة ومعادية للإسلام. (اوربانو 1988: 53) وهكذا، فقد كان معظم الأفغان قد أصبحوا في حالة غضب عارمة بسبب الاجتياح السوفيتي، واستقال عدد كبير منهم من وظائفهم ولحقوا بالمجاهدين. ولكن الأمر الأسوأ هو تحول جميع الوحدات

1- يبدو من انه يوجد مشكلة في هذا الجدال. إن مغادرة السوفيت من أفغانستان سنه 1989 كان له نتيجتين يصعب تصنيف آثارها: (1) تم التخلص من تماسك المجاهدين بعد عبور الوحدات الروسية نهر امو داريا. (2) الدعم الأجنبي اللوجستي للمجاهدين قد جف. وقد قادت كلا النتيجتين إلى تناقص القدرة القتالية عند المجاهدين، ولكن النتيجة الأولى تدل على أن العديد من المجاهدين استطاعوا في الواقع التفريق بين الروس البيض والدمى الآفغانية خاصتهم.

2- أشار كاكار انه لم ينج احد من حراس القصر ال1800 الأمر الذي يدعم الجدال الذي يقوم حول كون شيئا غريبا تم استعماله من أجل التغلب على قوات الدفاع هذه.

الأفغانية إلى وحدات مجاهدين وقد أصبح هذا التحول لجميع الوحدات الأفغانية للمجاهدين مشكلة كبيرة مما يعني تحول القوى العسكرية – وفي بعض الأحيان قوى غاية في التطور – إلى قوى المقاومة. كما إن محاولة "كارمال" للتوصل إلى تنازلات داخل حكومته سببت أيضا المزيد من المشاكل.

ومن ناحية أخرى، فعلى الرغم من أن أتباع"أمين"كانوا لا يزالون ضمن الجيش وضمن البوليس السري، إلاّ أن " كارمال" رفض التخلص منهم، وهكذا، فقد ظلوا قادرين على عرقلة مبادراته السياسية.

وفي منتصف شهر كانون الثاني / يناير أصبح هجر الأفغان للجيش معضلة كبيرة بحيث قام المارشال"سوكولوف" قائد العمليات العسكرية السوفيتية بتحريك قوات الاحتياط. ومن أجل سد الحدود الإيرانية أرسل"سوكولوف" الكتيبة الخامسة إلى مدينة "فرح" والكتيبتين (54) إلى مدينة "هيرات" كما قام بنشر الكتيبة (166) في "مزار الشريف" في حين أرسل أيضاً الكتيبة (201) من شرق "كابول" إلى "جلال اَباد" من اجل استقرار الوضع هناك[1].

ومن جهة أخرى، من أجل تخفيف الضغط على القوات الأفغانية من الكتيبة التاسعة في جلال اَباد، كما خطط الروس أخذ الهجوم في وادي "كونار".

وفي المقابل، يوضح وادي"كونار" تماماً الصراع التضاريسي في أفغانستان: وادي خصب تحيط به جبال مرتفعة ويحتوي على أخاديد صغيرة. في حين تتفرع عن الوديان أنفسها في أغلب الأحيان أنهاراً فرعية تنساب لتلحق بأنهار أخرى في نفس الوديان، وذلك عبر سلسلة جبال "الهندو كش" بحيث تكون منطقة التقاء الأنهر مكاناً للتمركز المدني، وتقاطعات الطرق السريعة الرئيسية. وباختصار، فإن وديان أفغانستان تشكل قيماً إستراتيجية كبيرة.

ولكنما اكتشفه السوفييت بسرعة هو أنه لم يعد هنالك قوى أفغانية كافية لحماية هذه القيم الإستراتيجية وإن الجيش السوفيتي قد اجتمع لحماية جزء بسيط ومهم جداً.

كان على العديد من قوافل المواد الغذائية والوقود والذخيرة وجنود الاحتياط في عدة أماكن أن يسافروا عبر طرق طويلة جدا ومحفوفة بهذه الوديان المفتوحة. ولذلك، فقد

1– إن كتيبة الجيش الأفغاني التاسعة أقامت ثكنة عسكرية في جلال اَباد في الطريق الرئيسي الذي يصل باكستان بكابول. يقدر اورباك بأن العديد من وحداتها انشقت بحلول صيف 1980 بحيث قوتها الفعالة انخفضت إلى أقل من 1000 (اورباك، 1988: 55).

وجد السوفيت أنفسهم مضطرون لأن يقوموا بعمليات خارج ثكناتهم وذلك فقط لتخفيف الضغط على الجيش الأفغاني وحماية خطوط التواصل الخاصة بهم. كانت محاولتهم الأولى في عملية وادي "كونار" في شهر آذار/مارس من عام 1980 ولكنها أثبتت فشلاً ذريعاً.

بدأ الهجوم بقصف جوي مستمر الأمر الذي حذر المجاهدين قتل المدنين والحيوانات وهدم الحقول والمنازل ومرافق الري مما قاد إلى إخلاء الوادي من السكان. ومن جهة أخرى، قامت المدرعات الأخرى بإثقال الوادي بحيث تعرضت إلى الكثير من الأماكن، فقد استطاعت المدرعات أن تخفف من الضغط على الثكنات في إقليم "أسد آباد" ومن ثم لتعيد بناء السلطة في إقليم "أسمر" بعد عودتها إلى القاعدة. وبعد أيام، عاد المجاهدون من الكهوف في الجبال حيث كانوا يختبئون بينما قام السوفييت بتهدئة الوادي، وعادت الحالة الإستراتيجية لما كانت عليه في السابق وهي حالة الهجوم[1].

ازداد القتال عنفاً وكثافة في شهري حزيران / يونيو وتموز / يوليو بشكل خاص في مقاطعات الحدود الثلاثة الرئيسية من "كونار" و" نانجرهار" و"باكتيا"[2]. لقد أثبت الهجوم السوفيتي في "باكتيا"بأنه كان كارثياً بالنسبة للسوفييت حيث تمخض عن ذلك ثلاث مشكلات رئيسية:

- **المشكلة الأولى:** لم تكن قوات الاحتياط مدربة تدريباً جيداً، كما أن نظام الأقدمية عند الجنود السوفييت قد دمر فعالية شروط الخدمة [3].
- **المشكلة الثانية:** قِدَم المعدات السوفيتية وخاصة الموجودة على جبهة الجنوب العسكرية.

1- من أجل المقارنة بين السوفيت والقوات الأمريكية في أفغانستان، كانت القوات الأمريكية في حرب فيتنام تسعى لتأمين تغطية للجنود تصل إلى 7. 3 جندي لكل ميل مربع بينما لم تستطيع القوات السوفيتية تأمين تغطية تصل إلى 0. 7 جندي لكل ميل مربع (كوردسمان ووانجر، 1990: 96). حتى تقييد الجنود فقط في الطرق الرئيسية ومستودعات المؤونة وحرب مدن لم تكن أبدا كافية لحمايتهم بطريقة كافية. (اوربان، 1988: -119 120).

2- هذه المقاطعات كانت رئيسية وذلك لأنها كانت تحد باكستان والتي كانت طيلة فترة الحرب القناة اللوجستية الأولية لدعم للمجاهدين (عتاد عسكري، ذخيرة وما إلى ذلك)

3- تستمر شروط الخدمة لمدة يومين وبالنسبة للجنود الذين يخدمون لسنتهم الثانية يحق للجنود القدامي إهانة ومضايقة المنافسين الجدد(انظر اوربان، 1988: 127 – 128). هذا الشق في قيادة الوحدة الصغيرة يعني بان الضباط المبتدئين كان يتعين عليهم غالبا تحمل مسؤوليات هذه الوحدات.

فقد كان عمر ناقلات الجنود المدرعة من10 إلى 15 سنة، كما كان عمر الدبابات "تي55 / T-55" أكثر من 20 سنة في حين لم تكن أي من الناقلات تحمل أية أسلحة مضادة للجنود الأمر الذي قد يخفض - بشكل كاف - نسبة الوصول إلى الأهداف في منطقة جبلية شديدة الانحدار.

• **المشكلة الثالثة:** تكمن في كون التكتيكات المستخدمة غير كافية للعمليات العسكرية والتي تتطلب وحدات مشاة مكثفة ومدربة وبأن تتصرف باستقلالية كما يجب أن تكون مدعمة بمروحيات جوية. وفي صيف عام 1980 كان لا يزال هنالك ما يقدر بـ"45 - 46" طائرة مروحية في جميع الأماكن. وفي هجوم "باكتيا" تمت هزيمة الكتيبة المسلحة بكاملها عن طريق كمين محكم حيث تم شلّ حركة المركبة الأولى عن طريق لغم أو قنبلة يدوية بحيث تم تعطيل جميع ما تبقى من القافلة. وحالما بدأ إطلاق النار، سارعت القوات بالرد بتهور، واستمروا بإطلاق النار من داخل مركباتهم حتى نفذت كافة الذخائر التي كانت بحوزتهم ومن ثم هزموا.

إن الهزيمة في "باكتيا"- إضافة إلى العديد من النكسات في ذلك الصيف - قد أدت إلى إعادة تنظيم سوفيتي كبير: "من شهر حزيران / يونيو من عام 1980 إلى منتصف عام1981 حدثت إعادة هيكلة للجيش لتكوين قوى مؤلفة من سبع كتائب إلى واحدة من ثلاث كتائب اثنتان منها مستقلتان بقوى البنادق والأخريين قوتي لواء" (اوربان، 1988: 67).

تم إخراج الدبابات من أفغانستان وإرسال المروحيات إليها حيث انتقل الوضع من 60 طائرة مروحية في عام1980 لمنتصف عام 1981 إلى ثلاث قوى مروحية تألفت كل واحدة من 40 - 50 مروحية.

وفي النهاية، فإن هشاشة عمل قوافل إمداد الوقود كان قد دفع إلى بناء خط أنابيب من "تيرميز" إلى "بول الخومري" في مقاطعة "باجلان" (شمال كابول بمحاذاة طريق سالانغ). وقد اكتمل هذا الخط في شهر آب / اغسطس من عام 1980 (اوربان، 1988: 68).

استمرت العمليات الهجومية أثناء فترة إعادة التنظيم، وفي حلول شهر أيلول / سبتمبر، بدأ السوفييت أول ما يمكن أن يكون نقطة المحور في الصراع بين السوفييت والمجاهدين: هجوم التهدئة التاسع في وادي "بانجشير"[1]. يطل وادي "بانجشير" على

1- يدعي المجاهدون بأنهم استطاعوا إصابة 10 طائرات(اوربان، 1988: 70).

منطقة رئيسية من طريق "سالانج" السريع جنوب النفق المشهور الذي يربط شمال وجنوب أفغانستان عبر جبال "هيندو كوش". وبذلك تطل نهاية وادي "بانجشير" على الطريق الأساسي للإمدادات من اتحاد الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية إلى العاصمة "كابول"[1]. كان المجاهدون تحت قيادة "أحمد شاه مسعود" يُلحقون الخراب والدمار على طول هذا الطريق لشهور. وفي شهر أيلول/ سبتمبر، أعد السوفييت العدة والعتاد لتلقين "مسعود" درساً لكنه لم ينجح على الرغم من أن الهجوم السوفيتي كان يتضمن عمليات إنزال جوي ولكن النتيجة كانت شبيهة بتلك التي حدثت في وادي "كونار" عدا عن أن في هذه المرة خسر السوفيت العديد من المروحيات.

كان هناك هجوم مشابه في بانجشير في شهر أيلول/سبتمبر وكان له الشكل والنتيجة نفسها. وفي الوقت نفسه تحرك السوفيت باتجاه معاقل المجاهدين في وادي "لوجار" الأمر الذي فتح الامتداد الحيوي للطريق السريع من "كابول" إلى جنوب "جلال أباد".

وهنا قام السوفييت بعملية إنزال جديدة وبتكتيك " تطويق وتفتيش". وهذا التكتيك الجديد وعمليات الإنـزال الأكثر تطورا قد أدى إلى عمليات أكثر نجاحاً في هذه السنة(اوربان، 1988: 72). ولكن لا تزال النتائج ضعيفة جدا. حيث لا يزال المجاهدون يسيطرون على أغلب المناطق الريفية.

وفي عام 1981 خفف السوفييت من عمليات التمشيط واعتمدوا أكثر على القوة الجوية فحين كانت معظم الهجمات البرية على نسق عملية "كونار" و"بانجشير" مما أدى إلى عمليات هروب متفرقة، واختفاء للمعدات، وخسائر بشرية ضئيلة في صفوف السوفييت، في حين قتل الكثير من المدنيين وغير المسلحين وتهديم البنى التحتية الأفغانية في حين لم يصب المجاهدون بأذى كبير.

1- كانت تعمل التكتيكات بهذه الطريقة. إذا تم الاشتباه بأن احد القرى تحوي مجاهدين يتم اختيارها للهجوم. وبعد غارة جوية أولية يتم إنزال كتيبة جوية إلى موقع بين القرية وبين الطريق الأكثر ملائمة للتراجع. يتم وضع الألغام لتسكير طرق أخرى بينما تكوم كتيبة بندقية بالتحرك ببطء إلى داخل القرية بحيث تكون مدعمة بمروحيات قريبة (ايزباي، 1989: 50). لاحظ بان الإستراتيجية السوفيتية هنا ليست بربرية بعد، على الرغم من أن لها هذا الأثر بشكل واضح. وعوضا عن ذلك كان السوفيت يحاولون أن " يفل" أفغانستان (من خلال الطرق العقدية وبطرق جذرية وحيث كان يرى السوفيت المجاهدين على أنهم طفيليات غير أدمية). ولكن عملية التفلية تحتاج إلى ملقط وما كان لدى السوفيت فقط بندقية ضعيفة. إن نتائج " هجماتهم العقابية" (هو مصطلح يستخدمه اوربان وصف كل من محركات وأثار العمليات السوفيتية – انظر اوربان، 1988: 88) حيث كان السوفيت اقرب إلى محاولة هل حلفائهم من الأفغان ببندقية لعب.

في عام 1982 أعاد السوفييت شنّ عمليات تمشيط هادئة وعلى نطاق واسع، وقد حققت نجاحاً بسيطاً. وفي شهري نيسان/ إبريل وأيار/مايو بدأ السوفيت بالهجوم الخامس من نوعه على إقليم "بانجشر"، وفي شهر أيلول/ سبتمبر شن السوفييت هجومهم السادس على نفس الإقليم ولكن أياً من تلك الهجمات لم تكن حاسمة على الرغم من أن تكتيكات السوفييت (وخاصة الجوية منها) والتطور التقني الذي جعلها أكثر فعالية من حملة "بانجشير" السابقة. ولكن استمرار المجاهدين وقوات "مسعود"كانت غير ملموسة بينما أُضطر السوفييت إلى التراجع لثكناتهم.

وقد قدر "أوربان" أعداد الإصابات البشرية بالنسبة للهجوم السادس على "بانجشير" بألفي قتيل من الجيش السوفيتي ومثلها من الجيش الأفغاني، ومائة وثمانين قتيلاً من المجاهدين وألف ومئتين من المدنيين بين قتيل وجريح (اوربان 1988: 109).

وفي مناطق أخرى، كان السوفييت قد أصبحوا مهزومين بوضوح، وفي شهر نيسان/ أبريل اضُطرت القوات الأفغانية إلى التراجع من "جلال آباد" إلى الحدود الباكستانية بحيث كادت أن تبيد.

إن ما ميز حملة "بانجشير" السادسة هو التحول في الإستراتيجية السوفيتية من الهجمات المباشرة ضد قواعد المجاهدين إلى تدمير معتمد ومنظم للأبنية وأنظمة الري والبساتين (رايس، 1994: 102) إضافة إلى الاستهداف المتعمد لغير المسلحين لزرع الإرهاب و" تطهير" الوديان المتنازع عليها:

وبما أنهم لا يستطيعون التفريق بين المجاهدين والسكان المحليين وبما أنهم لا يستطيعون أن يشركوا المجاهدين في القتال، فقد حاول الغزاة إبعادهم عن قومهم الأصليين "محاولين تدمير دعم الثوار ضمن السكان المدنيين، كما أنهم انقلبوا ضد غير المسلحين والمدنيين مدمرين قراهم ومحاصيلهم وأنظمة الري الخاصة بهم وأيضا قتلهم. حيث أصبح التدمير الذي ينفذ من غير تفريق ميزة العمليات العسكرية السوفيتية. وفي هذه الحالات قام الغزاة بارتكاب مجازر. وبسبب الظروف على الأرض، فقد وجد الغزاة أنفسهم أمام وضع مأساوي بالغ القسوة حيث قتلوا المئات والآلاف من الذين تعهدوا حمايتهم. (كاركار، 1995: 129)

وإذا صح قول "كاركار" و"رايس" فإن السوفييت جسدوا التعريف الفعلي للهمجية: وهو عبارة عن استهداف منظم للمدنيين وغير المسلحين وذلك سعياً وراء هدف عسكري

وسياسي. وأشار"اوربان" نفسه بأن عملية "بانجشير" السادسة كان لها أثر مدمر على قوات "مسعود":

بالنسبة لمسعود هذه كانت التكلفة الأكثر شدة في حملة "بانجشير" السادسة. وبحلول شهر تشرين الأول/ أكتوبر كان مجبرا على أن يطلب الطعام من أجل رجاله. ولكن على الرغم من أن مسعوداً كان حياً، ولم يمس العديد من رجاله إلاّ أن حملة"بانجشير" السادسة قد سببت ضرراً مستمراً للبنية التحتية لحرب العصابات في الوادي، مدمرة سنين من العمل من قبل المجاهدين.

وقد قام الزائرون بتقدير الانخفاض في تعداد السكان في الوادي من 80.000 إلى 45.000(اوربان، 1988: 109)

وفي المختصر، فقد بدت الهمجية السوفيتية أقرب لتكون فعالة عسكرياً. ولكن هل كانت الإستراتيجية السوفيتية همجية؟ أو أنها كانت هجوماً استراتيجياً مباشراً ووقحاً أدى من حيث النتيجة إلى ضرر جانبي كبير؟.

التفاعل الثاني: الهمجية

هناك دليل لتأييد كل من الأضرار الجانبية والتفسيرات الهمجية، ولكن حجم الدليل يدعم الحجة الهمجية. ولكن من جهة أخرى، فإنه من الصعب المحافظة على حجة الأضرار الجانبية وذلك لثلاثة أسباب:

- **السبب الأول:** وكما أُشير في سابق السياق أعلاه، فإنه، وبحلول عام 1987 انخفضت نسبة عدد السكان في أفغانستان من 15 مليون إلى ما يقارب 10 % من مجموع السكان (سليوينسكي، 1989: 39). وهذا يعني بأن الأفغان كانوا يعانون من حصيلة قتل تزيد على ما عاناه الاتحاد السوفيتي في الحرب العالمية الثانية. وإضافة إلى ذلك، فقد عززت الحرب أكبر نسبة هجرة في التاريخ: حوالي نصف عدد السكان أي أكثر من ستة ملايين أفغاني هربوا إلى إيران وباكستان خلال الحرب (كوردسمان ووانجر، 1990: 10) وهذه الأعداد نفسها لا يمكن أن تدعم فكرة الهمجية وذلك لوجود أسباب أخرى يمكن أن تؤدي إلى الإصابات البشرية واللاجئين (مثل النقص الكامل في المؤن الطبية، الأمراض أو العمر، أو ربما سكان شديدي الخوف). ولكن لا تزال هذه الأرقام إشارة إلى معدلات خراب كبيرة حتى ضمن المدنيين.

• **السبب الثاني:** هنالك اتفاق منتشر حول التهديم المتعمد للبنى التحتية الأفغانية – خصوصا الأبنية والحقول، وأنظمة الري – والتي لا يمكن أن تعزى لضرر جانبي وذلك لأن هذا التهديد يلحق العمليات العسكرية:

بقيت القوات السوفيتية/ الأفغانية في "بانجشير" حتى العاشر من شهر أيلول/سبتمبر عندما تراجعت إلى "روكا" مرة أخرى. ولكن قبل أن يقوموا بذلك، كانوا قد هدموا المنازل، وأنظمة الري والمحاصيل. الأمر الذي أدى إلى عمليات لجوء كبيرة. (اوربان، 1988: 109)

ومن ناحية أخرى، فإنه من الصعب مع ذلك الأخذ بعين الاعتبار الضرر الجانبي، وذلك لأن هذا المصطلح مستخدم دائماً للإشارة إلى أن الضرر:

(أ) لم يكن مقصودا من قبل المعتدين الغزاة.

(ب) كان هجوماً عرضياً ضد هدف مشروع (الأمر الذي يسمح لتعريف كلمة "شرعي" أن تختلف بعض الأحيان في الصراع).

• **السبب الثالث:** هناك ثمة سؤال يتمحور حول استخدام الألغام، والأسلحة الكيميائية، ومعاملة الأسرى. وكما هو مشار مسبقاً، قام السوفيت بتوزيع عدد كبير من الألغام كجزء من تكتيك التطويق والتفتيش. وكان اللغم الأكثر شيوعاً هو لغم صغير مضاد للأفراد PFM –1 والذي تشير إليه المصادر الغربية بلغم "الفراشة". ولكن هذا اللغم لم يستعمل فقط لدعم العمليات المباشرة ولكن تم وضع كميات كبيرة منه في أماكن متفرقة ضمن طرق نقل الإمدادات الخاصة بالمقاتلين المشتبه بهم بما يتضمن الحقول والمراعي. ومن غير أية مفاجئة، فإن معظم الضحايا كانوا من المدنيين. أما بالنسبة لاستخدام الأسلحة الكيميائية – وهناك دليل قوي بأن السوفيت قاموا بتجارب كيميائية مع عدد المواد المختلفة في أفغانستان (ايسباي، 1989: 76، كوردسمان ووانجر، 1990: 214 – 218، كاركار، 1995: 215)– ولكن لا تزال القضية ذات طابع سياسي بارز وعلى الرغم من عدم الحصول على أي دليل ثابت ليؤكد استخدام المواد الكيميائية (اوربان، 1988: رايس، 1994: 106 – 108) فإن الدليل المتوازن يقترح بأنه تم استخدام الأسلحة الكيميائية كمضاد للأسلحة النووية ضد نقاد قوة المجاهدين المنعزلين.

وفي نهاية الأمر، لم تكن القوات الروسية تنظر إلى الأسرى (كاكار، 1995: 246).

وفي المختصر، فإن معظم الفظائع قدتم تأكيدها من قبل المشاهدين والصحفيين والمؤرخين الذين استطاعوا استعراض أحداث الحرب وإن حجم الدليل يقترح أن الأسباب الرئيسية خلف الخسائر البشرية يرجع إلى استهداف المدنيين وإلى استهداف طعامهم، ومائهم ومأواهم.

كانت هذه الهجمات تهدف لإضعاف المجاهدين وذلك من خلال تعطيل قاعدتهم العسكرية واللوجستية وأيضا قاعدة الاستخبارات الخاصة بهم على الحدود المتاخمة الممتلئة بالسكان.

شهدت سنة1983 هدوءا نسبيا في القتال في أفغانستان، حيث قام "مسعود" بتوقيع هدنة مع السوفييت في شهر كانون الثاني / يناير. وقد قام الروس بعمليات تمشيط قليلة جدا في تلك السنة لكنهم عوضاً عن ذلك، فقد صعّدوا من استعمال السلاح الجوي (مرة أخرى تأثر بهذه العمليات المدنيون وليس المجاهدين). كما أنهم قاموا أيضا بتناوب الجيوش وإعادة تدريبها وتزويدها بقاذفات من عيار 30 ملم وقاذفات قنابل يدوية من طراز (AGS-17) ومركبات قتال للمشاة مطورة من طراز (BMP-2) والتي تستطيع مدفعيتها أن تصل إلى مسافات بعيدة وصواريخ من طراز (RBG-18). وهكذا، فبعد انتهاء وقف إطلاق النار مع "مسعود" في عام 1984، قام السوفيت بالبدء بعملية الهجوم السابعة على "بانجشير" وذلك في شهري نيسان/ابريل وأيار/مايو. وكحذر من الهجوم قام "مسعود" بضربة احترازية لقوافل الدعم المتجهة عبر طريق "سالانج" حيث قام مجاهدوه بتدمير العديد من المركبات، لكن السوفييت تمكنوا من القبض عليهم حيث تم تطويق العديد منهم وقتلهم عن طريق القوى الجوية.

لكن مسعود لم يرعو، بل قام بعملية احترازية أخرى في 20 نيسان / أبريل، ولكنه – وفي نفس اليوم– بدأ السوفيت بعملية قصف شديدة في الوادي والجبال. وفي المقابل، وبدون أيما جزع، طلب "مسعود" من قواته المتبقية الانسحاب إلى الأخاديد الجانبية وتجنب الاتصال بالقوات الميكانيكية التي تتقدم على محاذاة الوادي.

ولكن في المقابل، فقد تضمنت هجمات السوفيت هذه المرة عمليات منسقة في الأخاديد، حيث تم توزيع هذه القوات خصيصاً من الجوانب المعاكسة لهذه الأخاديد على أنها كمين للمجاهدين بين قوتين جويتين مدججتين. وهكذا، استطاعت هذه الخطة –إضافة إلى التكتيكات السوفيتية الحديثة– أن تحقق خسائر أكثر من المعتاد (اوربان، 1988: 147).

وبعد المعركة، ادعى كلا الطرفين النصر على الرغم من أن السوفيت كان لهم النصيب الأكبر من ذلك النصر: حيث كانوا قد القوا القبض على قائد مهم من المجاهدين كما قاموا بإعادة بناء سلسلة المناطق المحصنة على محاذاة المناطق الرئيسية في الوادي. وفي هذه المرة استطاعوا قتل عدد اكبر من المجاهدين كما استطاعوا أن يدعوا بأن المدنيين يمكن لهم العودة إلى "حياتهم الطبيعية" (اوربان، 1988: 148). ومن ناحية أخرى، يمكن للمجاهدين ادعاء النصر وذلك بسبب:

(أ) استطاعوا إخلاء مناطق غير المسلحين قبل التفجيرات.

(ب) لم يتم تدميرهم كقوة قتالية واستطاعوا تدمير العديد من المروحيات السوفيتية والتي كانت تحاول دعم عملية تطهير الأخاديد الجانبية.

(ج) إن قرار السوفييت ببناء مناطق محصنة يعني أن عمل المجاهدين سوف يصبح قريبا اسهل مع وجود أهداف قريبة منهم.

وقد أثبتت هذه النقطة الأخيرة أهمية بالغة، وذلك أنه، بالرغم من أن السوفييت[1] قد رأوا بأن هذه المناطق المحصنة تشكل تهديدا للمجاهدين، ولكنها سرعان ما أثبتت العكس[2]. فحالما تم بناءها، كان يتوجب تزويدها بالرجال وتزويدها بالعتاد والمؤن بشكل مستمر[3]..

1- لدى كاكار الأرقام ذاته للتشابه بين كوفي والآخرين من حيث الاستخدام الإيطالي لغاز الخردل خلال غزوها على إثيوبيا في عام 1935 (انظر الفصل الخامس): " استعمل السوفيت مواد كيميائية في أماكن لا يمكن الوصول إليها، ولهذا السبب دمر السوفيت بواسطة المروحيات المزودة بالأسلحة الأماكن التي يشتبه وجود الغرباء فيها. بعيدا عن أي اعتبارات كان السوفيت يخافون من التواجد الأجنبي وذلك من أن يخبروا العالم لاستعمالهم أسلحة كيميائية في أفغانستان. كان بتفجير مراخ الصحة القليلة الموجودة والمؤسسة في مناطق محددة من قبل الفرنسيين وغيرهم. كان رمز الصليب الأحمر لعنه بالنسبة للسوفيت" (كاكار، 1995: 246).

2- إذا قرأ السوفيت كتب التاريخ الخاصة بهم لكانوا فهموا لماذا. لقد حاول الفرنسيون نفس التكتيك في الجزائر سنة 1830 ضد عبد القادر (اسبري، 1994: 97) وبعد ذلك في فيتنام سنه1950. كانت النتيجة كارثة في كلتا المرتين. استطاع البريطانيون الاستفادة منها فقط خلال حرب جنوب إفريقيا لأنهم استطاعوا استخدام جميع السكان السود كمورد استراتيجي. لا يوجد أمثلة أخرى لاستخدام إستراتيجية الخط المحصن أو المعقل.

3- في كتاب الدعائم السبع للحكمة، وصف تي أي لورانس فائدة إبقاء الأتراك في المدينة:"في إحدى الأيام استيقظت من الحر الشديد وأنا أتصبب عرقا والحشرات تلسعني واستغربت ما فائدة المدينة بالنسبة لنا؟ إنها شديدة الإيذاء لقد كانت جديدة بالنسبة لنا عندما كنا في ينبع وكان الترك متوجهين إلى مكة: ولكننا غبرنا كل ذلك بحركتنا إلى وجيه. اليوم نحن نقوم بسد طريق السكك الحديدية وهم فقط يقومون بحمايته. لقد تحولت المواقع العسكرية في المدينة إلى مهاجمة صغيرة الحجم، جالسين في الخنادق يقومون بتهديم قوتهم الخاصة للتحرك من خلال التنقل بحيث لم يعودوا قادرين على إطعامها. لقد أخذنا كل قوتهم، كما أردنا اخذ مدينتهم.... ولكن لأي سبب أردناها؟ (لورانس، 1926:189). وفي الجوهر، ما فعله السوفيت هو بناء عدد من "مدينة" على محاذاة وادي بانجشير.

ولكن هذا الأمر عنى مسافة قليلة جدا للمقاتلين لكي يتنقلوا من أجل إعداد الكمائن لقوافل الإمدادات، كان الجنود داخل هذه المواقع غير قادرين على بذل أي شي عدا التأثير السلبي على المدنيين المتبقين في الوادي، كانت مواقع الميليشيا غير قادرة أيضا على التأثير في الأحياء التي كانوا يتمركزون فيها حيث كان مكانهم بين السكان الريفيين المعادين لرمز النظام البغيض. وعندما قام المجاهدون بمهاجمة الرمز، لعبت أسلحة رجال الميليشيا وأعاثوا الخراب بين القرى إلى الحد الذي اضطر فيه أهل القرى للتوسّل لدى المجاهدين لترك قراهم ووقف إطلاق النار على هذه المناطق الأمر الذي خلق صدعاً بين المجاهدين وبين أهل القرى وكان هذا يُعدّ بمثابة نصر بالنسبة للنظام. ومن ناحية أخرى، فإن شبكة من المناطق العسكرية عبر البلاد قد تؤدي إلى تهدئة على الأرض، ولكن لم تستطع الحكومة حتماً بناء نظام كهذا.

ولكن يجب أن نلاحظ هنا بأن هذه الشبكة هي ما استطاع البريطانيون بناءه، والمحافظة عليه والتوسع إلى شمال إفريقيا. ولكن لم يكن لدى السوفيت المهمة (أو الموارد اللازمة لها) لبناء مثل هذه الشبكة.

ومرة أخرى فإن تفكير" تي أي لورانس" بهذا الأمر يعتبر توضيحاً مناسباً. وهنا يقوم بحساب ما يمكن أن يفعله الأتراك للسيطرة على 100.000 ميل مربع من الأراضي الممتدة من الحجاز إلى سورية.

وبعد ذلك اكتشف كم من الرجال سيحتاجون لكي يحرقوا كل هذه الأرض ولحمايتها من هجومنا في العمق. لقد عرفوا الجيش التركي جيدا، ومن ناحية أخرى يجب السماح لامتداد حقل مرمى أسلحتهم حيث لا يزال يبدو أنهم يحتاجون إلى مناطق محصنة كل 4 أميال مربعة وفي كل منطقة ليس اقل من 20 رجلا. وإذا كان الأمر كذلك فهم سيحتاجون إلى 600.000 رجل لكي يواجهوا النوايا السيئة للعرب، مع عداء بعض المتعصبين. (لورانس، 1926: 192)

بيد أن هذا الأمر يختلف بنافي المهمة المحدودة للوحدات المحدودة على انه عمل توضيح أساسي في إستراتيجية السوفيت المتبعة[1].

تبلغ أراضي أفغانستان ما مساحته 245.000 ميلاً مربعاً ولابد من الاعتراف بأن السوفيت يحتاجون فقط للسيطرة على جزء بسيط منها، ولكن لم يكن لديهم جيوشاً كافية

1- يذهب كاكار لاقتراح بان صلة مباشرة بين إستراتيجية الهمج والعدد المحدود من الجيوش السوفيتية في المسرح (انظر الأسفل)

للقيام بذلك (اوربان، 1988: 119).ٌ وفي الواقع، كان السوفيت منتشرين بشكل بسيط في أفغانستان حيث كان "مسعود" قادرا على استخدام التهديد لهذه المناطق وكذلك للتلاعب بخطى العمليات في أقاليم أخرى. بيد أن القليل كان يمكن تغييره من عام1985 حتى التراجع السوفيتي في عام1989.

في عام 1985، استلم "ميخائيل جوربا تشيف" السلطة في شهر أيار/مايو، كما تم استبدال "بارباك كارمال" بـ"محمد نجيب الله" والذي كان يترأس البوليس السري في الجيش الأفغاني تحت قيادة "كارمال". على الرغم من أن "جوربا تشيف" لم يكن يشارك من سبقه نفس النظرة وذلك فيما يتعلق بالتكاليف وفوائد المغامرة الأفغانية، فقد أعطى قائد الجبهة الشمالية المعين حديثا، "ميخائيل زايتسيف" سنة كاملة ليُهندس حلاً عسكرياً للمشكلة الأفغانية. في حين صعدت العمليات في عام 1985 من الهمجية السوفيتية حيث أن: المدفعية السوفيتية وقاذفات الصواريخ قد استكملت مهامها بالتعاون مع قصف الطائرات لتحقيق الإجلاء السكاني من خلال القوة النارية وتلك طريقة ظلت مستمرة بسبب صعوبة قوى النظام مما أدى إلى إلحاق الدمار التام بالمناطق الريفية التي كانت الهدف الرئيسي وعلى الأخص الهجمات على إقليم "لانجهام" في وادي "هيلمند" (ايسباي، 1989: 34).

ولكن بعد ثلاث سنوات بدأ السوفيت– بشكل واضح– عمليات مكثفة من ناحية فعالية إستراتيجية الإجلاء. فقد كثف "زايتسيف" استعمال القوة الجوية وخاصة العمليات المدعمة من المروحيات، ولكن المجاهدين رفضوا الكشف. لماذا؟

في عام 1986 ركزت العمليات السوفيتية على حرمان المجاهدين من المؤن والإمدادات وذلك بعد أن دمروا معظم البنى التحتية للمؤن الخاصة بالمجاهدين خلال المحاولات الهمجية التي استمرت لأربع سنوات، لكن المجاهدين في هذه المرة كانوا معتمدين لوجستياً على دعم إيران والسعودية وأيضاً من الولايات المتحدة الأمريكية (رايس، 1994: 112–113). وكان هذا الدعم يصل في معظمه"لكراتشي" ومن ثم يطير من هناك عن طريق "بيشاور" على "باكيتا" ومن ثم إلى قوات المجاهدين عبر أفغانستان.

وفي عام 1985 كان المجاهدون قد أصبحوا قادرين على استخدام قذائف أرض–جو من طراز SA–7 وقذائف صاروخية من طراز SAM التي استعملت من قبل المجاهدين ولكن مع الأثر البسيط الذي حققته قذائف SAM المصنعة في بريطانيا. وفي عام 1968 بدأ المجاهدون

بتلقي قذائف SAM الأكثر تأثيراً، والمصنعة أمريكياً، وقد أدى هذا الأمر إلى تكثيف الضغط من قبل السوفييت على باكستان، وقد قاموا بذلك عن طريق هجمات خفيفة على المجاهدين في باكستان، ومن خلال رشوة القبائل "غيربشتونية" على محاذاة الجانب الباكستاني من الحدود.

ولكن هذه المحاولة اثبت أنها فاشلة ومكلفة جداً، ولكن المشكلة الكبرى كانت في عام 1986 مع قذائف SAM الأمريكية والتي استخدمت بشكل قوي ضمن هجوم كبير في إقليم "ناجرهار" حيث تم تدمير ثلاثة من أصل أربع مروحيات سوفيتية وبسرعة كبيرة عن طريق قذائف SAM أمريكية الصنع" (ايسباي، 1989: 38).

وهكذا، فقد كان لخسارة المروحيات الروسية أثر غير متناسب مع أثرها العسكري، وذلك لأن السنوات الست السابقة كانت قد اعتمدت بشكل كبير على تكتيكات القوى الجوية[1]. وفي عام 1987 أصبحت الأمور بحال أسوأ:

كانت قذائف SAM أكثر الأسلحة فعالية تلقاها المجاهدون، "فلقد أصبحت نقطة تحول في الحملة". ووفقا لتقديرات الاستخبارات الأفغانية "فخلال صيف 1987 كان المجاهدون قد ضربوا ما يعادل مجموعه مائة وخمس طائرات ذات مواصفات مختلفة كل يوم. "

و بنهاية عام 1987 كانت الحالة العسكرية قد تراجعت لدرجة أن "نجيب الله" قد اعترف بأن " 80 % من المناطق الريفية و40 % من المدن كانوا خارج سيطرة حكومته". (كاركار، 995: 260).

ومن جهة أخرى، فقد كان "زايتسيف" قد حصل على قوة جوية مستقلة في عام1985، وكان وصول الأسلحة الأمريكية الصنع في الكم الأمر الذي جعله من الصعب عليه أن يهندس النصر العسكري معتمدا على هذه القوى ذات التخصص العالي. وهنا دعا "جوربا تشيف" إلى التوقف، ومن ثم بدأ السوفيت انسحاباً متتابعاً لقواتهم، والتي انتهت عندما عبرت أخر وحدة سوفيتية نهر "أوكسوس" إلى اتحاد الجمهوريات السوفيتية وذلك في شهر كانون الثاني / يناير من عام 1989. وكانت النتيجة: انتصار المجاهدين.

على الرغم من أن كتاب"اوربان" قدتم نشره قبيل نهاية الحرب، ولكنه وضع بعض ظروف النصر المفيدة:

1- هذا ليس كقول بأن التقنية ربحت الحرب لصالح المجاهدين. إن ما فعلته هو جعل الأمر غير ممكنا لزايتسيف أن يلبي مهلة سنه واحدة. فإذا كان قد أعطى وقت أكثر وكان من الممكن بالنسبة للسوفيت أن يطوروا وينشروا إجراءات مضادة من دون أي تصعيد.

يمكن أن يُعرّف النصر في حرب أفغانستان على الظروف الراهنة على الأرض وخلف ترك الجيش السوفيتي. فإذا نجا نظام الحزب الديمقراطي الشعبي الأفغاني واستمر بخطى بطيئة، عندها يمكن للسوفييت أن ينجحوا، أما إذا انهار النظام حتى ضمن سنة أو اثنتين من الانسحاب، فإنه يمكن الحكم على اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية بأنها جربت طعم الإذلال مقارنة مع ما جرى للأمريكيين في فيتنام.

لكن النظام الأفغاني كان قد انهار بعد ثلاث سنوات من مغادرة السوفيت، ووفقاً لمتغيرات "اوربان" فإنه يمكن الحكم على التدخل السوفيتي إما على أنه نجاح أو إذلال أكثر شدة منه مما حدث في فيتنام.

في شهر آذار / مارس من عام 1989، بدأ المجاهدون سلسلة من الهجمات بين الحدود الباكستانية و"جلال آباد" التي كانت تحت الحصار. وفي شهر نيسان / ابريل بدأ المجاهدون بتشكيل وحدات جيش منظمة للتحضير من أجل الدفاع على" كابول" وقد قضوا معظم سنة 1990 في التنظيم وتدعيم أنفسهم. وفي شهر آذار /مارس من عام 1991 احتلوا إقليم "خوست" حيث أسروا أكثر 2200 من الجنود، وفي شهر تموز/يوليو وقع ممر "واكهان" فاتحاً الطريق لنقل العتاد من باكستان إلى "بنغلادش". وفي أيلول / سبتمبر وافقت الولايات المتحدة الأمريكية أن توقف جميع المساعدات العسكرية في نهاية السنة، وفي تشرين الثاني/ نوفمبر بدأ السوفيت بسحب أكثر من 300 بطارية قذائف صاروخية من نوع "سكود SCUD" من أفغانستان.

وفي الثامن من شهر كانون الأول /ديسمبر لم يعد الاتحاد السوفيتي موجوداً حيث انتهت المساعدة السوفيتية لنجيب الله. وفي شهر نيسان /ابريل من عام 1992 ناشد "نجيب الله" الولايات المتحدة الأمريكية المساعدة، وذلك لإيقاف انتشار الإسلام المتطرف في آسيا الوسطى، وفي الثاني عشر من شهر نيسان/ ابريل وقع طريق "سالانج" الحيوي في أيدي المجاهدين. وبعد عامين استطاع "مسعود" ومساعديه السيطرة على قاعدة "باجرام" الجوية. وفي الثامن عشر من نيسان/ابريل وقعت كل من مدينة "هيرات كوندوز" وقاعدة "شينداد" الجوية. وبعد يومين تم توقيف "نجيب الله" في مطار "كابول" بينما كان يحاول الفرار واللحاق بعائلته في "دلهي" والذي لجأ لمقر الأمم المتحدة طالباً الحماية[1].

1– بقي نجيب الله في مقر الأمم المتحدة حتى وقت طالبان – وهي مجموعة من المسلمين السنة المحافظين دربتهم ودعمتهم باكستان – حيث احتلوا كابول في أيلول/سبتمبر من عام 1996 وعندما اخذ من المقر وتم شنقه.

استمر المجاهدون بتطويق "كابول" التي احتلوها في السابع والعشرين من شهر نيسان/ابريل من عام 1992، وكان الاحتفال الرابع عشر للانقلاب الذي أطاح "بداوود".

لم تكن الخسائر البشرية لكل جانب واضحة. حيث يقدر (كوردسمان ووانجر، 1990: 10، انظر أيضا ايسباي، 1988: 62) بأن السوفيت لم يخسروا أكثر من خمسة عشر ألفاً من رجالهم وثلاثة أضعاف عددهم كانوا من الجرحى[1]. بينما خسر الجيش الأفغاني ما بين أربعة وثلاثين ألفاً واثنين وأربعين ألفاً بين قتيل وجريح وحوالي ما مجموعه من اثنين وخمسين ألفاً إلى ستين ألف حالة فرار. وقد خسر المجاهدون مابين مائة وأربعين ألفاً إلى مئتي ألف بين قتيل وجريح. بينما وقع نصف عدد سكان أفغانستان بين قتيل أو لاجئ أي حوالي مليون ونصف قتيل وأكثر من ستة ملايين لاجئ.

لم يحقق السوفيت أهدافهم السياسية في أفغانستان، كما لم يستطيعوا حماية حلفائهم من الجيش الأفغاني من الهجمات حتى في "كابول" في حين لم يستطع الجيش الأفغاني أن يحصل على الشرعية التامة ضمن الشعب الأفغاني وذلك لرفع التحدي السياسي لسلطة المجاهدين. وحتى بشكل أكثر أهمية وخلال عام، أصبحت جماعة "طالبان" (مجموعة من المتشددين الإسلاميين وهي من النوع الذي يهابه السوفيت كثيراً قد استلمت السلطة في أفغانستان وكانت الحكومة الفعلية لكل المناطق عدا جزء بسيط يسيطر عليه تحالف الشمال).

تحليل: شرح متنافس لنتيجة الحرب الأهلية الأفغانية

مصالح الممثل

في الحرب الأهلية الأفغانية، لم تكن مصالح السوفيت موضحة من خلال تفوق قوتها المادية بالنسبة لتلك الموجودة لدى المجاهدين. فقد غزا السوفيت أفغانستان دون وجود حتى هدف ضئيل في بناء وحماية النظام الماركسي في "كابول" حيث كان هنالك توقعاً أنه في حال تم فرض تلك الحالة من الاستقرار، فسوف يكون النظام "الكارمالي" قادراً وبنجاح من أن يوسع نطاق الدعم (من خلال زج المتطرفين في السجون والبدء بعمليات الإصلاح والتطوير) حتى يصبح الوجود العسكري السوفيتي غير ضروري. ولكن

1- لقد اورد بوروفيك بأن هذا الأمر يعتبر قلة تقدير: فوفقا للأبحاث، كان هنالك ما يقارب 20، 000خسارة بشرية سوفيتية في عام 1981 وحده (بوروفيك، 1990: 281).

وجودهم حفز المعارضة وبنفس الوقت لم يشرع وجود النظام "الكارمالي" مع تلافي أي أمل في الخلاص. وهكذا، ولما استمروا في التواجد بعد أن برزت مزاعمهم الأصلية كانت خاطئة؟ وبشكل أكثر أهمية، لماذا لم يصعدوا تواجدهم كما فعلت الولايات المتحدة في فيتنام؟ لقد استمروا في البقاء ذلك لأنهم غالوا في تقدير حجم القوة العسكرية الخاصة بهم. كما أنهم غالوا في تقدير إلى أي مدى يستطيع حلفاءهم من الأفغان التصرف باستقلال عن الدعم السوفيتي، وإلى أي درجة يمكن أن يعتبر الشعب الأفغاني نفسه قادراً على الاستقلال في العمليات العسكرية.

لقد استمروا في البقاء ليس فقط لأنهم كانوا يخافون أن يتعرضوا للإذلال على يد النظام الماركسي الصديق على حدودهم[1] ولكن لأنهم خافوا أن يتم استبداله بالمتطرفين الإسلاميين في كابول[2].

لم يصعد السوفيت من قوتهم لأنهم كانوا واثقين من قدرتهم على التجدد استراتيجياً - تكتيكياً، تقنياً وسياسياً - وبطرق جديدة لتحديث فعاليتهم العسكرية من دون زيادة التكاليف من ناحية الدم والوقت. إن إستراتيجية الإجلاء الخاصة بهم، تكتيكات التطويق والتفتيش، المساعدة الجوية، المعدات الحديثة وإعادة تنظيم وتدريب وإمداد الوحدات الأفغانية هي جميعها تشكل دليل واضح لهذا الأمر. كما إن قرارهم في البقاء يدل على أن المصالح السوفيتية في أفغانستان كانت أعلى من حجة مصلحة عدم التناظر المقترحة، ويبقى رفضهم للتصعيد مجرد اقتراح بأن مصالحهم في أفغانستان كانت في الواقع محدودة، الأمر الذي ينطبق على قوتهم العسكرية وأهدافهم في أفغانستان. ومن ناحية أخرى، فإن أياً منهم لا يستطيع تقديم جواب محدد لهذا السؤال، ولكن الدليل الأكثر دعماً للحجة هو أنه مهما كانت أهدافهم الأولية، فإن حقيقة الحرب ومقاومة المجاهدين قد زادت من أهمية النتيجة بالنسبة للسوفييت بما يتعدى حجة مصلحة التناظر.

لم يغادر السوفييت إلا عندما قتلوا وشردوا نصف الأفغان المدنيين وحصلوا على وعد في الحد من الدعم الخارجي للمجاهدين. وفي نفس الوقت استمروا في تدفق ملايين الروبلات للتطوير والمساعدة العسكرية للأفغان، حيث استطاع نظام "نجيب الله" البقاء حتى انهيار الاتحاد السوفيتي نفسه سنة 1991.

1- مسألة ذات وضع سلبي سابق: إذا استطاع اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية أن يدافع عن النظام الماركسي الصديق من خلال رعاع متعصبين، كيف يمكن للحلفاء الأكثر بعداً الاعتماد عليه؟

2- إن الأحداث المصاحبة لمغادرتهم تحمل الوضع القلق: بعد يومين من انهيار نظام نجيب الله في كابول، اندلعت الحرب الأهلية في طاجكستان.

ولكن بصراحة أكثر، يكمن السبب الحقيقيّ وراء عدم التصعيد هو أن السوفيت كانوا قد أمنوا بأنهم قد حققوا أهدافهم المحدودة في أفغانستان.

لكن المجاهدين استمروا في القتال على الرغم من كون قدرتهم على البقاء كانت على المحك. فحالما انسحب السوفيت، بدأ المجاهدون بالقتال بين بعضهم البعض!. وقد بدأ هذا الأمر حالما انهارت الحكومة الأفغانية المفروضة من قبل الإتحاد السوفيتي.

أنواع الأنظمة: الإستراتيجية، والضعف.

في عام 1979 كان الإتحاد السوفيتي خاضعاً لنظام سلطوي تحت لواء "ليونارد بريجينيف" وحتى بعد صعود "ميخائيل جورباتشيف" إلى السلطة عام 1985 لم تطبق سياسة المصالحة الخاصة به على الحرب الأفغانية:

إن أكثر ما نحاول إخفاءه هو كون الأمريكان أفضل من السوفييت. فإذا حاولت أن أنشر بعض المعلومات التي نعتبرها ذات سرية تامة، والتي كانت قد ظهرت في الصفوف الأمريكية منذ وقت طويل، أو سوف تستمر الرقابة في إخفائها. وهنا يفرض سؤال واضح نفسه: طالما يعرف الأمريكيون شيئاً عن الجيش السوفيتي، فلماذا لا يحق للشعب السوفيتي أن يعرفه أيضاً؟ (بوروفيك، 990: 127).

كانت السلطة تسيطر على الصحافة السوفيتية بشكل شديد، حيث تتم مراقبة حتى رسائل الجنود كما لم يكن لدى الشعب الحق بإعطاء رأيه في السياسة الخارجية[1].

لقد كانت إستراتيجية الهجوم التقليدي في أفغانستان معتمدة على المهمة، وعلى هيكلة القوة العسكرية وعلى مزاعمهم حول كمّ ونوع المقاومة المتوقع مواجهتها.

لم تتوقع الكتيبة الثالثة التي اجتاحت أفغانستان في 27 كانون الأول/ديسمبر من عام 1979 أن تلاقي أية مقاومة حيث واجهت مقاومة بسيطة حتى بعد استقرارها في الثكنات. كانت هجماتهم التمهيدية الأولى في الوادي الأفغاني أكثر من مجرد عرض للقوة والذي كان يهدف لإخافة "الفلاحين الرجعيين المتخلفين" الذين اعترضوا على محاولات حزب الشعب الديمقراطي الأفغاني بأن يدفع بالاشتراكية نحو الأمام.

1- كانت معظم رسائل الجنود مراقبة ذاتيا: حيث يعلم الجنود أن عائلاتهم ستكون قلقة، فغالبا ما كانوا يكتبون رسائل تشجيعية لتخفيف قلق أهلهم عليهم (تاماروف، 1992)

ولكن لم يكن الأفغان فزعين بل كانوا ساخطين. فحالما اختلفت إستراتيجية الهجوم التقليدية التي اعتبرت في السابق بأنها إستراتيجية مرعبة بالنسبة للأفغان إلى حملة منظمة يمكن فهمها تماماً من خلال كتب التاريخ السوفيتية:

في حالة أفغانستان، لا يمكن استبعاد إستراتيجية مركزية التنظيم تستهدف ما وصفه "لويس دوبري" "إبادة جماعية" في حين أن إجلاء السكان كان جزءاً من عقيدة السوفيت المكافحة والتي تمت ممارستها في وقت سابق في حرب آسيا الوسطى. كما إن حرب المكافحة الفعالة لا يمكن استعمالها ضد الميليشيات التي تسبح في بحر من الدعم الشعبي. في حين إن عدم قدرة نظام "كابول" الفوز بعقول وقلوب الأفغان، تضافر مع السوفيت من أجل إخلاء مناطق المقاومة العنيفة. (رايس، 1994: 102–103).

وهذه كانت طريقة أخرى من اجل القول بأن هذه الهمجية هي إستراتيجية تقليدية في عقيدة الحرب السوفيتية. ولأن نظام الاتحاد السوفيتي لم يتغير منذ عام 1917 حتى انهياره في عام 1991 حيث يكون من الصعب تقدير أثر نوع النظام على قرار التحول إلى إستراتيجية بربرية في حالة السوفييت.

قد يكون من الصعب، ولكن غير مستحيل، إيجاد طريقتين لفهم العلاقة بين نوع النظام والإستراتيجية في الحرب الأهلية الأفغانية:

• الطريقة الأولى: البعد الداخلي الذي كان يشكل حالة قلق حتى بالنسبة "لبريجينيف" حيث تستطيع بيانات الاستخبارات وبيانات الأقمار الصناعية أن تكشف للعالم بناء ونشر القوات في أفغانستان. ولكن "بريجينيف" حسب أن الحالة ستكون كما كانت عليه في "هنغاريا" عام 1956 وفي "تشيكوسلوفاكيا" عام 1968 حيث سرعان ما "سيختفي" الرأي العام العالمي:

ولكن هذا التوقع السوفيتي تلاشى تدريجياً حالما أصبح من الضروري أن يلعب السوفيت دوراً قيادياً في القتال وذلك لأن الفعالية في الجيش الأفغاني كانت قد تضاءلت بسبب عمليات الفرار والصراع الداخلي بين أكثرية "خلقي" والنظام "البارشامي" الحديث.

وفي نفس الوقت، كانت الحرب قد تحولت من نزاع داخلي إلى نزاع خارجي الأمر الذي دفع بالشعب الأفغاني لزيادة المقاومة، والتي حصدت دعماً فعالاً على المستوى العالمي. ومن جهة أخرى فقد رمزت حقيقة الحرب للعالم بأسره من خلال الارتفاع

الدرامي لأعداد اللاجئين، الأمر الذي جعله صعباً للغاية بالنسبة للسوفيت لأن يمارسوا "سيطرة الضرر" سياسياً. (ماجنوس ونابي، 1998: 129)

كان "بريجينيف" مخطئاً حين ترك أتباعه يدفعون الثمن، وحيث لم يكن هذا الثمن باهظاً في بادئ الأمر. ومن هنا قادت الولايات المتحدة الأمريكية حملة مقاطعة الألعاب الأولمبية في "موسكو" كما حظرت قيادة الرئيس الأمريكي "جيمي كارتر" تصدير القمح إلى اتحاد الجمهوريات الاشتراكية. ولكن مع استلام "ميخائيل جورباتشيف" السلطة، فقد كان أقرب ما يكون لإجراء تغيير في نظام اتحاد الجمهوريات الاشتراكية وذلك منذ استبعاد "كروشكيف" لسالتين" والذي طالما جعل المغامرة الأفغانية باهظة الثمن.

صحيح أنه لم يكن للشعب السوفيتي أي رأي في الشؤون الخارجية ولم يتم إطلاعهم على الخسائر البشرية أبداً في أفغانستان، ولكن بالنسبة للقيادة الجديدة، فقد كانت تحاول أن تجلب الإتحاد السوفيتي إلى القرن الحادي والعشرين من دون أن خسائر وهنا غدت أفغانستان مثل طائر القطرس:

لم تناسب الحرب في أفغانستان سياسة "جورباتشيف" لقد شعر بأنها تحولت لكارثة مفاجئة للإتحاد السوفيتي كما انه كان متصلاً بشكل كبير بسياسات "بريجينيف" والحرب الباردة المتجددة. كانت إحدى سياساته تعني انه لم يعد ممكنا إبقاء ثمن الحرب سراً. (ماجنوس ونابي، 1998: 132).

كان"جورباتشيف" يحاول أن يتناغم مع ما أوجده أسلافه دائماً ومع الأهداف ذات العلاقة المتبادلة: القومية، الليبرالية، والشيوعية. كما كان "محمد بيغ تارزي" بالنسبة للأفغان، فقد كان"جورباتشيف" المفكر الليبرالي الأفضل" في بلاده.

وفي المختصر، فإن التاريخ الطويل لأنواع النظام السلطوي في الإتحاد السوفيتي، جعل الإستراتيجية الهمجية ممكنة من دون المحافظة على تكاليف سياسية محلية[1].

لقد غدت البربرية إستراتيجيتها القياسية، ولكن الاتصالات وتقنية الاستخبارات العسكرية وانضمام السكرتير العام صاحب العقل المصلح، للسلطة قد غير هذا الأمر. وعلى الأخص حين بدأت إستراتيجية السوفيت البربرية تفرض تكاليف سياسية عالمية تقريبا منذ البداية.

1- إن التدخل العسكري بين الدول مثل الناتو في كوسوفو في عام 1999 كان مثل الآن من غير أي مسائلة: لا تزال روسيا دولة كبيرة مدججة بأسلحة ثيرمونووية.

لقد جربت الدول الاشتراكية السوفيتية التكاليف الداخلية، وذلك لأن معظم أفراد الجيش كانوا قد عادوا إلى منازلهم بنعوش من الزنك، بينما عاد البقية مقطعي الأوصال إما من خلال انفجار لغم أو جراء القتال في المعارك. ولكن من ناحية أخرى، لم يجر الشعب السوفيتي حساباً لهذه التكاليف إلا بعد عام 1986، وذلك عندما جعلت كإحدى سياسات جوربا تشيف وهي المصالحة على أن يكون ممكناً مشاركة قصص الحرب في الحملة الأفغانية وتكاليف هذه الحملة[1].

أما بالنسبة لنوع النظام وضعفه من الناحية السياسية، فلم يعان النظام السوفيتي في أي مرحلة من أي نوع من التكاليف السياسية والتي كانت متوقعة من قبل حجة مصلحة التناظر. فإذا كانت آلية المفاضلة – والتي اقترحت من قبل حجة "ماكس" تعمل، لكنا توقعنا أن نرى خسارات شديدة على أرض المعركة، والتي تؤدي إلى الانسحاب أو التصعيد. لكنه رغم ذلك، فقد استمر الالتزام السوفيتي من حيث الرجال والعتاد بالثبات مع مرور الوقت. إضافة إلى ذلك، فحتى سياسات "جوربا تشيف" لم تستطع خلق ظروف تسمح بضجة في أوساط الرأي العام عن الحرب – على الأقل لم تكن كافية لأن تجبر النظام على إعادة التفكير في سياسته الخارجية.

انتشار الأسلحة

في هذه الحالة، تلاقي حجة نشر الأسلحة دعمها الأكبر. فقد حصل المجاهدون على ميزات متزايدة من خلال الأسلحة التي تلقوها عبر إيران وباكستان، الأمر الذي زاد تكاليف المعركة والاحتلال بالنسبة للإتحاد السوفيتي وإتباعه. ولكن مع ذلك فإن الأمر

1- ومع ذلك فمن أجل الإنصاف صعوبة الكبرياء والدعاية التي تحيط بالنصر السوفيتي أثناء الحرب العالمية الثانية (ما سماها الروس "الحرب الوطنية العظمى"، ومحصلة الخسائر البشرية الرسمية المصدرة للعديد من المواطنين السوفيت العادين أن يقدروا تضحيات المحاربين في أفغانستان. ذكر فلاديسلاف تاماروف، وهو ناج روسي من الحرب الأفغانية بأن " في الولايات المتحدة الأمريكية يوجد حوالي 186 مركزا لإعادة تأهيل الجنود العائدين من حرب الفيتنام" ولكن أين نذهب في الإتحاد السوفيتي للمساعدة؟ لا يوجد لدينا مركزا واحدا من تلك. لذلك نحن نبحث عن مثل هذا النوع من المساعدة من الناس. ذلك عندما نعارض سوء الفهم. من هذا الفهم السيء ظهرت معدلات طلاق مرتفعة بين المحاربين القدماء في أفغانستان، من هذه التقديرات الخاطئة ظهر الإنغلاق على الذات؟(تاماروف، 1992:7)

الأكثر أهمية هو انه كان لمسرح الحرب العلاقة الحاسمة بين التقنية، التكتيكات، المناخ، والأرض التي أصبحت أكثر وضوحا من أفغانستان.

كان جنود المشاة السوفيت والجيوش المدرعة غالباً يؤاجهون الإعاقة تلو الأخرى وذلك بسبب التقنيات التي كان المجاهدون يستخدمونها حيث كان يتم وببساطة تعطيل القدرة على متابعة سير قوافل المدرعات على الطريق الوعرة وذلك بقذف خليط قنابل "المولوتوف" على محركات المركبات المعطلة، ومن ثم تؤدي المدافع الرشاشة – تقنية تعود للحرب العالمية الأولى – إلى دمار قافلة كاملة. وببساطة فقد استخدم المجاهدون تقنيات بسيطة وذلك لاستغلال الضعف في تكتيكات السوفيت.

استمرت تلك الحالة حتى عام 1986 وذلك عندما وصلت القذائف الصاروخية من طراز SAMs المصنعة أمريكياً والتي غيرت وحوّلت توازن القوة في أفغانستان. وكما أُشير سابقاً، فإن تلك القذائف المتطورة لم تكن فقط الآلية الأمريكية المسؤولة ولكن السياق ككل: لقد استعمل السوفيت المروحيات الجوية وذلك لاستغلال الضعف في تكتيكات المجاهدين، ولكن كانت تلك المروحيات تسقط كفريسة على يد القذائف الأمريكية. ومن ناحية أخرى، لم يكن هناك أي تساؤل حول كون اتحاد الجمهوريات السوفيتية محكومة من قبل "سالتين" و"بريجينيف" وإلا لكانوا قد ابتكروا شيئا حول هذا الضعف. ولكن "جوربا تشيف" اكتفى بالدعوة لإيقاف الحرب، وبحجة أنه أدرك بأنه لتحقيق الفوز فسوف يكسب السوفيت القليل وربما يستدعي الأمر غزو باكستان.

التفاعل الاستراتيجي

كانت للحرب الأفغانية الأهلية تفاعلين استراتيجيين:

- **فخلال التفاعل الأول:** تابع السوفيت الهجوم التقليدي الصريح ضد المجاهدين. ولم يكن لدى كلا الطرفين قيادة مناسبة، أو التدريب والعتاد، ولكن السوفيت كانوا غير مناسبين أبدا لمثل هذا النوع من الاستراتيجيات القتالية، الأمر الذي جعل خسارتهم واضحة بسبب هذا النوع من التفاعل الإستراتيجي.

لقد كان هجومهم مباشراً بينما قام المجاهدون بطعنهم في القدم بعصا حادة ولذلك، كانت الإستراتيجيتان مختلفتان تماماً حيث أجبر السوفيت على إعادة تنظيم استراتيجياتهم.

- ولكن انقلب **التفاعل الثاني** بشكل أكثر فتكاً على المجاهدين. حيث استهدف السوفيت المدنيين بشكل متعمد وكذلك بنيتهم التحتية. ووفقاً لإستراتيجية التفاعل، فقد كانت الهمجية هي الإستراتيجية المثلى المضادة لإستراتيجية الطعن والاختباء عند المجاهدين وسرعان ما استطاعوا هدم القوة القتالية لدى المجاهدين.

لقد أثّر الدمار الشديد في البنى التحتية – وكذلك القتل الجماعي وتهجير الفلاحين– على المجاهدين بشكل كبير، ولكن مقاتلي "مسعود" استطاعوا إعادة تنظيم أنفسهم من أجل التعويض. وبعد سنة 1983 كانوا قد بدؤوا بالاعتماد– بشكل أكبر – على الاستخبارات أو المتعاطفين ضمن الجيش الأفغاني الحليف، وبشكل أكبر على الدعم اللوجستي من المتعاطفين الخارجيين[1]. فقد كانوا لا يزالوا قادرين على القيام بعمليات هجومية، حيث كان "مسعود" قادراً على أن يعمل أكثر من ذلك من خلال قواعد الدعم الموجودة في مقراتهم (هذا يدل على أنهم لم يكونوا يكترثون إذا ما اقتربت الحرب من معاقلهم). ولكن هذا الأمر جعلهم أكثر اعتمادا على الدعم الخارجي. وقد ظهرت درجة اعتماد المجاهدين على الدعم الخارجي في حده انهيار قدراتهم القتالية بعد الإجلاء السوفيتي عام 1989 (كوردسمان وواجنر، 1990: 97، ماجنوس ونابي، 1998: 134، 159): فهم لم ينحدروا فقط لزيادة القتال بين بعضهم البعض ولكن إمدادات السلاح سرعان ما جفت.

وفي المختصر، توضح الحرب الأهلية الأفغانية انه كلما زاد اعتماد الميليشيات على الدعم الخارجي، كلما زادت إهانتهم من الآثار المدمرة للهمجية، على افتراض أنهم قادرون على الحصول على معلومات استخباراتية جيدة، ولكن يطرح الدعم الخارجي مخاطره أيضاً وذلك:

- أولاً: قد يكون لدى الميليشيات القدرة لأن تقوم بإلحاق الهزيمة باللاعب الأساسي بمشاركة حاسمة، (كما حدث في هجوم "تيت" عام 1968، والذي اثبت انه كارثة عسكرية).
- ثانياً: إذا كانت الحرب تدور على أساس قومي، كما كان الوضع في أفغانستان، فإن المساعدة الخارجية – خاصة المستشارين الحربيين – يمكن استعمالهم لتلوين المتسلم منهم على أنهم أذنا بالقوى الأجنبية المزودين بالسلاح والدعم الآخر. ولكن فشل كل من

1- كانوا أيضا قادرين على الاعتماد على الاستخبارات العسكرية الباكستانية ISI.

"كارمال" ومن ثم "نجيب الله" من اتهام المجاهدين بأنهم أذناب القوى الخارجية وذلك لأن الولايات المتحدة الأمريكية لم ترسل مستشارين عسكريين لأفغانستان. كما لم يكن يصعب على المجاهدين أن يقنعوا الأفغان والجمهور الخارجي بأن حزب الشعب الديمقراطي الأفغاني هو مجرد دمى بأيدي السوفيت.

وأيضاً، لا يمكن الاستهانة بأثر العمليات السوفيتية لإستراتيجيتهم البربرية. حيث أن هذا الأمر قد جرح المجاهدين، وبينما يستطيع القادة الناجحون أقلمة أنفسهم للتغير، في حين لم يستطع البعض فعل ذلك، حيث قتلت قواتهم، وأسرت أو حتى فرقت.

الخاتمة

كانت الحرب الأهلية الأفغانية عبارة عن نزاع متناظر بين القوات الأفغانية مع أسيادهم السوفيت (اللاعب الأقوى) والمجاهدين الأفغان (اللاعبين الأضعف).

كان لدى السوفيت عدد من المصالح في أفغانستان، حيث كانت المصلحتان الأكثر أهمية بالنسبة للسوفيت هما مصلحتان سلبيتان:

1. حماية نظام ماركسي صديق.
2. منع لحاق نظام إسلامي متطرف بالسلطة في الحدود الجنوبية.

فبالنسبة لهذه الأهداف – التي تبدو محدودة– كان السوفيت مستعدين للألتزام بالتدخل وذلك من خلال أربع كتائب وقوة هجوم جوية واحدة ونصف إضافة إلى مساعدة اقتصادية ضخمة. لكنهم لم يتصرفوا وكأن نجاتهم كانت على المحك، ولكن لا يمكن لمستوى المصلحة في أفغانستان أن يفسر من خلال قوتها النسبية، كما أشارت حجة مصلحة التناظر.

وفي المقابل، فقد كانت مصالح المجاهدين هي في إخراج السوفيت من أفغانستان، ومن أجل هذا الهدف قاتلوا وكأن بقاءهم كان على المحك.

وفي المختصر، فإن الفرضية الثامنة: "القوة المادية النسبية تفسر الاهتمام النسبي بالنتيجة بالنسبة لأي نزاع متناظر" تستقبل دعماً بسيطاً. في حين لا يمكن إخراجها ولكن لا يمكن تقبّلها على أنها تفسير للمصالح السوفيتية.

إذاً، هل استطاعت القوة النسبية أو نوع النظام تفسير الهشاشة السياسية؟ وهكذا، ووفقاً لفرضية "مصلحة التناظر" فإن النكسة العسكرية الشديدة كان عليها إن تجعلهم يعيدوا النظر باحتلالهم وذلك بغض النظر عن نوع النظام. ولكن هذا الأمر لم يحصل. فمع حلول كل سنة جديدة من الصراع المتبادل كانت تجلب معها مزيجاً من النجاح والفشل، بحيث كان النجاح قصيرا والفشل كارثي. ولكن لا يوجد أي دليل يؤكد أن الفشل كان قد حفز ذلك النوع من المقايضة والتي توقعتها حجة المصلحة المتناظرة.

وهكذا، فحتى القادة لم يتم مقايضتهم بعد مثل هذا الفشل. وعوضاً عن الانسحاب، حاول الروس اللعب حول هزيمتهم والتجديد. وكانوا في غالب الأحيان يحققون النجاح، ولكن ليس بطريقة تعويضهم عن أعدادهم القليلة نسبياً.

وباختصار فإن عدم تماثل السلطة لم تؤد إلى الضعف السياسي. ولكن إهانتهم لسلطة نظام الإتحاد السوفيتي على هذا الضعف حيث استطاع نوع النظام من أن يمكّن السوفيت من تجنب أكثر العيوب الناتجة عن الإستراتيجية البربرية. ومن وجهة أخرى، فإنه:

1) في بادئ الأمر، يحق للأنظمة السلطوية ان تشكل الجيش بأي طريقة تراها مناسبة.

2) والأكثر أهمية، إن عدم قدرة الشعب الوصول إلى المعلومات الحقيقية عن تكاليف النزاع قد أدت إلى خلق حالة من القلق المحلي، ونتيجة لذلك إلى ضعف سياسي.

3) لا تحتوي الأنظمة السلطوية على ميكانيكية تترجم بها الشعبية على سياسة خارجية. وهذه كلها وصف مثالي ولكن في حالة الروس خلال الحرب الأهلية الأفغانية هكذا كانت تجري الأمور. لم يكن لدى المجاهدين نوع نظام، كما لا يمكن اعتبارهم كلاعب بعيد موحد. ولكن على العكس، فقد علق البعض بأن عدم وجود الوحدة اثبت كونها قيمة أساسية، وذلك لأنها لم تجعل قطع رأس القائد أمراً ممكناً لدى السوفيت.

كان الأمر البارز في حياة "البشتون " هو ممارسة تعاليم الدين الإسلامي، وخاصة السنّة ضمن معظم "البشتون" في حين أن الهيكلية غير هرمية عند الجماعات القبلية، والكود البشتوني كان يعرف "ببوشتونوالي" وكانوا يشاركون جميعهم في المقاومة ضد

السوفيت في بادئ الأمر، ولعناد "البشتون" أنفسهم إما للموافقة أو عدم الموافقة على كيف ستكون الحكومة المقبلة أو للعمل ضمن مثل هذه العقول المتشددة لإنهاء الحرب الأهلية (ماجنوس ونابي، 1998: 14) في حين كان الآخرون يؤكدون على مشاكل نقص الوحدة والتدرج الهرمي:

"قال بعض المحللين إن هذا الخلل في النظام هو قوة بحد ذاته، وذلك لأنه يعني بأن المقاومة لا يمكن قطع رأسها. ولكنه ليس من هذا القبيل: فمن دون الوحدة والتنظيم لا يمكن لهم اخذ المبادة. وإذا اخذوا المبادرة فإن النصر سيكونغير ممكن. (اوربان، 1988: 216-217)

وفي سياق إستراتيجية الطعن والهرب، فإن "اوربان" مخطئ ببساطة. حيث يمكن للمجاهدين أن ينجحوا فقط بمجرد أن لا يخسروا، كما أن عدم وجود الهيكل الهرمي ضمنهم يجعل الأمر أصعب بالنسبة للروس لهزيمتهم[1]. وفي المقابل، يتلقى نشر الأسلحة بعض الدعم في هذه الحالة. ولكن بنظرة متمعنة لكيفية تفاعل التقنية مع التكتيكات والاستراتيجيات توضح بأن منطق نشر السلاح الحجة (كلما كان اللاعب الأضعف مسلحاً بشكل أفضل، كلما كان هناك احتمال لأن يخسر اللاعب الأقوى النزاع المتناظر)، إنما هي مدعومة بضعف هنا.

يوضح التفاعل الإستراتيجي لماذا خسر السوفييت التفاعل الأول للحرب، ولكنه لا يوضح الثاني. فمنذ عام 1980 حتى عام 1982 قام السوفيت بإتباع إستراتيجية الهجوم التقليدي ضد إستراتيجية المجاهدين "الطعن والهرب" (الطريقة المعاكسة). ولذلك، فقد فشلت تلك الإستراتيجية على جميع الأصعدة. وانسحبوا من أفغانستان تماماً ولكن لماذا؟.

لكن بعد التحول إلى الإستراتيجية الهمجية عام 1983 لم ينجح السوفيت، وفي عام 1989 للتكاليف السياسية الداخلية أو بين الدول ذات العلاقة بمحاكمتهم[2].

الإستراتيجية العملية المثالية كانت يجب أن تكون همجية ذلك لأن السوفيت لم يكونوا عرضة لها.

1- هذا الأمر هو عكس المقاومة الجزائرية للفرنسيين من سنة 1958 حتى عام 1962. كان لحزب جبهة التحرير الوطني تركيب هرمي وكان الفرنسيين قادرين على استغلال ذلك من خلال عدة أساليب ومنها التعذيب.

2- هذا الأمر يناقض الحالة الإيطالية في الفصل الخامس، وذلك لأن إيطاليا كانت قوة قاصرة فحتى العقوبات الصغيرة من بريطانيا (إغلاق قناة السويس للنقل الإيطالي) أو فرنسا ممكن أن يشكل قوة كافية قادرة على إجبار إيطاليا على الانسحاب.

ولكن إضافة إلى ذلك، كان يتوجب عليها تدمير القدرة الإستخباراتية واللوجستية عند المجاهدين. وعوضا عن ذلك، كانت تكتفي فقط بتزويد المجاهدين بالمنشقين والموظفين. كما أن الهمجية لم تكن حاسمة في أفغانستان وذلك لأن المجاهدين كانوا قادرين من الاعتماد على الدعم الإستخباراتي واللوجستي من قوى أجنبية مثل إيران وباكستان. لقد أصبح المجاهدون في الواقع معتمدين على هذه المساعدات بحيث انه عندما توقفت في عامي 1989 و1990 فقد مزقت قدرتهم على إسقاط حكومة نجيب الله غير شرعية. وحتى عادت هذه المساعدات لكنها كانت هذه المرة لجماعة "طالبان".

في حين تسلط أفغانستان على حالة واحدة تكون فيها الهمجية أقل فاعلية: عندما يكون لدى الميليشيات القدرة على الولوج إلى مصادر استخباراتية معينة إضافة إلى أن البعد اللوجستي هو خارج عن سيطرة اللاعب الأقوى، وخارج حدود قدرته على الاعتراض[1].

وفي المختصر، يشرح التفاعل الاستراتيجي نتيجة التدخل السوفيتي في حرب أفغانستان الأهلية. فحالما يظهر أن النزاع في أفغانستان هو عبارة عن نزاع العملة، كان لدى الروس ثلاثة خيارات إستراتيجية تتلخص في:

- **الخيار الأول:** الاستمرار في التحول إلى إستراتيجية الهمجية حيث اختار السوفيت هذا الخيار ونجحت إستراتيجيتهم في تكبيد المجاهدين خسائر جسيمة وفي قتل وتشريد نصف السكان. ولذلك، فقد واجه المجاهدون خياراً أقصى بعد تحول السوفيت في استراتيجياتهم، وكان عليهم إما التنازل أو الاستمرار في إستراتيجية تجبرهم لأن يعتمدوا أكثر على قوى الدعم الخارجي. وبالإستراتيجية الحالية، فربما كان إرسال المزيد من القوات والمعدات إلى ساحة المعركة.

- **ثانياً: الانسحاب**، وهو الأمر الذي قد يحفظ ماء الوجه وينهي الحرب.

1- وينطبق نفس الشيء على التجربة الأمريكية في فيتنام، لاوس وكمبوديا كمضيفين غير راغبين بنقل الإمدادات لفيتنام. على عكس اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية، كانت الولايات المتحدة الأمريكية في بادئ الأمر أقل حذرا حول اختراق حيادية لاوس وكمبوديا وفي محاولاتها لإغراض الإمدادات القادمة من فيتنام إلى VC في الجنوب. ولكن لم تكن لاوس ولا كمبوديا قوتين نوويتين ولا حليفتين للولايات المتحدة الأمريكية، ولكن من سنة 1979 إلى 1989 باكستان كانت كلا الأمرين. يمكن لجيش جيش كوسوفو التحريري في عام 1999أن يكون مثال مناسب لهذه المشكلة. سرعان ما فرغت البربرية الصربية كوسوفو من عرق الألبان، ومن ثم انتزعت مقاومة جيش تحرير كوسوفو التي كانت غير كفء نسبيا (رغم كونها متحمسة). ولكن، مالم يكونوا على استعداد لغزو البانيا، لم يكن الصرب قادرين على القضاء على جيش تحرير كوسوفو، وفي هذا الحدث خدمت الهمجية الصربية فقط كدفع لتدخل الناتو ومعاقبة ميلوسوفيتش. وفي العلاقة بين الصرب والبربرية التي دعمها الصرب في كوسوفو وتدخل الناتو، انظر مثال دالدير وأو هانلون (2000).

• **ثالثاً: في نهاية المطاف، لم يربح أحد الحرب.** وخرج السوفيت في عام 1989وسقط الجيش الأفغاني عام 1992. كما أن المجاهدين غلبوا من قبل جماعة "طالبان". وأفغانستان نفسها كانت قد دمرت على نطاق لم يشهد له مثيل منذ دمار ألمانيا والإتحاد السوفيتي في الحرب العالمية الثانية.

النهاية

إن الغالبية العظمى من الحروب لا تأتي ضمن نطاق الثقل ولكن يتم تمييزها من خلال الفترة والمرارة وليس الأسلحة بحيث تكون أكثر قابلية للتدخل الغربي عندما تتطور إلى اشتباكات واضحة بين القوى النظامية. في حين أن الحروب الأهلية، تتضمن مقاتلين غير نظامين ومناوشات في الطرق، وانتشار الارتباك السياسي والاستخبارات جيدة، ومناشدة الغرباء. ولذلك، فإن النصر الحاسم يندر هنا. وحتى النجاح يمكن أن يعني التزاماً طويل الأمد للجيوش من أن اجل المحافظة على السلام الصعب.

يبدأ هذا الكتاب بلغز وهو كيف يربح الضعيف الحرب؟. ومن خلال مجموعة من الإحصاءات ومتابعات للمنطق عبر الدراسات التاريخية، فقد وجدنا بأن اللاعبين الضعفاء – في هذه الحالة الدول – تربح الحرب ضد الخصوم الأقوى وذلك عندما يكون هؤلاء اللاعبين قادرين على التكيّف والمحافظة على إستراتيجية المجابهة المثلى. في حين أن الإستراتيجية من جهة أخرى، يمكن أن تضاعف أو تقسم القوة المستخدمة. يأتي اللاعبون الأقوياء للقتال من أجل مجموعة من المصالح المركبة والقوى، العقيدة، التقنية العسكرية، والأهداف السياسية، ولكن ولأنهم يعتقدون بأن القوى المسلحة ستكون مطلقة في توظيف العمليات وستكون الفصل من حيث النتيجة، ولكن اللاعبين الأقوياء هم أقوياء نسبيا وليس تماماً، حيث يكون لدى اللاعبين الأقوياء الخيارات في الاستراتيجيات التي يستخدمونها ولكن الإستراتيجية أبداً لا تكون ذاتية.

الفصل الثامن

الخاتمة

على الرغم من أن الغالبية العظمى للحروب لم تأت على نتائج مجموعة الأوزان الثقيلة، لكنها كانت قد تطرقت لها بشكل أو بآخر، وعلى الأخص فيما يتعلق بفترات تلك الحروب ومرارتها والأسلحة المستخدمة فيها وتطور عمليات الاشتباكات البسيطة بين القوات المنظمة بما في ذلك الحروب المدنية والتي تضَمنت المقاتلين غير النظاميين والمناوشات المختلفة، والتشويش السياسي المتفشي والمخابرات التي قدمت فرصة مروعة للغرباء، حيث كانت الانتصارات الحاسمة قليلة وبعيدة، وحتى النجاح، يمكن أن يعني التزاماً طويل الأجل من القوات للحفاظ على سلام هش.

لقد بدأ الكتاب بالعنوان اللغز "كيف يمكن للضعيف أن يربح الحرب"؟ وذلك من خلال الاختبار الإحصائي، واقتفاء المنطق السببي خلال دراسات السيرة التاريخية للحروب، وإنني أرى بأن الأطراف الأضعف – وهنا يمكن ذكر الكثير من الحالات – حيث يكون الفوز بالحروب ضد الخصوم الأقوى عندما تكون قادرة على تبني إستراتيجية المجابهة المثالية. فالإستراتيجية، بكلمة أخرى، تستطيع أن تضاعف أو تقسم القوى التطبيقية.

تأتي الأطـراف القوية للقتال وفق مجموعات معقدة لمصالحها، وللقوى، والمذاهب، وتقنية الجيوش والأهداف السياسية، على اعتقاد أن القوات المسلحة ستكون متعددة الاستعمال، ولكن ليس بشكل مطلق، وقوي، فالأطراف القوية كانت على الدوام تمتلك خياراتها بالاستراتيجيات المستعملة، وبنفس الطريقة، فإن الأطراف الضعيفة تواجه دائماً قيوداً في خياراتها الإستراتيجية، ولكن الإستراتيجية بصدد التطور الدائم.

ديناميكية النزاع اللامتناظر

تقود نظرية العلاقات الدولية للولايات المتحدة لتوقع بضعة نزعات غير متناظرة لأن فجوات التفاوت في القوة النسبية تدل على النتائج الواضحة للنزاع فكلما ازدادت قوتك، نقص معها احتمال أن أتحداك. وكلما كنت اضعف استطعت أن استغلك أكثر لأني اعرف انك لن تستطيع أن تعترض. والأكثر أهمية من ذلك أنه كلما كان هناك فارقاً بالقوة كلما كانت هزيمة الفئة الضعيفة أسرع. وفي هذا الكتاب، قمت بتفحص ثلاث قصص كانت قادرة على تفسير مبدأ تغلب الفئة الضعيفة على الفئة القوية وهذا هو اللغز الذي يفسر خسارة الفئة القوية على مر العصور وهو الذي يؤكد أيضاً على صحة هذه القصص.

كانت أول وأقوى هذه التفسيرات هي فكرة "اندروماك" وطبيعة الكاتب(مع قصة "ميروم" التي تخص ضعف الديمقراطية الاجتماعية) وقصة اختلاف الاتجاهات كانت أيضا دليلاً قد قدم وتم فحصه.

تفسيرات المتنافسين حول الصراعات متفاوتة النتائج:

- **القصة الأولى** والتي تعتبرأفضل التفسيرات القائمة على مر العصور هي التي عبر عنها "اندروماك" وقد كان تفسيره يقوم على تبسيط الفكرة فقد كان يقول: إن الهيكلية هي التي تفسر مصلحة الجهة التي تقوم بدورها بالتقاط نقاط الضعف الاجتماعية التي تفسر النهاية. في حين أن الحياة التي تخص الجهة القوية لن تتعرض لخطر، ولهذا السبب تعتبر المصالح التي تهمها – مفهومها لكي تكون الرغبة لتسوية الحسابات– ستكون قليلة وضعيفة.

  ولكن من جهة ثانية، فإن هذا الضعف يجعل المسالة أكثر توقعاً بأن الجهة القوية ستكون مضغوطة من الجهة المنافسة، لذلك لابد أن تنسحب من الخلاف لأنها ستلاقي الضرر من حيث المصاريف الزائدة، أو من خسارة عدد من جنودها وهذا يفسر لماذا (البلاد الكبيرة تخسر في الحروب الصغيرة).

- **القصة الثانية:** وهي التي كانت تعتبر أن الجهة القوية مع الحكومة الديمقراطية تخسر إمام الصراعات المتفاوتة لأنها كانت لا تملك القدرة القوية الكافية

للمواجهة، أو لأنها لا تريد خسارة الكثير من الجنود، كما وأنها لا تريد أن تتعرض لحالة صراع وكراهية مع الشعب. "تصاعد مستوى العنف والوحشية الضرورية" من أجل الفوز (ميروم، 2003: 15).

- **والقصة الثالثة:** نشر متقدم نسبيا للأسلحة الصغيرة وغيرها من التكنولوجيا العسكرية في العالم النامي بحد ذاته قد جعل الغزو والاحتلال يصاب بضعف في الفعاليات وبشكل أكثر صعوبة في الأساس، لأن مثل هذه الإستراتيجية، والتكنولوجيا، كما يمكن أن تكون قوة متعددة في طياتها، وان ضعف الفعاليات ليست في الحقيقة ضعفاً كما كان متوقعا.

الإستراتيجية والتفاعل الاستراتيجي

كان "ماك" أفضل من أوضح مشكلة الضعف، وكانت حجته تقوم على التركيز في العلاقة بين القوة النسبية وبين المصالح، وعدم تحديد شرط رئيسي من التساهل في هذا الظل هذا الضعف، ولكن التركيز على حجته كان يقوم على العلاقة بين السلطة والمصالح النسبية التي فشلت في تحديد الشرط الرئيسي من التساهل في ظل هذا الضعف في العمل: كبير وغير متوقع من التأخير بين التزام القوات المسلحة وتحقيق لأهداف ما قبل الحرب من الناحية العسكرية أو السياسية. ولكن إذا كان الصراع قد انتهى سريعا – وهذا ما نتوقعه في نزاعات غير متناسقة الأطراف– فكيف تعمل في ظل الضعف السياسي؟ ولكن هذا يؤدي بدوره إلى التساؤل عن السبب في بعض الصراعات غير المتماثلة – وذلك كما حدث مع الاتحاد السوفيتي حين قام بغزو المجر في عام 1956، أو العمليات التي قادتها الولايات المتحدة في الخليج في التحالف ضد العراق في عام 1991 حيث كان – سريعا وحاسما – في حين أن البعض الآخر من العمليات – مثل التدخل الأميركي في فيتنام في عام 1965 أو الاتحاد السوفيتي في أفغانستان في عام 1979 –فكانت تستمر؟[1].

1- وهي ليست القوة الوحيدة التي تطبق الأسباب في هذا الشأن، فإن الأهم من القوة المتاحة لتطبيق ما يهم أكثر من غيرها. ولهذا السبب فإنه من المنطقي أن نقول إن القوى المحركة للصراع غير متكافئ رغم تطبيق ما يسمى القوى الفاعلة في كثير من الأحيان لا ساحقة قوية داخل أي صراع مسلح. للقوى الفاعلة خيارات عن غيرها من الالتزامات والأولويات النسبية لمصالحهم. في حين أن ضعف الفعاليات تحت هذا الموقف لا يمكن أبدا الاعتماد على وجود التزامات أخرى باعتباره ضمانة ضد قوية في المستقبل بين الفاعل التصعيد. حول هذه النقطة انظر شيلينج (1966: 2–6).

يشير هذا الكتاب إلى أن التفاعل بين الاستراتيجيات التي توظف الجهات المختلفة وتتوقع مدة النزاع وهذا يؤدي إلى تفادي الكثير من الخسائر والمفقودين والذي يعتبر شرطا ضروريا للعملية السياسية. ومن جهة أخرى فإنه من الأهمية بمكان اعتبار الأهمية الإستراتيجية متغيرا رئيسيا معيناً بين التدخل الفاعل للموارد المادية والنتائج الأمر الذي يتطلب منا النظر في كل مجموعة من الاستراتيجيات المتاحة للفاعلين والتفاعل بين هذه الخيارات في الصراعات نفسها.

الإستراتيجية

من أجل تحقيق أهداف هذا التحليل الأول فقد خفضت مجموعة واسعة محددة لكل من المهاجم والمدافع إلى أربع استراتيجيات: اثنين من المهاجمين واثنين من المدافعين: المهاجم (الفاعل القوي) استراتيجيات الهجوم التقليدي صاحب المذهب البربري. المدافع (الفاعل الضعيف) الاستراتيجيات التقليدية الدفاع وإستراتيجية حرب العصابات ثم تبسيط كل جهة لنطاق الخيارات الإستراتيجية المزيد من الأقسام التحليلية المتميزة النهج الإستراتيجي: المباشر وغير المباشر. النهج التقليدي المباشر الهجوم والدفاع – استهداف العدو مع القوات المسلحة بهدف تدمير أو الاستيلاء على قدرة العدو على القتال. النهج غير المباشر – والهمجية إستراتيجية حرب العصابات– تهدف إلى تدمير إرادة العدو على القتال[1].

هذه التبسيطات والتي يعتبر تسليط الضوء عليها أكثر أهمية عن دور إستراتيجية الخام في التوسط بين السلطة والموارد والصراع غير متكافئ في النتائج تدعى التفاعل الاستراتيجي.

1- يشرح "ماك وميروم" في كل الحالات التي تتضمن التركيز على عكس نهج التفاعلات القوية الفاعلة (الدول الصناعية المتقدمة) والهجوم التقليدي باستخدام إستراتيجية الهجمات الضعيفة الفاعلة (المتخلفة اقتصاديا في السلاح) أو باستخدام إستراتيجية حرب العصابات الإرهاب. أطروحة التفاعل الاستراتيجي يفسر عدم القوة الفاعلة في هذه الحالات هو أكثر من مصمم. ماك توفر أفضل تفسير للعام الثاني، زيادة في المخطئين فقط في الدرجة التي الفاعل لنظام الحوافز ويؤثر نوع النتائج، والامتناع من المتغيرات الرئيسية (التفاعل الاستراتيجي) الذي يحدد المدة التي سوف يستمر صراع غير متكافئ. ميروم توفر معلومات أكثر تفصيلا عن كيفية ديمقراطية قوية تفقد الجهات، ولكن يخطئ في المبالغة في الفائدة من الوحشية في كسب الحروب الصغيرة في ما بعد فترة الحرب العالمية الثانية.

التفاعل الاستراتيجي

إن أول الاستراتيجيات التي يقع عليها الاختيار، هي أفضل إستراتيجية في ظل ظروف المواقف وهو في هذا السياق "الظروف" بالنظر إلى وسائل أخرى لإستراتيجية فاعلة.

ولذلك، فإن كل إستراتيجية مثالية تكون بالضرورة مواجهة لاستراتيجيات أخرى، ويمكن للجهات الفاعلة في الدراماتيكية زيادة فعالية استراتيجيتها (الأساسية التي تدعم قواتها) وكذلك التخمين الصحيح عن إستراتيجية الخصم، ثم اختيار وتنفيذ هذا المثل الأعلى لمواجهة الاستراتيجيات على وجه التحديد، على غرار (النهج المباشر– مباشر، مباشر – غير مباشر) والذي يعني هزيمة الضعيف والعنصر الفاعل سيكون انتصارا للقوي. وستكون هذه الحروب بسرعة، مما يجعل من الضعف السياسي (سواء بسبب مصالح غير متناسقة، كما يقول "ماك"، أو عن طريق نوع النظام، كما قيل من قبل "ميروم")[1].

ولكن على النقيض من ذلك، فعكس النهج (مباشر– غير مباشر، غير مباشر – مباشر) سيكون لصالح الجهات الفاعلة الضعيفة على حساب جهات القوى الفاعلة. وسوف تستمر، مما يضطر الجهات القوية – والخاصة، والديمقراطية القوية والفاعلين – لجعل القرارات صعبة ومكلفة من أجل مواصلة أي احتمال للنجاح.

حجتي

بما أن القوة نسبية، ونوع النظام، والضعف السياسي كلها تعتبر عناصر ضرورية ولكنها غير كافية لتفسير التباين في صراع غير متكافئ النتائج. فالاستراتيجيات الفاعلة على سبيل المثال تعتبر هامة الاستخدام (وكذلك القيود التي تواجه الجهات المتنافسة عند تقييم الاستراتيجيات الهجومية والدفاعية)، ولكن الأهم من ذلك هو كيف تتفاعل الاستراتيجيات

1– هذه الاستراتيجيات ذكرت بالتفصيل في الفصل 2. فهي مثالية ونوع البناء لا يستنفد نهجها ممثلي الفئات (على سبيل المثال، "التوفيق" آخر غير المباشرة بين النهج الإستراتيجي المتاح للقوى الفاعلة). كل من هذه الاستراتيجيات الأربع (ربما باستثناء البربرية) يمثله الأدب الواسع وليس من الضروري أن يعاد النظر هنا. تكون الفكرة مبسطة ومحددة بدلا من معاني أهم الخيارات الإستراتيجية، والجهات التي يمكن أن تقوم بها بشكل مستقل، وتسلسلها، أو في وقت واحد.

المتعارضة؟؟.[1] وفي هذه الحالة يُنظر إلى حجم تفاعلات نفس النهج الاستراتيجي ولذلك تفضل المهاجمين وبما يتناسب مع مصلحتها في الموارد المادية. على عكس النهج الاستراتيجي للتفاعلات التي تفضل المدافعين، بغض النظر عن وضع المهاجمين المادي الغالب.

على افتراض وجود فاعل قوي في كل حالة، فإن الضعف الفاعل هو المهاجم والمدافع، ويتوقع أن تكون علاقة التفاعل الاستراتيجي لنتائج الصراع متباينة ويمكن ملاحظة ذلك فيما سبق حيث يفوز في نفس نهج التفاعل القوي الفاعل لأنه لا يوجد صرف أو توسط من استخدام المزايا المادية في الموارد والثروات، من بينها الجنود. ولكنفي عكس نهج التفاعلات القوية الفاعلة في الموارد يكون (ضعف الفعاليات محاولة لتجنب مواجهة مفتوحة على اتصال مع الجهات القوية في القوات المسلحة)، أو بالنسبة للقيم التي لا تؤثر بالضرورة على قدرة ضعف الخصم على المواصلة التي تفرض تكاليف على القوي الفاعل (على سبيل المثال، اجتياح المدن والبلدات).

أدلة وإحصائيات

جوهر المطالبة من التفاعل الاستراتيجي من الناحية النظرية –النظرية الخامسة – هو كون القوى الفاعلة على الأرجح تسعى لكسب نفس النهج والتفاعل الذي يفقد النهج المعاكس للتفاعلات– حيث تلقى دعما قويا للإحصائية: فمن الواضح، أن الضعف ليس أفضل العناصر الفاعلة فيه من ناحية الاستراتيجيات العكسية وذلك عندما تكون متشابهة. فالقوى الفاعلة بالاستخدام المباشر (أو الحرب الخاطفة التي تستخدم معيارَ الحملة الهجومية من المشاة والمدفعية والمدرعات والمشاة الميكانيكية) فإنه من المرجح أن يخسر الطرف القوي أمام الفئة الضعيفة التي تستخدم إستراتيجية حرب العصابات الفاعلة،

1- في حين أن تنفيذ إستراتيجية مثالية قد تكون من الصعب لسببين على الأقل:
أولاً: نظرا للقوات الفاعلة التي قد تكون المساعد في تدريبها وتسليحها، وعلى استعداد لإستراتيجية مختلفة على اختلاف العدو. استراتيجيات التحول – لا سيما في وسط القتال– وبالتالي يمكن أن تكون محفوفة بالمخاطر. وتساوي الأمور الأخرى، سيكون من الأسهل على التحول إلى إستراتيجية مختلفة في النهج ذاته (أي من غير عنف المقاومة والإرهاب أو إستراتيجية حرب العصابات) من إستراتيجية مختلفة في النهج المعاكس (أي من وزارة الدفاع لإستراتيجية حرب العصابات التقليدية).
وثانياً: لأن بعض الاستراتيجيات نفسها لا يمكن أن تنفذ بسرعة وعندما تكون حرب العصابات كأسلوب ليس مدعوم في الفترة السابقة للتنظيم الاجتماعي حيث تميل إلى الفشل، وكانت هذه التجربة، على سبيل المثال، لتشي غيفارا في بوليفيا.

ولكن من المرجح أن يفوز بسرعة أمام الأساليب الفاعلة المعاكسة التي تستخدم وسائل الدفاع القياسية (مثل قوات طالبان في أفغانستان في عام 2001). حيث كانت الجهات المقاتلة تقريبا أضعف ثلاثة أضعاف ما يرجح فوز نظرية عكس نهج التفاعلات (63.6 ٪) من نفس نهج التفاعلات (23.2 ٪). أما النتائج الثلاث الأخرى الهامة في المواقف المؤيدة للاختبار فهي:

- أولاً: إن اختبار ما إذا كانت – وإلى أي درجة – يكون التأثر بالمظهر الخارجي القائم على الأساليب غير القتالية لدعم الفعاليات الضعيفة والتي قد تجعل من انتصارهم أكثر أو أقل احتمالا. على الرغم من عدم توفر البيانات المتاحة التي تجعل من المستحيل إيجاد تقييم لقيمة إيجابية لهذه العلاقة، وكانت قادرة على تحديد ما إذا كان ضعف الفعاليات – حتى اذا لم يتلق أي دعم خارجي – وأنها لا تزال أعلى من ضعفي مثيلاتها لدى استراتيجياتها للفوز عندما كان العكس مماثلاً.

- ثانياً: أود القول هنا بأن السبب الرئيسي في عكس نهج التفاعلات يفضل ضعف الجهات الفاعلة لأن الوقت لا يكون ضرورياً بالنسبة للقوة الفاعلة، وعكس نهج التفاعل يحتاج وقتاً أطول أمام المقاتلين لحلها بأنفسهم. ويؤكد عرض إحصائي لجميع النزاعات غير المتماثلة منذ 1816 بشدة هذا الاقتراح وأكدت على أن: عكس نهج التفاعل سيأخذ وقتا أطول بالمقارنة مع نفس نهج التفاعلات.

وأخيرا، أود أن أوضح أن الاتجاه نحو زيادة القوة الفاعلة كانت قد فشل مع مرور الوقت من خلال اللجوء إلى حجة الدولة في المجتمع: من الجهات الفاعلة – سواء الدول أو المقاتلين، والإرهابيين، أو الشركات – وتقليد الممارسات الناجحة الأخرى كحد أدنى ومن ثم، فإن عدد "النهج المعاكس" غير متماثل في الصراعات ينبغي أن يزيد بمرور الوقت بما يتناسب مع عدد من الحروب التي حصلت.

وهكذا فإن هذا الكتاب الإحصائي للاختبارات من التفاعل الاستراتيجي يعتبر أطروحة دعم بقوة المنطق.

أدلة من الحالات كانت السببية ومنطق الحجج المتنافسة قد اختبرت في خمس دراسات من الحالات التاريخية. وكان الهدف من إنشاء الأثر النسبي ذا مصالح معينة لكل جهة، ونوع النظام، والأسلحة، وعلى نتائج هذه الإستراتيجية.

حرب المويد1830-1859

كانت رحى حرب"المويد" تدور في الإمبراطورية الروسية (القوي الفاعل) ضد تحالف قبائل القوقاز تحت راية المويد(الفاعل الضعيف). وكانت روسيا تركز على مصالح حماية اتصالاتها مع جورجيا.

أما في "المويد " فقد كانت المصالح تكمن في وضع معتقداتهم السياسية والدينية وفي السعي للاستقلال عن روسيا.

من حيث النوع، وضعف النظام، فإن روسيا ليست ضعيفة سياسيا مع عدم وجود تهديد أمني خطير من القوقاز، بل كانت روسيا تعاني من الاستبدادية الحساسة للموارد المفاضلة، وضعفا سياسيا في هذا المعنى. ومع ذلك فخلال حرب المويد، واجهت روسيا اثنين من النزاعات الخطيرة المحتملة، والتي تسببت لها بضعف سياسي في حين أن نوع النظام لم يؤثر على الاستراتيجيات التي يستخدمها كل من الجانبين.

ولذلك فقد غيرت روسيا من استراتيجيتها واتبعت إستراتيجية جديدة لتلاءم كل التفضيلات: في بعض الأحيان على سبيل المثال تجنبت بدقة استخدام الهمجية، ولكنها في أحيان أخرى كانت تتعامل بقوة في استهداف المدنيين وغير المقاتلين. وهو تماماً ما يعتبر إستراتيجية استبدادية وقد استطاع التدريب أن يتعارض مع مصالح الجنود والتوجهات في أمر التحول إلى الهجوم على "كاربارديا" التقليدية. كانت خطة نشر الأسلحة حجة غير موضوعية عن حرب "المويد".

ولذلك فهم لم يحصلوا على أسلحة أو ذخائر من الخارج، وكانت فعالية كل جانب من الأسلحة والتكنولوجيا تعتمد على استخدامه من قبل النظام الذي يتوقف بدوره على الاختلافات في التضاريس والمناخ. أما المدفعية الثقيلة فقد أثبتت أهمية حيوية بالنسبة للجهود الروسية لقهر "المويد"، ولكنها كانت سارية المفعول في ظل الظروف التي تكون فيها القوات الروسية على استعداد لتجاهل مذهل في حصيلة الخسائر البشرية اللازمة للمناورة في موقف المدافع.

كانت القوات الروسية آنذاك قريبة من القبض على مدفعية "المويديين" ولكن ثبت أنه — على عكس التوقعات —قد تسبب في كارثة عسكرية.

ومن الناحية الإستراتيجية، فإن الحرب في حد ذاتها لعبت ثلاثة تفاعلات إستراتيجية:

1. فاز الروس أولاً في التفاعل الاستراتيجي: واستخدام الوحشية ضد قوات "الموريد". في حين خسروا في التفاعل الثاني:حيث قامت القوات الروسية التقليدية باستخدام إستراتيجية الهجوم في حرب "الموريد" الذين استخدموا إستراتيجية حرب العصابات (مقابل النهج).

2. أما التفاعل النهائي مرة أخرى من نفس النهج: فإن التوفيق الاستراتيجي الروسي حيث عارض به حرب "الموريد"إستراتيجية حرب العصابات. وقد فاز الروس على قوات "شامل"الذي هرب إلى المنفى.

إن نتائج حرب "الموريد" تحددها روسيا – تاريخيا تقريبا –بما فيها التكلفة[1]. وهذا يدعو لعدم الحساسية نظرا لنوع النظام وإلى حقيقة أن روسيا بشكل عام كانت تعاني تقريبا من أزمات أخرى. ولذلك كانت الخسائر – نصف مليون من الضحايا خلال تسعة وعشرين عاما – هي أفضل تفسير لأطروحة التفاعل الاستراتيجي. إستراتيجية حرب العصابات[2].

الحرب في جنوب إفريقيا، 1899ـ1902

كانت حرب جنوب إفريقيا قد منحت طابع العظمة لبريطانيا – أعطتها لقب القوة العظمى مع أنها ثاني اصغر دول العالم– كأورانج الحرة والترانسفال (الفاعل الضعيف). وهكذا، فقد أصبحت النخبة السياسية البريطانية – التي تسيطر على حسابها من أورانج الحرة والترانسفال– صاحبة أمر حيوي وذلك لثلاثة أسباب:

- أولاً: لأنها تعتقد أن السيطرة على مدينة "كيب تاون" كان عاملا رئيسيا في الحفاظ على الاتصالات البحرية مع الهند وغيرها من الممتلكات الاستعمارية[3].

1- وهو هام من حيث التكلفة بالنسبة لكل من الجهات الفاعلة، ولكن نظرا لقوتها المميزة التي تؤدي إلى توقع انتصار سريع، فإن تكلفة التأخير بفعالية قوية تضرب الفاعلين.

2- الفالز سبق وذكر في هذا الصدد.

3- وكان الهدف من الغزو هو الاستعباد، وبدلا من الفناء، والنصر. لكنه سيكون بعيد المنال. من الناحية النظرية، في حين كانت روسيا أكثر استعدادا وقدرة على اللجوء إلى وحشية وينبغي أن يكون رادعا لاحقا فيما يتعلق بالموريد والمقاومة. لكنهم لم يفعلوا ذلك. وبدلا من ذلك فقط حفزت المقاومة وتكثفت. إذا كانت الديمقراطيات تخسر الحروب الصغيرة لأنها لا يمكن أن تتصاعد إلى مستوى الوحشية اللازمة للفوز، ثم واجه "ميروم" صعوبة في أطروحته في إيجاد تفسير لماذا تكسب الاستبدادية الحروب الصغيرة وأكثر من ذلك.

• ثانياً: ما سبق يتيح لجمهوريات البوير "إملاء" الأحكام البريطانية والذي قد يشجع غالبية سكان رأس المستعمرة – البيض – للسيطرة على الرأس.

• ثالثاً وأخيراً: فإنه يمكن أيضاً جعل بريطانيا تبدو ضعيفة الإرادة بالنسبة إلى الأوروبيين وبشكل كبير بين المتنافسين على السلطة، مما يشجع على التدخل أو يؤجج فكرة التدخل من منافسيها. ولذلك، تستخدم "الدومينو" شبه المنطق في جميع أنحاء البريطانية، ومن ثم تحسب أن إخضاع "أورانج" الحرة و"الترانسفال" كانت للمصالح الحيوية[1]. كما وأن "البوير" تعتبر المهتمة الرئيسية في المحافظة على استقلالهم وطريقتهم في الحياة (وخاصة مؤسسة الرق).

يفسر اثنان من العوامل الضعف السياسي البريطاني في الحرب في جنوب إفريقيا:

1. نوع النظام.
2. والوقت والهدف.

فزعماء الدول الديمقراطية، وصناع السياسة البريطانية لا يمكنهم جعل السياسة تأخذ مجراها من دون الأخذ برد فعل الجمهور وآراءه في الاعتبار. أما في جنوب إفريقيا خلال فترة الحرب، فقد كان هناك عاملان سببا الضعف لبريطانيا وهما:

1. قانون الحرب – بعدالة بريطانيا اللجوء إلى القوة في جنوب إفريقيا.
2. قانون الحرب –بعدالة سلوكها في تلك الحرب.

وفي هذا يبرر "كروغر"الإنذار المتخذ الذي يدخر النخبة البريطانية من الصعوبات في قانون الحرب: الرأي العام البريطاني يعترف بشرعيته باعتباره دفاعاً عن النفس لتبرير اللجوء إلى السلاح[2]. ولكن ليس من أخلاقية الحرب نفسها؟[3]

1– التذكير، مع ذلك، أنه لا يوافق على همجية الاسكندر باعتبارها الإستراتيجية العسكرية الروسية، ولكن فعالة. هذا أمر يبعث على القلق لنموذج "ميروم" الذي يرى أن الأنظمة الاستبدادية بشكل عام ستكون قادرة على كسب الحروب الصغيرة لأنها تؤدي إلى تصعيد مستوى العنف إلى البربرية: تبينحر بالموريد أنه حتى في النظام الاستبدادي "المعيارية الفرق" بين الدولة ويمكن أن توجد في المجتمع وتؤثر على الإستراتيجية، وبالتالي على التكاليف والنتائج.

2– كما قد يمثل سابقة خطيرة فيما يتعلق بإنشاء الاستعماريون إمبراطورية أخرى، والذين يمكن بعد ذلك التفكير في ارتفاع يصل إلى تحدي الحكم الاستعماري البريطاني.

3– كانت جرب جنوب إفريقيا تعتبر بالنسبة "لميروم"مشكلة وعلى الأخص بالنسبة لأطروحته، لأن بريطانيا هي دولة ديمقراطية، ومع ذلك لا يجد صعوبة متصاعدة على مستوى الوحشية (ناهيك عن التكاليف الخاصة بها من حيث الدم والمال) اللازمة لكسب الحرب. ميروم وخاصة الأخذ في الاعتبار طبيعة وآثار العملية البريطانية إستراتيجية (وخصوصا في ظل كيتشينر) مضللة في هذا الصدد. ويقترح أن يتم تقييد سياسة كيتشينر الهمجية في وايتهول، ولكن لا أحد أخذ تاريخ الحرب على انه ادعاء خطير يمكن أن تدعم هذا الادعاء، ربما باستثناء أضعف شكل الحجة، كما في وحشية كيتشينر الزراعية والحرق وتركيز السياسات" كان بالإمكان أن يكون الأمر أسوأ "(انظر ميروم، 2003، ص 61–62).

فإن تركيز المعسكر اضطر ما يقرب من بريطانيا الانسحاب من الحرب دون تحقيق أهدافها السياسية لكن الحرب كانت قد انتهت في وقت قريب وكما كان متوقعا من قبل النخبة البريطانية والعامة البريطانية حيث لا يهم أيا كانت، ولذلك يكون من المنطقي أن نسأل عن سبب التأخير في الحرب فقد كانت بريطانيا لديها قوة عظيمة قياساً للهولنديين وذلك بنسبة 1/5.

كان تأخير الحرب يعود إلى أن الهولنديين امتلكوا بنادق حديثة وكانت لديهم مهارة عالية باستخدامها في حين أن الإنكليز لم يكونوا قد حاربوا ضد عدو بتلك الجهوزية لذلك طلبوا وقتا أطول للتدرب على تكييفات تناسب هذا الوضع.

و لكن السبب الحقيقي لتأخير الحرب إلى ما بعد عيد الميلاد هو التقليل من شأن الهولنديين وبما أن الهولنديين كانوا أكثر تحركا، وكان لديهم قوات استخباراتية أفضل من التي كانت عند البريطانيين.

لكن الحروب خلال عام 1900 وضحت لأنه حتى امتلاك البنادق الأفضل وقدرة القوات على المناورة بشكل أفضل بحيث مكّن من تفويض التفوق العددي للبريطانيين في جنوب إفريقيا.

وهكذا قامت القوات البريطانية ببساطة بتدمير الهولنديين الذين كانوا يتحركون بخطوط مستقيمة من مستعمرة "كيب" إلى مستعمرة "بريتوريا".

ومن جهة أخرى، فإن مناقشة إبطال مفعول الصراع جاءت كنتيجة جزئية لشرح نتائج الحرب الجنوبية الإفريقية. والسبب الحقيقي للتأجيل هو التحول إلى إستراتيجية حرب العصابات عن طريق بوير في آذار / مارس 1900. وفاز البريطانيون في أول تفاعل الحرب (نفس النهج) بعد التغلب على الصدمة الأولى وبعد نشر قوات كافية في المسرح. بحلول شباط / فبراير 1900 من الحرب التقليدية قد انتهت وفقدت "البوير". ولكن بعد سقوط "بلومفونتين" في البوير وخسرانه زمام القيادة فقد اختار التحول إلى إستراتيجية حرب العصابات.

يعتبر التفاعل الاستراتيجي أفضل تفسير لنتيجة الحرب في جنوب إفريقيا. فبعد أن أصبح واضحا أن اعتقال العواصم لن تجبر "البوير" للتسليم لبريطانيا، وكان هناك ثلاثة خيارات إستراتيجية:

- **أولاً**: مع الاستمرار في الإستراتيجية الحالية، وربما إرسال المزيد من القوات والمعدات، والخيول إلى مسرح الحرب.
- **ثانياً**: من حيث العرض في "البوير": ما الذي يمكن عمله للحفاظ على ماء الوجه بعد نهاية الحرب.
- **ثالثاً**: التحول إلى إستراتيجية الهمجية: اتخاذ قبالة القفازات وملاحقة البوير لغير المقاتلين، سواء من جانب الرهائن أو قتلهم على الفور في الانتقام لاستمرار المقاومة.

لكن البريطانيين اختاروا الخيار الثالث، وانتهت الحرب بعد فترة وجيزة.

الحرب الايطالية الإثيوبية 1935-1940

تدور أحداث الحرب الايطالية الإثيوبية حول ايطاليا الفاشية (الفاعل القوي) ضد إثيوبيا(الفاعل الضعيف).

كانت المصالح الايطالية تسعى إلى الثأر لهزيمتها في "أدوا" عام 1896، ومسؤولية إحلال تحضر الهمجية في إفريقيا السوداء في القرن الأفريقي، والموارد اللازمة لتحسين معدل الفقر والمشاكل السكانية.

كانت مصالح ايطاليا في الغزو أعلى مما كان متوقعا من قبل مصلحة أطروحة عدم التكافؤ، ولأن جزءا كبيرا من شرعية الفاشية تكمن في الرجولة المزعومة الماثلة في خط التفوق العسكري، ولذلك، فإن أي هزيمة في إثيوبيا يجب أن تعتبر تهديدا لبقاء النظام.

كان من مصلحة إثيوبيا(البقاء على قيد الحياة) وكانت تلك رغبة عالية أيضاً، لكن الإثيوبيين كانوا أكثر دقة وأكثر خطورة في المتابعة على حد سواء: تكرار الهزيمة في مجد الغطرسة الايطالية الغازية، حيث يؤثر نوع النظام في إيطاليا على الخيارات الإستراتيجية، مما أدى إلى لجوء ايطاليا إلى البربرية (الأولى في وقت لاحق من استخدام غاز الخردل والقتل، والقتل الجماعي) حيث تفترض الإدارة والتحكم في المعلومات عن سير أعمال

حملة عسكرية سياسية[1] من حيث ضعفها في ذلك الحين، في الوقت الذي ظلت فيه حكومة"موسوليني"كانت آمنة طوال فترة الصراع.

أما على الجانب الإثيوبي، فقد كان "هيلا سيلاسي " يعتبر وإن كان شكلياً– إمبراطور إثيوبيا ولم يكن لديه سيطرة كاملة على الأمراء والجنرالات.

جعل نوع النظام الإقطاعي في إثيوبيا من المستحيل على الإمبراطور المفضل فرض إستراتيجية دفاعية وأثر ثابت فقد قام بتخريب[2] نوع النظام بشكل أكبر من الاهتمام الذي اقترحته أطروحة عدم التكافؤ. في حين أن انتشار الأسلحة قد لعب دوراً ذا شأن في الحرب الإثيوبية الايطالية، لأنه لا يوجد تكافؤ فيما يتعلق بالأسلحة على الجانب الإثيوبي، ولذلك عملت القيادة على زيادة تكاليف الغزو أو الاحتلال من جانب الايطاليين، في حين أن انتشار الأسلحة الفرضية ليست على المحك.

ومن ناحية أخرى، فمع وجود استثناء واحد، فإن كل التفاعل الاستراتيجي للحرب كان لتحقيق نصر ايطاليا عسكريا.

كان أول تفاعل بين الطرفين قد أظهر الهجوم التقليدي، ضد تقليدية الدفاع (نفس النهج)، في إيطاليا، ولكنه كان يبدو بأنه على وشك خسارة هذه المعركة بسبب سوء البراعة.

ومن هنا، فإننا نستنتج مما سبق، بالنسبة للحرب الايطالية، أنه كان من المدهش بالنسبة لإيطاليا مواجهة فعالية المضادات الإثيوبية، والتي أدت إلى تحول في الإستراتيجية الايطالية، حيث كانت ايطاليا تستكمل الهجوم التقليدي ضمن إستراتيجية عظمى وهي إستراتيجية السلاح ضد وزارة الدفاع الإثيوبية التقليدية.

كانت إثيوبيا تعتبر المنظمة المقاومة السرية التي انهارت في غضون بضعة أشهر. لكن الهمجية الايطالية جددت المقاومة. وقد حصلت ايطاليا على هذا التفاعل الثالث

1– راجع. الملاحظة أعلاه الفاشية الشرعية (ص 116). حتى لو كان الشعب الايطالي لا توجد لديه آلية لتحويل الاستياء إلى تحول في السياسة الخارجية أو العسكرية، والحفاظ على النظام حيثما زالت المصلحة الحيوية في السيطرة على الرأي العام والتصورات للحرب.

2– تبرز هذه الحالة في حدود مفهوم الخيار الاستراتيجي في الحرب من الناحية النظرية، ويشكل تهديدا للبقاء وينبغي أن يعلو للسوية التنظيمية البسيطة، والثقافية، أو غيرها من أشكال التحيز في اختيار الإستراتيجية. كما لم يوضح هذه الحالة، حيث يفضل الإثيوبيون خطر الهزيمة بدلا من اعتماد "معيب" لإستراتيجية دفاع ضعيفة، ثم الهروب".

للصراع وفق نفس النهج: الهمجية ضد إستراتيجية حرب العصابات، ولكن قبل أن تتمكن من تسجيل القوة العسكرية كانت قد ألغت تأثير موسوليني. في حين كانت العملية التفاعلية بالرابعة "تفاعل الحرب" قد عادت إلى إتباع طريقة الهجوم التقليدي ضد أي تنظيم للمقاومة (عكس النهج). إلا إذا سعت القوات الإثيوبية إلى الدخول مباشرة في الحرب مع ايطاليا في إقليم "جوجام" وهي التي ساعدت الايطاليين على الفوز.

أما في بقية البلاد، فقد قامت الإستراتيجية الايطالية التقليدية بشن الهجمات عن طريق إحدى استراتيجيات حرب العصابات، حيث خسر بذلك الطرف الايطالي.

كانت خسارة الايطاليين في هذه العمليات مذهلة، وكان الجمع بين هذه التكاليف والحاجة الأمنية لتصبح مكتفية ذاتيا في حال وقوع حرب في أوروبا، وأدى ذلك إلى تحول آخر في هذه الإستراتيجية الايطالية.

هذا التفاعل الخامس للحرب قد عرض توفيق إستراتيجية لايطاليا التي تعارضها إثيوبيا وفق إستراتيجية حرب العصابات (نفس النهج).

كان التوافق قد اثبت للجميع أن استراتيجيات الايطاليين كانت قد حاولت في "أديس أبابا" في شهر أيار / مايو من عام 1936. كان زعيم واحد فقط هو الذي يقود المتمردين، ويبدو من المحتمل أن كون اندلاع الحرب العالمية الثانية كان سبباً في التغيير الشامل، حتى أن "ابيبي اراجاي" كان يبذل كل جهوده في تهريب إثيوبيا أو إبعادها. ولذلك، فقد كان من شبه المؤكد أن الايطاليين قد كسبوا الحرب.

ولكن الحرب العالمية الثانية غيرت كل هذا. فالسباق في إثيوبيا توقف عن أن يكون بين الايطاليين والمقاومة لاحتلال إثيوبيا، وتحول لتصبح المعركة بين البريطانيين والايطاليين وقتالهم عبر إثيوبيا، والسودان، والصومال البريطاني، وكينيا(كما يعد مجرد صراع غير متكافئ وفقا للتعريف الوارد هنا). في غضون بضعة أشهر، والقوات البريطانية الغازية من الجنوب قامت بهزيمة الايطاليين ودخلت "أديس أبابا".

القيادة

في الحرب الإثيوبية الايطالية، كانت مشكلة ضعف القيادة الايطالية ذات تحليل هام لنتيجة الحرب. في أول تفاعل، كان الايطاليون يهددون – ولو بخجل– بتهديد الغزو،

والذي قام مرة أخرى لأسباب سياسية[1] ولذلك فإن فعالية التكنولوجيا العسكرية يمكن أن تتفاوت تفاوتا كبيرا تبعا للسياق. ففي أوروبا خلال الحرب العالمية الأولى، لم يدل استخدام الأسلحة الكيميائية بين أي من الطرفين على وجود ميزة إستراتيجية في إثيوبيا، إلا أن استخدام مثل هذه الأسلحة يمكن أن يكون (وكان) بمثابة إستراتيجية تقليدية حاسمة خلال المرحلة الأولى من الحرب.

كانت الأسباب الإيديولوجية ومطالب النصر سريعة وحاسمة. وهذا هو الذي سمح للإثيوبيين من الاستيلاء على هذه المبادرة، وكذلك فإن عدم الكفاءة قد أدت إلى سلسلة من الهزائم التي تهدد القوة الايطالية للقذف بها إلى اريتريا. وهكذا أصبح ضعف القيادة الايطالية السبب المباشر في ايطاليا للجوء إلى غاز الخردل.

وخلاصة القول، فإن نتائج الحرب الإثيوبية قدمت أفضل تفسير للتفاعل الاستراتيجي، ولضعف القيادة العسكرية الايطالية. فبعد أن أصبح واضحا أن احتلال العاصمة الإثيوبية "أديس أبابا" لن تجبر الإثيوبيين على الاستسلام، كانت ايطاليا بذلك قد وقعت أمام ثلاثة خيارات إستراتيجية:

- **أولاً:** الاستمرار في الإستراتيجية الحالية، وربما إرسال المزيد من القوات والمعدات إلى المسرح.
- **ثانياً:** من حيث عرض الإثيوبيين: ما الذي يمكن فعله لحفظ ماء الوجه بعد نهاية الحرب.
- **ثالثاً:** التحول إلى إستراتيجية الهمجية: اتخاذ عمليات مداهمة في الأقاليم الإثيوبية الساخنة وملاحقة "المتمردين" وأسرهم.

وعموماً، فقد تم اختيار الخيار الثالث، على الرغم من أنها كانت قد تحولت لاستراتيجيات همجية وابتكار عدد من الممرات، ولكن ببطء وبصعوبة حيث قامت بتحسين تلك الميزة حتى الحرب العالمية الثانية في إفريقيا، والاجتياح للتخلص منها.

لم تتدخل ايطاليا في حرب إثيوبيا، والتي كانت خلال الحرب العالمية الثانية، وقد ربحت الحرب. ولكن بعد بضع سنوات على الأكثر، كانت إيطاليا قد فقدت إثيوبيا حتى بدون التدخل البريطاني في شمال إفريقيا، لأن العملية الإستراتيجية كانت مثالية– التوفيق–

1- سبق شرح ذلك.

الاقتصادي الذي كان غير قادر على المحافظة. وقد اضطرت ايطاليا في وقت سابق إلى اللجوء إلى الهمجية – على حد سواء باستخدام غاز الخردل والقتل الجماعي – وهذا ما أثار تكاليف سياسة ما وراء الرشوة وهي القادرة على الدفع.

الولايات المتحدة في فيتنام (1965–1973) وهي تدور حول تدخل الولايات المتحدة في الحرب الأهلية الفيتنامية وGVN حكومة فيتنام (قوة فاعلة ضد DRV جمهورية فيتنام الديمقراطية والرأسمالية (فاعل ضعيف). وكانت مصالح الولايات المتحدة تقوم باحتواء الدفاع عن GVN حكومة فيتنام من استيلاء الشيوعيين، وتعزيز إستراتيجيتها السوفيتية.

كانت مصالح DRV جمهورية فيتنام الديمقراطية تتوقف على انخفاض الاستثمار الرأسمالي في البقاء على قيد الحياة، ولكن تم توسيعه ليشمل طرد جميع الأجانب، و"التأثيرات" من فيتنام.

ولذلك فإن DRV جمهورية فيتنام الديمقراطية وGVN حكومة فيتنام سواء كان النظام الاستبدادي متعدد التنوع بينما كان لدى الولايات المتحدة نظام ديمقراطي.

ولكن في فيتنام، كان النظام يعتمد على الضعف السياسي كنوع أقل أو أكثر على أرض الواقع. وقد كانت المعركة الحقيقية في فيتنام على ارض الواقع بين اثنتين من أكثر الحكومات المحلية التي يمكن أن تعرف بمصداقية تمثل التطلعات الوطنية الفيتنامية. وهكذا، فإن كانت DRV جمهورية فيتنام الديمقراطية تعتبر صاحبة السبق بسبب تنظيمها، والشجاعة والتضحية ضد اليابانيين في الحرب العالمية الثانية وضد الفرنسيين بعد عام 1945. وقد بدت GVN حكومة فيتنام ذات مصداقية وطنية، ولكن "ديم"كما يعرف في خطاب نقله التلفزيون – لا يرى مصلحة في فيتنام منفصلة عن بلده.

وهكذا، فبإعادة هيكلة GVN حكومة فيتنام فإن القوة العسكرية كانت لخدمة هدف واحد على حساب الآخرين وهو: لإبقائه في السلطة. وقد عرض في وقت لاحق الاغتيالات اليومية للقوات الأمريكية في العراق والتي كانت لا تمتلك أية إمكانية في حكومة فيتنام كسب المعركة من أجل الشرعية القومية.

كان وضع الديمقراطية في الولايات المتحدة ضعيفاً، وذلك نظرا لنوع النظام لكونه في وضع يمكنه من الإطلاع على دعم غير مشروع وتقوية الفساد في حكومة فيتنام.

لم يلعب انتشار الأسلحة دورا قوياً في فيتنام، ولكن الزيادة في التكاليف بالنسبة للولايات المتحدة وحكومة فيتنام السوفيتية والصينية (ناهيك عن غير قصد حكومة فيتنام) في تقديم الدعم وهو ليس ما دفع الولايات المتحدة للخروج من فيتنام. فمعظم القتلى الأمريكيين خلال الحرب لم يكونوا بسبب عمل معاد مباشرة، سواء من حيث الدفاع الجوى أو هجمات المسلحين. لأن معظمهم قد تعرضوا للضرر الأكبر من العبوات الناسفة البدائية نسبيا وكذلك الشراك الخداعية المرتجلة.

يوضح التفاعل الاستراتيجي أفضل تكاليف الصراع لكل جانب، وخاصة من حيث الوقت. ونادرا ما كان أو لما يحدث مع قوات الجيش الأمريكي في أية معارك حربية يشارك في اتخاذها.

وبدلاً من ذلك، فإن قوة الجيش الأمريكي كانت تكمن في قدرته على التعلم بسرعة والتكيف مع طائفة واسعة من ظروف القتال. وكانت فيتنام اكبر مثال على ذلك.

بدأ الجيش الأميركي أعماله بالتقليل من قوة الإرادة والقدرة على القتال. وقد تجاهل خبرة فرنسا الكبيرة وإن إلى حد أقل، وكذلك بريطانيا العظمى. ولكن انتهى به الأمر إلى ابتكار عدد من الاستراتيجيات القادرة على تحييد ونزع أحشاء المد الرأسمالي في عام 1969.

على الرغم من الفوز الذي حققه الجيش، وهو كان أكثر ما قامت به في الولايات المتحدة الأمريكية. لكن النتيجة السياسية قد انتهت بهزيمة الولايات المتحدة، وهذا ما يفسر التفاعل الاستراتيجي.

كانت الحرب في القرن العشرين أكثر تعقيدا من حرب فيتنام وقد ظهرت – على الأقل– في خمسة من الخصوم (DRV جمهورية فيتنام الديمقراطية، والاستثمار الرأسمالي، والصين، وGVN حكومة فيتنام ضد الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة الأمريكية)، وكان التداخل الملتف في ذلك أكثر من التفاعلات الإستراتيجية. وقد خسرت الولايات المتحدة في تلك التفاعلات، والتي تظهر الوحشية التي مارستها الولايات المتحدة ضد قوات NVA جيش فيتنام الشمالي التقليدية تنظيميا (مقابل النهج). ولكن الولايات المتحدة فازت في الحرب ضمن وحدات القوة الرئيسية: NVA وحدات جيش فيتنام الشمالي التقليدية ضد الهجوم الأمريكي ضمن الاشتراكات التقليدية الدفاعية (نفس النهج).

لكن الولايات المتحدة خسرت حرب العصابات الرئيسية في الجنوب، والتي تضمنت هجوم الوحدات الأمريكية التقليدية (هجوم الرأسمالي كإستراتيجية حرب العصابات (مقابل النهج)، ولكنه حصل على الجانب"الآخر" حرب عصابات عندما شرع برنامج فينيكس (البربرية) ضد إستراتيجية حرب العصابات جيم (نفس النهج). وكانت الحركة الأهم من مشاة البحرية الأمريكية – المؤسسة العسكرية الأمريكية مع التجربة التاريخية الأكثر قوة في القتال والحروب الصغيرة – حيث ابتكرت إستراتيجية قادرة على هزيمة الرأسمالية دون اللجوء إلى الهمجية. وكانت السياسة الزراعية المشتركة هي البرنامج الذي أثبت المسؤولية عن التكلفة من حيث الوقت.

وخلاصة القول، في معظم الحروب، ولتحويل النصر العسكري إلى نصر سياسي، ومدة ونوعية هذا الانتصار السياسي التي تحمل معنى العلاقة بين بعض الوسائل المستخدمة للتغلب على مقاومة الجيش. إذ أن الهمجية تعمل على تحقيق انتصار عسكري فقط، ولذلك، فإن السلام سيكون التالي، وسيكون مكلفاً في أفضل الأحوال.

ومن الواضح أن قوات الولايات المتحدة ووحدات GVN حكومة فيتنام الجنوبية لم تستخدم الهمجية ولم تتغلب على وحدات DRV جمهورية فيتنام الديمقراطية الرأسمالية والعسكرية.

وهكذا، فإن التفاعل الاستراتيجي يفسر الحرب ما دام الأمر كذلك، وكيف ان الولايات المتحدة كانت قادرة على هزيمة DRV جمهورية فيتنام الديمقراطية والاستثمار الرأسمالي، ولماذا، وبعد ذلك، اضطرت إلى التخلي عن GVN حكومة فيتنام. ولكن، في الحرب الأهلية الفيتنامية، فقد أثبتت أن التفوق العسكري كان لا معنى له مقارنة مع النتائج السياسية من اجل فيتنام وكان ما يهم بالفعل كان قد تحقق من قبل قوات المارينز الأمريكية التي جاءت إلى الشاطئ في "دا نانغ".

حتى في الولايات المتحدة، كانت القوات قد اعتمدت على مواجهة الإستراتيجية مقاومة مثالية والتي كانت تواجهها ضد كل.من الجيشين على الرغم من أن المهمة ليست سهلة ولا يزال لا يمكن كسب الحرب سياسيا (أي سياسة الإكراه فإن DRV جمهورية فيتنام الديمقراطية قبل تتقسيم فيتنام).

وفي أحسن الأحوال، فإن الولايات المتحدة سوف تدفع بأعدائها في كل من "لاوسو كمبوديا، والصين، ثم اضطرت لقضاء عقود محاولة – تحت الإكراه، رغم أن الأمل ضعيف في النجاح – لهندسة وطنية بديلة قابلة للتطبيق في DRV جمهورية فيتنام الديمقراطية.

الحرب الأهلية الأفغانية 1979-1989

كانت الحرب الأهلية الأفغانية تدور بين DRA والجيش السوفيتي وحلفائه (فاعل قوي) ضد المجاهدين الأفغان (فاعل ضعيف). لم تكن نتائج الحرب الأهلية الأفغانية للمصالح السوفيتية ترقى إلى مستوى البقاء على قيد الحياة، لكنها أصبحت فيما بعد أكثر حدة مما كان متوقعا من قبل ما يسمى (مصلحة اللاتماثل). فقد انخفضت إلى:

(1) – ودياً للدفاع عن النظام الماركسي.

(2) – وهو ما يحول دون انضمام جمهورية إسلامية متطرفة على حدودها الجنوبية.

وكانت مصلحة المجاهدين تكمن في طرد السوفيات من أفغانستان، حيث كانت طائفية نظام كابول التي يسيطر عليها لا تختلف في حقيقتها عن السوفيت. وتحقيقا لهذه الغاية، فقد بدا المشهد كما لو أنهم كانوا يقاتلوا من اجل بقائها على المحك. وهكذا، فوفقاً لمصلحة فرضية (عدم التكافؤ)بالإضافة إلى النكسات العسكرية الكبيرة التي ألمتبالسوفيت، فقد أدت في نهاية المطاف إلى دفع السوفيت لإعادة تقييم احتلالها بغض النظر عن نوع النظام. ولكن تنفيذ ذلك لم يحدث. وبدلاً من أن تفكر في انسحاب قوات السوفيت، فقد حاولت ببسالة التعلم من الفشل والابتكار مما حولهم. وغالبا ما كانت ستنجح، ولكن في شكل لا يمكن أن تعوض فيه عن الانخفاض النسبي[1]. وباختصار، فإن الاتحاد السوفيتي كان يُنظَر إليه كنظام استبدادي في ظل نوع من الضعف السياسي.

ومن جهة أخرى، فإن ما مكّن نوع النظام السوفيتي من الإدارة السياسية الداخلية[2] في مقاومة الأنظمة الاستبدادية هو أولا وقبل كل شيء بناء مجتمع حر ولكن على النحو الذي يراه مناسبا (الأنظمة الديمقراطية التي تمكنها من القيام بنفس الشيء ولكن أقل بكثير

1- أرقام ليست مؤشرا يعتد به. كما في حالة التدخل الأميركي في فيتنام، وكان السوفيت أعلى مما كان متوقعا المصالح (بما في ذلك مشكلة المؤهلات)، ولكنها كانت مقيدة لمراقبة الحدود في عدد القوات التي تم نشرها خوفا من تصعيد الصراع إلى حرب عالمية أخرى.

2- المعارضة السياسية الداخلية هي واحد من اثنين من مخاطر اعتماد إستراتيجية الهمجية بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية ؛ الآخر التدخل العسكري الأجنبي. هنا نوع النظام ليس لها دور على الإطلاق. كما في وقت لاحق بغارات الشيشان (1994 و1999)، ميلوسيفيتش وصربيا، والطالبان في أفغانستان، وصدام حسين في العراق ليست محمية بشكل جيد، وبالتالي تخضع لغزوات مبررة إلى حد كبير من خلال تقارير دقيقة من الهمجية.

من الحرية). كان الاتحاد السوفيتي قد أظهر في الحروب السابقة قدرة ملحوظة في السيطرة على الجمهور المدني من أجل الحصول على معلومات موثوق بها عن تكاليف الحرب الداخلية، وخصوصا الخسائر البشرية والعلاقات بين البلدين. ولكنفي هذه الحرب، فقد كانت الجهود الرامية إلى السيطرة السوفيتية على هذه المعلومات آخذة في الحسبان الجمع بين الوطن ورسائل الجنود – التي لم يسبق لها مثيل – إلى أمهاتهم معا لتجعل من الواضح – بشكل متزايد– كيف أن الجنود السوفيت الذين قتلوا كانوا أكثر بكثير من مما قدرته الحكومة[1](16).

ومع ذلك، لم تكن هناك أية آلية للإنذار الأمر الذي أدى إلى تصاعد السخط العام والذي كان يمكن أن يؤدي إلى تحول في السياسة السوفيتية أو الإستراتيجية في أيحالة أخرى لا تحصل على الأسلحة ونشر حجة أقوى مما كانت عليه في دعم الحرب الأهلية الأفغانية وذلك خلال الفترة الواقعة من عام 1979 حتى عام 1986، ولكن على الرغم من أن الاتحاد السوفيتي وقوات الحلفاء كانوا أفضل تجهيزا وتسليحاً من المجاهدين، فيما عدا طائرات الهليكوبتر القتالية، وأكثر من ذلك فإن أفضل التكنولوجيا المستخدمة كان مشكوكاً بنجاعتها في الجبال الوعرة في أفغانستان. كما أن القوات السوفيتية كانت قد ابتكرت أفضل الأساليب التي جاءت بها والتي كانت تعتمد بشكل كبير على طائرات الهليكوبتر القتالية.

ولكن مع حلول عام 1986 فإن أساليبهم تلك– بما في ذلك استخدام قوات العمليات الخاصة "الهليبورن"التي كانت تمنع قوات الاحتلال من خلال"كانيون"– جعلها غير متناسبة على حد سواء القوية منها والضعيفة.

أما دور الولايات المتحدة في إضعاف القوات السوفيتية فقد تأكد من خلال تزويد الولايات المتحدة لقوات المجاهدين بقذائف صاروخية تطلق من الكتف ومضادة للطائرات من طراز"ستينغر". وهكذا، تغير الوضع بين عشية وضحاها تقريبا عما كانت المعارضة كميزة تكتيكية تحولت إلى إخفاء التكتيك المسؤول.

في عام 1985 أدى انضمام"ميخائيل غوربا تشوف"للحكم إلى حسابات جديدة في أفغانستان والتي بدورها كانت ذات أهمية سياسية. وقد كان "غوربا تشوف"قد وضع

1– التدخل السوفيتي في أفغانستان يدعم بقوة نموذج (ميروم)المؤلف من مزايا النظام في الحروب الصغيرة، ولكن المشكلة التي تعرض السوفيات ويعملون معا مع الجيش الأفغاني DRAفي إستراتيجية تتجاوز وحشية لا تزال حتى الآن وخسرت الحرب. أو الوحشية البربرية ولذلك قد لا تكون فعالة وكفوءة كما يقترح ميروم نموذج (انظر ميروم، 2003: ص 42–46).

حداً زمنياً للوجود السوفيتي بدعم من DRA جمهورية أفغانستان الديمقراطية في مواجهة المجاهدين لاستخدام الإبر والذي يعني الحفاظ على الفعالية القتالية، فقد كان السوفيت قادرين على الابتكار أو زيادة كبيرة في أعدادهم.

أدرك "غوربا تشوف"بأن الطريق مسدود النهاية وأن زيادة القوات يعني أنه لن يكون هناك أي وقت للقيام بابتكار طرق جديدة، مع عدم وجود زيادة في عدد القوات.

و في المقابل، فإن نشر الأسلحة كان حجة إضافية لذلك وهو الأمر الذي قدم دعما قويا في الحرب الأهلية الأفغانية. وقد اقترن هذا التحول في القيادة السوفيتية مع ما يزيد من تكاليف احتلال السوفيت والتي تجاوزت ما يمكن تحمله. ولذلك انسحب السوفيت.

يفسر التفاعل الاستراتيجي الحرب السوفيتية(التفاعل خسر الحرب الأولى) ولكنه لا يفسر الحرب الثانية من 1980 إلى 1982، حيث انتهج السوفيت إستراتيجية الهجوم التقليدي ضد المجاهدين إستراتيجية حرب العصابات (مقابل النهج) والتي فشلت بكل المقاييس. ومع ذلك، فبعد التحول إلى الهمجية في عام 1983 (من نفس النهج، لم يربح السوفيت، في عام 1989 انسحبوا من أفغانستان تماماً). لماذا؟

الدعم الخارجي للأطراف الضعيفة: الملاذ

وفقاً لإستراتيجية التفاعل فإن أطروحة السوفيت يجب أن تفوز بها. فالهمجية التي كان ينبغي أن تكون بمثابة إستراتيجية مثالية لأن السوفيت ليسوا عرضة لتكاليف محلية أو مشتركة بين التكاليف السياسية المرتبطة الملاحقة. وعلاوة على ذلك، فإنه ينبغي أن يكون قد دمر الاستخبارات والقدرات اللوجستية للمجاهدين وإلى حد كبير، فإن[1] الأثر الرئيسي، مع ذلك، هو تعاضد المجاهدين مع المنشقين.

لم تنجح إستراتيجية الهمجية في أفغانستان لأن المجاهدين تمكنوا من الاعتماد على الاستخبارات الخارجية والدعم اللوجستي، وكانت وحداتهم تعمل انطلاقا من ملاذات في باكستان وإيران. ، فلذلك أصبح المجاهدون يعتمدون على هذه المساعدات

1- استخبارات المجاهدين تضاءلت كثيرا نتيجة التصرف السوفيتي الهمجي. ولكن بالنسبة لقوات الجيش الأفغاني DRAوالسوفيت، والمحافظة على كل واحد منهم في المناطق الحضرية، وآلية محددة القوة، فإنها لا تزال متفوقة والولايات المتحدة استفادت من الدعم التقني الاستخبارات.

التي توقفت فيها في عامي 1989 و1990، والتي أدت قدرتها إلى إسقاط حكومة "نجيب الله" غير الشرعية. ولذلك تبرز أفغانستان تحت شرط واحد، والتي لا يكون نافذ المفعول، على أساس النظر إلى الهمجية باعتبارها إستراتيجية مكافحة التمرد: عندما تمكن رجال حرب العصابات من الحصول على مصدر هام للملاذ بذكاء، والدعم اللوجستي خارج سيطرة الفاعل القوي.

وخلاصة القول، إذا ما كنا نريد أن نوضح السبب في فشل الاتحاد السوفيتي في أفغانستان، فإن ما يهم أكثر هو التفاعل الاستراتيجي. فبعد أن أصبح واضحا أن الحرب في أفغانستان هي مكافحة النضال السوفيتي، فثمة وثيقة ثلاثية أدت إلى ملاحقة المجاهدين غير المقاتلين. ولكن الإستراتيجية التي ساعدت المجاهدين، كانت في تقوية البنية التحتية واللوجستية والاستخبارات، ولكن إغلاق الحدود مع باكستان كان على الدوام يعتبر شيء مستحيل.

على الرغم من أن الروس كانوا قد نجحوا في قتل أو تشريد ما يقرب من نصف اللاجئين من أفغانستان قبل الحرب على السكان المدنيين، وحيث كان المجاهدون يواجهون خيارا واضحاً بعد تغلغل السوفيت البربري حيث انتقل ذلك الخيار إلى:

إما أن تتخلى، أو أن تواصل مع إستراتيجية من شأنها المزيد والمزيد من الاعتماد على قوى خارجية للحصول على الدعم.

وفي النهاية، لم يكسب أحد الحرب، وغادر السوفيت في عام 1989 وانخفضت قوات الجيش الأفغاني DRA في عام 1992.

في حين أصبح المجاهدون – فيما بعد – ينتشرون فوق كامل الجغرافيا الأفغانية تقريباً، متأهبين لصد أي هجوم يأتي من جانب حركة "طالبان"– والتي كانت مجموعة من الإسلاميين المحافظين للغاية والممولة من باكستان، وكذلك من جانب المملكة العربية السعودية. وفي نهاية المطاف، دمرت أفغانستان نفسها على نطاق لم يشهد له مثيل منذ تدمير ألمانيا في الحرب العالمية الثانية.

أطروحة التفاعل: النتائج الرئيسية

إن جمع وتنظيم التحليل الإحصائي، وتركيز المقارنة التاريخية لدراسات الحالة تؤيد بقوة التفاعل الاستراتيجي على أطروحة التفسيرات التي قدمها منافسوها. كما أن كتاب تحليل التفاعل الاستراتيجي يرتبط ارتباطا وثيقا بنتائج صراع غيز متكافئ. وهذه العلاقة مهمة إحصائيا، وبلادي تدعم الادعاء بأن نفس النهج تفاعلات قوية لصالح الجهات الفاعلة، في حين (عكس النهج)ضمن التفاعلات الضعيفة لصالح الجهات الفاعلة[1]. وبالإضافةإلى اختبار منطق التنافس يعتبر تعليل النتائج صراع غير متكافئ، فإن دراسة خمس حالات تاريخية مؤيدة ضمن ستة عشر تجربة منفصلة من التفاعل الاستراتيجي[2]. تدعم أطروحة نتائج هذه الاختبارات الصعبة بقوة منطق الإستراتيجية رغم أنه في حرب الموريد، والحرب الأثيوبية، والأفغانية والحروب الأهلية، والنتيجة الفعلية للصراع قد تأثرت بشدة لحساسية التكلفة البالغة، وغير كفء والقيادة والدعم الخارجي لضعف الفاعل على التوالي. والنتائج المتوقعة الفعلية للتفاعلات الإستراتيجية في حالة خمس دراسات تاريخية موجزة في الجدول التالي[3]

فرضيات بديلة

تقيّم الفرضيات الخامسة والسادسة والثامنة دراسات الحالات الفردية. فالفرضية الخامسة تناقش في الأطراف الفاعلة القوية على الأرجح لكسب نفس النهج – حيث يفقد التفاعل وعكس النهج التفاعلات المؤيدة في جميع الحالات. ولكنفي كل حالة، فإن تفاعلات نفس النهج تجعل من الممكن قيام القوى الفاعلة في تطبيق الثقل الكامل من المزايا المادية في السلطة وتحويلها إلى قتال، ولكن هذه ستفرض تكاليف باهظة على ضعف الجهات (حيث تتحول الاستراتيجيات أحياناً، وأحيانا ما تتخلى).

1- باكستان استضافت أفضل المجاهدين والمقاومة وكانت باكستان دولة نووية، وحليفا للولايات المتحدة.

2- كما ذكر في الفصل 2، وهذه الحالات الشاذة في هذا المعنى: 77. 5 في المئة من الصراعات غير المتماثلة ميزة التفاعل الاستراتيجي واحد من البداية إلى النهاية.

3- الجدول(3) السمات وملخصات عشرة تفاعلات في الإستراتيجية. وأنا أعول انه على الرغم من وجود أحد عشر تفاعل بسبب الإستراتيجية غير المباشرة(التي تستهدف إرادة الخصم بدلا من القدرة على القتال) "فالتوفيق" هو في إستراتيجية إنهاء الحرب وليس الفوز في إستراتيجية الحرب.

أما تفاعلات عكس النهج فتمكن الجهات الضعيفة تجنب الهزيمة، وبالتالي جعل الصراعات تطول. ونتيجة لذلك، فإن ضعف أفضل العناصر الفاعلة في تفاعلات عكس النهج، وتجنب التكاليف في الوقت ذاته سيؤدي إلى أن تسبب لهم خسائر ضمن صفوف أقوى الخصوم.

تناقش الفرضية السادسة موضوع التسليح الأفضل في حين يكون التسليح الضعيف هو الفاعل، والأرجح فإن هذه القوى الفاعلة ستخسر أي صراع غير متكافئ، أو غير مدعوم.

وهكذا، ففي كل حالة، بما في ذلك حتى الحرب الأهلية الأفغانية، فإن أثر التكنولوجيا يعتمد على الإستراتيجية والتكتيك في سياق المناخ والتضاريس، وذلك عندما تكون الجهات المسؤولة تكنولوجيا أفضل، ولكن من الخطأ تطبيق الإستراتيجية – كما هو الحال في السنة الأولى من الحرب في جنوب إفريقيا –حيث خسر بشكل سريع وحاسم.

أما الفرضية الثامنة – الاستخدام النسبي للقوة المادية – والتي تشرح النسبية في نتائج أي صراع غير متكافئ –فقدتم دحضها.

ولكن على أي حال من الأحـوال، فإن نتائج المعركة هو الاهتمام الفاعل في التفسير النسبي.

ومن ناحية أخرى، فإن الفرضيتين السابعة والتاسعة لا يمكن أن تكون إلا عبر تقييم الحالات.

فالفرضية السابعة – التي تناقش الموضوع السلطوي القوي الفاعل في قتال أفضل من الحروب غير المتماثلة ولا ديمقراطية قوية ضمن الأطراف الفاعلة – فهي غير مدعومة.

ولكنفي الواقع، قد يكون صحيحا أن الديمقراطية والسلطوية لا تلتقيان ضمن الجهات المسؤولة في مكافحة الحروب غير المتماثلة بنفس الطريقة ؛ فكل من بريطانيا والاتحاد السوفيتي بدأت مباشرة في استخدام الاستراتيجيات، وعندما لجأت إلى الهمجية، كانت فظة وتدميرية ووحشية.

وعلى الجانب الآخر، فإن الفرضية السابعة –الفاعل السلطوي القوي في مكافحة الحروب غير المتماثلة التي تستخدم الفاعل الضعيف، الضعف المباشر كإستراتيجية أفضل من قيام ديمقراطية قوية في الأطراف الفاعلة – وقد أيدت هذه النظرية ردود فعل الجمهور.

لجأت بريطانيا إلى الهمجية عندما اقتربت من خسارة الحرب، إلا أنه لم يرد أي لجوء لدى الاتحاد السوفيتي لأي تصرف همجي، على الرغم من أنه كان يهدد للقيام بذلك.

وهكذا، فبالنسبة إلى درجة أن النظام الاستبدادي يعزل النوع الفاعل من التكاليف والمخاطر للبدء في إستراتيجية الهمجية، وبقدر ما هي الهمجية عملية إستراتيجية فعالة عسكريا، ولذلك فإن هذا الدعم للفرضية السابعة ينبغي ألا يفاجأ أحداً.

وأخيراً، فإن الفرضية التاسعة – الفاعل السلطوي الديمقراطي القوي، والفعاليات السياسية والحصة المتساوية تقريبا في الضعف الطويل في صراع غير متكافئ – كان حاسما في دحض تلك المفاهيم هنا.

فقد كانت بريطانيا في خطر الاضطرار لخوض الحرب بعد ما حدث في "اميلي هوب هوس " والذي جعل موضوع معسكرات الاعتقال يغوص في جدل عنيف.

ولكن الإمبراطورية الروسية، والفاشية الايطالية، واتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية لم تكن عرضة لمشاكل مماثلة. ففد كانت إيطاليا تدير المخاطر في عام 1935 إلى أن زميلاتها من الدول الأوروبية ستطالب انسحابها من إثيوبيا أو وقف استخدام غاز الخردل، ولكن في حالة ضعف القوى العظمى في أوروبا فإن ذلك كان سيؤدي إلى القيام بهجوم وحشي عميق.

فشل شرح القوة الفاعلة

تفقد القوى الفاعلة في ظل الحروب الصغيرة عدداً من الشروط:

أولاً: عندما تكون القوى الفاعلة هي القوى العظمى، وتواجه خصوم أقوياء. وهي تخصص موارد كبيرة لبناء القوات لتأمين مصالحها ضد التهديدات من الخصوم. وحيث لا يتم بناء وتجهيز القوات لاستخدامها ضد غيرها من القوى الكبرى، لكنها تكون مدربة على القتال والرد بشكل معين، وحيث تكون المعدات، والتدريب، كلها متشابكة بإحكام ومبنية مع مختلف القوى الجديدة والمهارات[1].

1- بل والأدهى من الضباط والجنود المدربين في سياق واحد غالبا ما تكون غير مفيدة في بلد آخر. عدم الفعالية العسكرية البريطانية في الحرب العالمية الأولى وغالبا ما يقال إنه يرجع إلى أن الكثير من الضباط كانوا ذوي خبرة قتالية "استعمارية". العكس أيضا كان صحيحا: فالقادة الذين يتفوقون في العمليات التقليدية، نادرا ما يفعل وكذلك في العمليات العملية. عن الاختلافات في القيادة التقليدية وغير التقليدية في الضبط، انظر على سبيل المثال، بودين (2000: 172–474)، وسجل ماركيز (1997: 4، 8).

ففي حرب الموريد، كان على القوات الروسية الأولى الخروج ضد "الموريديين" الذين كانوا مدربين ومجهزين لقتال الأعداء على النمط الأوروبي على التلال، وفي الغابات الكثيفة، أو فوق أرض مفتوحة. أما الضباط فقد تم تدريبهم على أمثال سائرة، وغيرهم من الجنرالات الذين كانوا يتمتعون بالشهرة الروسية التي كانت قد دبرت مجموع هزيمة نابليون في "آرمي غراندي".

كان أول اشتباك مع "الموريدين" هو الأكثر نشاطا في المضايق الجبلية شديدة الانحدار كجبال القوقاز وكان ذلك التضارب بمثابة الصدمة، وهذا ما تطلب ما يقرب من ثلاثين عاما من النضال، والابتكار، وإعادة التدريب، والتكنولوجيا الجديدة من أجل هزيمة "الموريديين".

جاء البريطانيون بعد ذلك إلى جنوب إفريقيا مدعومين بسنوات من النجاح في الحروب ضد الدول الصغيرة والقبائل والممالك التي جعلت من بريطانيا إمبراطورية شاسعة.

جاءت القوات البريطانية مجزأة، وغير مجهزة، معسوء في التدريب لمكافحة تصاعد مقاطعة "بوير" الساخنة والواحة الجبلية. ولذلك فقد تكرر الهجوم مزارا وتكرارا من قبل القوات البريطانية التي اصطفت ضد "بوير" بعد التدريبات: إعداد مدفعية العدو ضمن خط المشاة والتي وضعت في المقدمة، وتجهيز الحراب للهجوم، وكذلك الفرسان للقضاء على العدو. ولكن ما وجدوه كان مختلفاً، وكانت نيران المدفعية المضادة، وجدار من الرصاص قد شكل عائقا جيداً من البنادق سريعة الطلقات، والذي دمر بشكل وثيق صفوف المشاة. ثم، بعد تعرض القوات للحريق المدمر هذا، والهجوم على مواقع العدو المتبقية، فقد عثروا على عدد قليل من القتلى بين صفوف مقاتلي "بوير" في حين عانى بقية أفراد الكوماندوز المقابل على الخيول، والذين ولوّا الأدبار على عجل. ولذلك، فقد كانت بريطانيا في حاجة إلى جيش جديد، وتدريبات جديدة، وكذلك تجهيز قوات جديدة لها، مع الكثير من الخيول، والعديد من الرجال لإخضاع "بوير" وصولاً إلى الخليج.

أما اكتساح الايطاليين لإثيوبيا على وجه التحديد مع كمية ونوعية القوات المطلوبة من أجل التغلب على القبائل التي كانت تحت إمرة الإمبراطور الإثيوبي "هيلا سيلاسي".

وبكل المقاييس فإن الجنود - باستثناء أصحاب القمصان السود الذين أيدوا الانقسامات في ايطاليا- قد قاتلوا بشكل جيد. ولكن القائد العسكري الايطالي كان شديد

السوء، وكأنه كان تقريبا سبب هزيمة ايطاليا ضد المقاتلين الذين كانوا في معظمهم حفاة، مع ضعف شديد في التسليح الإثيوبي والذي يفوق عدد المحاربين.

من جهة أخرى، كانت الولايات المتحدة قد وصلت إلى فيتنام مع قناعتها بأنها لا مثيل لها من حيث القوة والتكنولوجيا، والتاريخ الطويل من تحقيق الانتصارات العسكرية، وكانت على يقين بأن انتصارها في فيتنام سيكون حاسماً.

صحيح أن القوات الأمريكية كانت قد تعرضت لهزيمة قريبة في الأشهر الأولى من النزاع الكوري، لكن الجنرال الأميركي"ماثيو ريدجويس" تمكن من إعادة تطبيق المنطلقات الأساسية في تجنيد الانضباط حيث استعادت القوات الأمريكية مكافحة الفعالية، وعكس الاتجاه حيث دُفعت التوجه نحو كوريا الشمالية.

ونتيجة لذلك، فقد عبر العديد من الجنرالات الأمريكيين فيفيتنام عن اعتقادهم بأن الحديث عن شيء"جديد" أو "غير مألوف" في الحرب هو ستار لعدم وجود حسن الانضباط والعدوانية. لكنهم كانوا

على خطأ. فكما هو الحال في كل هذه الصراعات التي تكون أقل من المستوى المتوسط بالنسبة لضباط المكاتب (برتبة لفتنانت كولونيل ومن خلال مساعدين) لكنهم كانوا في معظمهم سريعي التعلم والتكيف، في حين حاول كبار الضباط تطبيق سياسة الوزن الخاص بهم، وكثيرا ما تكون هامشية غير ذات صلة، وكذلك الخبرة على حل المشاكل الصعبة التي تواجه الولايات المتحدة في فيتنام[1] حيث ألحقت قوات الجيش الأمريكي الهزيمة بقوات جيش فيتنام الشمالي، ولكن في السنوات التي أعقبت الحرب العالمية الثانية كانت الأمور قد أصبحت منتظمة حيث التهمت قدرات العمليات على الأرض.

ما كانت تحتاج إليه القوات في فيتنام كان حيث يتصادم الجيشين، ولكن لم يكن أي منهما يحاول جاهداً للتكيف مع اثنين من الأنظمة العسكرية لتلك العوالم المختلفة.

دخل السوفيت أفغانستان في عام 1979 مع أربعة فرق وباستخدام البنادق الآلية التي تعتبر ثلثي القوة. وهذه كان قد عفا عليها الزمن ضمن تجهيز الاحتياطات إليها،

1- وحتى في الحالات التي يكون فيها الهدف سياسي لمهاجمة قوات الإبادة الجماعية، والمتطلبات التقنية لتحقيق عمليات الإبادة الجماعية، ولحسن الحظ، هي بعيد المنال، حتى بالنسبة للدول الأكثر تقدما. سيكون هناك دائما من الناجين والشهود، وهذا يؤدي إلى احتمال وقوع هجمات انتقامية على درجات مختلفة من الخطورة بعد ارتكاب الهمجية.

ولكنهم كانوا قد تلقوا تدريبا على استخدام هذه المعدات في عمليات واسعة النطاق على الأراضي المفتوحة على الرغم من أنها غير ملائمة في كل طريقة يمكن تصورها لمحاكمة الحرب في منطقة جبلية. أثناء صراع دام عشر سنوات على هزيمة المجاهدين، ابتكر السوفيت تكتيكاً شبه جديد تماماً للجيش: العقيدة الجديدة، والتكنولوجيا الجديدة وتدريب جديد، ومختلف للقوات.

كل هذا يدل على أن الجهات الفاعلة القوية – وخاصة الدول الكبرى – والتي لم تخض الحروب مؤخراً خاضت حروباً صغيرة كانت تميل للدخول فيها لكنها كانت غير مستعدة لمحاربتهم سواء من حيث النظرية أو المعدات. وحتى أولئك الذين قاتلوا في الآوِنة الأخيرة فيمثل هذه الحروب، فقد تجد الخبرة في مسرح العمليات الواحد ضد عدو واحد، وأيضا لنقل مختلف المسارح ومختلف الخصوم. ولكن هذا لا يعني أن القوى الفاعلة يجب أن تفقد النزاعات غير المتماثلة، وإنما لأن التكاليف الأولية ستكون أعلى مما كان متوقعاً من الناحية النظرية دون الإجراءات التقليدية، وتجنب النخب السياسية منتهمة ارتكاب القوات المسلحة للمكافحة والانضمام بعد القتال، ويمكن أن تفقد هذا القوى الفاعلة في حال اعتماد إستراتيجية خاطئة وذلك نظراً لإستراتيجية الخصم إذا كان الخصم ضعيفاً في اختيار العناصر الفاعلة في إستراتيجية الخداع التقليدي وفي مواجهة إستراتيجية دفاعية قوية يمكن أن تفقد الجهات إذا كانت محاولة لاستخدام القوة الجوية الإستراتيجية (النهج غير المباشر) للفوز بها. لكن التكاليف من حيث الوقت والأضرار الجانبية – التي لا بد بعد هذه الهجمات – كانت تثير غضبا دوليا ومحليا في كثير من الأحيان أيضا.

أما نوع الغضب الذي يمكن أن يخلق ضغوطاً لوقف العمليات الحربية القصيرة للقوى الفاعلة في تحقيق الأهداف السياسية. فإذا كان ضعف الجهات غير مباشر في اختيار إستراتيجية دفاعية قوية يمكن أن تفقد الجهات إذا حاولت استخدام اتفاقية تنظيمية الهجوم الإستراتيجية (النهج المباشر) للفوز بها. ومن جهة أخرى، فإن إستراتيجية حرب العصابات المصممة خصيصا لتجارة الوقت للأراضي وذلك ما لم يكن قويا من الجهات الفاعلة وعلى استعداد لزج ملايين الجنود ولعقود من الزمن فليس من المرجح أن يفوز على العدو وان يتجنب الاتصال والضربات ومتى وأين تكون أقل من المتوقع.

أما الجهات القوية فيمكن استخدامها لهزيمة الهمجية وضعف الفعاليات باستخدام إستراتيجية حرب العصابات المقاومة عسكريا أو غير العنيفة. ولكن سواء كانت استبدادية

أو بتكاليف ديمقراطية قوية من الجهات الفاعلة في تحقيق هذا الفوز – حتى في ضيق من الناحية العسكرية –فإن الأمر يبدو أنه قد ارتفع بشكل مطرد منذ نهاية الحرب العالمية الثانية.

والأهم من ذلك، فإن الجهات الفاعلة القوية لم تعد قادرة على الفوز اللاحق ضد السلام الضعيف أما ما لجهات وتصويرها على أنها من نتاج الهمجية ووسائل التغلب عليها. ويمكن أيضا أن يتسبب ذلك أن القوى الفاعلة ستخسر إذا حاولت استخدام إستراتيجية محفوفة بالمخاطر البربرية مقابل إستراتيجية أخرى للتغلب على المدافعين المتمردين الذين يستخدمون إستراتيجية حرب العصابات بصورة متزايدة، ويبدو أن الهمجية العسكرية قد تحفز المقاومة بدلاً من الردع.

تعتبر الهمجية ذات مخاطر أكبر في النظم الديمقراطية وبشكل أكثر لدى الأنظمة الاستبدادية، ولٰكن قد تواجه مشكلة الجزاء الدولية. فأصحاب القوى الفاعلة هم الدول الكبرى أو القوى العظمى وتكاليف الجزاء الدولية قد تكون تافهة، ولكنها لدى قوى الفاعلين الطفيفة – مثل ايطاليا في عام 1935، أو صربيا في عام 1999، وخطر فرض عقوبات دولية حيث يمكن أن تكون الديمقراطية شيئاً محرماً كما قد تواجه القوى الفاعلة المحلية مخاطر جمة عند محاكمة الإستراتيجية البربرية: آثار بريطانيا ومعسكرات الاعتقال السياسية في الحرب في جنوب إفريقيا، على سبيل المثال، حيث في حكم المؤكد إنها اضطرت للانسحاب من الحرب، لميكن هناك مثل هذا التأخير الطويل بينه وبين الآثار المترتبة وتأثيرها السياسي في بريطانيا.

ولكنفي العصر الرقمي، فإن هذا التأخير قد تقلص بشكل كبير، وحيث البربرية هي أصعب بكثير مما كان عليه في مطلع القرن.

وباختصار، فإن المشكلة في القوى الفاعلة هي كونها ضعيفة للفاعلين الذين اتبعوا إستراتيجية الدفاع غير المباشر، مثل إستراتيجية حرب العصابات والإرهاب. وهذا يعرض مقدار القوى مع الجهات الفاعلة على أنه غير مستساغ ضمن ثلاثة خيارات:

- حرب الاستنزاف الدائم وربما يستمر لعقود.
- كلفة الرشوة أو التنازلات السياسية، وربما اضطر الأمر إلى اللجوء لتنفيذ الإصلاحات السياسية والاقتصادية القمعية على الحلفاء وكذلك في المقدمة؛

وكذلك إلحاق الضرر بشكل متعمد أو الضرر في طبقات المدنيين وفي ذلك مخاطرة في محاولة لكسب السباق العسكري بشكل سريع وحاسم.

قيود التفاعل الاستراتيجي من الناحية النظرية

في هذه المرحلة من التحليل الاستراتيجي لتفاعل الأطروحة يمكن إنشائه كعنصر كامل لنظرية صراع غير متكافئ النتائج. وقد ينتج عن ذلك أمرين مختلفين من الاختبارات الصعبة، وتتبين هنا كتفسيرات متنافسة، مثل عدم تماثل المصالح وطبيعة نطاق الفاعل، وانتشار الأسلحة ؛ نظرية التفاعل الاستراتيجي حيث تتكون ظروف كل من هذه العوامل الهامة التي يعمل بها.

وأخيرا، فإن نظرية التفاعل الاستراتيجي تفسر حقيقة الفاعل القوي الذي فشل في شكل يتسق مع ملاحظة اتجاه زيادة القوي الفاعل والفشل مع مرور الوقت.

وبصفة عامة، من الناحية النظرية، سيكون أقل إرضاء نسبيا لأي نتيجة صراع غير متكافئ، ولكن العلاقة الحقيقية ستزيد الارتياح لشرح كل صراع غير متكافئ يأتي بها، وعلى وجه الخصوص أن يكون دليلا لإستراتيجية وسياسة ما. فقد طلب، على سبيل المثال، لمكافحة الإرهاب وكذلك إستراتيجية العملة (اريجومانت – توفت، 2002)، وكلاهما سوف يثبت موضوعات حيوية لصانعي السياسة في الولايات المتحدة في العقود المقبلة.

ولكن كما هو الحال بالنسبة لأي نظرية عامة فإنه لا يخلو من قيود:

- أولاً: على الرغم من التفاعل الاستراتيجي من الناحية النظرية، تبرز محدودية نار الخلاف أو مواد تعاريف "السلطة" لا لحل شامل لهذه القيود كالنظر في التفاعل الاستراتيجي في الحرب[1] الروسية اليابانية في 1905، على سبيل المثال. فقد كانت الإمبراطورية الروسية ذات إستراتيجية القوي الفاعل في حين كانت اليابان في الصف الضعيف. وكان التفاعل الاستراتيجي بنفس النهج ولكن روسيا خسرت. لماذا؟ ورغم أن التحليل الإحصائي في الفصل

1- ايطاليا لا تعاني من هذه العقوبات، لان بريطانيا وفرنسا قد غض الطرف عنهم.

الثاني وتقارير الصراع على هذا النحو، فإن من الواضح أنه من الضروري إجراء تعديل طفيف آخر للسلطة حيث يجب أن يكون في السلطة البحرية / القارية بامتياز[1].

وكانت روسيا قوة قارية، واليابان قوة بحرية، وفازت اليابان لان المعارك الرئيسية كانت تخاض في عرض البحر (حتى المعركة الدموية من أجل بورت آرثر التي تحددها قدرة أعلى من اليابانيين لنشر تعزيزات من القوات البرية والبحرية)[2]. وفي الفعالية العسكرية مما يدل على أن كل من يعتمد على الموارد الخام والتفاعل بين الخطط لاستخدام هذه الموارد، ونتيجة هذا التحليل لا يرقى إليه الشك أن السلطة أكثر دقة[3] من الناحية النظرية الواقعية في العلاقات الدولية قد سمحت حتى الآن[4] وبعد 27 عاما على تعريف حقيقي للسلطة لا تزال خارجة عن نطاقه.

- ثانياً: لا يوجد في هذا التحليل تفصيل لآثار الاستعمار، ومناهضة القومية من تلك الإستراتيجية والتفاعل – على الأقل ليس في اتجاه الجانب من الجدل. ومن الواضح، نجاح "ماو تسي تونغ " في الصين من مقاومة اليابان، وكان من المقرر أن الكومينتانغ: التفاعل الاستراتيجي. ولكن يمكن أن يكون "ماو" قد استفاد من التلاحم الجماهيري في التحرك حيث قام بالثورة دون وجود للقومية الصينية؟ والواقع أن الانتماء القومي: الديني أو العرقي – يمكن اعتباره شرطا للسماح لإحدى إستراتيجيات حرب العصابات القدرة على أن يتطور إلى هجوم متواصل ضمن الإستراتيجية التقليدية. ولذلك فإن من الممكن القول إنه: لا يمكن أن مقاتلي "داغستان" قد نجحوا في شن هجوم منسق ضد الإمبراطورية الروسية وحدها.

1- وتشمل الأمثلة الأخرى الناجحة في بريطانيا مقاومة نابليون فرنسا في القرن التاسع عشر لهتلر والرايخ الثالث في عام 1941.

2- وهذا لا يختلف عن ذلك السماح للنظرية الواقعية الحمراء تعريف السلطة هو "رجل القش" من حيث الحجج. هذا تعريف بسيط للغاية السلطة ليست بلدي كما أنها ليست وهمية. وهي ليست وهمية لأنه لا يزال يعتمد عليها صناع القرار في العالم الحقيقي لحسابات احتمالات النجاح والفشل في النزاعات غير المتماثلة.

3- سبق شرح تفاصيل ذلك في الفصل السابق.

4- كما في بقية النظريات التي تعنى باستراتيجيات الحروب.

شيء ما يمكن ذكره فكرة وقائدا: كان التلاحم قوياً، وجعل من القبائل التي كانت متناحرة قوة متماسكة، وذلك قبل الحركة الماهرة في العمليات الهجومية حيث أصبح ذلك ممكنا.

وعلىٰ الجانب الآخر، فإن القومية ممثلة في نفس النهج الاستراتيجي المشترك، لن يكون لها تأثير على نتائج النزاعات غير المتماثلة أو غيرها. ويمكن هنا ذكر ما فعله القوميون البلجيكيون على وجه السرعة أمام المد الألماني في عام 1914. لكن على الجبهة الفرنسية، كانت القومية مفقودة بشكل ملائم على الألمان في عام 1940.

أما القومية العربية، فقد كانت أكبر بكثير من عدد الإسرائيليين، ولكن لم يسبق لهم ترجمة كل تلك الحماسة القومية إلى تحقيق نصر عسكري.

وباختصار، فإن أفضل العمليات الإرهابية، وحرب العصابات، والمقاومة غير العنيفة، تعتبر خطوات ستكون ذات مدلولات قومية، ولكن ليس كل القوميين سيعارضون إستراتيجية القوى الفاعلة عن طريق الإرهاب. أو المقاومة غير العنيفة.

النظرية والآثار المترتبة على السياسات

تعتبر أدوات السلطة مفيدة لبناء النظرية لأنها قابلة للقياس في شكل الشجاعة، والقيادة والحظ ليست غبية. وقد أظهرت هذه الدراسة أن التجربة النسبية للقوة المادية هي أكثر من مجرد مفهوم المنهجية مفيدة كما يمكن أن تتخذ لوحدها، وهذا ما يفسر معظم نتائج الصراع منذ عام 1800. فبدء التفاعل في الأطروحة يمكن أن تُوضَّح، ومع ذلك، فإن القيود المادية بالقوة النسبية تكون من خلال تسليط الضوء على الظروف التي تكون فيها الأمور قد وصلت إلى مرحلة أكثر أو أقل.

ويشير هذا التحليل إلى الآثار المترتبة على السياسات الرئيسية للضعفاء والأقوياء على حد سواء من الجهات الفاعلة. فضعف الفعاليات الناجحة للدفاع القوي ضد الفاعل يعتمد على إستراتيجية غير مباشرة ذلك لأن الاستراتيجيات غير المباشرة – مثل إستراتيجية حرب العصابات في مقاومة غير عنيفة وقوية تعتمد على الدعم الاجتماعي، وضعف الفعاليات – ويجب إما للحصول على العمل دون كلل والحفاظ على المقدرات

والمكتسبات (التعاطف أو السكوت) من غالبية السكان في هذه المسألة، أو أن يصبحوا معتمدين على المخاطر الخارجية للجهات المانحة من دعم لوجستي وذلكنظرا للمخاطر التي ينطوي عليها مع أي مساعدة أو المشاركة في المقاومة المسلحة، والحصول على دعم اجتماعي قوي في حد ذاته ليس عملاً عادياً. وبالإضافةإلى ذلك، يجب أن يكون الطرف الأخر ضعيفاً أو الجهات الفاعلة في الوصول إلى الملاذ المادية أو السياسية اللازمة لجعل هذهالإستراتيجية غير مباشرة وقابل لتطبيق الاختيار. فخيار القوي من الجهات الفاعلة، والتفاعل الاستراتيجي من الناحية النظرية تشير إلى أن ضعف الخصوم فيتوظيف مباشر للدفاعوبذلكسيكون من الصعب هزيمته. وبطبيعة الحال، ليست كلها غير متناسقة، أو حتى معظم الصراعات التي ترى ضرورةإتباع هذا النمط ولكن عندما تفعل، وعند اللجوء إلى السلاح يبدو أنه الخيار الوحيد القابل للتطبيق، وكيف ينبغي ان تكون الآليات القوية فاعلة مثل الولايات المتحدة كرد واحد قد يكون اللجوء إلى الهمجية التي يبدو أنها فعالة لهزيمة إستراتيجية عسكرية غير مباشرة ولكن[1] نظرة سريعة على صراعات ما بعد الحرب في أفضل الأحوال يمكنها أن تكشف عن وحشية لا يمكن أن تكون فعالة إلا كإستراتيجية عسكرية: إذا كان الهدف المنشود على المدى الطويل هو السيطرة السياسية – على سبيل المثال، وبناء الأمة، و"السلام"، أو غيرها من الاتفاقات أو انتقال البعثات – دائما ما تراجع في هذا المجال الهمجية الفرنسية، على سبيل المثال، حيث أُستخدم التعذيب على وجه السرعة لهزيمة المسلحين الجزائريين في معركة الجزائر عام 1957.

ولكن عندما أصبحت الفرنسية العسكرية وحشية في تصرفاتها، تحفّزتمعرفة الجمهور التي بدورها ساهمت في تحفيز المعارضة السياسية الداخلية للحرب في فرنسا، وتحفزت على تجديد وتكثيف المقاومة الفرنسية حتى على غير سكان الجزائر (ماك، 1975: 180 ؛ اسبري، 1994: 669–671).

1- وهذا هو جوهر حجةميروم: الديمقراطيات تخسر الحروب الصغيرة لأنها عموما مترددة جدا وتعانيمن إصابات وحشية الضرورية للفوز بها. بعد تحليل الحالات، ولكن هناك الكثير من لا تناسب هذا النمط. سلطوية قوية مع الجهات الفاعلة لا حدود على استعدادها لاستخدام وحشية أو إصابات أو منفقدوافيحروب صغيرة وديمقراطية الفاعلين. في الحروب الصغيرة وحتى في الوقت الذي يرفض اللجوء إلى البربرية (على سبيل المثال، في بريطانيا والملاوي والطوارئ لعام 1948). وبنفس المنطق – أن يدفع مذهبالهمجية – ويبدو أنه سيكون الأمر صحيحاً في الأول وسيكون ذلك صحيحا لمكافحة الإرهاب، والإرهاب أيضا.

لورا ك دونوهوى يحلل أثر تشريعات مكافحة الارهاب البريطانية في ايرلندا الشمالية، ويخلص إلى أن العديد ففي بريطانيا "مؤقت" و"حالة الطوارئ" بما فيها التدابير – التي لم تكن مؤقتة، والتي تنتهك الحريات المدنية وأصول المحاكمات – أثبتت فعالية كبيرة في الأجل القصير. ويشير التحليل لها، مع ذلك، أن المتمردين وجدوا دائما وسيلة للالتفاف حول هذه التدابير، في نهاية المطاف دفع جولة أخرى من "الطوارئ" القيود (انظر دونوهوى، 2001: 322–323).

وفي غضون الأربع سنوات التالية في فرنسا، تخلت عن مطالبها في الجزائر على الرغم من أنها كانت قد "انتصرت" في الحرب البربرية وبالتالي كان الانتصار في السلام من التضحيات الواجبة لتحقيق النصر في الحرب– على الرغم من سوء السياسة في أحسن الأحوال (هارت ليدل، 1967: 370). والتييجب أن يكون الاسلوب نفسه في مكافحة الارهاب البربري: كالاغتيال، والتعذيب، والانتقام العشوائي.

وفي المقابل، كانت استراتيجيات مكافحة الارهاب هذه عنيدة بالخبرة والسعي لأكثر من أربعين سنة من جانب الإسرائيليين في فلسطين المحتلة، ولكنها جلبت للاسرائيليين كثير من الويلات والمآسي بدلاً من تقربها إلى السلام. ويجدر هنا ذكر المثال الاستراتيجي للولايات المتحدة وذلك استجابة لمطالب رئيسية ثلاثة:

(1) إعداد التوقعات العامة لفترة طويلة على الرغم من الحروب الامريكية والمزايا التكنولوجية والمادية.

(2) تطوير ونشر قوات مسلحة مدربة ومجهزة خصيصا لتنفيذالعمليات الخاصة.

(3) التوعية والإعداد للحرب السياسية المترتبة على انتصار عسكري من دون توافق وطني وتوقعات واقعية، والولايات المتحدة ستكون سياسيا الطرف الضعيف في صراع غير متكافئ. فدون مزيد من قوات العمليات الخاصة –على الاعتماد على الذات، وتميز القوات المسلحة اللازمة لتنفيذ إستراتيجية مثالية –ما أن تبدأ العمليات العسكرية ضد الأقليات المعزولة العنيفة فإن تطور وتيرة الأحداث سوفيميل إلى إلى التصاعد لحرب على مجتمع بأكمله (الزير، 2000: 187). ومن الأهمية بمكان أن أضيف أنه من أجل أن يكون ذلك فعالا لهذه القوات فستكون بحاجة إلى دعم من جانب شبكة الحقوق التي يمكن أن تتخذ دولة مثل الولايات المتحدة لسنوات حلا جيدا شاملا لخطة ما بعد الحرب مؤكداً الايكولوجية الاقتصادية للانتعاش في ظل الادارة المختصة وغير الفاسدة، وحتى الانتصارات العسكرية السريعة يمكن أن تتحول إلى تمرد مشتت.

وكما قال الخبير "إليوت كوهين" منذ عشرين عاما، يجب على الولايات المتحدة أن تكون مستعدة لخوض الحرب وتحقيق النصر التقليدي والحروب غير المتماثلة.

ومن ناحية أخرى، فإن نظرية التفاعل الاستراتيجي توضح سبب طلب البعثتين لنوعين من القوات المسلحة:

1. واحدة للدفاع عن مصالح الولايات المتحدة في الحروب التقليدية.

2. واحدة للدفاع عنها في حروب صغيرة أو ضد الارهابيين.

كما يسلط الضوءعلى الأهمية السياسة والدبلوماسية في مكافحة التمرد والإرهابيين، مصممةعلى أن المسلحين والارهابيين من الصعب هزيمتهم. ولكن حيث نجحت القوى الفاعلة، فإنها تفعل ذلك بشكل كبير من قبل معظم الهجمات العسكرية السابقة التي تتميزبكونهامجدية مع اصلاحات سياسية واقتصادية – الإصلاحات في هذا الشأنإنما تكمن في عزل المتمردين او الارهابيين عنبنيةالقاعدة الاجتماعية وقد كان هذا هو نمط النجاح في "مالايا" البريطانية في عام 1948، وكذلك نجاح الولايات المتحدة والحكومة الفلبينية في الفلبين في عام 1952.(1)

ولكنعلى النقيض من ذلك، فإن نظم الدعم العسكري والاقتصادي للقمع، والفساد، وعدم الكفاءة أدىإلى هزائم عظمى في فيتنام وأفغانستان.

وهكذا، يفسر التفاعل الاستراتيجي من الناحية النظرية، ليس فقط في كيفية كسب الضعيف للحروب، ولكن كيف يمكن للقويأنيخسر السلام. وخلافاالأطروحة "ميروم" عقب الحرب العالمية الثانية، فإن تطبيق القوة الغاشمة غير مقيد، ونادرا ما يفوز فيالحروب لا يمكن أبداً تحقيق السلام وهذا صحيح لسببين "

–أولاً: لقد ثبت تماما من الناحية الفنية على أنه من المستحيل تدمير شعب أو تدمير بنيته بما يكفي لاستبعاد احتمال وجود رد فعل عكسي في المستقبل (كما حدث في قبائل الهوتو ضد قبائلالتوتسي في رواندا والقتلالأكثر كفاءة مما كان قد فعله الالمانفي قتل اليهود في الحرب العالمية الثانية، ولكن قبيلة "التوتسي" في الحكم في رواندا اليوم، وبنى اليهود دولة خاصة بهم).

–وثانياً: مبدأ تقرير المصير الوطني قد جعل الناس أكثر فأكثر رشداً واستعداداً للتضحية بحياتهم من أجل قضيتهم؛ ولكن آثار القتل ضد هذه المجموعة المتنافرة من

1 1981: 8، 9) ؛ هوفمان (المرجع نفسه: 10) ؛ كوهين (1984: 166–167)، وجونسون (2001: 181–182).

الناس لا علاقة لها، بل وتختلف بشكل كبير من الآثار المترتبة على القتل ضد الوطنيين[1].

وفي هذا السياق، فإن المقارنة بين القومية التي تكون بوسائل أصعب بكثير للضغط على الشخص الذي يفضل الموت على الانضمام، وبين البربرية التي تكون مدعاة لإثارة الخوف، كما يحتمل أن تؤدي إلى مقاومة عنيفة للتخويف والإخضاع.

وهكذا، فإذا كانت الولايات المتحدة تريد الحصول على الحروب، فإنه يجب عليها بناء الجيوش بشكل مختلف:

-فإذا كانت تريد كسب السلام – وهو الأكثر طموحاً وهدفاً مفيداً – يجب دعم اللجوء إلى السلاح من خلال القضاء على ازدواجية المعايير في السياسة الخارجية، وزيادة قدرتها واستعدادها لاستخدام وسائل أخرى غير العنف للحسم أو ردع الصراعات حول العالم[2].

ولكن من جهة أخرى، فما دامت الولايات المتحدة مستمرة في دعم الأنظمة القمعية والفساد في أمريكا اللاتينية وإفريقيا، والشرق الأوسط، وآسيا، والارهابيين والمسلحين، فإن كل قوى المقاومة في تلك المناطق سوف تستمر لإحباط المصالح الاميركية في السلام والرخاء العالميين المزعومين.

وهنا، قد تخلط الحكومة الاميركية الحالية بين السلطة كمفهوم مع سلطة الدولة، والإفراط في تطبيق ما سبق قد قوض بالفعل مصالحها[3]. (32) ولذلك، فإذا كانت هذه السياسة ما زالت ستتبع النمط التاريخي لكل محاولة سابقة لتحقيق هذه الغايات ذاتها (السلام) من قبل نفس الوسائل (الاستخدام الساحق للقوة العسكرية غير المدعومة والسياسية والاقتصادية والإدارية)، فإن النتيجة ستكون مكلفة بعد الوقوع في مثل هذه المستنقعات كما حدث في فيتنام، وأفغانستان (1979 و2002)، والعراق (2003) كما أن إمكانية وقوع الهجوم في المستقبل على الولايات المتحدة وحلفائها يجعل من هجمات الحادي عشر من أيلول الإرهابية التي حدثت عام 2001 مجرد مقارنة شاحبة.

1– المرجع السابق نفسه.

2– القوات الامريكية التقليدية بالفعل تقدم أنواعا فنية – الأقمار الصناعية والإلكترونية الطيف والمخابرات – اللازمة لتحقيق الفوز على مدى التغطية.

3– وهذا لن يوقف الارهاب ولكن كل هذا لن ينجي من الإرهاب بسبب:

(أ) – أقل فتكا.

(ب) – من المرجح أن ينظر إلى الجمهور المستهدف من قبل ما يزيد على جنائية الموضوع أوكسلوك غير عقلاني.

التفاعلات الإستراتيجية

الجدول التطبيقي(1) قائمة القضايا والمتغيرات الرئيسية

اسم الحرب	البداية	النهاية	النتائج	النهج
أسبانيا وبيرو	1809	1816	فوز	نفس النهج
روسية– الجورجية	1816	1825	فوز	نفس النهج
حرب بينداري	1817	1818	فوز	نفس النهج
تمرد الكندي	1817	1818	فوز	نفس النهج
حرب الاستقلال اليونانية	1821	1828	خسارة\تعادل	نفس النهج
البريطانيةالبورميةالاولى	1823	1826	فوز	نفس النهج
أشانتي الاولى	1824	1826	فوز	نفس النهج
الجاوية	1825	1830	فوز	نفس النهج
باراتبوران	1825	1826	فوز	نفس النهج
الروسية الشركسية	1829	1840	فوز	نفس النهج
الالبانية	1830	1831	فوز	نفس النهج
استقلال بلجيكيا	1830	1831	فوز	نفس النهج
حربالمنحدرمنالعريش	1830	1859	فوز	نفس النهج
البولندية الاولى	1831	1831	فوز	نفس النهج
السورية الاولى	1831	1832	خسارة\تعادل	نفس النهج
تكساس	1835	1836	خسارة\تعادل	نفس النهج
سيمتول الحرب الثانية	1835	1842	فوز	نفس النهج
زولو الاولى	1838	1840	فوز	نفس النهج
البريطانيةالافغانيةالاولى	1838	1842	خسارة\تعادل	نفس النهج
فرنسا– والجزائر	1839	1847	فوز	نفس النهج
البوسنة–التركية	1841	1841	فوز	نفس النهج
البولشية البريطانية	1843	1843	فوز	نفس النهج
اول الماورية	1843	1848	فوز	نفس النهج
بين فرنسا والمغرب	1844	1844	فوز	نفس النهج
بريطانيا والسيخ الاولى	1845	1846	فوز	نفس النهج
حرب الكفير الاولى	1846	1847	فوز	نفس النهج

الجدول التطبيقي (2) قائمة المتغيرات في نتائج الحروب

اسم الحرب	البداية	النتائج		النهج
		النهاية	القوة الفاعلة	
روسيا وتركمان	1878	1881	فوز	نفس النهج
البريطانية الافغانية الثانية	1878	1880	فوز	نفس النهج
بريطانيا زولو	1879	1879	فوز	نفس النهج
حرب البندقية	1880	1881	فوز	نفس النهج
حرب البويرالاولى	1880	1880	خسارة\تعادل	نفس النهج
تونس	1881	1882	فوز	نفس النهج
الهند الصينية الفرنسية	1882	1884	فوز	نفس النهج
مانديست	1882	1885	خسارة\تعادل	نفس النهج
الاولى بين فرنسا ومدغشقر	1883	1885	فوز	نفس النهج
الصين وفرنسا	1884	1885	خسارة\تعادل	نفس النهج
الروسية الافغانية	1885	1885	فوز	نفس النهج
الثالثة البريطانية البورمية	1885	1886	فوز	نفس النهج
حرب سانتيكو الفرنسية الاولى	1885	1885	فوز	نفس النهج
الاثيوبية الايطاليا الاولى	1887	1887	خسارة\تعادل	نفس النهج
كريتي الثانية	1888	1889	فوز	
داهومي	1889	1892	فوز	نفس النهج
السنغال الثانية	1890	1891	فوز	نفس النهج
حرب المسيح	1890	1891	فوز	نفس النهج
الكونغو والعرب	1892	1892	فوز	نفس النهج
فرنسا وتايلاند	1893	1893	فوز	نفس النهج
أشانتي الثالثة	1893	1894	فوز	نفس النهج
ماتابيلي الحرب البريطانية	1893	1893	فوز	نفس النهج
العلاقات الصينية اليابانية	1894	1895	خسارة\تعادل	نفس النهج
بين فرنسا ومدغشقر	1894	1895	فوز	نفس النهج

اسم الحرب	البداية	النتائج		النهج
		النهاية	القوة الفاعلة	
باليان	1894	1894	فوز	نفس النهج
الكوبي	1895	1898	فوز	نفس النهج
الايطالية الاثيوبية	1895	1896	خسارة\تعادل	نفس النهج
أشانتي الرابعة	1895	1896	فوز	نفس النهج
كريتي الثالثة	1896	1897	خسارة\تعادل	نفس النهج
الدرزية التركية	1896	1896	فوز	نفس النهج
الفلبينية الاولى	1896	1898	خسارة\تعادل	عكس النهج
الحرب السودانية	1896	1899	فوز	نفس النهج
اليونانية التركية	1897	1897	فوز	نفس النهج
الهنود الاسلام	1897	1898	فوز	نفس النهج
النيجيرية	1897	1897	فوز	نفس النهج
الكوخوالضرائب	1898	1898	فوز	نفس النهج
الفلبينية الثانية	1899	1902	فوز	نفس النهج
حرب البوير الثانية	1899	1902	فوز	نفس النهج
التمرد الصومالي	1899	1905	فوز	نفس النهج
مانشوريا الروسية	1900	1900	خسارة\تعادل	نفس النهج
يليندين	1903	1903	فوز	نفس النهج
الحرب الروسية اليابانية	1904	1905	خسارة\تعادل	نفس النهج
ثورة جنوب إفريقيا	1904	1905	فوز	نفس النهج
ثورة ماجيماجي	1905	1906	فوز	عكس النهج
حرب زولو الثانية	1906	1906	فوز	نفس النهج

الجدول التطبيقي (2) تابع

اسم الحرب	البداية	النتائج		النهج
		النهاية	القوة الفاعلة	
الروسية الهنجارية	1956	1956	فوز	نفس النهج
سيناي	1956	1956	فوز	نفس النهج
تيبت	1956	1959	فوز	عكس النهج
كوبا	1958	1959	تعادل/خسارة	عكس النهج
جنوب فيتنام	1960	1965	تعادل/خسارة	عكس النهج
الكونغو	1960	1965	فوز	نفس النهج
كوردستان	1961	1963	فوز	نفس النهج
انغولا البرتغال	1961	1975	تعادل/خسارة	نفس النهج
الصين والهند	1962	1962	فوز	نفس النهج
غينياوالبيساو	1962	1974	تعادل/خسارة	عكس النهج
موزامبيق	1964	1975	تعادل/خسارة	عكس النهج
فيتنام	1965	1975	تعادل/خسارة	عكس النهج
كشمير الثانية	1965	1965	تعادل/خسارة	نفس النهج
حرب الايام الستة	1967	1967	تعادل/خسارة	نفس النهج
اسرائيل ومصر	1969	1970	تعادل/خسارة	نفس النهج
بنجلادش	1971	1971	فوز	نفس النهج
فلبين والغرب	1972	1980	فوز	نفس النهج
حرب يوم الغفران	1973	1973	تعادل/خسارة	نفس النهج
القبرصية التركية	1974	1974	فوز	نفس النهج
اريتيريا	1974	1991	تعادل/خسارة	نفس النهج
الحكم الذاتي الكردي	1974	1975	فوز	نفس النهج
شرق تيمور	1974	1975	تعادل/خسارة	عكس النهج
فيتنام وكمبوديا	1975	1979	فوز	نفس النهج

اسم الحرب	البداية	النتائج		النهج
		النهاية	القوة الفاعلة	
الصحراء الغربية	1975	1983	فوز	نفس النهج
الحرب الاهلية في التشاد	1975	1988	فوز	نفس النهج
الحرب الإثيوبية الصومالية	1977	1978	فوز	نفس النهج
أفغانستان	1978	1989	تعادل/خسارة	نفس النهج
الصين وفيتنام	1979	1979	فوز	نفس النهج
حرب الاهلية بالبيرو	1982	1992	فوز	نفس النهج
تمرد التانلية	1983	1990	تعادل/خسارة	عكس النهج
الصين وفيتنام	1985	1987	تعادل/خسارة	نفس النهج
حرب الخليج	1990	1991	فوز	نفس النهج
العراق والكويت	1990	1990	فوز	نفس النهج
التمرد الكردي	1991	1999	فوز	نفس النهج
التمرد الصربي	1991	1996	تعادل/خسارة	عكس النهج
الروسية والشيشان	1994	1996	تعادل/خسارة	نفس النهج
كوسوفو1	1998	1999	فوز	نفس النهج
كوسوفو2	1999	1999	فوز	نفس النهج
روسيا والشيشان	1999	–		نفس النهج
المناهض لطالبان	2002	2002	فوز	نفس النهج
حرب الخليج	2003	2003	فوز	نفس النهج

عدد الحالات202

جدول الاحصاءات المرتبطة بها والخسائر والفوزعلى مر الزمن الحديث.

الجدول التطبيقي(3)

معاملات الارتباط الاستراتيجي التفاعل (STRATINT) والدعم الخارجي للأطراف الضعيفة (WASUPP) وما يرتبط بها من إحصاءات ذات علاقة بين الإستراتيجية والتفاعل والصراع خلال المدة الزمنية الواقعة بين عامي 1800–2003

التفاعل الاستراتيجي (STRATINT) إنهاء مدة الحرب (WARDUR2) وحيث ترتبط إحصائيات التفاعل فيما بينها خلال المدة الزمنية الواقعة بين عامي 1800–2003

STRATINT	السنوات	السنوات	السنوات	السنوات	السنوات
	1 (0–1)	2 (2–5)	3 (6–9)	4 (10–14)	5 (15–50)
نفس الاستراتيجية	93	38	14	4	2
العدد المتوقع	84.7	41.9	17.5	5.2	1.7
في المئة على التوالي	61.6	25.2	9.3	2.6	1.3
عكس الاستراتيجية	4	10	6	2	0
العدد المتوقع	12.3	6.1	2.5	8	3
السحب المئوي	2 .18	5 .45	3 .27	1 .9	0
العمود	97 (56.1)	48 (27.7)	20 (11.6)	6 (3.5)	2 (1.2)

الجدول التطبيقي (4) التفاعل المرحلي نوع (INTPTYPE) التوزيعي
خلال المدة الزمنية الواقعة بين عامي 1800–2003.

التسمية الصحيحة	القيمةتردد	النسبة	النسبة	النسبة	النسبة
واحدة من التفاعل	0	140	69.7	78.7	78.7
تفاعل متسلسل 1		28	13.9	15.7	94.4
تفاعل متسلسل	2	10	5.0	5.6	100.0
المجموع		201	100.0	100.0	

الحالات الصحيحة 178 المحالات المفقودة 23

المراجع

- البابا أندرسون، 1991. تصور المجتمعات: تأملات في أصل وانتشار القومية.
- اندريسكي، ستانيسلاف، 1968. منظمة الجيش والمجتمع.
- بيركلي: مطبعة جامعة كاليفورنيا.
- توفت اوريجين ايفان 2001. "كيف نكسب الحرب الضعيفة: نظرية صراع غير متكافئ"، الأمن الدولي، المجلد. 26، لا. 1: 93–128.
- 2002. "في نهاية نفق من النور: انتقاد الولايات المتحدة مكافحة الإرهاب الإستراتيجية الكبرى" كامبريدج للشؤون الدولية، المجلد. 15، لا. 3: 549–563.
- 2003. "والفائدة من البربرية: تقييم أثر الضرر المنهجي من غير المقاتلين كإستراتيجية في الحرب،" ورقة قدمت في الاجتماع السنوي للجمعية الأميركية للعلوم السياسية.
- اسبري، روبرت ب، 1994. حرب في الظل: كلاسيك التاريخ من حرب العصابات من بلاد فارس القديمة لهذا.
- نيويورك: ليتل، براون وشركة.
- بادلي، جون ف، 1908. الفتح الروسية سن القوقاز. لندن: لونجمانز، الأخضر وشركاه
- بارتوف، عمر، 1992.
- جيش هتلر: الجنود، والنازية، والحرب في الرايخ الثالث.
- نيويورك: مطبعة جامعة أوكسفورد.
- بينيت، D. سكوت وألان C. ستام الثالث، 1998. "وانخفضت مزايا الديمقراطية: المجمعة النموذجي نتائج الحرب والمدة"، مجلة حل النزاعات، المجلد. 42، لا. 3: 344–366.
- بليني جيفري، 1988. أسباب الحرب، 3rd الطبعة نيويورك: الصحافة الحرة. بيض، ليزلي، 1960. فإن الجنة السيوف.
- نيويورك: الفايكنغ للصحافة. بلوفارب دوغلاس س، وجورج ك. تانهام، 1989. من يكسب؟ السبيل إلى لغز الحرب الثورية. نيويورك: كرين روساك.
- بوروفيك، ارتيوم، 1990. الحرب الخفية: الروسية الصحفي للحساب
- الحرب السوفيتية في أفغانستان. نيويورك: الأطلسي الشهرية الصحافة. بوسيروب، آندرس، واندرو ماك 1975 ، J. R. حرب بدون أسلحة: عدم العنف في الدفاع الوطني. نيويورك: شوكن الكتب.

- براون، فريدريك 1980 ، .Z. "التعليق على مولر: أمريكا المفاهيم المغلوطة" الفصلية للدراسات الدولية، المجلد. 24، لا. 4: 525–529
- كول ويل، 1996 ، .C. E. الحروب الصغيرة: تلك المبادئ والممارسة، الطبعة الثالثة لينكولن: جامعة نبراسكا للصحافة.
- كابوتو، فيليب، 1996. اشاعة الحرب.
- نيويورك: هنري هولت والشركة. شالياند، جيرار، الطبعة، 1982. استراتيجيات حرب العصابات: مقاربة تاريخية مختارات من المسيرة الطويلة في أفغانستان.
- بيركلي: مطبعة جامعة كاليفورنيا. شارني، 1994 ، .J. P. "الاستراتيجية"، وأندريه كورفليزر جون شيلدز، محرران، كريس تيرنر، والعابر، وهناك قاموس التاريخ العسكري، وفنون الحرب. كامبريدج،
- الكتلة: بلاكويل، ص. 768–774.
- كلودفيلتر مارك، 1989. حدود القوة الجوية: القصف الاميركي من فيتنام الشمالية. نيويورك: الصحافة الحرة.
- كوفي توماس1974 ، .M. أسد له الذيل:قصة من الحرب الايطالية والاثيوبية. لندن: هاميش هاميلتون.
- كوهين ايليوت، 1984. "القيود المفروضة على السلوك الأميركي في الحروب الصغيرة، " الأمن الدولي، المجلد. 9، لا. 2: 151–181.
- كونور، ووكر، 1969. "الاثنولوجيا والسلام في جنوب آسيا"، عالم السياسة، المجلد. 22، لا. 1: 51–86.
- كوردسمان، انتوني H. ، وابراهام لفاجنر، 1990. دروس في الحرب الحديثة والمجلد الثالث: الأفغاني والنزاعات على جزر فوكلاند. بولدر: وست. كورفيزر، أندريه، وجون شيلدز، 1994. "الحرب غير المباشرة" في وكورفيزلر شايلد، وهناك قاموس التاريخ العسكري، وفنون الحرب. كامبريدج (ماساتشوستس): بلاكويل، صفحة 378.
- كورفيزر، أندريه، وباري باسكنز، 1994. "قوانين الحرب" وكورفيزر شايلد، وهناك قاموس التاريخ العسكري، وفنون الحرب.
- كامبريدج (ماساتشوستس): بلاكويل، ص. 443–453.
- الحرب، قاصادي، 1999. الأسلحة من أجل السلام، وأسلحة الحرب: آثار الأسلحة
- نقل عن اندلاع الحرب، والمشاركة، والنتائج. نيويورك: روتلدج. دالدر، ولا حاء، ومايكل أوهانلون 2000 ، .E. فوز القبيحة: منظمة حلف شمال الأطلسي إلى حرب إنقاذ كوسوفو. واشنطن، العاصمة: مطبعة معهد بروكنغز.
- ديل بوكا انجيلو، 1969. الحرب الاثيوبية، 1935–1941.

- شيكاغو: جامعة شيكاغو الصحافة.
- دي ويت، كريستيان، 1902. ثلاث سنوات من حرب. نيويورك: تشارلز سكربنر أبناء. دوبريه ريجيس، 1968. ثورة في الثورة. نيويورك: البطريق.
- مايكل ديش 2002 ، .C. "الديمقراطية والنصر: لماذا يكاد نوع نظام مسائل "الأمن الدولي" المجلد 27، رقم 2: 5–47.
- دونوهوى ورا 2001. مكافحة الإرهاب وقانون سلطات الطوارئ في المملكة المتحدة، 1922– 2000. بورتلاند، أو: الأيرلندية الأكاديمية للصحافة.
- دوهيت، جوليو، [1927] 1972. القيادة للطيران.
- نيويورك: ارنو الصحافة. 1999. "القيادة للطيران" في جابلونسكاي ديفيد، الطبعة، جذور الإستراتيجية: الكتاب الرابع. Mechanicsburg، والسلطة الفلسطينية: Stackpole الكتب، ص. 263–408.
- داونز، الكسندر، 2003. "استهداف المدنيين في الحرب: تجويع الحصارات في الحرب العالمية الأولى". ورقة قدمت في الاجتماع السنوي رقم 105 للجمعية الأميركية للعلوم السياسية، وأيلول / سبتمبر، وفيلادلفيا في بنسلفانيا.
- اليس جون، 1976. التاريخ القصير للحرب العصابات. نيويورك: سانت مارتن برس صف.
- 1995. من فوهة البندقية: تاريخ حرب العصابات، والثوري ومكافحة حروب المتمردين، من الرومان لهذا. لندن: Greenhill الكتب.
- علمان، ومريم فيندويس، 1995. "إن السياسات الخارجية للدول الصغيرة: تحدي Neorealism في ساحتها الخلفية، " المجلة البريطانية للعلوم السياسية، المجلد. 25: 171–217.
- فريمونت – بارنز، جريجوري، 2003. حرب البوير: 1899–1902 (أوكسفورد: طير الشماط والنشر).
- غالتونغ، يوهان، 1976. ان "اثنين من المفاهيم وزير الدفاع" في السلام والحرب، وزير الدفاع: مقالات في بحوث السلام، المجلد. الثاني.
- أوسلو: المعهد الدولي لبحوث السلام، ص. 328–340.
- غامير موشي، 1994. المقاومة الإسلامية إلى القيصر: شامل والفتح في الشيشان وداغستان. لندن: فرانك كاس وشركاه
- غاست، ليون، 1996. عندما كنا ملوك.
- بوليجرامى للإنتاج السينمائي.
- جورج الكسندر ل ديفيد ك قاعة وليم ر. سيمونز، محرران، 1971،

- حدود الدبلوماسية القسرية: لاوس، وكوبا، وفيتنام. بوسطن: شركةليتل براون
- غيفارا، تشي، 1961. حرب العصابات. نيويورك: استعراض الصحافة الشهرية. هامر، W. S. 1970. الجيش البريطاني: العلاقات المدنية العسكرية، 1885–1905. أوكسفورد: كلارندون للصحافة.
- هاملتون، دونالد ووكر، 1998. فن التمرد: السياسة الأمريكية العسكرية وفشل الإستراتيجية في جنوب شرق آسيا. يستبورت، ط م: بريغير.
- رأس بول نون، 1979. الألماني اليوغوسلافي النضال ضد حزب الله.
- في الحرب العالمية الثانية: الألمانية مكافحة التخريب في يوغوسلافيا، 1941–1943. بولدر: أوروبا الشرقية فصلية.
- الرنجة جورج 1986، C. أطول حرب في أميركا: الولايات المتحدة وفيتنام، 1950–1975، نيويورك: مكجراو هيل.
- هوبسون، 1900، J. A. الحرب في جنوب إفريقيا: أسبابه وآثاره. لندن: جيمس نسبيت.
- هوفمان، ستانلي، وآخرون، 1981. "فيتنام مقدر ثانية" الأمن الدولي، المجلد. (6) 1: 3–26.
- هوارد، مايكل لعام 1961. الفرنسية البروسية الحرب. نيويورك: ميثيونMethuen.
- فريد تشارلز عام 1991. كل حرب يجب أن ينتهي، ومنقحة. نيويورك: مطبعة جامعة كولومبيا.
- اللجنة الدولية المستقلة لكوسوفو، عام 2000. كوسوفو تقرير: الصراع، والاستجابة الدولية، والدروس المستفادة. نيويورك: مطبعة جامعة أوكسفورد.
- ديفيد ليسبي 1989، C. الحرب في بلد ناء، أفغانستان: الغزو والمقاومة. لندن: والأسلحة آرمور.
- جيمس انتوني، 1996. حرب العصابات: التاريخية، والسيرة الذاتية، ومصادر ببليوغرافي. يستبورت، ط م: غرينوود برس.
- جونسون، تشالمرز، 1968. "الجيل الثالث من حرب العصابات، " دراسة الحالة الآسيوية، المجلد. 12: 435–447.
- 1973. تشريح الحرب على الشعوب. بيركلي: مطبعة جامعة كاليفورنيا. جونسون، Wray R. 2001 فيتنام وأمريكا لعقيدة الحروب الصغيرة. بانكوك: أبيض لوتس للصحافة.
- كاكار، محمد حسن، 1995. أفغانستان: الغزو السوفيتي لأفغانستان، والاستجابة، 1979–1982. بيركلي: مطبعة جامعة كاليفورنيا.
- كارنو، ستانلي، 1983. فيتنام: التاريخ. نيويورك: الفايكنك الصحافة. Katzenbach، E. L.، 1962"الوقت، والفضاء: السياسية والعسكرية والإستراتيجية
- ماو زيدونغ، "في Ltc. طنا غرين، الطبعة، وحرب العصابات وكيفية محاربة الله

- نيويورك: برايجر، ص. 11-21.
- كادزينغ باخ ادوارد ولام، والجينات هانراهان 1955 ، .Z. "الإستراتيجية الثورية لماو تسي تونغ" العلوم السياسية الفصلية، المجلد. 70، لا. 3: 321-340.
- كون جورج 1986 ، .C. قاموس الحروب. نيويورك: حقائق عن الملف المنشورات. كريز، بولا 1992. "وقال آخر من سادة الحروب: المرأة في حرب البوير.
- يدور جدل في معسكرات الاعتقال "ان التاريخ ورشة عمل يومية، المجلد 33: 38-56.
- كريين فيتش اندرو الابن 1986 ، .F. الجيش وفيتنام. بالتيمور: جون
- مطبعة جامعة هوبكنز.
- البحيرة، وديفيد أ، 1992. "قوة المتسالمين: الدول الديمقراطية والحرب" الاميركية للعلوم السياسية الاستعراضي، المجلد. 86، لا. 1: 24-27.
- لاكور، والتر، 1976. حرب العصابات: دراسة تاريخية ونقدية. بوسطن: ليتل، شركةبراون.
- لورانس، T. E. 1926 أعمدة الحكمة السبعة: انتصارا. نيويورك: دوبليداي. ليا هنري تشارلز، 1968. الخرافات وقوة: مقالات عن القانون فاغر، فاغر
- المعركة، والمحنة، والتعذيب، طبعةثانية ومنقحة. نيويورك: غرينوود برس.
- ليبسون، مارك، والطبعة، وهيلين هانا فورد 1999. ويبستر العالم الجديد
- قاموس الحرب الفيتنامية. نيويورك: ماكميلان.
- ليماي، كورتيس مع اللواء دايل سين سميث، 1968. أمريكا في خطر. نيويورك: الرائحة الكريهة واغنالز وليدي هارت، 1967 ، .H. B. إستراتيجية، طبعة ثانيةمنقحة. نيويورك: دار نشر برايجر. ، روبرت س، 1992. وقال "الاتحاد السوفيتي في أفغانستان، " اريل eليفيتي.
- بروس ووكر جنتل سون واري بيرمان، محرران، التدخل العسكري الأجنبي:
- ديناميكيات الصراع الذي طال أمده. نيويورك: مطبعة جامعة كولومبيا، ص. 65-94.
- ماك اندرو 1975 ، .J. R"لماذا الحروبالكبرى والحروب الصغيرة أفقدت الولايات المتحدة: سياسة للصراع غير متكافئ، " عالم السياسة الدولية، المجلد. 27، لا. 2: 175-200.
- ماغنوس رالف، وناباي / عدن، 1998. أفغانستان: الملا، وماركس، ومجاهد. بولدر وست.
- ماو تسي تونغ عام 1961. على حرب العصابات، وصموئيل ب. جريفث، طن تبريد. نيويورك: دار نشر برايجر.
- 1968. "أول كتاب عن حرب العصابات"، دونالد روبنسون، الطبعة، القذرة الحروب: حرب العصابات الإجراءات وغيرها من الحروب غير التقليدية. نيويورك: ديلاكورت برس.
- ماركيز، سوزان 1997 ، .L الحروب غير التقليدية: إعادة بناء القوات الأمريكية الخاصةوقوات العمليات. واشنطن، العاصمة: مطبعة معهد بروكنغز.

- "قد ارنست، 2000. الغريب النصر: هتلر الفتح فرنسا. نيويورك: هيل آند وانغ.
- مكارثي، رونالد م، وجين شارب، 1997. غير العنيفة العمل: دليل البحث. نيويورك: جارلاند.
- ميرشيمر جون، 1983. الردع التقليدي. إيثاكا، نيويورك: مطبعة جامعة كورنيل.
- 2001. المأساة وسياسات القوة العظمى. نيويورك: W. W. نورتون الشركة. ميراري اريبل، 1993. وقال "ان الارهاب باعتباره إستراتيجية التمرد، " الإرهاب والعنف السياسي، المجلد. (5)، لا. 4: 213-251.
- ميروم، جيل 2003. كيف الديمقراطياتتفقد الحروب الصغيرة: الدولة والمجتمع، وفشل فرنسا في الجزائر، وإسرائيل في لبنان، والولايات المتحدة في فيتنام. نيويورك: مطبعة جامعة كامبردج.
- 1921. قواتنا الجوية، وحجر الزاوية في الدفاع الوطني. نيويورك: E. P. دوتون الشركة. "وزير الدفاع المجنح " في جابلونسكاي ديفيد، الطبعة، جذور الإستراتيجية: الكتاب الرابع. Mechanicsburg، والسلطة الفلسطينية: Stackpole الكتب، ص. 409-516.
- موكلر نتوني، 1984. هيلا سيلاسي حرب: الايطالية والاثيوبية حملة 1935-1941. نيويورك: راندوم هاوس.
- مويسي ادوين، 1996 ، .E. خليج تونكين وتصعيد حرب فيتنام. كنيسة صغيرة هيل (نورث كارولاينا): في جامعة كارولينا الشمالية الصحافة.
- مولر، وجون، 1980. "البحث عن" نقطة الانهيار "في فيتنام: إحصاءات قاتل الشجار" الفصلية للدراسات الدولية، المجلد. 24، لا. 4: 497-519.
- موريس اريك، 1964. L مقدمة في التاريخ العسكري. باريس: تشارلز – لافوزيل. موسوليني، بنيتو، 1995. "الحاجة الماسة لالامبراطورية" في روجر غريفين، الطبعة، والفاشية.
- نيويورك: مطبعة جامعة أوكسفورد، ص. 74-75.
- ناسون بيل، 1999. الحرب في جنوب إفريقيا، 1899-1902.
- نيويورك: مطبعة جامعة أوكسفورد.
- نوتر جون جاكوب، 1994. "التهديد الفتح: المفاهيمية والتحليل الرسمي" نورمان ألف غراهام الطبعة، والبحث عن الأمن والتنمية: تأثير الإنفاق العسكري وتحويلات الأسلحة. بولدر: لين رينيه الناشرين، ص. 29-49.
- ناي، جوزيف س. الابن، 2004. القوة الناعمة: السبيل إلى النجاح في عالم السياسة. نيويورك: الشؤون العامة.
- باكينهام توماس، 1979. حرب البوير. نيويورك: راندوم هاوس.
- بيب، روبرت انتوني 1990. "القسرية القوة الجوية في حرب فيتنام" والأمن الدولي، المجلد. 15، لا. 2: 103-146.
- 1996. قصف للفوز بها. إيثاكا: مطبعة جامعة كورنيل.

- 1997. "لماذا العقوبات الاقتصادية لا تعمل، " الأمن الدولي، المجلد. 22، لا. 2: 90–136.
- 2003. وقال "الإستراتيجية منطق الإرهاب الانتحاري" الاميركية للعلوم السياسية الاستعراضي، المجلد. 97، لا. 3: 343–361.
- بريت، وبيتر وجون خجول، 1962. رجال حرب العصابات في 1960.
- نيويورك: دار نشر برايجر.
- باركر، وكريستوفر س، 1999. "أسلحة جديدة لمشاكل قديمة: انتشار الأسلحة التقليدية والفعالية العسكرية للدول النامية في" الأمن الدولي، المجلد. 23، لا. 4: 119–147.
- باركر، جوفري، 1994. "في وقت مبكر من أوروبا الحديثة"، مايكل هوارد، جورج وجيه أندروبولس، ومارك ر شلمان، محرران، قوانين الحرب: القيود المفروضة على الحروب في العالم الغربي. نيو هيفن، ط م: مطبعة جامعة ييل، ص. 40–58.
- بول، 1994 ، .T. V. والصراعات غير المتماثلة: بدء حرب من قبل القوى الاضعف.
- كامبريدج: مطبعة جامعة كامبردج.
- بيري، مارك، وإد مايلز، 1999. "الحرب البيئية"، وروي غوتمان ديفيد رييف، جرائم الحرب: ما على الملأ.
- نيويورك: W. W. نورتون، ص. 132–135.
- بوميروي، وليم ج، 1964. & مكافحة عصابات حرب العصابات: والتحرير
- القمع في الفترة الحالية. نيويورك: الناشرين الدوليين.
- بوسين باري 2003 ، .R. "القيادة من مجلس العموم: إن المؤسسة العسكرية
- الهيمنة الامريكية "والأمن الدولي، المجلد 28، رقم 1: 5–46.
- باول كولين ل، 1992. ان "القوات الاميركية: التحديات المقبلة". خارجية، المجلد. 71، لا. 5: 32–51.
- الصحافة داريل، 2001. "أسطورة القوة الجوية في حرب الخليج ومستقبل الحرب، " والأمن الدولي، المجلد. 26، لا. 2: 5–44.
- رايس، رسول بخش، 1994. حرب من غير فائزون: افغانستان غير مؤكد
- الانتقال بعد انتهاء الحرب الباردة. كراتشي: مطبعة جامعة أوكسفورد. راماك ريميشان، كومار، 2002. "الرشو يفربول للتخلي عن: المكافآت في السياسة
- الملايا الطوارئ، ان "الحرب في التاريخ، المجلد 9، رقم 3: 332–353.
- رايتر، ودان، وألان C. ستام الثالث، 1998. "الديمقراطية وساحة المعركة العسكرية

- فعالية "مجلة حل النزاعات، المجلد 42، رقم 3: 259–277.
- 2002. الديمقراطيات في الحرب.
- برينستون (نيوجيرسي): مطبعة جامعة برينستون.
- 2003. "فهم النصر: لماذا مسألة المؤسسات السياسية".
- الأمن الدولي، المجلد. 28، لا. 1: 168–179.
- رودس، وريتشارد عام2002. سادة الموت: اس. اس Einsatzgruppen واختراعات للمحرقة. نيويورك: ألفريد كانوف.
- روبرتس، وآدم، 1994. "حرب البرية: من نورمبرغ إلى لاهاي"، مايكل هوارد، جورج وجيه اندروبولس، ومارك ر شلمان، محرران، قوانين الحرب: القيود المفروضة على الحروب في العالم الغربي. نيو هيفن، ط م: مطبعة جامعة ييل، ص. 116–139.
- روزين، ستيفن ب، 1982. "فيتنام وأمريكا نظرية الحرب المحدودة"، الأمن الدولي، المجلد.7، لا. 2 83–113.
- 1995. "الفعالية العسكرية: لماذا مجتمع مسائل" الأمن الدولي، المجلد. 19، لا. 4: 5–31.
- روزين، ستيفن، 1972. "حرب السلطة والاستعداد لمعاناة" بروس روزيت م، والطبعة، والسلام والحرب وأرقام. بيفرلي هيلز: منشورات سيج، ص. 167–184.
- رودولف ويد الأول، 1985. "اللعبة الكبرى في آسيا: مراجعة وإعادة النظر في" مفترق الطرق، لا. 16: 1–46.
- روسيت بروس 1972 ، .M. ليس واضحا وماثلا: شكاك اعرض من دخول الولايات المتحدة الحرب العالمية الثانية. نيويورك: هاربر ورو.
- سباكشي البرتو، 1985. وفي ظل موسوليني إثيوبيا: الفاشية والتجربة الاستعمارية. نيويورك: كتب زيد.
- 1997. تركة من المرارة والألم: إثيوبياوإيطاليا الفاشية، 1935–1941. نيو جيرسي: اضغط على البحر الاحمر.
- رونالد شيفر، 1985. أجنحة الحكم: القصف الاميركي في الحرب العالمية ايل نيويورك: مطبعة جامعة أوكسفورد.
- شيلينج توماس 1966 ، .C. السلاح والنفوذ. نيو هيفن، ط م: مطبعة جامعة ييل.
- الحادة، والجينات، 2003. وهناك بدائل واقعية. بوسطن، ماجستير: مؤسسة ألبرت أينشتاين.
- شو جيفري د. ت، 2000. "رجال الشرطة في مقابل الجنود، مما أدى إلى مناقشة MAAG الاعتراضات والرفض من واشنطن لبريطانيا في مكافحة التخريب وفي تقديم المشورة" التمرد والحروب الصغيرة، المجلد. 12، لا. 2: 51–58.

- شيهان، نيل، 1989. مشرق الساطع تكذب: يوحنا بولس فان وأميركا في فيتنام. نيويورك: محصول العنب.
- ماريك سلوينسكي، 1989. "أفغانستان: إهلاكالناس" أوربس، المجلد. 33، لا. 1: 39–56.
- صغيرة، ملفين، وديفيد سنجر 1983 . ، .J اللجوء إلى الأسلحة الدولية والحروب الأهلية، 1816–1980. بيفيرلي هيلز: سيج المطبوعات.
- سميث، ايان 1996 ، .R جذور الحرب في جنوب إفريقيا، 1899–1902. نيويورك Longman.
- سنايدر، غلين H. ، وبول دسنغ 1977. صراع بين المتحدة: التفاوض وصنع القرار، وهيكل النظام الدولي في الأزمة. برينستون: مطبعة جامعة برينستون.
- سنايدر، خالد، 1991. أساطير من الإمبراطورية: السياسة الداخلية والدولية الطموح. إيثاكا: مطبعة جامعة كورنيل.
- لويس سلوري، 1999. أفضل الحرب: انتصارا غير مفحوص والنهائي مأساة أميركا في فيتنام خلال السنوات الماضية. نيويورك: هاركورت الدعامة الشركة عام 1999.
- ستيغلر اندرو عام 2003. "انتصارا واضحا للقوة الجوية: الحلف تهديدا فارغا لغزو كوسوفو، " الأمن الدولي، المجلد. 27، لا. 3: 124–157.
- ستابس، ريتشارد، 1989. القلوب والعقول في حرب العصابات: الملايا الطوارئ 1948–1960. نيويورك: مطبعة جامعة أوكسفورد.
- في الصيف، وهاري الابن 1995 ، .G. الأطلس التاريخي للحرب فيتنام. بوسطن، ماجستير: هاوتون موفلين.
- روبرت، تابر 1965. الحرب من البرغوث: دراسة من حرب العصابات بين النظرية والتطبيق. نيويورك: لايل ستيوارت.
- تاماروف، فلاديسلاف، 1992. أفغانستان: فيتنام السوفياتي، نعومي ماركوس، ماريان تراغوين كلارك، وفلاديسلاف تاماروف. سان فرانسيسكو: دار الزئبق.
- توماس، وارد، 2001. أخلاقيات تدمير: القواعد والقوة في العلاقات الدولية. إيثاكا، نيويورك: مطبعة جامعة كورنيل.
- ثومبسون وجيمس كلاي عام 1980. المتداول الرعد: فهم الفشل في السياسات والبرامج. كنيسة صغيرة هيل (نورث كارولاينا): في جامعة كارولينا الشمالية الصحافة.
- طومسون،روبرت، 1966. هزيمة تمرد شيوعي: تجارب من ماليزيا وفيتنام. لندن: Chatto&Windus.
- بوي، 2002. من العدو إلى صديق: الفيتنامية الشمالية بشأن الحرب. أنابوليس، ماريلاند: البحرية معهد الصحافة.
- مونيكا دوفي تافت، 2003. الجغرافيا العنف العرقي: الهوية والمصالح، وتجزئة الإقليم. برينستون نيوجيرسي: مطبعة جامعة برينستون.

- قمرية طائر هاري، 2001. "المادة الماضية" هاري قمرية طائر مع مارتن كرست غرينبرغ، محرران، افضل الخيال العلمي العسكري من القرن العشرين. جديد
- يورك: ديل ري الكتب، ص. 231–262.
- تزو، الاحد، 1988. فن الحرب، وتوماس كليري، طن تبريد. بوسطن: منشورات شامبالا.
- في المناطق الحضرية، ومارك ل، 1988. الحرب في أفغانستان. نيويورك: سانت مارتن برس.
- والت، وستيفن س، 1987. أصول التحالفات. إيثاكا: مطبعة جامعة كورنيل.
- 2002. "أولوية أمريكية: آفاقها والمزالق" كلية الحرب البحرية الاستعراض، المجلد. 55، لا. 2: 9–
- والتون، C. دايل، 2002. اسطورة حتمية للهزيمة الاميركية في فيتنام. بورتلاند، أو: فرانك كاس.
- الفالس كينيث ن، 1967. السياسة الخارجية والسياسة الديمقراطية: التجربة الاميركية والبريطانية. بوسطن: ليتل براون اند الشركة.
- 1979. نظرية في السياسة الدولية. نيويورك: مكجراو هيل.
- والزير، مايكل، 2000. حروبعادلة وحروب ظالمة: أخلاقية مع أمثلة تاريخية، الطبعة الثالثة، نيويورك: الكتب الأساسية.
- واتسون، بروس ألن، 1997. عندما تغادر القوات:دراسة في تفكك العسكرية. يستبورت، ط م: بريغير.
- ويغلي، فرانك راسل، 1997. الأسلوب الأميركي في الحرب: تاريخ الولايات المتحدة
- السياسة والإستراتيجية العسكرية. بلومينغتون، في: مطبعة جامعة إنديانا.
- الذئب إريك ر، 1973. الفلاحين من حروب القرن 20. نيويورك: هاربر.

الفهرس

مدخل كيف يكسب الضعفاء الحروب: 7

مقدمة 9

كلمة شكر وتقدير للمؤلف: 11

الفصل الأول 15

القوة النسبية والنظرية الواقعية للعلاقات الدولية: 16

التفسيرات المنافسة

للنزاعات غير المتكافئة: 20

طبيعة الطرف في الصراع: 21

مشاكل الجدال: 23

انتشار الأسلحة 25

إشكالات تتعلق بهذا الجدال: 30

الحساسية الاجتماعية الديمقراطية: 31

التفاعل الإستراتيجي 35

لماذا ندرس نتائج الصراع غير المتكافئ؟ 36

مخطط الكتاب 39

الفصل الثاني

شرح نتائج الصراع اللا متناسب 41

شرح نتائج الصراع اللا متناسب 42

المصالح واللا حصانة 43

الحساسية السياسية ومدة الصراع: 45

عدم الحصانة السياسية

ونموذج نظام الحكم: 46

عدم الحصانة وخسارة اللاعب القوي: 48

فرضية التفاعل الاستراتيجي 48

الإستراتيجية 49
الهمجية 50
حرب العصابات 52
التفاعل الاستراتيجي 54
التفاعل الاستراتيجي: شرح الاتجاه 57
فرضيات رئيسية: التفاعل الاستراتيجي ونتائج الصراع: 60
الهجوم المباشر ضد الدفاع المباشر: 60
الهجوم المباشر ضد الدفاع غير المباشر 60
الهجوم غير المباشر ضد الدفاع المباشر: 61
الهجوم غير المباشر ضد الدفاع غير المباشر 63
فرضيات بديلة 64
اختبار كمي لفرضية التفاعل الاستراتيجي 66
الترميز والحالات 66
التفاعل الاستراتيجي ونتائج الصراع 68
اختبار توضيح بديل: الدعم الخارجي للاعبين الأقوياء 69
التفاعل الاستراتيجي واستمرار الصراع 69
التفاعل الاستراتيجي والاتجاهات طويلة الأمد 70

الفصل الثالث

روسيا في القوقاز حرب "الموريد" (1830-1859) 73
روسيا في القوقاز: 74
مسرح القوقاز: 75
حرب الموريد: 82
المقطع الثاني: الهجوم التقليدي لحرب العصابات GW 86
الرحمة (الاعتدال): 89
مكاسب روسيا: 90
مصالح الفاعل: 93
أنواع النظام: 93
كيف يكسب الضعيف الحرب؟ 95
التدخل الإستراتيجي: 96
و بالنتيجة: 97

الفصل الرابع

بريطانيا في وسط جنوب إفريقيا وشمال شرق إفريقيا 101
حرب الشمال الإفريقي (1899-1902).. 101
مسرح أحداث الشمال الأفريقي 102
عشية الحرب، المصالح البريطانية: 107
عشية الحرب والمصالح الهولندية:.. 112
الحرب الجنوب افريقية 113
المواجهة الأولى: الهجوم التقليدي ضد الدفاع التقليدي: (تشرين الأول - كانون الأول 1899) .. 114
الأسبوع الأسود: كانون الأول 1899 120
المواجهة الثانية:الهجوم التقليدي.. 122
المواجهة الثالثة: الهمجية. 126
النتيجة: بريطانيا تنتصر: 134
أنواع النظام: الإستراتيجية والضعف. 137
انتشار الجيش.. 139
المواجهة الإستراتيجية: 140
خاتمة: 143

الفصل الخامس

إيطاليا في إثيوبيا الحرب الإيطالية الأثيوبية (1935-1940) 151
المسرح الأثيوبي:.. 152
إيطاليا في أثيوبيا.. 156
ليلة الحرب: اهتمامات إيطاليا. 156
إيطاليا في إثيوبيا.. 158
إيطاليا في إثيوبيا:.. 161
معركة "تيمبين".. 167
الدفاع التقليدي.. 170
الحرب العالمية الثانية في شرق إفريقيا 177
إيطاليا في إثيوبيا.. 179
التحليل: التفسيرات المتنافسة لنتيجة الحرب الإيطالية الأثيوبية 180
انتشار الأسلحة.. 185
التفاعل الاستراتيجي 186
المشاكل في القيادة.. 188
وفي النهاية 189

اعرف عدوك: 193

التكنولوجيا بشكل مستشعرات 196

الأفكار والحقيقة: تركيبة القوة 198

تركيبة القوة تشير إلى عدد من النقاط الجوهرية. 198

استراليا واندونيسيا مثلا: قضايا للدراسة. 199

الفصل السادس

الولايات المتحدة الأمريكية في فيتنام (1965-1973) 201

المسرح الفيتنامي 202

عشية الحرب: المصالح الفيتنامية الشمالية 206

عشية الحرب: مصالح حكومة الفيتنام الجنوبية 207

حرب فيتنام........ 212

النتيجة: خسارات شمال فيتنام ثم فوزها. 218

تحليل: التفسيرات التنافسية لنتائج حرب فيتنام 219

مصالح الأطراف:........ 219

انتشار الأسلحة 225

الفصل السابع

إتحاد الجمهوريات الاشتراكية في أفغانستان الحرب الأهلية الأفغانية 233

المسرح الأفغاني 234

حزب الشعب الديمقراطي 237

عشية الحرب: المصالح السوفيتيه........ 237

عشية الحرب: مصالح المجاهدين........ 239

الحرب الأهلية الأفغانية........ 241

تحليل: شرح متنافس لنتيجة الحرب الأهلية الأفغانية مصالح الممثل........ 257

انتشار الأسلحة 262

التفاعل الاستراتيجي 263

الخاتمة........ 265

النهاية........ 269

الفصل الثامن

الخاتمة 271
ديناميكية النزاع اللامتناظر 272
تفسيرات المتنافسين حول الصراعات متفاوتة النتائج: 272
الإستراتيجية والتفاعل الاستراتيجي 273
الإستراتيجية 274
التفاعل الاستراتيجي 275
حجتي 275
أدلة وإحصائيات 276
حرب الموريد1830-1859 278
الحرب في جنوب إفريقيا، 1899-1902 279
الحرب الايطالية الإثيوبية 1935-1940 282
القيادة 284
الحرب الأهلية الأفغانية 1979-1989 289
الدعم الخارجي للأطراف الضعيفة: الملاذ 291
أطروحة التفاعل: النتائج الرئيسية 293
فرضيات بديلة 293
فشل شرح القوة الفاعلة 295
قيود التفاعل الاستراتيجي من الناحية النظرية 300
النظرية والآثار المترتبة على السياسات 302
التفاعلات الإستراتيجية 307

المراجع 313

المترجم في سطور

أدهم وهيب مطر

أديب ومترجم من القطر العربي السوري، السويداء – القريّا.

له عدة أعمال أدبية وفكرية:

الشعر: صدر له أربع مجموعات شعرية:

- اعترافات ناقصة.
- تراتيل في محراب العشق.
- مراثي النورس الأبيض.
- ترانيم على وتر الهجرة.
- مجموعة في ديوان بعنوان "تقاسيم على ناي مكسور"
- ديوان شعر بعنوان "فوق خط الموت تحت خط العشق "

القصة: صدر له مجموعتين قصصيتين وهما بعنوان:

- الميت الذي عاد (فازت بجائزة المزرعة للإبداع الأدبي).
- صحوة ضمير.

الكتب المترجمة:

- تاريخ الشرق الأوسط.
- جنس العقل.
- الوعي الكوني.
- التلقين.
- فهم الحرب.
- دماء متناثرة (رواية مترجمة إلى اللغة الانكليزية).
- راقص التانغو المنفرد (قصة حياة أنطوني كوين).
- اختلافات المواهب وفق نمط الشخصية.
- نظام الدكتور "كوشنير" الغذائي وفق الحالة النفسية للإنسان

الدراسات والمقالات:

- دراسات حول الترجمة والحركة الثقافية والفكرية للفكر المُترَجَم.
- مقالات منوعة ومقالات مترجمة في الصحف المحلية والعربية والدولية).

تحت الطبع:

- مجموعة شعرية.
- مجموعة قصصية.
- رواية مترجمة.

How the Weak Win Wars

A Theory of Asymmetric Conflict

يتحدث الكتاب عن القوة، و كيفية الفهم المشترك للقوة التي قد تؤدي إلى كارثة.
ترى ، كيف ينتصر الضعفاء في الحروب؟ وعلى ماذا تعتمد احتمالية النصر و الهزيمة في النزالات....على التفاعل بين الإستراتيجيات المستخدمة عند كل من الطرفين القوي و الضعيف.

كما أن مصطلح " النزاعات غير المتكافئة " يقصد به في هذا السياق حصر الموضوع الواسع للتساؤلات المتعددة حوله و ذلك بأقل الكلمات الممكنة - و مع هذا، فهذا المصطلح سيبقى يعاني من نفحة التكبّر الأكاديمي و انفصاله في البرج العاجي.

وفي الحقيقة، فإن الموضوع الحقيقي المتناول هنا هو الوحشية السافرة في الحروب، حيث أن المتلقي الأولي لهذه الوحشية في العادة يكون الجنود، فهم مدربون لمواجهتها ، وإن بحدود معينة.

ومن المتوقع أنهم قد يصابوا أو يقتلوا من قبل جنود آخرين مثلهم خلال أداء واجبهم. و لكن في أيامنا هذه، فقد أصبحت الحروب أقل حصراً بالجنود (لكن البعض قد يقول على أن ذلك مجرد أسطورة أكثر من أي وقت مضى) وربما هي تبعات غير مقصودة لمحاولة استخدام اتفاقيات "جنيف"

(والوسائل اللاحقة للقانون الدولي الإنساني) لحماية الأطفال والمصابين والمرضى والمرضى العقليين والمعاقين والأطفال الصغار، والنساء اللواتي لا يوجد لديهن تحمّل للأسلحة، وكبار السن، ذلك لكون هؤلاء هم مجرد بشر ضعفاء و ليسوا جنودا، ولكنهم أصبحوا ضحايا بشكل متزايد للهجوم بالسكاكين، وبالبنادق، واللهب، و المعدن الطائر، وكلهم كانوا عبارة عن أهداف لأنالمقاتلين اليائسين يجدون أنه من المفيد الاختباء بينهم ، والتغلغل في أماكن إقامتهم ، بينما كان أعدائهم يفتقرون إما إلى الارادة أو القدرة على ضربهم من دون رأي واضح ، وبذلك يكون الأطفال الصغار أول الضحايا التي تتكور جانباً.



سورية - دمشق - ص.ب: 2322 هاتف: 56399561 11 963+
فاكس: 56399560 11 963+ جوال: 944624693 963+

08 شارع محمد طويلب - سيدي امحمد - ولاية الجزائر
Tel: 0021321717302 /MOB : 00213553437195
FAX:0021321717536





